المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
شعبة الدعوة الإسلامية

الصُّحبة وأثرها في الدَّعوة إلى الله تعالى

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدعوة الإسلامية

إعداد الطَّالبة:

مشاعل بنت أحمد بن حسن العتري

(٤٣١٨٠٠٤٩)

إشراف:

د. نوال بنت حامد اللهيبي

الأستاذة في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ووكيلة رئيس قسم القراءات في كلية الدعوة وأصول الدين

العام الجامعي:

١٤٣٥/١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف : ٢٨].

ملخص البحث

هذا بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى في تخصص الدعوة الإسلامية بعنوان :

(**الصحبة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى**).

وقد تم تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وفصلين رئيسيين، جاءت على ما يلي :

المقدمة : وذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، ومنهج البحث ، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه :

أ: التعريف بمفردات عنوان البحث أ- الصحبة ب- الأثر ج- الدعوة.

ب : أهمية الصحبة في الدعوة إلى الله.

الفصل الأول : الصحبة بين الدعاة وأثرها في الدعوة إلى الله ، وفيه تمهيد ومبحثان :

المبحث الأول : الصحبة بين الدعاة معالمها وضوابطها ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: معالم الصحبة بين الدعاة ، وفيه ست مسائل :

١- التعاون ٢- الشورى ٣- التنافس في الخيرات ٤- التجديد ٥- التناصر ٦- التواصل.

المطلب الثاني : ضوابط الصحبة بين الدعاة ، وفيه ثمان مسائل :

١- صحة المعتقد ٢- الإخلاص ٣- الصدق ٤- أن يكون من نفس الجنس ٥- الصلاح ٦-الأدب ٧- الحب ٨-النقد الذاتي.

المبحث الثاني : أثر الصحبة بين الدعاة في الدعوة إلى الله ، وفيه ست مطالب :

١- التَّوافق وإظهار قوة الدَّعوة بتماسك الدُّعاة ٢- تبادل الخبرات وتوظيف الملكات والطَّاقات ٣-تفعيل مفهوم النُّصرة في الدَّعوة إلى الحق ٤- وحدة منهج العمل الدَّعوي ٥- سرعة مواجهة الانحرافات والمُشكلات وتذليل العقبات ٦-زيادة فرص الإبداع في العمل الدَّعوي.

الفصل الثاني : الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، وأثرها في الدعوة إلى الله ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، معالمها وضوابطها ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: معالم الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، وفيه خمس مسائل :

١- التعليم ٢- التودد ٣- الرحمة ٤- التعاهد ٥- الحكمة.

المطلب الثاني: ضوابط الصحبة بين الدعاة والمدعوين، وفيه ست مسائل :

١- التربية الإيمانية ٢- التربية الأخلاقية ٣- الجدية ٤- التواضع ٥- الصبر ٦- القدوة.

المبحث الثاني : أثر الصحبة بين الدعاة والمدعوين في الدعوة إلى الله، وفيه أربع مطالب:

١- تأسيس مفهوم التَّقارب والوئام بين الدَّاعي والمدعوين ، والاستعانة في قضاء حوائج المدعوين. ٢- التَّعمق في معرفة المُشكلات وإيجاد الحُلُول.٣- تأسيس مفهوم الاقتداء والارتباط بالدَّاعي، وإعداد حملة الرِّسالة الدَّعوية. ٤- التَّفاعل مع قضايا الأمَّة خارج نطاق الإطار الداخلي للعمل الدَّعوي.

الخاتمة : وفيها أهم ما توصلت إليه من نتائج البحث وبعض التوصيات .

الباحثة : مشاعل بنت أحمد العتري.

الرقم الجامعي : ٤٣١٨٠٠٤٩

Abstract

Title of the study: "Companionship and its Effect on Calling to Allah" It is a submitted thesis to obtain the M.Sc. from Umm Al-Qura University in Islamic Da'wa. This study consists of an introduction, preface and two main chapters.

As for the introduction, it has the importance of the study, reasons of its selection, approach and plan of the study.

As for the preface, it has two themes; the first is about terminologies of the study (companionship- effect- Calling to Allah), and the second is about the importance of calling to Allah.

The first chapter: companionship among preachers and its effect on calling to Allah. It has a preface and two searches; the first is about Da'wa and its regulations. It has two themes; the first is about the feature of companionship among preachers, and it has six matters (cooperation- counseling- competition in good- renewing- support- communication).

The second theme is about the regulations of companionship among preachers, and it has eight matters (the validity of the belief- sincerity- Honesty- from the same sex- reformation- politeness- love- self-criticism) The second search: The effect of companionship among preachers on calling to Allah. It has six themes (Compatibility and showing the strength of calling to Allah- Exchange of experiences and using the skills and abilities- activate the concept of supporting to Call to Allah- the unified approach of the Da'wa- The speed interventions in encountering problems and going astray- increase the opportunities of creativity in Dawa). The second chapter is about companionship among preachers and people, and its effect on calling to Allah. It has two searches; the first is about the companionship among preachers and people, its features and regulations. It has two themes; the first is about the features of companionship among preachers and people. It has five matters (education- courtship- mercy- compact- wisdom). The second theme is about the regulation of companionship among preachers and people. It has six matters (faith- moral education- diligence- modesty- patience- Role models). As for the second search, it is about the effect of companionship among preachers and people. It has four themes; the first is about the concept of Convergence between preacher and people, the second is about deepen the knowledge of the problems and find solutions to them, the third is about establishing the concept of modeling and correlation with the preacher, as well as preparing advocacy campaign message and the fourth is about interaction with the nation's issues outside the scope of the inner frame of Da'wa.

Resrecaher: Masha'el Ahmed Al-Anzi

University ID: 43180049

المقدمة.

وتحتوي على :

- ✓ أسباب اختيار الموضوع.
- ✓ مشكلة البحث.
- ✓ أهداف البحث.
- ✓ أسئلة البحث.
- ✓ منهج البحث.
- ✓ الدراسات السابقة
- ✓ هيكل البحث.

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله الرحيم الرَّحمن ، ذي الجود والإحسان ، هادي الحيران للخير والإيمان ، نحمدُه حمداً كثيراً لا ينتهي بم رِّ الأزمان ، و صلَّى الله على الهادي العدنان ، الذي وصَّى لاختيار خير الأصحاب والخِلان ، وأخبر أنَّ من أوثق عُرى الإيمان الحُبُّ في الرَّحمن ، صلوات ربِّي وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ، وبعد:

فقد حُبِّب إلى بني آدم مُخالطة الأحبة والأقران ، وبُغضت إليه العزلة غالباً ، فتراه يميل إلى لقاء الأقارب والإخوان ، فيستأنس ويُؤنس ، و (الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَف)[1] .

فإذا ما تآلفت الأرواح وتوافقت ، تقوّت العلاقات ، ونشأت تبعاً لها الصداقات.

الصُحبة كلمة راقية ، تحملُ أسمى المعاني ، وأعمق الدَّلالات ، فكيف إذا ارتبطت بهدف نبيل ، وغاية سامية كالدَّعوة ؟!.

ماذا لو نالت تلك العلاقة شَرَف الارتباط بأحسن قول ، وأعظم وصيَّة؟!.

ماذا لو حقَّق دُعاتنا ذاك المُسمَّى (الصُحبة) فيما بينهم ؟!.

ماذا لو استثمروها لنُصرة الحق ، وإقامة العدل؟!.

إن الساحة الدعوية بحاجة إلى تجديد عقود الإخاء ، وتأكيد معاني الوحدة ، وإحياء سمات الجسد الواحد ، الذي إذا ما اشتكى منه عضو تداعى وسهر وأرِق لأجله .

إن الصحبة ميثاق وعهد ، ذات معالم وضوابط ، متى ما أقامها الدعاة حق قيام أينعت ونفعت – بإذن الله – .

أسباب اختيار الموضوع:

لقد كان لاختيار هذا الموضوع دوافع وأسباب منها:

١- يؤلم كثيراً تلك العلاقات المُتوتِّرة بين بعض الدُّعاة ، وقد تكون جمعتهم أعمال خير ونشاطات بر ، فكم نخسر إثر تلك التَّوترات التِّي يجب أن نتنبه أنها تُضيِّع على الدعوة خيرا كثيرا.

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي ، رقم الحديث(٣٣٣٦) (١٦٢/٤).

٢- ما يلاحظ من علاقاتٍ غير متوازنة عند بعض الدُّعاة مع بعض المدعوين خاصَّة حديثي الإيمان منهم ، ممَّا يحتاج منَّا إلى أن نضع ضوابطاً لتلك العلاقات حتى تُثمر وتُزهر ، ثمَّ تؤتي الدَّعوة ثمارها بإذن الباري.

٣- في زمن كثرة الفتن والمُغريات تزداد أهمية صحبة الدُّعاة للمدعوين ، تأليفا للقلوب ، وإنقاذا للأرواح.

وقبل هذا وذاك الصحبة علاقة قوية بين المرء وأخيه ، فتحتاج من معاشر البَّاحثين وقفات وتأمُلات يخصُّون بها أهل الدَّعوة بالدِّراسة ثم التَّوجيه السَّليم.

مشكلة البحث:

الصحبة بين الدعاة معالمها وضوابطها وآثارها في الدعوة إلى الله تعالى ، والصحبة بين الدعاة والمدعوين معالمها وضوابطها وآثارها في الدعوة إلى الله تعالى.

أهمية البحث:

(الدعوة حمل ثقيل ، قال الله في شأنها مبيناً أمرها ومخاطباً رسوله -ﷺ- حتى يأخذ لذلك العدة اللازمة فقال -ﷻ-: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل٥].

هذه الأمانة التي أشفقت السماوات والأرض والجبال من حملها فحملها الإنسان ، فخلد الله هذه الحكاية ، حكاية الدعوة مع السماوات والأرض والجبال والإنسان بقرآن يتلى ، حتى تبقى الحقيقة راسخة ثابتة ، ولا تنسى أبداً ، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب٧٢].

ولهذا كله كانت الأخوة مطلباً لحمل الدعوة ، وأداء الأمانة ، وتبليغ الرسالة ، فهذا سيدنا موسى -عليه السلام- حين أمر بالذهاب إلى فرعون ، رسولاً ومبلغاً ، كان طلبه من ربه أخاً يؤازره ، ووزيراً يشاركه ، فقال: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [طه٢٩ -٣٤].

وهذا سيدنا رسول الله –ﷺ– يختار لهجرته ، بل لدعوته ومسيرته كلها الصاحب والرفيق ، فإذا كان هذا شأن أولي العزم من الرسل ، فما الشأن في حقنا نحن ؟!) [(١)] .

إنَّ وجود الصَّاحب المُعين ، والمؤازر الأمين بالقرب من الدَّاعية يُعينه ويُخفف من حِمله ، فماذا لو كان هذا الصَّاحب مُشاركا للدَّاعية في أهدافه وآماله وفي توجُّهاته؟!.

وماذا لو تكاتف الدُّعاة واتحدُّوا ؟!.

إنَّنا نحتاج حقيقةً لأن يُراجع دُعاتنا بعضاً من السياسات التي يسيرون عليها ، فتلاحمهم وتقاربهم يُعطي هذه الدَّعوة الصُّورة المثالية ، بل ويكاد أن يكون سببا للتمكين لهذه الدَّعوة.

وكما أنَّ الصُّورة المُعاكسة تُسيء وتُشتت كثيراً من الجهود ، فالأعمال الفردية لا تُنتج كالجماعية ، إنَّها لا تُحقِّقُ تلك الوصيَّة الرَّبانية ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ ، وكلما التزم الدُّعاة بأخلاقيات المنهج الرَّباني كُلَّما آتت الدَّعوة ثُمارها بل وأزهرت بإذن المولى الكريم.

ويكفينا في التنفير من فُرْقَة الدُّعاة أو بالأحرى عدم اتِّفاقهم حديث النبي –ﷺ– : (فإنَّ فساد ذات البين هي الحالقة) [(٢)] .

(إنَّ بناء الأمة من جديد يحتاج إلى تضافر الجهود، ولا ينتج هذا إلا عن صفاء السرائر والاجتماع على قلب رجل واحد ، فإنَّنا معاشر [الدُّعاة] نحمل العبء الثقيل أمام الله تعالى تجاه هذه الأمة وهذا دورنا الذي لا ينبغي أن نتخلف عنه) [(٣)] .

والمُتأمل في سياسة النبي –ﷺ– التي سار عليها في دعوة أبناء هذا الدِّين: إقامةُ أُسس التَّآخي التي لم يسبق لها مثيل ، فإنَّه مع وجود تلك القِيم الإيمانية ، وفي إحياء تلك المعاني السَّامية التي تحملها كلمة (الصُحبة) ، فيها من استجلاب قلوب المدعوين، وترقيقا وإصلاحا لأرواحهم ، ما يفوق الوصف.

---

(١) قواعد السلف الذهبية في الأخوة الإيمانية ، عبدالله فرج الله ، ص٧.

(٢) رواه أبوداود في سننه ، كتاب:الأدب ، باب:إصلاح ذات البين ، رقم الحديث (٤٩١٩) (٢٨٠/٧) ، ورواه أحمد في مسنده ، مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة ، مسند الزبير بن العوام ، رقم الحديث (١٤١٢) (٢٩/٣) ، رواه التِّرمذي في سننه ، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، رقم الحديث (٢٥١٠) (٦٦٣/٤) ، وقال (حديث صحيح) ، وقال الألباني في سلسلته (صحيح).

(٣) الأخوَّة أيها الإخوة ، محمد حسين يعقوب ، المكتبة الإسلامية–القاهرة ، ص ٨.

إنَّ صُحبة الدَّاعية للمدعو ، و ملازمته له ، يستلزم أنَ يكون المدعو على مرأى بأحوال الدَّاعية وعباداته ، ومن ثمَّ الاقتداء به واتِّباع سُبُل الخير ، ولرُبما أصبح من خيرة جُنود الدَّعوة والمناضلين عنها.

وكما أنَّ تلك الصُحبة مما تُعين الدَّاعية في معرفة أقرب المفاتيح لقلب المدعو ، والسبيل الأنفع والأجدى في دعوته.

فالصُحبة موضوع ذو أهميَّة بالغة ، وارتباطه بهدفٍ سامٍ كالدَّعوة إلى الله يزيد من أهميَّته ، بل ويستوجب على الدُّعاة الاعتناء به ودراسته.

ولقد اخترتُ هذا الموضوع بناءا على ما لمسته من حاجة ساحة الدَّعوة إليه حاجة ملحة، وقد استشرتُ بعضاً من الأساتذة الفُضلاء فأيَّدوني ووجَّهوني، منهم: فضيلة الشيخ د.صالح العايد أمين المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وفضيلة الشيخ د.عبد العزيز بن داوود الفايز المشرف العام على موقع منارات الدعوة ، وفضيلة الشيخ د.عماد عبد السميع أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية جامعة طيبة ، وفضيلة الشيخ د.محمد المسند أستاذ مشارك بجامعة الملك سعود ، وفضيلة الشيخ د. سعد الجريد أستاذ بكلية الدعوة والإعلام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ومجموعة من المُهتمين بالبحوث الشرعية والدَّعوية – جزاهم الله خيراً – .

أهداف البحث:

للبحث أهدافاً يرمي لها ومنها:

- ✓ إقامة العلاقات الأخويَّة على أُسس مدروسة .
- ✓ الارتقاء بالعمل الدَّعوي عن طريق تحسين العلاقات بين الدُّعاة واستثمارها.
- ✓ إيقاظ الوعي لدى الدُّعاة لاستثمار الفرص في تطوير مسيرة الدَّعوة الإسلاميَّة.
- ✓ تحذير الدُّعاة من التَّبلد وعدم الانخراط مع جموع النَّاس ومعايشتهم.
- ✓ استثمار الدَّعاة لصحبتهم مع المدعوين استثمارا قيِّما.

أسئلة البحث:

تُجيب الدِّراسة بإذن الله على أسئلة عدَّة ، منها:

- ✓ ما ضوابط الصُّحبة بين الدُّعاة؟.
- ✓ ما أثر الصُّحبة بين الدُّعاة في الدَّعوة إلى الله؟.
- ✓ ما معالم الصُّحبة بين الدُّعاة والمدعوين؟.
- ✓ ما ضوابط الصُّحبة بين الدُّعاة والمدعوين؟.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي وكذا التحليلي .

منهج الباحث:

كان منهج كتابة البحث كالتالي :

- بدأت بجمع المصادر المتعلقة بالموضوع ، ثم قرأتها وجمعت ما يخص الدراسة .
- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني.
- تخريج الأحاديث النبوية وكذلك الآثار.
- الاقتصار على الأحاديث الصحيحة أو الحسنة .
- الاشارة إلى من صحح الحديث أو من حسنه إن كان من غير الصحيحين .
- تخريج الحديث من ثلاث مصادر إن كان من غير الصحيحين .
- التزام الأمانة العلمية بعزو الأقوال إلى قائليها وإلى مصادرها المنقولة منها.
- الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في ثنايا البحث.
- الاجتهاد في بيان تعريفات المعالم والضوابط – مما لم أجد تعريفاً له – بعد النظر في كتب اللغة وتعريفات العلماء.

- وختمته بالفهارس: الآيات القرآنية،الأحاديث النبوية ،الآثار، الأعلام ، فهرس المراجع،فهرس المحتويات.

الدراسات السَّابقة:

بعد البحث عن هذا الموضوع ، ومراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية تبين أن هناك عدد من الدراسات :

١- الصحبة في التَّعليم الشَّرعي خلال القرون الثلاثة الأولى وأثرها في بناء طالب العلم ، للباحث:نادر صدقي محمد الرفاعي ، الجامعة الأردنية ، كلية الشريعة ، قسم الحديث النبوي الشريف وعلومه عام ١٩٩٢م.

- وفصول البحث: الفصل الأول :مفهوم الصحبة وأهميتها وهدفها ، الفصل الثاني:واقع الصحبة في التعليم الشرعي ، الفصل الثالث: أثر الصحبة في بناء طالب العلم .

وتناولت هذه الدراسة الصحبة من الجوانب التعليمية والتربوية.

٢- الصُّحبة وأثرها في عملية التنشئة الاجتماعية ، للباحث : عبد العزيز عبد الرحمن العمودي ، الجامعه المانحه للدرجه :جامعة أم القرى ،التربية ،التربية الإسلامية والمقارنة ، ماجستير ،١٤١٤هـ ، وهي غير مطبوعة.

- وفصول البحث : الفصل الأول: مفهوم الصحبة وأسسها من القرآن والسنة ، الفصل الثَّاني:عملية التنشئة الاجتماعية مفهومها وأهدافها ودور المؤسسات التربوية فيها ، الفصل الثَّالث:مرحلة المراهقة أهميتها وخصائصها ،الفصل الرابع:دور الصحبة في عملية التَّنشئة الاجتماعية .

وتناولت هذه الدراسة الصحبة من الجوانب الاجتماعية في تخصص التربية.

٣- الصحبة في القرآن الكَّريم دراسة موضوعية :

للباحثة:رقية باقيس ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدِّين ، قسم القرآن وعلومه ١٤٢٩-١٤٣٠هـ.

- وفصول البحث:الباب الأول:مفهوم الصحبة في القرآن الكريم وأنواعها وأسسها ، الباب الثاني: الصحبة من خلال القصص القرآني (تطبيقات)، الباب الثالث : الصحبة من حيث الحقوق والآثار .

وتناولت هذه الدراسة الصحبة في القرآن الكريم في تخصص التفسير.

٤- الدلالات التربوية لمفهوم الصحبة في ضوء الكتاب والسنة النبوية :

للباحثة : منى دياب ، الجامعة الإسلامية – غزة ، عام ١٤٣١هـ رسالة ماجستير وفصول البحث : مفهوم الصحبة في ضوء الكتاب والسنة ، مقومات الصحبة المستنبطة من الكتاب والسنة ، الآداب التي ينبغي أن يلتزم فيها الأصحاب في ضوء الكتاب والسنة ، الآثار التربوية للصحبة الصالحة .

وتناولت هذه الدراسة الدلالات التربوية لمفهوم الصحبة في تخصص التربية.

و لم تتعرض تلك الدراسات للصحبة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى بدراسة متخصصة.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وفيها : أسباب اختيار الموضوع ، ومشكلة البحث، وأهميته ، وأهدافه ، وأسئلته ، ومنهج البحث ، ومنهج الباحثة فيه ، والدراسات السابقة ، وخطة البحث .

تمهيد ، وفيه :

أ- التعريف بمفردات عنوان البحث.

ب- أهميَّة الصُّحبة في الدَّعوة إلى الله.

❖ الفصل الأول : الصُّحبة بين الدُّعاة وأثرُها في الدَّعوة إلى الله ، ويشتمل على مبحثين :

❖ المبحث الأول: الصحبة بين الدُّعاة معالمها ، وضوابطها ، ويشتمل على مطلبين :

- المطلب الأول : معالم الصُّحبة بين الدُّعاة إلى الله.
- المطلب الثاني : ضوابط الصُّحبة بين الدُّعاة إلى الله.

- ❖ المبحث الثاني : أثر الصحبة بين الدُّعاة في الدَّعوة إلى الله ، ويشتمل على ست مطالب :
  - المطلب الأول : التَّوافق وإظهار قوة الدَّعوة بتماسك الدُّعاة.
  - المطلب الثاني: تبادل الخبرات وتوظيف الملكات والطَّاقات.
  - المطلب الثالث: تفعيل مفهوم النُّصرة في الدَّعوة إلى الحق.
  - المطلب الرابع: وحدة منهج العمل الدَّعوي.
  - المطلب الخامس: سرعة مواجهة الانحرافات والمُشكلات وتذليل العقبات.
  - المطلب السادس: زيادة فرص الإبداع في العمل الدَّعوي.
- ❖ الفصل الثاني : الصحبة بين الدُّعاة والمدعوِّين ، وأثرها في الدَّعوة إلى الله ، ويشتمل على مبحثين :
- ❖ المبحث الأول: الصحبة بين الدَّعاة والمدعوين معالمها ، وضوابطها ، ويشتمل على مطلبين :
  - المطلب الأول :معالم الصُّحبة بين الدُّعاة والمدعوين .
  - المطلب الثاني :ضوابط الصُّحبة بين الدعاة والمدعوين .
- ❖ المبحث الثاني: أثر الصُّحبة بين الدُّعاة والمدعُوِّين في الدَّعوة إلى الله ، ويشتمل على أربع مطالب :
  - المطلب الأول :تأسيس مفهوم التَّقارب والوئام بين الدَّاعي والمدعوين ، والاستعانة في قضاء حوائج المدعوين.
  - المطلب الثاني:التَّعمق في معرفة المُشكلات وإيجاد الحُلُول.
  - المطلب الثالث: تأسيس مفهوم الاقتداء والارتباط بالدَّاعي ، وإعداد حملة الرِّسالة الدَّعوية.
  - المطلب الرابع: التَّفاعل مع قضايا الأمَّة خارج نطاق الإطار الداخلي للعمل الدَّعوي.

- الخاتمة : فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من البحث وبعض التوصيات ، ثم الفهارس التالية : فهرس الآيات القرآنية ، فهرس الأحاديث النبوية ، فهرس الآثار، فهرس الأعلام ، فهرس الكلمات المشروحة ، فهرس المصادر ، فهرس المحتويات.

الشُّكر

حمداً للذي أغدق عليَّ النِّعَم ، ودفع عنِّي النِّقم ، شكراً له على ما منَّ به عليَّ من آلاء ومِنَن.

الشكرُ يفتحُ أبواباً مغلقةً ... للهِ فيها على من رامهُ نِعمُ

فبادرِ الشكرَ واستغلقْ وثائقهُ ... واستدفعِ اللهِ ما تجري به النِّقَمُ [1]

ثمَّ أُثنِّي بالشكر لوالدي الذين أكرماني بحسن عطائهما وتربيتهما ، خصَّاني بجميل تعاملهما وخلُقِهما ، شكراً ثمَّ شكراً والديَّ ، فإن قضيت العمر أكررها ما وفيت شيئاً من حقكما.

أبوايا كنتم على الدوام تناضلا ... كي تجعلوني بين قومي سيـــدا

فأخذت منكم ما يجب وزيادة ... وكأنكم أنجبتموني واحـــــدا

يا رب تحفظ والديّ كلاهما ... واجعل لهم من حوض طه موردا

واكتب لهم حسن الختام لأنه ... باب العبور إلى النعيم الخالدا [2]

كما أشكر المبارك زوجي الذي تُوِّجت الرسالة باهتمامه ، وعنايته بإخراجها في أنسب وقت ، وأقرب فرصة ، جعله المولى قرة عين وباركه.

كما أشكر أستاذتي الفاضلة: د.نوال بنت حامد اللهيبي ، والتي غمرتني بحسن متابعتها، وجميل صحبتها، شكر الله لها ، ورفع درجتها ، وجزاها عني خير الجزاء.

إذا الشافعُ اسْتَقْصى لكَ الجهدَ كله ... وإن لم تَنَلْ نجحاً فقد وَجَبَ الشكرُ [3]

ولا أنسى في شكري صرحاً علمياً قضيت فيه أجمل مراحل حياتي ، جامعة شرفتني بضمي إليها في مرحلتي البكالوريوس والماجستير.

ثمَّ شكراً لقسم حباني شرف الانضمام إليه، والالتحاق بصفوف يُعدُّها للدعوة إلى الدين القويم.

فلو كان للشكر شخص يبين ... إذا ما تأمّله النّاظر

لبيّنته لك حتّى تراه ... فتعلم أنّي امرؤ شاكر

ولكنه ساكن في الضمير ... يحرّكه الكلم السائر [4]

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ابن حبان ، دار الكتب العلمية-بيروت ، ص:٢٦٥.

(٢) قصيدة بعنوان: فضل الوالدين، مجدي العوضي، شبكة الفصيح
. http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=75599

(٣) عيون الأخبار ، بن قتيبة الدينوري ، دار الكتب العلمية-بيروت ١٤١٨ (١٥٢/٣).

(٤) المرجع السابق (١٨١/٣).

أختم بالشكر لكل من أسداني نصحاً أو ذكرني بدعوة في ظهر الغيب ، شكراً لصُحْبَةٍ أغدقت علي إحساناً وحباً ، وما فتئت تشجعني وتدفعني إلى مدارج الصلاح والعُلا .

إذا أنا لم أشكرْ على الخيرِ أهلهُ ... و لم أذممِ الجبسَ اللئيمَ المذمما

ففيمَ عرفتُ الخيرَ والشَّرَّ باسمهِ ... وشَقَّ لي اللهُ المسامعَ والفما[1]

هذا وأسأل العلي الكبير أن يقبل جهدي المتواضع ، وأن يجزي من لهم أفضال عليَّ خير الجزاء ، وأشكر كل من تكرَّم بالنظر إلى بُنيَّات أفكاري ، وإن وُفِّقت وأجدت فمن توفيق الكريم المنان ، وإن زللتُ أو أخفقت فمن نفسي والشيطان .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢] .

(١) المرجع السابق (١٩١/٣).

التمهيد

ويحتوي على:

- ✓ أ- التعريف بمفردات البحث.
- ✓ ب- أهمية الصحبة في الدعوة.

أولاً : التَّعْرِيف بمفردات عنوان البحث .

عنوان البحث هو : الصحبة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى.

الكلمة الأولى : الصُّحْبَة :

أ- الصُّحْبَة لُغَةً :

هي مصدر للفعل صَحِب ، (والصَّادُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ وَمُقَارَبَتِهِ)[١] ، وصاحبه:(عاشره)[٢] ، (ورافقه ولازمه)[٣] ، و(كل شيء لاءَمَ شيئاً فقد استصحبه)[٤] ، وقيل: (الصاحب : المرافق ومالك الشيء والقائم على الشيء)[٥] ، وقيل: (الصحبة تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر)[٦] ، وقيل : (والمصاحبة والاصطحاب أبلغ من الاجتماع لأن المصاحبة تقتضي طول لبثه، فكل اصطحاب اجتماع ولا عكس)[٧].

(ومعنى الصحبة يدور في معانٍ من ألصقها : معنى الملازمة والمعاشرة والاتباع والانقياد والحفظ والمنع . بل إن أكثر أهل اللغة يطلق لفظ الصحبة على أي علاقة سواء كانت علاقة محبة ، أم عداوة ، أم خصومة ، أم مجرد اشتراك في أمر ما ولو كان قدراً قليلاً)[٨].

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس ، دار الفكر ، ط١٣٩٩ ، ت:عبدالسلام هارون (٣٣٥/٣).

(٢) لسان العرب ، محمد ابن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر بيروت ، ط١ (٥١٩/١).

(٣) معجم اللغة المعاصرة ، أحمد عمر ، عالم الكتب ، ط١ (١٢٦٨/٢).

(٤) الصحاح في اللغة ، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، دار العلم ، ١٤٠٧ (١٨٠/١).

(٥) المعجم الوسيط ، إشراف د.شوقي ضيف، دار الدعوة (٥٠٧/١).

(٦) الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري ، دار العلم-القاهرة (٣٠٨/١).

(٧) التوقيف على مهمات التعريف ، عبدالرؤوف المناوي ، عالم الكتب ، ط١ (٢١١/١).

(٨) الصحبة في القرآن الكريم ، رقية باقيس ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رسالة ماجستير ١٤٢٥هـ ، ص:٦.

ب- الصُّحْبَة اصطِلاحاً :

تنوعت تعريفات العلماء للصحبة ، ومن ذلك :

قيل : (الصَّاحِبُ: الملازم إنسانا كان أو حيوانا، أو مكانا، أو زمانا. ولا فرق بين أن تكون مُصَاحَبَتُهُ بالبدن- وهو الأصل والأكثر-، أو بالعناية والهمّة،ولا يقال في العرف إلّا لمن كثرت ملازمته)[1].

وقيل : (الصحبة علاقة ما ، يحصل فيها اجتماع ، أو اقتران ، أو اختلاط ، أو ملازمة ونحوها لإنسان أو حيوان أو مكان أو زمان ، في مدة تطول أو تقصر ، وتقوم على أسس، ولها آداب وحقوق وواجبات ، ولها منافع ومضار ، خاصة وعامة)[2].

فيتبين أن الصحبة في الاصطلاح تعني : مرافقة الداعية لداعية آخر أو لأحد المدعوين وملازمته ومعاشرته بما يقتضي الانتفاع ، وهذا هو المراد في عنوان البحث.

الكلمة الثانية : الأَثَر :

أ- الأَثَرُ لُغَةً :

(الْهَمْزَةُ وَالثَّاءُ وَالرَّاءُ، لَهُ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: تَقْدِيمُ الشَّيْءِ، وَذِكْرُ الشَّيْءِ، وَرَسْمُ الشَّيْءِ الْبَاقِي)[3].

وقيل : (النتيجة وهو الحاصل من الشيء ، وهو أيضاً بمعنى : العلامة)[4].

والمقصود هنا : هو نتيجة الصحبة ، والحاصل منها ، وعلاماتها الباقية على الدعوة ، وهو المراد في عنوان البحث.

ب- الأَثَرُ اصْطِلاحاً :

(ماتتركه الصحبة من علامات ونتائج في الدعوة)[5].

---

(١) المفردات ، الراغب الأصفهاني ، دار القلم ط١ ، ص:٤٧٥.

(٢) الصحبة في القرآن الكريم ، رقية باقيس ، ص:٧.

(٣) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٥٣/١).

(٤) التعريفات ، علي الجرجاني ، دار الكتب ط١ (٩/١).

(٥)معجم اللغة العربية المعاصرة (٦١/١).

فالمراد في عنوان البحث : هو النتيجة الحاصلة والعلامة المتبقية من صحبة الداعية على الدعوة إلى الله، وإثرائها لميادين الدعوة.

الكلمة الثالثة : الدَّعْوَةِ :

أ- الدَّعْوَة لُغَةً :

(الدَّالُ وَالْعَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنْ تُمِيلَ الشَّيْءَ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ)[1] .

وقيل : (دعا إلى الأمر: حثَّ على اعتقاده، ونادى به ، ونصحه وأرشده)[2] .

ب- الدَّعْوَة اصْطِلاحاً :

هي : (تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة)[3] ، وهو المراد في عنوان البحث.

وأركان الدعوة ثلاثة : (الداعية ، والمدعو ، وموضوع الدعوة)[4] .

والداعية هو: (المُبلغ للإسلام ، والمعلم له ، والساعي إلى تطبيقه)[5] .

والمدعو هو: (من تُوجَّه إليه الدعوة ، وهو الإنسان مطلقاً قريباً أو بعيداً ، مسلماً أو كافراً ، ذكراً أو أنثى)[6] ، وموضوع الدعوة : (الإسلام الذي يُدعى الناس إليه)[7] .

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٢/٢٧٩).

(٢) معجم اللغة المعاصرة ، أحمد عمر (١/٧٤٧).

(٣) المدخل إلى علم الدعوة ، محمد البيانوني ، مؤسسة الرسالة ، ص:١٧.

(٤) المرجع السابق ، ص:١٥٢.

(٥) المرجع السابق ، ص:١٥٣.

(٦) المرجع السابق ، ص:١٦٩.

(٧) المرجع السابق ، ص:١٨٢.

ثانياً : أَهَمِّيَّة الصُّحْبَةِ فِيْ الدَّعْوَةِ إِلَى الله .

ميَّز الله البشر بالعقل ، وهيَّأ لهم رسلاً يُرشدونهم للحق ، ويبصرونهم بطريق النور والنجاة ، وكان خاتمة المصطَفَون خيرهم محمداً -عليه الصلاة والسلام- .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وبعد وفاة النبي -ﷺ- تواصى المصلحون على التسابق إلى الفوز بشرف الوظيفة الأسمى وظيفة خير الخلق - عليهم السلام - الدعوة إلى الله.

ولقد تشبث الدعاة بوظيفتهم لعلمهم أنها فرض كفاية متى ما قام بها بعض أبناء الأمة المؤهلين لذلك سقطت عن بقيتهم ، وكون الدعاة أهل علم بها ، ولديهم القدرة على القيام بحقها ، فهم أولى من تجب عليهم الدعوة [1].

---

(١)استدل العلماء القائلون بالوجوب العيني بأدلة منها :١- بأن لفظة " من " في قوله تعالى:(ولتكن مِنْكم أمةٌ يدعون إلى الخير ، ويَأمْرون بالمعروف ويَنْهونَ عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون) هي : للبيان والتبيين ، وليست للتبعيض وذلك بقرينة الأدلة الأخرى التالية ، فتفيد هذه الآية عندهم توجيه الخطاب بالدعوة إلى جميع المكلفين ، فتكون الدعوة واجبة على كل فرد مسلم بقدر استطاعته. ٢- عموم قوله تعالى:) كنتم خَيرَ أمة أخْرِجَتْ للناس ، تَأْمرون بالمعروف وتَنْهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) . فجعلت الآية الدعوة سِمةً عامة من سمات الأمة المسلمة ، فتكون واجبة عليها جميعاً. ٣- وبقوله عليه الصلاة والسلام: " من رأى منكم منكراً فليُغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان" . وإن " مَنْ " من ألفاظ العموم فيعم الحكم.٤-وبعموم قوله " لِيُبْلِغ الشاهدُ الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يُبلغ من هو أوْعى له منه " .

واستدل العلماء القائلون بالوجوب الكفائي بأدلة ، منها::١ -بأن لفظة " من" في قوله تعالى: (ولتكن منكم أمة ... الآية) هي للتبعيض ، وذلك بقرينة الأدلة التالية .٢-وبقوله سبحانه: (وما كان المؤمنون لِيَنْفروا كافةً ، فلولا نَفَر مِنْ كلِ فِرْقة منهم طائفةٌ لِيتفَقَّهوا في الدين ، ولِيُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لَعلَّهم يَحْذَرون).٣-ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل يحتاج إلى علم وبصيرة بالشروط والأحوال ، وهذا لا يتوفر في جميع المسلمين ، فيكون الواجب على من توفر فيه الشرط ، فإذا قام بواجب الدعوة من توفرت فيهم الشروط سقط الإثم عن الباقين. إلى غير ذلك من أدلة .

وقد اختلف العلماء أيضاً في ترجيح أحد القولين على الآخر ، فمنهم من رجح القول الأول ، ومنهم من رجح القول الثاني ، ولا أرى حاجة للدخول في هذه الترجيحات ما دام الخلاف في نظري خفيفا ليس له من أثر عملي كبير... وذلك لما يلي : -لاتفاق الطرفين على أصل الوجوب . -ولأن الذين قالوا بالوجوب الكفائي ، يتفقون مع الآخرين بأنه إذا لم تحصل الكفاية لم يسقط الحكم عن الباقين ، ويبقى الخطاب متوجهاً إلى الجميع حتى تتحقق الكفاية ، وإذا لم تتحقق الكفاية أثم الجميع . -ولأن الذين قالوا بالوجوب العيني ، قيدوا الوجوب بالاستطاعة فمن لم يكن عالماً بحكم المنكر لا يعد مستطيعاً بالاتفاق ، وكذلك من كان عاجزاً عن تغيير المنكر سقط عنه =

والشرف يلحق الداعية إلى الله إذ لا أحسن قولاً ممن دعا إليه على بصيرة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

إن الداعية يجاهد هواه ليدفع جُلَّ وقته نصرة للدعوة ، مستجيباً لأمر الله تعالى إذ قال:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وحرص الداعية على الدعوة إلى الله يدفعه لاستعمال شتى الوسائل والأساليب المشروعة، فلا يتوانى عن استعمال أحدها ما دام ثبت له مشروعيتها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

والدعوة لا تتم وتكمل إلا بمُخالطة الدَّاعية للنَّاس ، فهي أمر لازم وضروري ، بل هي من صميم عمله ، (ولا يكون داعية اليوم إلا من يفتش عن الناس ، ويبحث عنهم ،ويسأل عن أخبارهم ، ويرحل للقائهم ، ويزورهم في مجالسهم ومنتدياتهم ، ومن انتظر مجيء الناس إليه في مسجده أو بيته فإنَّ الأيام تبقيه وحيداً)[1] .

=الوجوب ، فلا يترتب على القول بالوجوب العيني حرج على أحد . – ولأنه لو سقط الوجوب بقيام من تتحقق بهم الكفاية ، بقي حكم الندب ، فيندب جميع المسلمين إلى القيام بالدعوة استدلالاً بقوله تعالى:) ومَنْ أَحْسَنُ قولاً ممن دَعا إلى الله وعَمِلَ صالحاً ، وقال إنني من المسلمين). وبغير ذلك من نصوص شرعية ترغب في الدعوة وترتب على فعلها الثواب العظيم . هذا كله من جهة ، ومن جهة أخرى : إن تَصَوُّرَ تحقّق الكفاية في جانب الدعوة أمر شبه مستحيل ، لأن للدعوة الإسلامية مجالين أساسيين :أ – دعوة غير المسلمين للإسلام .ب– دعوة المسلمين أنفسهم إلى الإسلام ، على مختلف درجاتهم فيه.وكلا المجالين متجدد ، وتستمر الحاجة إلى الدعوة فيه ، ولا يمكن أن تتصور الكفاية فيهما إلا على نطاق نادر ومحدود . ومن هنا كانت النصيحة مطلوبةً من جميع المسلمين ، بل كان الدينُ النصيحة ، كما صرح بذلك قول " الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم" ، وكان التواصي بالحق والتواصي بالصبر شرطين أساسيين من شروط النجاة في الحياة كما صرح بذلك القرآن الكريم في سورة العصر.(المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني١٣-٣٤).

(١) المنطلق ، محمد الراشد ، دار النشر للجامعات–مصر ، ط١٤٣١هـ ، ص:١٠٧.

فالدعوة لن تكون على الوجه الأكمل إن لم يكن الداعية على بصيرة بحال من يدعوهم ، وما الأنسب في دعوتهم ، وما هي مفاتيح قلوبهم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وبقاء الداعية بمنأى عن الناس لا يخالطهم ولا يجالسهم ، فلن يملك تصوراً شاملاً عن اهتماماتهم ومشاكلهم واحتياجاتهم ، وبالتالي لن يفلح كثيراً في دعوتهم .

إن بمجالسة الداعية لعامة الناس ، ومصاحبته لبعضهم ، يتكوَّن عنه تصوراً حسناً ، وينشر له صيتاً طيباً ، فيُقبل عليه ، ويُرحب بدعوته ، فإنما يحب الناس من يجالسهم ويتواضع لهم ، فيشعر بأساهم ، ويواسيهم حال حزنهم ، ويشاركهم أفراحهم ، ويفزع لكربهم .

والأمة أحوج ما تكون إلى تقارب الدعاة مع عامة الناس ، وتصالحهم فيما بينهم ، لتزول تلك الصراعات ، ويحل الخلاف الذي ساد بينهم ، (وَهَذَا التَّفْرِيقُ الَّذِي حَصَلَ مِنْ الْأُمَّةِ عُلَمَائِهَا وَمَشَايِخِهَا؛ وَأُمَرَائِهَا وَكُبَرَائِهَا هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ تَسَلُّطَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ بِتَرْكِهِمْ الْعَمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[المائدة: ١٤]، فَمَتَى تَرَكَ النَّاسُ بَعْضَ مَا أَمَرَهُمْ اللَّهُ بِهِ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ وَإِذَا تَفَرَّقَ الْقَوْمُ فَسَدُوا وَهَلَكُوا وَإِذَا اجْتَمَعُوا صَلَحُوا وَمَلَكُوا؛ فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةَ عَذَابٌ)[1] .

(إن روح الإخاء تلتقي مع صفاء الفطرة ، وإنه بقدر الغيرة على الدين يكون الحرص على ائتلاف أهل الدين ، وإن من علامة سلامة الفكر والعقل سلامة الصدر ، ومن أمارات رجاحة الرأي الشغف بالوفاق والنفور من الشقاق)[2] .

(ولئن كان الاجتماع ووحدة الصف ضرورتين في كل وقت وحين ، فالدعوة اليوم أحوج إليهما من أي وقت مضى، إنها تعاني ضعف الطاقات ومحدودية الامكانيات ، وفي الافتراق والخلاف إضاعة للجهود ، وتشتيت للطاقات، وهي تعاني تآمر المفسدين وكيدهم، وفي إشاعة الاختلاف والفرقة

(١) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦ ، ت:عبدالرحمن بن قاسم (٤٢١/٣).

(٢) فقه الوفاق ، مركز البحوث والدراسات "البيان" ١٤٣٥ ، ص:٣٦.

خدمة لهؤلاء وخذلان لعباد الله الصالحين، وحين يريد الدعاة تقديم مشروعات عامة ، أو إنكار منكرات ، أو دعم قضية من قضايا المسلمين ، فإن ذلك كله لن يتأتى مع التفرق والصراع والتشاحن ، بل سيؤدي بطائفة من الناس إلى قصد مخالفة من لا يتفقون معه ، ولو أدى ببعضهم إلى الوقوف في صف أهل الفساد أو تسويغ باطلهم ، والهوى يصنع العجائب)[1] .

فصحبة الداعية لإخوانه الدعاة أو المدعوين تُثري ميادين الدعوة ، وتعين على تبادل الخبرات ، واستثمار القدرات والإمكانات ، فالجماعة قوة ، والوحدة ضعف وخور.

وفي صحبة الداعية للدعاة أو المدعوين إحياء لمعاني الإخاء ، والذي به نشأت أقوى دولة ، وهي دولة الإسلام التي كان عمادها صحبة أحيت معاني أخوة الإيمان .

إن دولة الإسلام التي نشأت في المدينة كانت ولازالت فريدة في نجاحها وتميزها ، وما ذاك إلا لأرواح تآلفت ، وصدقت في إخائها ، وما ابتغت بذلك حاجة دنيا ، وإنما إرضاءاً لخالقها ، ونصرة لدينه.

كما أن الصحبة مهمة بالنسبة للداعية ، فتعينه على تحمل أعباء الدعوة ، تؤازره عند الشدائد ، تقوي من عزيمته ، تشاركه أعماله ، تثبته عند المحن ، وتحتفي به إذا أقبل عليه الخير ، أما إن بقي وحيداً فستتقاذفه الأمواج ، يقبل يوماً ويتقاعس أياماً ، فإنما المؤمن ضعيف بنفسه قوي بإخوانه.

فللصحبة أهمية عظمى بالنسبة للدعوة ، وإن لم تكن كذلك لما أرسى النبي – ﷺ – قواعدها عند بدء انطلاق دعوته في مكة ، وكان حريصاً على أن يُؤاخي بين صحابته ، ويقوي دعائم صحبتهم ، فلما قويت أثمرت وأزهرت ونفعت.

(١) فقه الوفاق ، ص:٥٠-٥١.

الفصل الأول:

الصحبة بين الدعاة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى

ويحتوي على:

- ✓ المبحث الأول: الصحبة بين الدعاة؛ معالمها، وضوابطها ،

المبحث الثاني : أثر الصحبة بين الدعاة في الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الأول: معالم الصحبة بين الدعاة

وفيه ست مسائل :

المسألة الأولى : التعاون

المسألة الثانية : الشورى

المسألة الثالثة : التنافس في الخيرات

المسألة الرابعة :التجديد

المسألة الخامسة : التناصر

المسألة السادسة : التواصل

المطلب الأول : معالم الصحبة بين الدعاة .

إن معالم الصحبة أمر مهم ، ولأهميته أفردته في مطلب مستقل عرَّفت فيه معالم الصحبة بين الدعاة ثمَّ بينتها في ست مسائل متعلقة بأهم معالم الصحبة بين الدعاة.

تعريف معالم الصُّحبة:

لتعريف معالم الصُّحبة لابد من البدء بالرجوع لأصل الكلمة في كُتُبِ اللُغة حتى تتبيَّن مَدْلُولاتها ومعانيها:

- لفظةُ (مَعَالِم) ترجع للفعل الثُلاثي (عَلِمَ)، أوردها علماء اللغة في كتبهم ، منها:
- قول ابن فارس [1] -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره) [2] .
- (الْمَعْلَم) أَيّ: مظانّ الشَّيء وأماكن وجوده، كما ذكر ذلك الزَّمخشري [3] - رَحِمَهُ اللَّهُ- حيث قال : (من معالمه أي : من مظانِّه [4] .وخفيت معالم الطريق . أي : آثارها المستدلّ بها عليها) [5] .
- (مَعْلَم) تعني : الأَثر المُمَيِّز للشيء عن الغير -دلَّ على ذلك قول ابن فارس-.
- و(الْمَعْلَم) أَي : الأثر الذي يُستدلُّ به على الشيء -دلَّ على ذلك قول الزَّمخشري.
- و(مَعْلَم) مُفردَة (مَعالِم) وتعني : دلائل الشيء ، قال ابن دُريد [1] -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (مَعالم الدين : دلائله ، وكذلك معالم الطريق ، والواحد مَعْلَم. وفلان مَعْلَم للخير ، أي : مَظِنَّة له) [2] .

---

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ = ٩٤١ - ١٠٠٤ م) قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه: (مقاييس اللغة - ط) ستة أجزاء، و (المجمل - خ) (الأعلام للزركلي ١٩٣/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (١٠٩/٤).

(٣) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ = ١٠٧٥ - ١١٤٤ م)، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها (الأعلام للزركلي ١٧٨/٧).

(٤) قال ابن فارس -:-(مَظِنَّة الشيء، هو :مَعْلَمه ومكانُه) (معجم مقاييس اللغة ٤٦٣/٣).

(٥) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ،(٣٢١/١)

مَعَالِمُ الْصُحبة فِي الاصْطِلَاح:

بعد البحث لم يقع بين يدي تعريفاً اصلاحياً للمَعْلَم ، وبعد التَّأمُل في تعريف علماء اللغة لـــ(المَعَالِم) ، والتي دارت حول:(مظانّ الشيء، ودلائله ، وأماكن وجوده ، والأَثر المُمَيِّز له).

فيكون التَّعريف لـــ (مَعَالم الْصُّحبة بَيْن الدُّعاة) هو : دلائل الْصُّحبة بين الدُّعاة ، وآثارها المُمَيِّزة لها.

وبعد بيان المقصود بمعالم الصحبة أنتقل إلى تفصيل المسألة الأولى.

(١) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ،(٢٢٣ - ٣٢١ هـــ = ٨٣٨ - ٩٣٣ م)، من أزد عمان من قحطان، أبو بكر: من أئمة اللغة والأدب. (الأعلام للزركلي ٦/٨٠).

(٢) جمهرة اللغة، أبوبكر بن دريد الأزدي(٢/٣٣).

الْمَسْأَلَةُ الْأُوْلَى:التَّعاون.

تبين لي من خلال الدراسة والبحث أن التعاون من أهم معالم الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى فقمت بتعريفه لغة واصطلاحاً ، ثم بينت ضرورة التعاون ، وخوارمه بين الدعاة.

أولاً : تَعْرِيْفُ التَّعَاوُن:

أ- التَّعاون لُغَةً :

التَّعاوُن مصدرٌ للفعل الثُّلَاثِي (عَوْن).

قال ابن منظور[1] -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (العَوْنُ : الظَّهير على الأَمر الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فيه سواء)[2] .

قال ابن دُريد-رَحِمَهُ اللَّهُ-:(عَوْن: اسم اشتقاقه من استعنتُ به فهو لي عَوْن، والجمع أعوان)[3] .

وقال الشَّعراوي[4] - رَحِمَهُ اللَّهُ-: (كلمة « تعاون » على وزن « تفاعل » ، والتفاعل يأتي من اثنين؛ مثلما نقول «تشارك»؛ فهي تقتضي اثنين؛ كأن نقول : تشارك زيد وعمرو أو : شارك زيد عمراً أو شارك عمرو زيداً . وكلاهما متساو)[5] .

ب- التَّعَاوُن اصْطِلاحاً :

---

(١) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الأفريقى (٦٣٠ - ٧١١ هـ = ١٢٣٢ - ١٣١١ م) صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوى الحجة.من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. (الأعلام للزركلي ١٠٨/٧).

(٢) لسان العرب، محمد بن منظور المصري،دار صادر-بيروت ط١ (٢٩٨/١٣).

(٣) جمهرة اللغة، ابن دريد (٣٧/٢).

(٤) محمد متولي الشعراوي، (١٣٢٩ - ١٤١٩هـ، ١٩١١ - ١٩٩٨م). العالم الفقيه المفسِّر، من أبرز علماء عصره، وأحد دعائم الفكر الإسلامي الحديث بمصر، وركيزة من ركائز الدعوة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين ، عين وزيرًا للأوقاف وشؤون الأزهر (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨م) في عهد الرئيس أنور السادات. وهو عضو في مجلس الشورى ومجمع اللغة العربية ورابطة العالم الإسلامي والهيئة التأسيسية لها، وكثير من الهيئات والمنظمات والجامعات العربية والإسلامية (الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net).

(٥) الخواطر ، محمد متولي الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم ، ط١٩٩٧ (٢٩٠٦/٥).

قال الغزالي [(١)] -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (معنى التعاون : الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان) [(٢)] .

ونقل القُرطبي [(٣)] - رَحِمَهُ اللَّهُ- تعريفاً للتعاون حيث قال : (هو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى ؛ أي : ليعن بعضكم بعضا ، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى وأعملوا به) [(٤)] .

فالتَّعاوُن كَمعلمٍ من معالِمِ الصُّحبة بين الدُّعاة يعني: مُشاركة الدُّعاة بعضهم البعض في أمور دينهم ودنياهم ، نفعاً ومُساعدة وبذلاً ومحبَّة .

ثانياً : ضرورة التَّعاوُن:

فَطَر الله -جَلَّ جَلَالُهُ- بني آدم ضعِيفاً لا يقوى على القِيام بجميع شؤونه وحده ، ثمَّ مع ذلك لا يُتقنِ جميع الحِرَفِ والمَهارات ، فمن رحمتِهِ سخَّر -سبحانه وتعالى- بني البشر بعضهم لبعض، ليكُون التَّعاون سجيَّتهم ، فيتكاملوا ويسُدُّوا النَّقص الذي يعتريهم ببعضهم البعض ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾** ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

أي : (« وتعاونوا » ليسير دولاب الحياة ويستفيد الإنسان من كل المواهب لقاء إخلاصه في أداء عمله... وهذا هو التفاعل الذي تحتاج إليه أقضية الحياة التي شاءها الله للإنسان الخليفة في الأرض والمطالب أن يعبد الله الذي لا شريك له ، وأن يعمر هذه الأرض، ولا تتأتى عمارة الأرض إلا بالحركة فيها ، والحركة في الأرض أوسع من أن تتحملها الطاقة النفسية لفرد واحد ، بل لا بد أن تتكاتف الطاقات كلها لإنشاء هذه العمارة... إذاً فالتعاون أمر ضروري للاستخلاف في الحياة) [(٥)] .

---

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م) حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من كتبه (إحياء علوم الدين – ط) أربع مجلدات، و (تهافت الفلاسفة – ط) و (الاقتصاد في الاعتقاد – ط) (الأعلام للزركلي ٢١/٧-٢٢).

(٢) إحياء علوم الدين، محمد الغزالي،دار المعرفة-بيروت (٣٠٧/٢).

(٣) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: (٠٠٠ - ٦٧١ هـ = ٠٠٠ - ١٢٧٣ م) من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن " (الأعلام للزركلي ٣٢٢/٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، دار عالم الكتب-الرياض ١٤٢٣هـ (٤٦/٦).

(٥) تفسير الشعراوي (٢٠٠٨/١).

إنَّ على الدُّعاة التَّأمُل في قِصَّة نبي الله موسى -عليه السلام- ، فحينما كلَّف الله موسى -عليه السلام- بالرِّسالة، طَلب موسى -عليه السلام- من باريه رِدْءاً وعَضُداً ومُعيناً،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ ﴾ [طه: ٢٩ -٣٥].

وهذا من فِقْهه -عليه السلام- ، إذ مُهمَّة الدَّعوة مُهِمَّة شاقَّة يَصعُب الانفراد فيها، إذ يتعسَّر حينها القِيَام بواجباتِ هذه المُهِمَّةِ على أكمل وجه، ويُخشى على المُنفرِدِ ممَّا يسوؤه أو يُهلِكُه.

وقد ذكر القُرطبي -رحمه الله- في السَّبب الذي طلب موسى -عليه السلام- ربَّه أن يُرسل معه أخاه هارون -عليه السلام- حيثُ قال:(إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه، لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخير، كانت النفس إلى تصديقهما، أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد) [(١)] .

فتجربة الدُّعاة تنمو وترتقي بتقفيهم وتتبعهم لِسُنن الأنبياء -عليهم السلام- من قَبلهم، إذ إنهم خيرة الدُّعاة وفي سِيَرِهم عِبَر ودُرر لِمَن طَلَب الخَير واقتفى الأَثَر ،ولم يكُن نبي الله موسى -عليه السلام- بأَحوج للمُعِين من أَيِّ داعِيةٍ في زماننا.

وقد علَّق السَّعدِي [(٢)] -رحمه الله- تعليقاً ثريّاً على دعاء نبي الله موسى -عليه السلام- ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ﴾[طه: ٢٩-٣٠]، حيثُ قال:(وهذا السؤال من موسى-عليه السلام- يدل على كمال معرفته بالله وكمال فطنته ومعرفته للأمور وكمال نصحه، وذلك أن الداعي إلى الله المرشد للخلق خصوصاً إذا كان المدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان يحتاج إلى سعة صدر وحلم تام على ما يصيبه من الأذى ولسان فصيح يتمكن من التعبير به عن ما يريده ويقصده ... وتمام ذلك أن يكون لمن هذه صفته أعوان ووزراء يساعدونه على مطلوبه لأن الأصوات إذا كثرت لا بد أن تؤثر) [(٣)] .

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطَّبري ، ت:أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط١ (٥٧٧/١٩).

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي (١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ = ١٨٩٠ - ١٩٥٦ م): مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد.مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨) له نحو ٣٠ كتابا (الأعلام للزركلي ٣٤٠/٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة ،ط١ ١٤٢٠هـ ، ت: عبدالرحمن اللويحق، ص:٥٠٤.

وفي سنَّة الهادي العدنان-ﷺ- خير مِثال؛ فمِن أوَّل ما تنزَّل عليه الوحي هرع لزوجه أُمِّ المؤمنين خديجة [1] -رضي الله عنها- لِتُهدِّئ من روعه ، وتُسكِّن فزعه بِكَلِماتها -رضي الله عنها-: (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) [2] ، واتَّخذها-ﷺ-عوناً له وعَضداً، فكانت خير مُعينة وظهيرة له-رضي الله عنها-.

(إن خديجة -رضي الله عنها- كانت من نعم الله الجليلة على رسول الله -ﷺ- ، بقيت معه ربع قرن تحن عليه ساعة قلقه، وتؤازره في أحرج أوقاته، وتعينه على إبلاغ رسالته، وتشاركـــه في مغارم الجهاد المر،وتواسيه بنفسها ومالها) [3] .

ولم يَكن النَّبيُّ -ﷺ- ليُوجِّه أُمَّته لخُلُقِ التَّعاوُن دون أن يتمثَّله بل كان -ﷺ- خير من تخلَّق به، وحياته كانت عوناً لصحابته ونفعاً للمُسلمين أجمعين ، قال -ﷺ-: " أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ " [4] .

إنَّ في قوله -ﷺ- درساً لِكُل داعية، ولو اقتصرنا على هذا الحديث لبيان تخلُّق المُصطفى -ﷺ- بخُلِق التَّعاوُن لَكَفَى!.

لقد كان لتخلُّق المُصطفى -ﷺ- أَثَراً قويَّاً على صحابته إذ كان -ﷺ- يتخذُ من صحابته -رضي الله عنهم- أعواناً ومؤازرين، وعلى رأسِهم صاحِبه الصِّدِّيق أَبي بكرٍ [5] -رضي الله عنه-، صَحِبَهُ فَعَاوَنَهُ مُذْ بَزَغَتْ شمسُ دعوته، قدَّم نفسه وماله وجُهده بل وكل حياته عوناً للمُصطفى -ﷺ- ، وفي الحديث قَالَ رَسُولُ

(١) خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدٍ الأَسَدِيَّةُ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ ، أُمُّ أَوْلاَدِ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَصَدَّقَهُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَنَبَّتَتْ جَأْشَهُ، وَمَضَتْ بِهِ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ (سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠٩/٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: بدء الوحي ، باب:كيف كان بدء الوحي...، رقم الحديث (٣) (٧/١).

(٣) الرَّحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-قطر ص:١١٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث: (٨٦٧) (٥٩٢/٢).

(٥) أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسمه عبد الله -ويقال: عتيق- بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي رضي الله عنه ، وكان أول من آمن من الرجال. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٧).

اللَّهِ -ﷺ-« إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَىَّ فِى مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ لاَ تُبْقِيَنَّ فِى الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةَ أَبِى بَكْرٍ »[1].

قال القاضي عياض[2] -رحمه الله- في معنى « أَمَنَّ النَّاسِ عَلَىَّ فِى مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ» أَي: (أكثرهم جوداً وسماحة لنا بنفسه وذات يده)[3].

إنَّ من أَبرز معالِم الصُّحبة بين الدُّعاة التَّعاوُن ، ويظهر ذلك جليًّاً في صُحبة الصِّدِّيق للمُصطفى -ﷺ- ، بذل جلَّ ماله عوناً لدَعْوَةِ المُصطفى -ﷺ- حتى بلغ مرتبةً عالية عند نبينا -ﷺ- و لم يكن ذاك إلا بعونه الصَّادِق وبجود نفسه الطَّيِّبة، فقد كان الصِّدِّيق -رضي الله عنه- نموذج التَّعاون الصَّادق والتَّكافل المُخلِص للصاحِب وفاءاً ومحبّةً ثمَّ قبل هذا وذاك نُصرةً لهذه الدَّعوة، وإعلاءاً لكلمة الحقّ.

والدُّعاة هم أَولى النَّاس باتِّباع الخطاب القُرآني، بل هم أولى الخلق بتطبيق التَّوجيه الرَّباني ، واقتِفاء الأَثَر النَّبوي رَغبةً ومحبَّة؛ فترى صَحب الدُّعاة صَحبٌ مُبارك، تَتَلَألأُ أنواره ، وتتدفَّقُ خيراته، كلُ فردٍ منهم عونٌ لصاحِبه.

- ثالِثَاً: خَوَارِم[4] التَّعاوُنُ بَيْن الدُّعاة[5] :

١- الاسْتِقْلَالِيَّة:

إنَّ من سِمَات الدَّاعِية فِي تعامُله مع صَحْبِه الدُّعاة أن يكُون إيجابياً مُتفاعلاً مِعطاءاً ، هكذا نشأَ في ظِلال هذه الدَّعوة المُباركة، يسمع التَّوجيهات الرَّبانيَّة ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[المائدة: ٢]، ويقرأ الرَّسائل النَّبويَّة " مَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِى حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: باب: الخوخة والممر في المسجد، رقم الحديث (٤٦٦) (١/١٠٠) ، ورواه مسلم في صحيحه،كتاب: فضائل الصحابة ن، باب:فضائل أبي بكر الصديقس، رقم الحديث(٦٣٢٠) (٤/١٨٥٤).

(٢) القَاضِي عِيَاضٌ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبِيُّ : الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ الأَوْحَدُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، القَاضِي، أَبُو الفَضْلِ ، استبحر مِنَ العُلُوْم، وَجَمَعَ، وَأَلَّفَ، وَسَارَتْ بِتَصَانِيْفِهِ الرُّكبَانُ، وَاشْتُهِرَ اسْمُهُ فِي الآفَاق ، كَانَ هَيِّناً مِنْ غَيْرِ ضَعفٍ، صَلِيْباً فِي الحَقِّ، تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/٢١٢-٢١٧).

(٣) إكمال المعلم بشرح مسلم، القاضي عياض (٧/١٩٢).

(٤)قال الزمخشري:(خرم الشيء: خرقه..ويُقال: ورجل أخرم الرأي: ضعيفه)(أساس البلاغة ١/١١٢)،وقال ابن فارس:(الخاء والراء والميم أصلٌ واحد، وهو ضرب من الاقتطاع.. وكلُّ مُنْقَطَعِ طَرَفِ شيءٍ مَخْرِم)(معجم مقاييس اللغة ٢/١٧٣-١٧٤).

(٥) ذكرها أبو أحمد مهذب في صيد الفوائد http://www.saaid.net/aldawah/149.htm.

عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[1]، فيسير مع صحبه يُعاونهم ويُساعدهم، يكُون نهراً جارياً بعونه ؛ أينما طُلِب وُجِد ، هكذا هو الدَّاعية مع صَحبه الدُّعاة.

أمَّا ما يسير عليه بعض الدُّعاة من سياسة جاهلة ، يستقلُّون وينفردون عن إخوانهم جهلاً أو كِبْراً ، وكِلاهما والله في حقِّ الدَّاعية جدُّ مرَّاً.

وإنَّها لمن أمرِّ خوارم التَّعاون بين صَحْبِ الدُّعاة: أَن يَستقِلَّ أَحدُهم برأيه أو دعوته عن صَحْبِه؛ إذ كيف للدَّاعية أن يدعو النَّاس إلى مكارم الأخلاق، وينهاهم عن الفُرقة، ويأمرهم بالاتِّحاد، وهو مُتَباعِدٌ عن عون صحبه، يبغى الانفراد عنهم، ويشتهي الاستقلال عن ركبِهم.

(فإن كل فرد مسلم مسؤولاً مسؤولية مستقلة عن أن يُحقِّق في نفسه هذا الاستعداد[2] الذي ينتظره منه أخوه المُسلم ، وأن يُبادر من تلقاء نفسه إلى مُشاركة إخوانه في السراء والضراء ... وكذلك لو اقتصر كل مسلم على الاهتمام بشخصه دون الالتفات إلى من يُشاركه في العقيدة لسارع الانحلال إلى هذا المُجتمع المُتفكِّك ، ولأصبح طُعمة للآخرين ، ولما تحقَّق عنه أيُّ خير ، وهذا أمرٌ مخالف لطبيعة الأشياء)[3] .

وإن كان التوجيه عامَّاً لكُل مسلم وفي خِطابه مِن الشِّدَّة في النَّهي عن الاستِقْلَاليَّة ، فهو في حقِّ الدَّاعية أوجب وأشدُّ نكيراً ، ويزداد الاستنكار ، ويعظُم النَّهي إذا كان هذا الفِعل مع صَحبِه الدُّعاة، فليتنبَّه دُعاتنا وليتَّحِدوا، ثم ليتعاونوا فـــ (يَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَة)[4] .

٢- الاتِّكَالِيَّة:

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث(٢٤٤٢) (١٢٨/٣)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب،باب: تحريم الظلم ، رقم الحديث (٢٥٨٠) (١٩٩٦/٤).

(٢) يقصد بالاستعداد:التعاون والعمل المشترك

(٣) معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها، محمود محمد بابللي، إدارة الصحافة والنشر ص:١٦٨.

(٤) رواه الترمذي في سننه ، كتاب: الفتن، باب:ما جاء في لزوم الجماعة رقم الحديث(٢١٦٦) (٤٦٦/٤) ، وقال: (حديث حسن غريب)، ورواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب:السير ، باب:طاعة الإئمة ، رقم الحديث (٤٥٧٧) (٤٣٧/١٠) ، ورواه البيهقي في شعبه ، كتاب:التمسك بما عليه الجماعة ، رقم الحديث (٧١٠٦) (١٨/١٠) ، وقال الألباني في سلسلته: (صحيح).

لقد شرف الإسلام بوسطيته ، فكما أن الاستقلالية خارم للتعاون ، فكذلك على عكسه الاتكالية هي كذلك ، وقد ربَّى هذا الدين بنيه على حُبِّ العمل ، وشجَّعهم على النَّشاط وترك الكسل ، فَتَرى المُصطفى -ﷺ- يُشجّع أبناء أمَّته على مُسابقة الطَّير ، والتَّبكير إلى العمل بدَعواتٍ يُحرِّكُ بها من سَكَن ، ويُنَشِّطُ من كَسَل فدعا -ﷺ- بـــ : " اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا "[1] .

هكذا نشَّأ الإسلام بنيه على المُسارعة إلى الكَسْبِ والبذل ، وحثَّهم على المُسابقة إلى عون الأَخِ والصَّاحب ، وبذل الخَيْرِ له ، وعدم التَّغاضي عن قضاء حاجاته ، وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: " وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ "[2] .

وبهذا يُعلن الإسلام مُحاربته للتَّكاسل أو التَّراخي ، فلا يُقرُّ على بنيه التَّخاذل أو الاتَّكالية ، وإنه لمِن أَشدِّ العيب أَن تجِد في صُفوف الدُّعاة من هو متَّكِل على صَحبه ، تارِكَاً الأمر لهم ، مُتراخياً عن معونتهم ، وإنَّها لمن خوارم التَّعاون بين الدُّعاة أن تَجِدَ من هذا دَيْدَنُه ؛ إذ إن الدَّاعية الحقَّة نشِطٌ عملي ، يحتَسِبُ كل حركاته وخَطَراتِه ، لا مجال عنده للاتَّكال بل يُعين وبتوفيق من الكريم يُعَان.

٣- الْعَشْوَائِيَّة:

عُنيت الدعوة الإسلامية بأتباعها أيما عناية ، ومن تمام عنايتها أنها اهتمت بهم أفراداً وجماعات متحدين ، فالاستقلالية والاتكالية يعدان خارمان لا يحسن بأن يُسمى الفرد منهم معهما متعاوناً ، فكذلك إذا كان الدعاة مجتمعين فالعشوائية خارم لا يكمل معه التعاون.

ولقد خَلَق الله -ﷻ- الخلق بِنظام مُحكم ، ثمَّ شرَّع الشَّرائع وحدَّدها ، وعيَّن طرائقها ، ونهى عن إتيان حدودها ، فالصَّلاة خمسٌ بأوقاتها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا** ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء: ١٠٣]، وكذلك الصَّوم والزَّكاة وجَمعٌ من العِبادات ، وهكذا الدَّاعِية المُتربي في رياض هذا الدِّين العَظِيم ، مُنَظَّمة أوقاته، مُرتَّبة أعماله كَصلاته ، كلٌ بوقته وموعده ومحلِّه ، وهكذا هُم جمع صحب الدُّعاة الحصيفين ، مرتَّبة أهدافهم ، مُجدولة مواعيدهم ، فلا مجال للتَّخبط عندهم ، ولا مكان للعشوائيَّة في دعوتهم.

---

(١) رواه التِّرمذي في سننه ، كتاب: البيوع ، باب: التبكير في التجارة ، رقم الحديث(١٢١٢) (٥١٧/٣) ، ورواه أحمد في مسنده ، مسند العشرة المبشرين بالجنة ، مسند علي بن أبي طالب ، رقم الحديث (١٣٢٢) (١٤٦/٢) ، ورواه ابن ماجه في سننه ، كتاب:التجارات ، باب:ما يرجى من البركة في البكور ، رقم الحديث (٢٢٣٦) (٣٤٦/٣)، وقال الألباني في سلسلته: (صحيح).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء ، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم الحديث(٧٠٢٨) (٢٠٧٤/٤).

وإن فَقد صَحْبُ الدُّعاة للتَّنظيم والتَّخطيط في تعاونهم ، يعني حُلُول العَشوائية ، وهي من أَشَدِّ خوارِم التَّعاونُ فيما بينهم ، وهذه العشوائيَّة لا تقتصر على التَّأثير على علاقة الدُّعاة فحسب بل وتُضعِف دعوتهم وتضائلها .

(وهكذا لا تنجح الدعوات المُخلصة في العالم الإسلامي إلا بتخطيط مبرمج، وتنظيم مركز، ومسيرة واعية، وورقة عمل مستتبعة مراحلها، متصلة حلقاتها. ذلك أنَّ ظاهرة العشوائية لا توصل إلى غاية ولا تفضي إلى نتيجة، ولا يُرجى منها خير، بل كل من يتصف بها، ويقع في حبائلها، لابُد أَن يُمنى بفشل ذريع)[1] .

٤- التَّعصُّب والحِزبيَّة[2] :

تربأ الدعوة الإسلامية بأفرادها أن يكونوا على غير نظام متسق ، وفي المقابل فهي تنهى عن الأنظمة المقيتة ، أو التحزبات المسيئة ، فلا تعاون خيِّرٍ حينئذ.

ولقد أمر الله -ﷻ- عباده بالاتِّحاد والتَّآزر والتَّعاون ، ونهاهم عن الفُرقة والاختلاف **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ، وذمَّ الله -ﷻ- أهل الفُرقة ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾** ﴾ [الأنعام: ١٥٩] .

(دلَّت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية ، وأمره [أي: المُصطفى ﷺ-] أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم فقال: ﴿لست منهم في شيء﴾ أي : لست منهم وليسوا منك، لأنهم خالفوك وعاندوك ، ﴿إنما أمرهم إلى الله﴾ يردون إليه فيجازيهم بأعمالهم ﴿ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾)[3] .

(١) ماذا عن الصحوة الإسلامية في العصر الحديث ،عبدالله ناصح علوان، دار السلام ص:١٨.

(٢) إستفدتها من مقال لفضيلة الشيخ د.صالح بن حميد بعنوان:التعاون بين الدُّعاة مبادئه وثمراته .http://ibnhomaid.af.org.sa/node/1790

(٣) تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن السعدي ، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠ ، ص:٢٨٢.

وبهذا يتبين النَّهي الشَّديد عن التَّفرق وما يُسمَّى بـــ(الحِزبية)، ففيها تنفير الصُّفوف ، وتفرقة الجماعات ، وإنَّها لمن بقايا الجاهليَّة أن يتحزَّب الدَّاعية ، أو يتعصَّب لفرقة معينة ، غير فرقة أهل السنَّة والجماعة تلك هي الفرقة النَّاجية .

وإن الناظر في حال الأمة ليرى آثار تلك العصبيَّة الجاهليَّة لفرقة معيَّنة ، أو لشيخٍ محدّد ، أو لمدرسةٍ طائفيَّة ، آثاراً تُهلِكُ وتُدمِّر ، وتُفرّق وتُشتّت، وإنَّه يجبُ على جمع الدُّعاة وجوباً عينياً أن يتنبهوا لهذا الخطأ الفادح ، وأَن يُقلعوا عن هذه الجاهليَّة المُستنكرة.

إنَّ أبناء هذا الدَّين تجمعهم كلمة التَّوحيد ، فتُزيلُ جميع الفُروق فـــ" لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍ عَلَى أَعْجَمِيٍ ،وَلَا لِعَجَمِي عَلَى عَرَبِي ،وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَد وَلَا أَسْوَد عَلَى أَحْمَرٍ إِلَّا بِالْتَّقْوَى "[1] ، تراهم يصطفُّون جميعاً للصَّلاة سواسية فلا يتقدَّمُ أميرهم ، ولا يتأخَّرُ فقيرهم ، هكذا هو الدِّين الحقّ ، وهذه هي الدَّعوة الإسلاميَّة، وإنَّه لمن أَعظَم الجهل أن يرفع بعض الدُّعاة أعلام التَّعصّب ، ويخطُّون شعارات الحِزبية ، وإنه لمن خوارم التَّعاون بين الدُّعاة تحزُّبهم لفرقٍ وجماعاتٍ ما أنزل الله بها مِن سُلطان ، إن الانتماء لتلك الحِزبيات يُصدِّعُ صفَّ الدُّعاة ويُشتِّت شملهم ، ويستحيل معها إقامة التَّعاون فيما بينهم.

وبعد أن بينت خوارم التعاون بين الدعاة أُبين صور التعاون بين الدعاة لما لها من أهمية في معالم الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى.

رابعاً: صُوَرُ الْتَّعاوُن بَيْنَ الْدُّعَاةِ :

وللتَّعاوُن بين الدُّعاة صور عِدَّة مِنها:

١- الْتَّعَاوُن الْمُؤْسَّسِي:

للمؤسَّسات الدَّعوية دورٌ كبير في إشعال جذوة [2] العطاء في نفوس الدُّعاة ، وهذا لا يخفى على كل ذي لُب .

(١) رواه أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار ، حديث رجل من أصحاب النبي ج رقم الحديث (٢٣٤٩٠) (٤٧٥/٣٨)،ورواه البيهقي في شعبه ، كتاب:حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه ، باب:ومايجب حفظ اللسان منه الفخر بالآباء...، رقم الحديث (٤٧٧٤) (١٣٢/٧) ، ورواه الطبراني في معجمه الكبير ، كتاب:العين ، باب:من اسمه عداء ، رقم الحديث (١٦) (١٢/١٨) ، قال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح).

(٢)الجُذْوَة: القَبَسة مِنَ النَّارِ (لسان العرب لابن منظور ١٣٨/١٤).

ولقد غدا التَّعاون المؤسسي إحدى الضَّرورات المُلِحَّة التي يجب على الدُّعاة أن يعملوا جادِّين على تفعيلها.

(وَلَقَد كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ جَمَاعَةً وَاحِدَةً ؛ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى عَنْ غَيْرِ ارْتِبَاطٍ بِعَهْدٍ وَنِظَامٍ بَشَرِيٍّ فَإِنَّ عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ كَانَ مُغْنِيًا لَهُمْ عَنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ شَهِدَ اللهُ – ﷻ– لَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، وَلَمَّا انْتَثَرَ بِأَيْدِي الْخَلَفِ ذَلِكَ الْعَقْدَ وَنُكِثَ ذَلِكَ الْعَهْدُ ، صِرْنَا مُحْتَاجِينَ إِلَى تَأْلِيفِ جَمْعِيَّاتٍ خَاصَّةٍ بِنِظَامٍ خَاصٍّ لِأَجْلِ جَمْعِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحَمْلِهِمْ عَلَى إِقَامَةِ هَذَا الْوَاجِبِ : التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي أَيِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِهِ أَوْ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ ، ...فَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ تَأْلِيفَ الْجَمْعِيَّاتِ فِي هَذَا الْعَصْرِ ، مِمَّا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ امْتِثَالُ هَذَا الْأَمْرِ ، وَإِقَامَةُ هَذَا الْوَاجِبِ ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ –كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ– فَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ تَأْلِيفِ الْجَمْعِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ وَالْخَيْرِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ ، إِذَا كُنَّا نُرِيدُ أَنْ نَحْيَا حَيَاةً عَزِيزَةً ، فَعَلَى أَهْلِ الْغَيْرَةِ وَالنَّجْدَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعْنَوْا بِهَذَا كُلَّ الْعِنَايَةِ)[1] .

وخيرُ ما يُنمي تِلك الصُّحبة بين الدُّعاة ويكُون معلماً لها، هو التَّعاوُنُ المُقَنَّن "المُؤسَّسي"، حيثُ أنَّ المؤسَّسات ترتبط نجاحاتها بنجاحات علاقات أفرادها، وصِدق انتمائهم لها، وعلى مدى إخلاصهم وتفانيهم في البذل في عملهم ، والحُبِّ لِقُرنائهم.

فكُلَّما كانت صُحبَة الدُّعاة معطاءة خيِّرة، ومع ذلك مُنظَّمة في عمل مؤسَّسي، كُلَّما كانت آثار هذه الصُّحبة ومعالمها تزداد خيراً وبركة، وتؤتي ثِمارها بإذن ربها.

وبعد أن بينت الصورة الأولى من صور التعاون أنتقل إلى الصورة الثانية وهي التعاون الفكري.

٢- الْتَّعاوُن الْفِكْرِي (الْمُدَارَسَة وَ الْبَحْث):

إنَّ على الدَّاعية الذي يحُثُ النَّاس على طَلَبِ العِلم والاستزادة منه ، ويُرغِّبهم في مُدارسة كلام الله وعلومه ، ويُنشِطهم بذكر حديث النَّبي –ﷺ– : " مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ

(١) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م (٦/١٠٨-١٠٩).

اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"[1] ، عليه أن يكُون الأوَّل في تطبيقه ، والأسرعُ إلى مُدارسة كلام الله تعالى ، والأَسبق بين صحبه الدُّعاة إلى البحث في المسائل الشَّرعية.

إنَّ مُهِمَّة الدَّاعية ليست بالأمر الهيِّن ، وليست محلُّ تشريف فحسب ، بل هي تكليفٌ عظيم ، تحتاج مزيد جهد ، وعظيم بذل ، تواجه الدَّاعية مُستجدَّات المَسائل، والكثير من المشاكِل ، يجهل بعضها ، ولا يعلم ما الحكم في كثير منها ، هُنَا تبرُزُ أهميَّة المُدارسة والبحث بين صَحْبِ الدُّعاة.

إنَّ جمع الدُّعاة جمعٌ مُبارك ، يعشق المعالي ، ولا يرضى باللدُّون ، عَلِم فضل طَلَبِ العِلم فلم يفتأ و لم يَأنف من طَلَبِه ، فترى واحِدهم باذِلاً مِعطاءاً ، لَهُ قَبُولٌ ومكانة بين مَدْعُوِّيه ، ومع ذلك لا يأَنفُ مِن الطَّلب ، فلا يزال يُدارس صاحبه الدَّاعِية الفلاني في المَسألة تِلك ، ويناقِش صاحِبه الآخر في تِلك القَضيَّة ، ويُواعِد ذلك الجمع بِتدارس تِلك السِّلسلة.

وإنَّها لمن أَكثر صُور التَّعاون بين الدُّعاة إشراقاً : التَّعاون الفِكري ، وبذل بُنيَّات الفِكْر ، ومُدارسة ما خُشي فواته ، ومُراجعة كُتِب القُدماء ، والنَّظر في أَقوال المُعاصِّرين ، والبحث فيما استُجِد.

ولقد حكى الفاروق [2] -رضي الله عنه- تعاوُنه مع صاحبه حيثُ قال : " كَانَ لِى جَارٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَيَأْتِينِى بِخَبَرِ الْوَحْىِ وَغَيْرِهِ وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ "[3] .

وقد عُرِف الفاروقُ -رضي الله عنه- بتدَارُسه مع الصَّحابة -رضي الله عنهم- ما استُجدَّ وخُفِي عليه.

ولقد كان هذا دَيْدَنُ سلف الأمة الصَّالِح ، يتدارسون المَسائل ، ويبحثون في الأحكام ، مستندين إلى كتاب الله وسنَّة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ثمَّ بعمل خير القرون بعده.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم الحديث (٢٦٩٩) (٤/ ٢٠٧٤).

(٢)عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، أمير المؤمنين، أبو حفص القرشي العدوي، الفاروق رضي الله عنه.

استشهد في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين. وأمه حنتمة بنت هشام المخزومية أخت أبي جهل. أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٧١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:العلم، باب:التناوب في العلم، رقم الحديث (٨٩) (٢٩/١) ،ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الطلاق، باب:في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم الحديث (١٤٧٩) (١١١١/٢) ، واللفظ له.

وبعد بيان أهمية التعاون الفكري بين الدعاة أنتقل إلى التعاون المادي.

٣- التَّعاوُن الْمَادِّي[١]:

نَّمى الإسلامُ في نفُوسِ بنيه معاني الإخاء والتَّعاون مذ بزوغ شمسه ؛ فهذا أبو بكرٍ -رضي الله عنه- بعد اعتناقه لهذا الدِّين العظيم ، ومُخالطة صدق إيمانه مع حبِّه لصحبه وإخوانه ، يُسارع لعتقِ رقبة صاحِبه بلال [٢] -رضي الله عنه- الذي بُلي بصنديد قريش يصبّ عليه العذاب صباح مساء كِبراً وعِناداً، فيُحرِّره الصّدّيق -رضي الله عنه- ليؤكّد أن التّعاون هو أوّل معالم الصُّحبة.

وحينما توجَّه الهادي الأمين -صلى الله عليه وسلم- إلى طيبة الطَّيبة ، لتُشرق فيها أنوار دعوته، يُصاحِبه المُهاجرين -رضي الله عنهم- فيترلوا عند قومٍ كِرَام، يُكرِموهم ويُعينوهم بالأهل والمال.

و لم يحكي التَّاريخ قصَّة تُماثِل تِلك التي كان أَبطالُها الأنصار -رضي الله عنهم- ، بل يحكي الباري -جل جلاله- سموَّ نفوسهم ، وبذلهم لما في أيديهم عوناً لإخوانهم وأصحابهم المُهاجرين **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾** ﴾ [الحشر: ٩]

ويَسرد البُخاريُّ [٣] -رحمه الله- إحدى تلك القِصَص التي تَتجلَّى فيها معاني العَون بين أولئك الصَّحب، إذ يروي فيقول : " آخَى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ [٤] وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ

(١) ذكرها صادق البيضاني في كتابه:روابط الأخوة الإسلامية ص:٧٩.

(٢)بِلاَلُ بنُ رَبَاحٍ ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ ، وَهُوَ مُؤَذِّنُ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
مِنَ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ الَّذِيْنَ عُذِّبُوا فِي اللهِ، شَهِدَ بَدْراً، وَشَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى التَّعْيِيْنِ بِالجَنَّةِ، وَحَدِيْثُهُ فِي الكُتُبِ.
(سير أعلام النبلاء للذهبي ١/٣٤٧).

(٣) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (١٩٤ - ٢٥٦ هـ = ٨١٠ - ٨٧٠ م) حبر الاسلام، والحافظ لحديث رسول الله ج، صاحب (الجامع الصحيح - ط) المعروف بصحيح البخاري، و (التاريخ - ط) أجزاء منه (الأعلام للزركلي ٦/٣٤).

(٤)عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفِ بنِ عَبْدِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ ، أَحَدُ العَشْرَةِ، وَأَحَدُ السِّتَّةِ أَهْلِ الشُّوْرَى، وَأَحَدُ السَّابِقِيْنَ البَدْرِيِّيْنَ، القُرَشِيُّ، الزُّهْرِيُّ.وَهُوَ أَحَدُ الثَّمَانِيَةِ الَّذِيْنَ بَادَرُوا إِلَى الإِسْلاَمِ.(سير أعلام النبلاء للذهبي ١/٦٨).

[1] .قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا. قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟!"[2] .

والمُتأمِّل في ذلك الجِيل الذي تربَّى على يد خيرة الخلق -ﷺ- يجد صوراً متكرِّرة، ونماذِج عجيبة لتعاوُن الصَّحب وبذلهم السخي.

ومن تلك النَّماذج : نموذجٌ يحكيه لنا المُصطفى -ﷺ- بل ويُزكيه ويصطفيه ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: « إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِى الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِى ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِى إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّى وَأَنَا مِنْهُمْ»[3] .

ومن جميلِ ما يُذكرُ في هذا الباب : ما بوَّب به البُخاريُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- في كتابه بِدْءُ الوحي، بابُ " الشركة في الطعام والنهد[4] والعروض " ممَّا يدُل دلالة قويَّة على أنَّ الإِسلام من بدايته نشَّأ أبنائهُ على التَّعاون فيما بينهم ، والبذلِ لصحبهم وإخوانهم.

فمن أبرز صور التَّعاون بين صحبِ الدُّعاة التَّعاونُ الماديّ ؛ فتراهم يتفقَّدون أحوال بعضهم الماديَّة، فإذا رأى أحدهم حاجة صاحبه بذل له وأعانه ، بل ومن سموِّ هذا الصَّحب أنَّك تراه يبذُلُ له قبل أن يسأل ، يعلم يقيناً أنَّ بقاء صاحبه الدَّاعِية في عوزٍ ماديّ يُسيء لدعوته ، وقبل هذا وذاك يُفقد صُحبتهم معانٍ عظيمة ، معاني العون والمُشاركة والتَّآخي.

فيجب أن تكُون صُحبة الدُّعاة على أسمى درجات التَّعاون ، وأعلى مراتب التَّعاضد ، ليسدُّوا العوز ، وليضربوا أسمى المعاني ، ويعينوا بعضهم على بلوغ المعالي.

---

(1) سَعْدُ بنُ الرَّبِيْعِ بنِ عَمْرِو بنِ أَبِي زُهَيْرٍ الأَنْصَارِيُّ ، ابْنِ مَالِكِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ مَالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، الَّذِي آخَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، فَعَرَمَ عَلَى أَنْ يُعْطِيَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ شَطْرَ مَالِهِ، وَيُطَلِّقَ إِحْدَى زَوْجَتَيْهِ لِيَتَزَوَّجَ بِهَا، فَامْتَنَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ ذَلِكَ، وَدَعَا لَهُ، وَكَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ (سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٨١/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:مناقب الأنصار، باب: إخاء النبي -ج- بين المهاجرين والأنصار، رقم الحديث(٣٧٨٠) (٣١/٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:بدء الوحي،باب:الشركة في الطعام والنهد والعروض ،رقم الحديث(٢٤٨٦) (١٣٨/٣)، ورواه مسلم في صحيحه ،كتاب:فضائل الصحابة ، باب:من فضائل الأشعريين ،رقم الحديث (٢٥٠٠) (١٩٤٤/٤).

(٤) قال ابن فارس: (النُّونُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِشْرَافِ شَيْءٍ وَارْتِفَاعِهِ ... التَّنَاهُدُ: إِخْرَاجُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الرُّفَقَاءِ نَفَقَةً عَلَى قَدْرِ نَفَقَةِ صَاحِبِهِ) مقاييس اللغة (٣٦١/٥-٣٦٢).

وبعد أن بينت التعاون كمعلم من معالم الصحبة بين الدعاة إلى الله أنتقل إلى بيان المعلم الثاني وهو الشورى.

وبعد أن اتضح المعلم الأول من معالم الصحبة بين الدعاة بتعريفه وصوره وخوارمه ، أنتقل للمعلم الثاني وهو الشورى.

الْمَسْأَلَةُ الْثَّانِيَة: الْشُّوْرَى.

أَوَّلاً: تَعْرِيْف الشُّوْرَى:

أ- الشورى لغة:

قال ابن فارس-رَحِمَهُ اللَّهُ-: (الشين والواو والراء أصلان مطَّردان، الأوَّل منهما إبداء شيء وإِظْهارُهُ وعَرْضه، والآخر أخْذ شيء)[1].

ب- الشُّورى اصطِلاحاً :

عُني العُلماء بدراسة موضوع الشُّورى على مرِّ العصور ، وبالتالي اهتموا بتعريفها وبيانها ، وهذه بعض تعريفاتهم لها :

قيل هي: (الِاجْتِمَاعُ عَلَى الْأَمْرِ لِيَسْتَشِيرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ ، وَيَسْتَخْرِجَ مَا عِنْدَهُ)[2].

وقيل : (الشُّورى مصدر كالبشرى والفتيا ، وهي: أن قاصد عمل يطلب ممن يظن فيه صواب الرأي والتدبير أن يشير عليه بما يراه في حصول الفائدة المرجوة من عمله)[3].

وقيل : (كل تشاور يؤدي إلى مناقشة الآراء المُختلِفة ، ويمكننا من التَّرجيح والمُفاضلة بينها واختيار أقربها لمقاصِدِ الشَّريعةِ ومبادِئِها)[4].

إذا فالشورى كمعلمٍ من معالم الصُّحبة بين الدُّعاة يعني : تبادل الآراء بين الدُّعاة ومُناقشتها حول أمرٍ نزل بأحدهم أو بهم أو بِدَعوتهم طالبين الحقَّ في ذلك .

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٢٢٦/٣).

(٢) أحكام القرآن، محمد أبو بكر ابن العربي (١٢٩/٢).

(٣) التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مؤسسة التاريخ العربي بيروت-لبنان، ط١ ١٤٢٠هـ (١٧١/٢٥).

(٤) فقه الشورى والاستشارة، د.توفيق الشاوي، دار الوفاء-المنصورة ط٢ ١٤١٣هـ ص:٨١.

ثانياً: شمولية الشورى:

اتسمت الدعوة الإسلامية بالشمول ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] .، فأتت تعاليم هذه الدعوة شاملة كاملة مستوفية جميع شؤون الحياة ،فنظمت العلاقات بين الأفراد، وبين الأفراد وجماعاتها، وبين الجماعات بعضها ببعض ، وعلى قَدرِ تمسكهم بتعاليم هذه الدعوة وتوجيهاتها تكون سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والشورى إحدى هذه التوجيهات التي دعت إليها هذه الدعوة المُباركة، فامتدح الباري – ﷻ- تمسك عباده المؤمنين بهذه الخِصلة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشورى: ٣٨].

(عبَّر القرآن عن صِفَةِ الشُّورى بين المُسلمين بالجملة الاسمية ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ لثبات هذه الحقيقة ورسوخها واستقرارها وتأكيدها ، لأنَّ الجملة الاسمية توحي بهذه المعاني.

وجاءت المجالات التي يتشاورون فيها بصيغة ﴿ وَأَمْرُهُمْ ﴾ لتدل على شمولها لكُلِ أَمرٍ يهمُّ المُسلمين ، وكل شأنٍ يخصُّهم، وكل مجالٍ يلتفتون إليه)[1] .

ثم إن الله –ﷻ- أَمَرَ نبيه المصطفى –ﷺ- بمشاورة أصحابه حيث ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

والمُتتبعُ لأَقوال العُلماء يجد أَنَّ آية الشورى قد سبقت آية آل عمران في النزول، فآية الشورى مكيَّة وصفت حال المؤمنين وامتدحت تمسكهم بعدة خصال منها: الشورى في كل أُمُورِهم.

قال صاحب الظلال[2] –رحمه الله- : (﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ والتعبير يجعل أمرهم كله شورى ، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة... ، إنَّه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها ، ولو كانت الدولة

(١) الشورى في الإسلام، المُجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (٥٧/١).

(٢) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري،(١٣٢٤ – ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٦ – ١٩٦٧ م) من مواليد قرية (موشا) في أسيوط.تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) وعمل في جريدة الإهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف. ثم (مراقبا فنيا) للوزارة. (المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين لأسامة بن الزهراء ١٠٠/١).

بمعناها الخاص لم تقم فيها بعد... ومن ثم كان طابع الشورى في الجماعة مبكرا ، وكان مدلوله أوسع وأعمق من محيط الدولة وشؤون الحكم فيها ، إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية ، وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية ، وهي من ألزم صفات القيادة)[1] .

والمُتأمِل في حال الشورى اليوم يرى أنَّه قد هُضِم بعض حقها، حيث يظن البعض أن الأمر بالشورى إنما هو مقصور على السياسة والحكم ، والحقيقة خلاف ذلك .

الشورى هي منهجٌ للمؤمنين الصَّادقين، هي هديهم في كُل أحوالهم ومُختلف مواضيعهم ، بل هي سنَّة خير المرسلين -ﷺ- ، فقد كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه- يَقُولُ : (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-)[2] .

فالشورى شاملة لكل أوضاع المؤمن وأحواله ، يحتاج إليها في جميع مواضيع حياته ، وكل مستجداتها.

وقد كان النبي -ﷺ- يُشاور خديجة -رضي الله عنها- في معظم أُموره في مكة ، وكان الصِّديق وابن الخطَّاب - رضي الله عنهما - رفيقا النبي -ﷺ- وصاحبا مشورته فضلا عن الصحابة الكِرام -رضي الله عنهم-.

إنَّ لنا في المُصطفى -ﷺ- أُسوةٌ حسنة ، ففي حادثة الإفك قام -ﷺ- في الناس خطيباً وقال : " أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أَبَنُوا [3] أَهْلِي.."[4] .

وقد كان -ﷺ- يُشير على مَن يستشيره ، وبرغم انشغاله -ﷺ- بمهام دعوته ودولته ولم يتضجر ممن يطلُب مشورته - وإن كان الأمرُ شخصياً - ، وفي قصَّة فاطِمة بنت قيس [5] -رضي الله عنها- خير

(١)في ظلال القرآن،سيد قطب إبراهيم، دار الشروق-القاهرة (٥/٣١٦٠).

(٢) رواه الترمذي في سننه ، كتاب:الجهاد ، باب:ماجاء في المشورة ، رقم الحديث(١٧١٤) (٣/٢٦٥) ،واللفظ له ، ورواه أحمد في مسنده ، مسند الكوفيين ، حديث المسور بن خرمة...، رقم الحديث (١٨٩٢٨) (٣١/٢٤٤) ،ورواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب:الموادعة والمهادنة ، باب:ذكر مايستحب للإمام من استعمال المهادنة...، رقم الحديث (٤٨٧٢) (١١/٢١٦) ، قال ابن حجر في الفتح:(رجاله ثقات إلا أنَّه منقطع)(١٣/٣٤٠) ، قال الألباني في سلسلته والأرنؤوط (صحيح) .

(٣)قَوْله: " أبنوا أَهلِي" بتَخْفِيف الْبَاء أَي: اتهموهم وذكروهم بالسوء (فتح الباري لابن حجر ١/٧٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:تفسير القرآن ، باب:"إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة"...، رقم الحديث (٤٧٥٧) (٦/١٠٧) ، واللفظ له ، ورواه مُسلم في صحيحه ، كتاب:التوبة، باب:في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ، رقم الحديث(٧١٩٨) (٨/١١٨).

(٥)فَاطِمَةُ بِنْتُ قَيْسٍ الفِهْرِيَّةُ ، إِحْدَى المُهَاجِرَاتِ، تُوُفِّيَتْ فِي خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٣١٩).

مثال ؛ فتروي قصَّتها حينما أتت النبي -ﷺ- وتقول : " ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ [1] وَأَبَا جَهْمٍ [2] خَطَبَانِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : " أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ [3] " [4].

وكُتُب السُنَّة تزخر بالكثير من المواقف التي شاور فيها نبينا محمد-ﷺ- صحابته رضي الله عنهم.

وفي أتباع المُصطفى -ﷺ- ترى سناً وهدى ، فالصِّديق -رضي الله عنه- بعد وفاة النبي -ﷺ- وقد افترق القَوم على الخلافة ، فالأنصار تُريدُها والمُهاجِرَةُ تريدها ، فابتدأ حديثه -رضي الله عنه- بما امتدح الله ورسوله -ﷺ- به الأنصار ، وبعد أن طيَّب نُفوس الأَنصار بما أورده بعدها وجَّه القوم جميعا للحقِّ الذي سمعه من المصطفى -ﷺ- :" قُرَيْشٌ وُلاةُ هَذَا الأَمْرِ ، فَبَرُّ النَّاسِ تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ ، وَفَاجِرُهُمْ تَبَعٌ لِفَاجِرِهِمْ " [5].

والمُتأمِّل يجد الحِكمة والنُصح تبرُزان في هذا الموقف ، -رضي الله عنه- بذل المشورة بعد تدرج في القول والنُصح ، برغم صعوبة الموقف ، فالصِّدِّيق -رضي الله عنه- في أعظم مُصابٍ وأَشَدِّ بلاء.

---

(١)مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ الأُمَوِيُّ ، أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ، مَلِكُ الإِسْلاَمِ، وَأُمُّهُ: هِيَ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيْعَةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيٍّ.

قِيْلَ: إِنَّهُ أَسْلَمَ قَبْلَ أَبِيْهِ وَقْتَ عُمْرَةِ القَضَاءِ، وَبَقِيَ يَخَافُ مِنَ اللَّحَاقِ بِالنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَبِيْهِ، وَلَكِنْ مَا ظَهَرَ إِسْلاَمُهُ إِلاَّ يَوْمَ الفَتْحِ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٣/١١٩-١٢٠).

(٢)أَبُو جَهْمِ بنِ حُذَيْفَةَ القُرَشِيُّ العَدَوِيُّ ، وَكَانَ مِمَّنْ بَنَى البَيْتَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ عُمِّرَ، حَتَّى بَنَى فِيْهِ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَبَيْنَ العِمَارَتَيْنِ أَزْيَدُ مِنْ ثَمَانِيْنَ سَنَةٍ ، وَكَانَ عَلاَّمَةً بِالنَّسَبِ، أُحْضِرَ يَوْمَ الحَكَمَيْنِ (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٥٥٦-٥٥٧).

(٣)أُسَامَةُ بنُ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ بنِ شَرَاحِيْلَ ، حِبُّ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَوْلاَهُ، وَابْنُ مَوْلاَهُ. اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى جَيْشٍ لِغَزْوِ الشَّامِ، وَفِي الجَيْشِ عُمَرُ وَالكِبَارُ؛ فَلَمْ يَسِرْ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُوْلُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ فَبَادَرَ الصِّدِّيْقُ بِبَعْثِهِمْ، فَأَغَارُوا عَلَى أُبْنَى، مِنْ نَاحِيَةِ البَلْقَاءِ.

وَقِيْلَ: إِنَّهُ شَهِدَ يَوْمَ مُؤْتَةَ مَعَ وَالِدِهِ، وَقَدْ سَكَنَ المِزَّةَ (١) مُدَّةً؛ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى المَدِيْنَةِ، فَمَاتَ بِهَا. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٤٩٦-٤٩٧).

(٤) رواهُ مُسلم في صحيحه ، كتاب:الطَّلاق، باب:المُطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ، رقم الحديث(٣٧٧٠) (٤/١٩٥) .

(٥) رواه أحمد في مسنده ، مسند العشرة المبشرين بالجنة ، مسند أبي بكر الصديق ، رقم الحديث(١٨) (١/١٧٦) ، واللفظ له ، ورواه البزار في مسنده ، مسند علي بن أبي طالب ، عمارة بن رويبة عن علي ، رقم الحديث (٥١٢) (٢/١٤٩) ، ورواه النسائي في سننه ، كتاب:الفتن ، باب:ما جاء أن الخلفاء من قريش...، رقم الحديث (٢٢٢٧) (٤/٥٠٣) ، (قال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره رجاله ثقات رجال الشيخين وهو مرسل).

(وفي عهده -رضي الله عنه- كانت الشُّورى مُكثَّفة، وكانت تشمل عظائم الأمور وصغائرها، من قضايا السِّلم والحرب، والخلافة والتشريعات العامة، إلى نوازل الأفراد في زواجهم وطلاقهم وميراثهم ومنازعتهم)[1] .

أمَّا الفاروق -رضي الله عنه- فقد ذكر ابن القيِّم[2] -رحمه الله- اهتمامه بالشورى حيثُ قال : (كانت النازلة إذا نزلت بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ليس عنده فيها نص عن الله ولا عن رسوله جمع لها أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم جعلها شورى بينهم)[3] ، (فكان -رضي الله عنه- لا يستأثر بالأمر دون المسلمين ولا يستبد عليهم في شأن من الشؤون العامة)[4] .

اقتصرتُ بذكر مثالين لخيرة الصَّحب هما صاحبا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانت الشورى معلماً بارزاً من معالم صحبتهم ، وفي سِير السلف كمٌّ زاخرٌ، وعلمٌ وافر .

إنَّ ما سارت عليه أجيال أُمَّتِنا المُفضلة من التَّمسِّك بمبدأ الشورى وإحيائه في جميع جوانب حياتهم يسترعي من الدعاة مزيد عناية واهتمام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ثالثاً : متى تُمتنع الشورى ؟.

برغم شمولية الشورى لجوانب الحياة إلا أنَّها لا تكُون إلا فيما لم يرد فيه نصٌّ صريح من القرآن ، أو من السُّنَّة المطهرة .

(١) الشورى في الإسلام، د.علي محمد الصلابي، دار ابن الجوزي-القاهرة،ط١.ص:٢٥،٢٦.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين (٦٩١ - ٧٥١ هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م) من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء.مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصا.وأطلق بعد موت ابن تيمية.وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. وألف تصانيف كثيرة (الأعلام للزركلي ٥٦/٦).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين،ابن قيِّم الجوزية، دار الجيل-بيروت ١٩٧٣م،ت:طه سعد (٨٤/١).

(٤) الشورى في الإسلام ،الصلابي ص:٤٩.

وقد حكى ابن جرير الطَّبري[1] -رَحِمَهُ اللَّهُ- عن سفيان بن عيينة[2] -رَحِمَهُ اللَّهُ-في تفسير قوله ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾، قوله : (هي للمؤمنين أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبي -ﷺ- فيه أثر)[3] .

وقال صاحِبُ المَنارِ[4] -رَحِمَهُ اللَّهُ- في تفسيرها : (فَالْمُرَادُ بِالْأَمْرِ : أَمْرُ الْأُمَّةِ الدُّنْيَوِيُّ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْحُكَّامُ عَادَةً ؛ لَا أَمْرُ الدِّينِ الْمَحْضِ الَّذِي مَدَارُهُ عَلَى الْوَحْيِ دُونَ الرَّأْيِ ، إِذْ لَوْ كَانَتِ الْمَسَائِلُ الدِّينِيَّةُ كَالْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مِمَّا يُقَرَّرُ بِالْمُشَاوَرَةِ لَكَانَ الدِّينُ مِنْ وَضْعِ الْبَشَرِ ، وَإِنَّمَا هُوَ وَضْعٌ إِلَهِيٌّ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ رَأْيٌ لَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ -ﷺ- وَلَا بَعْدَهُ ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الصَّحَابَةَ -رضي الله عنهم- كَانُوا لَا يَعْرِضُونَ رَأْيَهُمْ مَعَ قَوْلِ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي مَسَائِلِ الدُّنْيَا إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ قَالَهُ عَنْ رَأْيٍ لَا عَنْ وَحْيٍ)[5] .

رابعاً : شروط المستشار :

يُحمد أهل المشورة في النقل والعقل ، بل إنَّهم بطلبهم للمشورة قد حازوا خيراً ورزقاً وفيراً، ونالوا بركة ونفعاً، لكن مع ذلك فإن الشورى لا تؤتي ثمارها إلا بالتخيُّر والتَّبصُّر، والمؤمن الفَطِن يختارُ بتمعن من يكُونُ أهلاً لمشورته، والأجدى بنفعه حال نُصحه.

وقد ذكر البُخاري -رَحِمَهُ اللَّهُ- في صحيحه باب ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾: (وَكَانَتِ الْأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُونَ الْأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ)[6] .

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (٢٢٤ - ٣١٠ هـ = ٨٣٩ - ٩٢٣ م) المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له (أخبار الرسل والملوك - ط) يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءا، و (جامع البيان في تفسير القرآن - ط) يعرف بتفسير الطبري (الأعلام للزركلي ٦٨/٦-٦٩).

(٢) سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي ، مولده: بالكوفة، في سنة سبع ومائة. وطلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد ، مات:سنة ثمان وتسعين ومائة (سير أعلام النبلاء للذهبي ٣١٤/٧-٣٢٤).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (٣٤٥/٧).

(٥) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١٦٢/٤).

(٦) صحيح البخاري ، كتاب:الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب:قوله ـــ : ((وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)) و((وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)) ، (١١٢/٩)..

ومما يُستأنس به قول الماوردي[1] -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (اعْلَمْ أَنَّ مِنْ الْحَزْمِ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ أَنْ لَا يُبْرِمَ أَمْرًا وَلَا يُمْضِيَ عَزْمًا إلَّا بِمَشُورَةِ ذِي الرَّأْيِ النَّاصِحِ ، وَمُطَالَعَةِ ذِي الْعَقْلِ الرَّاجِحِ)[2] .

فأهلُ الرأي النَّاصح والعقل الرَّاجح هم الأولى بالاختيار لاستشارتهم ، أما أهل التَّسرع وخفة العقل فالجاهل يتنزَّه عن اختيارهم لمشورته، ولا يقع فريسة لجهلهم سوى الحمقى.

ولن ينفع أهل الحِكمة والرأي الصائب المُستَشِير إلا إذا تجمَّلوا بصفتي: العلم والأمانة.فمن كان جاهلا فبمَ سيُفيد الطَّالِب للشورى – وإن كان ذا رأي راجح – ، فلربما بجهله دلَّه على ما يسوؤه وإن صلُحت طويَّتُه وخلُصت نيَّتُه.

والعِلم المطلوب هو أن يكون عند المُستَّشَارِ قدرٌ كافٍ من العِلم في الأمرِ الذي يُستشار فيه ، فلم نسمع عن عاقلٍ استشار طبيبا في أمر سيارته التي عجز عن إصلاحها المُهندسون، ولم نر ذي لبٍ يستشير عالم ذرَّةٍ في حال مرضه الذي انتشر في جسده.

لا نستشير إلا أهل التَّخصص في أمور دُنيانا بل ونتخيَّر من هو الأصلح والأجود ، ونبحث عن الأكثر خبرة لصلاح دُنيانا ، فما بال البعض يأخذ الدَّنيَّة في دينه ويسأل الغادي أو الرَّائِح ، ولا يتخير أهل العلم؟!.

إنَّ الواجب على الداعية إذا ألَمَّ به أمر ، وهمَّ أن يبحث عمن يُشير عليه في أَمْرٍ من دينه أو دعوته ، فعليه أن يتخيَّر الأنصح والأكثر علما والأعظم نزاهة ، لعله يفوز ببركة هذه المشورة وبِحِرصِه على دينه .

ويلزم في المُستشارِ أَن يكُون أمينا لَيَصْدُق في نصحه، وليحفظ ما استُودِع عنده.

وقد ذكر الماوردي – رَحِمَهُ اللَّهُ- أَهَمُّ الصِّفات التي يجبُ توفُّرُها في المُستشار حيث قال : (فَإِذَا عَزَمَ عَلَى الْمُشَاوَرَةِ ارْتَادَ لَهَا مِنْ أَهْلِهَا مَنْ قَدْ اسْتَكْمَلَتْ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ :

---

(١) علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي (٣٦٤ – ٤٥٠ هـ = ٩٧٤ – ١٠٥٨ م) أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة.ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل " أقضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللا أو يزيل خلافا. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد. من كتبه " أدب الدنيا والدين – ط " و " الأحكام السلطانية – ط " والنكت والعيون – خ " (الأعلام للزركلي ٤/٣٧٧).

(٢) أدب الدنيا والدين،علي بن حبيب الماوردي ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٦م (١/٣٧٧).

إحْدَاهُنَّ : عَقْلٌ كَامِلٌ مَعَ تَجْرِبَةٍ سَالِفَةٍ فَإِنَّ بِكَثْرَةِ التَّجَارِبِ تَصِحُّ الرَّوِيَّةُ.

وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنْ يَكُونَ ذَا دِينٍ وَتُقًى ، فَإِنَّ ذَلِكَ عِمَادُ كُلِّ صَلَاحٍ وَبَابُ كُلِّ نَجَاحٍ .

وَالْخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ : أَنْ يَكُونَ نَاصِحًا وَدُودًا ، فَإِنَّ النُّصْحَ وَالْمَوَدَّةَ يُصَدِّقَانِ الْفِكْرَةَ وَيُمَحِّضَانِ الرَّأْيَ .

وَالْخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ : أَنْ يَكُونَ سَلِيمَ الْفِكْرِ مِنْ هَمٍّ قَاطِعٍ ، وَغَمٍّ شَاغِلٍ ، فَإِنَّ مَنْ عَارَضَتْ فِكْرَهُ شَوَائِبُ الْهُمُومِ لَا يَسْلَمُ لَهُ رَأْيٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ خَاطِرٌ .

وَالْخَصْلَةُ الْخَامِسَةُ : أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْأَمْرِ الْمُسْتَشَارِ غَرَضٌ يُتَابِعُهُ ، وَلَا هَوًى يُسَاعِدُهُ ، فَإِنَّ الْأَغْرَاضَ جَاذِبَةٌ وَالْهَوَى صَادٌّ ، وَالرَّأْيُ إذَا عَارَضَهُ الْهَوَى وَجَاذَبَتْهُ الْأَغْرَاضُ فَسَدَ)[1] .

فذكر – رَحِمَهُ اللَّهُ– من شروط المُستَشار أن يكون ذا دين، وأهل الدين والاستقامة هم أهل النَّفعِ والخير، وبهم صلاح الدارين بإذن رب العالمين، والمولى–سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– يوجه عباده المؤمنين دوما لرفقة الصادقين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩]، وأهل الدِّين هم أَصدق النَّاسِ قولاً وأنفعهم لإخوانهم نُصحاً .

وبعد أن اتضحت شروط المستشار الذي يُؤخذ برأيه انتقل إلى بيان الشورى كمعلم من معالم الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى.

خامِساً: الشورى من معالم الصحبة بين الدعاة :

الدُّعاة إلى الله هم أَهلُ السَّبق إلى الخيرات واكتساب البركات، فلاحهم بدأ بانتقائهم خير درب ، واختيارهم لأشرف الوظائف ، دربهم الذي انتقوه درب نبيهم –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ومن سبقوه من الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– ، ووظيفتهم التي اختاروها شرَّفها الباري في كتابه بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

والدَّاعية الفَطِن حكيمٌ في قراراته، متريِّثٌ في تصرُّفاته ، لا مُتعجل فنادم ، ولا مُتكاسلٌ فخاسِر ، لا يقضي في أغلب أُموره إلا بعد أَن يستشير صُحبته ، صُحبته التي تَخيَّرها من الدُّعاة إلى الله .

(١) أدب الدنيا والدين، الماوردي ص:٣٧٩-٣٨٠.

وميدان الدَّعوة إلى الله ميدان كثير النَّوازل ، قد يجهل الدَّاعية حال جِهاده ما الأصوبُ فيه ، وما الأنفع؟!.

فلا أخير حينها من أَن يُسارع الخُطى لصُحبته يأنس بهم ، يطرح عليهم ما ألَمَّ به ، يطلُبُ مشورتهم ، ليستنير بآرائهم ، ويستنصح بنصحهم.

(إنَّ الشُّورى في الإسلام مبدأ عام يطرق كلَّ الميادين ويطرق كل المستويات ، ويكاد يكون متَّصلا بالفطرة السَّوية والطَّبيعة السَّليمة ، إنَّها طبيعة المؤمن وسجيته وخُلُقُه ، إنَّها صورة من صور التَّعاون بين المؤمن وأخيه المؤمن في طاعة الله ، إنَّها صورة من صور الأخوة في الله ، وبذلك تُصبح الشُّورى سمة المُسلمين ، وطبيعة المؤمنين ، وخُلُق العاملين)[1] .

والدَّاعية حينما يعلم فضل طلب الشُّورى من أهلها، وأنها كُلها خير وبركة يكون الأسبق لها، والأول في تطبيقها ، عن الضحاك بن مزاحم[2] -رَحِمَهُ اللَّهُ- في قوله:"وشاورهم في الأمر"، قال: (ما أمر الله عز وجل نبيه -ﷺ- بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل)[3] .

ولا يخفى على الدَّاعية أَنَّ للشورى فوائد كثيرة ، منها:

- أَن يكُونَ الدَّاعية على نورٍ وبصيرة فيما يُقدِمُ عليه ، قال بعضهم في مدحِ الشُّورى : (الْخَطَأُ مَعَ الِاسْتِرْشَادِ أَحْمَدُ مِنْ الصَّوَابِ مَعَ الِاسْتِبْدَادِ)[4] .

- إصابة الحقّ : فالدَّاعية حينما يستشير صحبته الذين توسَّم فيهم أهلا للمَشُورة يُصيب الحقَّ غالبا، فكما رُوي عن بعض البلغاء قوله:(فَلَأَنْ تَسْأَلَ وَتَسْلَمَ خَيْرٌ لَك مِنْ أَنْ تَسْتَبِدَّ وَتَنْدَمَ)[5] .

---

(١) ملامح الشُّورى في الدَّعوة الإسلامية،عدنان النَّحوي،دار الإصلاح للطبع والنَّشر والتَّوزيع-الدمام ص:٥١٣.

(٢) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم (٠٠٠ - ١٠٥ هـ = ٠٠٠ - ٧٢٣ م) مفسر. كان يؤدب الأطفال.ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار. وذكره ابن حبيب تحت عنوان (أشراف المعلمين وفقهاؤهم). له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان (الأعلام للزركلي ٢١٥/٣).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن،الطبري (٣٤٤/٧).

(٤) أدب الدنيا والدين، الماوردي (٣٨١/١).

(٥) المرجع السابق (٣٨٢/١).

- (المشورة بركة)[1]: فإن جمع الدَّاعية صحبه الدُّعاة للمشاورة في أمرٍ من أُمور دعوته ، وقصدهم جميعا طلب الحق ، والوصول إلى الرأي الأحسن والأَرجح بارك الله لهم مسعاهم، وحقَّق مُبتغاهم ، قال الطَّبري[2] -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (لأن المؤمنين إذا تشاوروا في أمور دينهم متبعين الحق في ذلك ، لم يُخْلهم الله - عز وجل - من لطفه وتوفيقه للصواب من الرأي والقول فيه)[3] .

- تُغذِّي معاني الحُب والإِخاء ، وبها تزداد الأُلفة ، ومعها يكُونُ بين الصَّحبِ الصَّفاء ، وقد عدَّها السَّعدي -رَحِمَهُ اللَّهُ- من فضائل الشورى حيثُ قال في الغاية من أمر النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بمشاورة أصحابه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-: (تسميحا لخواطرهم ، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث)[4][5].

- التربية الجماعية : (فالدَّعوة الإسلامية لم تكن لتقتصر على تربية الأفراد، وإنَّما لتربية الجماعة وأفرادها)[6] ، فتربيهم على التعاون ، وتحقيق معاني الوحدة ، وبالتَّالي تَتِمُّ النُّصرةُ الحَقَّة لجمعِ الدُّعاة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

- التدريب على تحمُّل التّبعة ، وتصحيح المَسَار ، قال سيد قطب -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (وكان اللّه يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة ، أن تربى بالشورى وأن تدرب على حمل التبعة ، وأن تخطئ - مهما يكن الخطأ جسيما وذا نتائج مريرة - لتعرف كيف تصحح

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبوعبدالله القرطبي (٣٨/١٦).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ، الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان ، مولده: سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. وكان من كبار أئمة الاجتهاد. توفي سنة عشر وثلاث مائة (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٧/١٤-٢٨١).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، بن جرير الطبري(٣٤٥/٧).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي ، ص:١٥٤.

(٥) هذه الفقرة من املائي.

(٦) فقه الشورى والاستشارة، الشاوي ص:١٢٦.

خطأها ، وكيف تحتمل تبعات رأيها وتصرفها ، فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ)[1] .

- وسيلة للموازنة الجماعية والفكرية ، (فهي ميزان لإيجاد أكبر قدر من التَّوازن بين الاعتبارات المَثاليَّة، والأهداف العملية والمصلحية التي تحاول تحقيقها الآراء المُختلفة)[2] .

- حُصُول التَّكامل بين جَمْعِ الدُّعاة ، (فمن أعظم فوائد الشُّورى تلاقح الأفكار ، وتكامل الثِّقة ، وتبادل الخِبرة ، والاستفادة من الخِبرات المتنوعة)[3] .

وهكذا ترى الشُّورى معلم للصُّحبة بين الدُّعاة ، وإحدى آثارها المُمَيِّزة لها ، فترى الدَّاعية النَّاصِح إذا نزلت به نازلة ، وحل به مستجد جَهِله ، هرع إلى صُحبته ، سواء أكان ما يستشير به خاصًّا بدعوته أو بِشَخْصِه .

(فمهما كان لون النَّشاط الذي يقُوم به الدَّاعية، فإنَّ السَّاحة الدَّعوية تظل واحدة وأشبه ببحيرة صغيرة ، ما يُلقى فيها يُؤثِّر في مجملها بصورة من الصور وقد أدَّت ظروف شتى إلى توسع دائرة الخُصُوصيات لدى أكثر الدُّعاة ، وربما اعتبر بعض الدُّعاة – أحياناً بغير سبب – نفسه مركز الدَّائرة وغيره الهامش ، وعلى الآخرين أن يستشيروه ، ويستفيدوا من خِبرته ، أمَّا هو فلا يُوجد في السَّاحة من يُمكن أَن يستفيد منه...إنَّ من جملة المُشكلات تحديد دوائر الخُصوصيات ، فما اعتبره شأناً خاصًّاً أجتهدُ فيه على النَّحوِ الذي أَراه مناسباً ، ينظر إليه غيري على أَنَّه شأن عام ، والمشورة فيه واجبة ، إذ إنه يُؤثر في السَّاحة برمتها...إذ ليس المقصود من الشُّورى الاسترشاد والاهتداء إلى الرأي الأصوب دائماً ، وإنَّما إيجاد الأُلفة بين النَّاس وزرع الثقة ، وإسقاط الكُلفة ، وتقوية النَّسيج الاجتماعي ، والإيحاء للمُستشار بأنَّه متميز ، وأهل لأن يُستفاد منه...كم يكُون جميلاً أَن يستشير الدَّاعية أخاه في بعضِ المُشكلات التي يواجهها ، أو يستشيره في بعض الكُتُب التي تفيده في مجالٍ معين)[4] .

إنَّ الداعية المُبارك قد سَبق وسكن في خُلدِه أَنَّ (الشورى تستوعِبُ جوانب الحياة الإنسانية كلها التي تحتاج إلى إعمال فكرٍ ، وتبادل رأيٍ ، وحوار علمي ، وحجاج عقلي ، واستخراج رأي سديد ،

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (١/٥٠٠).

(٢) فقه الشورى والاستشارة، الشاوي ص:٩٢.

(٣) الشورى في الإسلام،الصلابي ص:٨١ نقلا عن الغامدي في كتابه فقه الشورى.

(٤) مقدمات للنهوض بالعمل الدَّعوي،د.عبد الكريم بكَّار،دار القلم–دمشق ص:١٩٧.

واستنباط حكم شرعي في مسألةٍ من المسائل)[1]، لذا فهو لا يستغني عن مشورة رِفقته، يلين لهم، ويأنسُ برأيهم ، وهكذا تظل المَسيرة الدَّعوية شامخة مُتماسِكة تنالُ التَّمكين بإذنِ ربِّ العالمين.

وبعد بيان الشورى كمعلم من معالم الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى أنتقل إلى بيان صورة من صورها وهي النجوى .

سادساً: النَّجوى من صُوَرِ الشُّورى[2]:

تعريف النَّجوى :

قال ابن فارسٍ –رَحِمَهُ اللهُ–:(النون والجيم والحرف المعتلّ أصلانِ، يدلُّ أحدُهما على كَشْطٍ وكشف، والآخَر على سَترٍ وإخفاء)[3].

وقال أيضاً : (النَّجْو والنَّجْوَى: السِّرُّ بين اثنين. وناجَيْتُه، وتناجَوْا، وانتَجَوْا. وهو نَجِيُّ فلانٍ، والجمع أنْجِيَة... ونَجَوْتُه: ناجَيْتُه. وانتجَيْتُه: اختصصته بمناجاتي)[4].

أما في الاصطلاح : قيل : (النّجوى : ما يكون من خلوة اثنين أو أكثر يسرّون شيئا ويتناجون به، والسّرار ما كان بين اثنين)[5].

وقيل : (النَّجوى هي المشاورة والمُسارَّة)[6].

أَدَّب الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– عباده المُؤمنين ، فنهاهم عن الأسباب التِي تُفرِّق جمعهم، أو تُوغر صُدور بعضهم على إخوانهم ، ومن ذلك توجيه الله لعباده بترك النَّجوى ، و(النّجوى يمقتها اللّه– جَلَّ جَلَالُهُ–

(١) الشورى في الإسلام، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (٣/٩٩١).
(٢) ملامح الشُّورى في الدَّعوة الإسلامية، النَّحوي ص:٤٣.
(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/٣٩٧).
(٤) المرجع السَّابق (٥/٣٩٩).
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧/٢٨٩-٢٩٠).
(٦) ملامح الشُّورى في الدَّعوة الإسلامية،النَّحوي،ص:٤١.

وينهى أن تكون بين المجتمع المسلم)[1] ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [المجادلة:٩] ، فالنَّجوى تحزُن المؤمنين ، وتؤلم قلوبهم، وتُوغر صدروهم.

لكن المولى -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- استثنى المُناجاة بالخير والبِّر والنَّفع قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾ [النساء: ١١٤].

قال الطبري -رَحِمَهُ اللَّهُ- في تفسيرها : (هي كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، "أو إصلاح بين الناس"، وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما)[2] .

(فالنَّجوى بين المؤمنين صورة من صور الشُّورى المؤمنة، تحمل خصائصها ومميزاتها، فهي لا تحمل إثماً أو عدواناً ولا معصية للرسول أبداً)[3] .

فالدَّاعية يُناجِي صُحبته بكل خير، مرةً يُذكِّر ، ومرَّة ينصح، ومرَّة يُصلح، وهذا ليس ديدنه وحده ، بل هو ديدن ذاك الجمع المُبارك، والصُّحبة الطَّيِّبة.

والنَّجوى بِصُورتها المَحمودة هي من مَهامِ الدَّاعية، ومن وظائفه التي كرَّس وقته لأجلها، فما بين أَمرٍ بمعروفٍ ونهي عن منكرٍ و إصلاح ذات بينٍ، تراه يصول ويجول ، لكنَّه مُتيقن بضعفه حال انفراده بدعوته، فإذا به يدعو صُحبته الدُّعاة ليُناجيهم ويُسارَّهم ، ولسان حاله يقول: أَي صحابي فإني ضعيفٌ بنفسي قويٌ بكم لا حرمني الله بركة صحبتكم!.

ومن جميل ما يُصنع، وما يؤمل منه البركَة والنَّفع ، هو أَن يكون بين صُحبة الدُّعاة عملاً مُشتركاً يربطهم، وبه بإذن الله تقوى شوكتهم، وتزداد محبتهم، ويرتفع رصيدهم، وتعلو مرتبتهم عند ربهم.

وبعد أن فصَّلت في المعلم الثاني من معالم الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى وبينت مشروعيته ، وأهم صوره ، أنتقل إلى المعلم الثالث وهو التنافس في الخيرات بين الدعاة إلى الله تعالى.

---

(١) نضرة النَّعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع-جدة ط٤ (٥٦٠٣/١١).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، بن جرير الطبري (٢٠١/٩).

(٣) ملامح الشُّورى في الدَّعوة الإسلامية، النحوي ص:٤٣.

الْمَسْأَلَة الثَّالِثَة : التَّنَافُس فِي الْخَيْرَات.

أَوَّلاً: تعريف التَّنافس في الخيرات :

أ- التَّنافس لغةً: قال ابن فارس-رَحِمَهُ اللَّهُ-: (شيءٌ نفيس، أي: ذو نفس وخَطَر يُتنافَسُ به. والتّنافُس : أن يُبرِزَ كلُّ واحد من المتبارزَين قوَّةَ نَفْسه)[1].

قال الزمخشري-رَحِمَهُ اللَّهُ-:(أنفسته في الشيء ونفّسته فيه: رغّبته. وتنافسوا فيه: تراغبوا)[2].

ب- الخيرات لغة: قال ابن فارسٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الخاء والياء والراء أصله العَطْف والمَيْل، ثمَّ يحمل عليه. فالخَير: خِلافُ الشّرّ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يَمِيلُ إِليه ويَعطِف على صاحبه)[3].

ج- التَّنافس اصطلاحاً: قيل:(التَّنَافُسُ: تَفَاعُلٌ مِنْ الشَّيء كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّخْصَيْنِ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِهِ)[4].

وقيل : (التَّسابق في المبادرة إلى الخير بالأعمال الموصلة إليه)[5].

ولعل التعريف الأخير للتنافس هو الأقرب هنا.

د- الخيرات اصطلاحاً : قيل : (الْخَيْرُ هُوَ ضِدُّ الشَّرِّ)[6].

هـ- التَّنافس في الخيرات كَمَعْلَمٍ من مَعَالِمِ الْصُّحبة بيْن الدُّعاة يعني: (تسابُق صحبة الدُّعاة وتسارُعهم في دُرُوب الخير مع محبّة تامَّة ، وتَخْطيطٍ كامل، وتواصٍ على الاستمرار والمُثابرة).

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٦١/٥).
(٢) أساس البلاغة، الزمخشري (٤٨٣/١-٤٨٤).
(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٢٣٢/٢).
(٤) مفاتيح الغيب ، أبوعبدالله الرازي (٩٣/٣١).
(٥) تيسير الكريم الرحمن ، عبدالرحمن السعدي ، ص:٩١٦.
(٦) مفاتيح الغيب ، أبوعبدالله الرازي (٢٠٩/٢٣).

ثانياً: المنافسة في الخيرات معلم من معالم الصُّحبة بين الدُّعاة :

جاء المُصطفى -ﷺ- الرَّحمة المُهداة ليُخرج النَّاس من ظلمات الجهل ، وغياهب الخُرافات ، إلى نور الحقّ ، وانبلاج الخير .

لقد كان الإنسان في عصر ما قبل الإسلام يحيى حياةً جاهليَّة ، يُنافِس بالحَسَب والمالِ والقوَّة ، ثمَّ مع أنوار الرِّسالة المُحمَّديَّة التي ربَّت النَّفس وارتقت بها إلى المعالي ؛ تَرْقَى بأبناءِ هذه الدَّعوة ، وتُنقِّي طُمُوحاتِهم ، ليُصبِح هدفهم الأسمى ، وغايتهم القُصوى "ألا يسبقني إلى الله أَحَد" .

لقد غَرَس النَّبي -ﷺ- في نفوس أبناء هذه الدَّعوة التَّنافُس الشَّريف ، والهِمَّة العالية ، فيُوجِّه -ﷺ- للرّقي للمعالي بقوله :" إِذَا سَأَلْتُم الله فَاسْأَلُوْهُ الْفِرْدَوْس"[(١)] ، وكأنَّه يقول لكل أبناء هذا الدِّين : "لا تبتغي غير القِمَّة مترلاً".

كان المُصطفى -ﷺ- يُنمِّي روح التَّنافُسِ بين صَحْبِه ، ويُؤزِّهم إلى تعظيم شأن صُحبتهم والقِيام بِحقِّها ، فيدعو صحابته -رضي الله عنهم- أن يُعينوا سلمان الفارسيّ -رضي الله عنه- بقوله : "أَعِيْنُوا أَخَاكُم" [(٢)] ، فيتنافس الصَّحابة -رضي الله عنهم- الرجل بثلاثين ودية [(٣)] و الرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة و الرجل بعشر ، حتَّى سَعَوا جميعاً إلى فَكَاكِ أخيهم -رضي الله عنهم-.

ثُمَّ مع ذلك تراه -ﷺ- يُتابع أصحابه ، ويُراقِب مَدى التَّنافس بينهم ؛ أصبح -ﷺ- ذات يوم سائلا أَصحابه :« مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه-: أَنَا. قَالَ: « فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه-: أَنَا. قَالَ: « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه-: أَنَا. قَالَ: « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه-: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَا اجْتَمَعْنَ فِى امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » [(٤)] .

---

(١) رواه البزار في مسنده ، مسند العرباض بن سارية ، رقم الحديث (٤٢٠٣) (١٣٩/١٠)، ورواه الطبراني في معجمه الكبير ، كتاب:العين ، باب:سويد بن جبلة عن العرباض ، رقم الحديث (٦٣٥) (٢٥٤/١٨)، وقال الهيثمي (رجاله ثقات) ، وقال الألباني في سلسلته (صحيح).

(٢) رواه أحمد في مسنده، تتمة مسند الأنصار، حديث سلمان الفارسي، برقم (٢٣٧٣٧)(١٤٦/٣٩)، ورواه البزار في مسنده، مسند سلمان الفارسي ، حديث سلمان ، رقم الحديث (٢٥٠٠) (٤٦٢/٦) ، ورواه الطبراني في مسنده، كتاب:السين، باب:ماروى ابن عباس عن سلمان، رقم الحديث(٦٠٦٥) (٢٢٢/٦)، وقال الألباني في سلسلته(إسناده حسن).

(٣) والودي: الفسيل وَالْوَاحد ودية ، (جمهرة اللغة ، ابن دريد ٢٣٣/١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب:الزكاة، باب: من جمع الصدقة وأعمال البر ، رقم الحديث (١٠٢٨) (٧١٣/٢).

إنَّ دُخول الإنسان في هذا الدِّين ، وتغلغل الإيمان في قلبه ، كفيلٌ بأن يرتقي بهمَّته ، ويُنقِّي سريرته ، فيكون من أوائل المُنافِسين في الخَيرات ؛ وفي غزوة تبوك الفِئة التي لم تَجِد ما تُنفق ، فعجزت عن النَّفِير مع رسول الله -ﷺ- نموذجٌ حيٌ لِتلك الحقيقة ، قومٌ ارتقت همَّتُهم ، فطَمحوا للمنافسة في الخيرات ، ولَّما أقعدهم العُذر انقلب حالهم ، وتكالبت هُمومهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [التوبة: ٩٢] .

وفي تِلْكَ الغزوةِ أيضا: حِينما دعا المُصطفى -ﷺ- المُسلمين لتجهيز جيش العُسرة ، فَيُسارعُ الْحَيِيّ ذو النُّورين [١] -رضي الله عنه- للمُنافسة ، فجَاْءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيّ -ﷺ- بِأَلْفِ دِيْنَارٍ ، حِيْنَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَنثرَهَا فِيْ حِجْرِهِ .قَالَ عَبْدِ الرَّحْمَن بن سَمرة [٢] راوي الحديث -رضي الله عنه-:فَرَأَيْتُ النَّبِيّ-ﷺ- يُقَلِّبهَا فِيْ حِجْرِهِ وَيَقُوْل: "مَا ضَرَّ عُثْمَان مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ "[٣] .

تِلكُمُ حقَّاً هي النُّفوس العليَّة التي نافست في الخيرات ، وابتغت أعالي الدَّرجات.

تلْكُمُ هي نفس الدُّاعية الذي تَرَعْرَع فِي رِياض هذه الدَّعوة السَّامية ، فَلا يرتضي بالدُّون ، ولا يقبل بالأقل، بل ويُنافس صُحبته الدُّعاة أيُّهم الأسبق ، وأيُّهم الأعلى ؟!.

هذا هو ديدنُ الدُّعاة ، وتلكُم هي أبرز معالِم صُحبتهم ، تَقْرُب منهم فتلمح بريق المُنافسة ، مَنْ يُجالِسُهم يُصابُ بالدَّهشة لسموِّ هممهم ، ويَعجب لِشدَّة المُنافسة بينهم ، ثمَّ هو يقف مذهولاً ليرى الأعجب ، فمع شدَّة المُنافسة يزداد حُبُّهم ، ويعظم في الله وصالهم.

قومٌ نَافسُوا الثُّريَّا، والأجمل"قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدَ"[٤] .

---

(١)عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أمير المؤمنين ، أحد السابقين الأولين، وذو النورين، وصاحب الهجرتين، وزوج الابنتين. قدم الجابية مع عمر. وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المبعث، فولدت له عبد الله، وبه كان يكنى، وبابنه عمرو.(سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤٩).

(٢)عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ سَمُرَةَ بنِ حَبِيْبٍ العَبْشَمِيُّ ،أَسْلَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَوْمَ الفَتْحِ، وَكَانَ أَحَدَ الأَشْرَافِ.نَزَلَ البَصْرَةَ، وَغَزَا سِجِسْتَانَ أَمِيْراً عَلَى الجَيْشِ. مَاتَ: بِالبَصْرَةِ، سَنَةَ خَمْسِيْنَ. (سير أعلام النبلاء ٢/٥٧١-٥٧٢).

(٣) رواه الترمذي في سننه ، كتاب: المناقب، باب: في مناقب عثمان س ، رقم الحديث (٣٧٠١) (٦/٦٧) ، وقال (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه) ، ورواه أحمد في مسنده ، مسند البصريين ، حديث عبدالرحمن بن سمرة ، رقم الحديث (٢٠٦٣٠) (٣٤/٢٣٣)، وقال الشيخ الألباني (حسن).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم الحديث (٣٢٤٦) (٤/١١٨) .

هكذا هو حبُّ الصَّادقين، حبٌّ يرقى بصاحبه، سموٌ وارتقاء، وهمَّة تعلو مع كُلِّ لقاء.

ولمن أراد أن يتأمَّل في شدَّة تنافُس الدُّعاة في الخَيرات يَكْفِيه أن يتفكَّر في حال الصَّاحبين الْصِّدِّيق والْفَاروْق -رضي الله عنهما- .

يحكي الفاروق - رضي الله عنه- فيَقُولُ:" أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا ، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي.فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- :« مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ». قُلْتُ: مِثْلَهُ.قَالَ وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه- بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ ،فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: « مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ». قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لاَ أُسَابِقُكَ إِلَى شَىْءٍ أَبَدًا "[1] .

هذه هي هِمَم صُحبةُ المُصطفى -صلى الله عليه وسلم- ناطَحَت السَّحاب ، وَخَلَف من بعدهم أَقوامٌ تُضرب بهم الأمثال ، اقتدوا بِأَسلافِهِمُ الأخيَار ، فَغَدَوا مَنَاراتٍ للهُدى ، عُرِفوا بِفعالهم ، بها دَعَوا الأَقوام ، وبتنافُسهم الخيِّر أَبهرُوا الْأُمم ، فهذا ابن أبي حاتمٍ[2] -رحمه الله- يحكي ويقول : (كُنَّا بِمِصْرَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، لَمْ نَأْكُلْ فِيْهَا مَرَقَةً، كُلُّ نَهَارِنَا مُقَسَّمٌ لِمَجَالِسِ الشُّيُوْخِ، وَبَاللَّيْلِ: النَّسْخُ وَالْمُقَابَلَةُ.قَالَ: فَأَتَيْنَا يَوْماً أَنَا وَرَفِيْقٌ لِي شَيْخاً، فَقَالُوا: هُوَ عَلِيْلٌ، فَرَأَينَا فِي طَرِيْقِنَا سَمَكَةً أَعْجَبَتْنَا، فَاشتَرَينَاهُ، فَلَمَّا صِرنَا إِلَى البَيْتِ، حَضَرَ وَقْتُ مَجْلِسٍ، فَلَمْ يمكنَا إِصْلاَحه، وَمَضَينَا إِلَى المَجْلِسِ، فَلَمْ نَزَلْ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، وَكَادَ أَنْ يَتَغَيَّرَ، فَأَكَلْنَاهُ نِيْئاً، لَمْ يَكُنْ لَنَا فَرَاغٌ أَنْ نُعْطِيَهُ مَنْ يَشْوِيه.ثُمَّ قَالَ: لاَ يُسْتَطَاعُ العِلْمُ بِرَاحَةِ الجَسَدِ)[3] .

فلذا يجب على الدَّاعية أَن يكُون سامي الهمَّة ، منافساً لصُحبته ، مُسابقاً لهم في كل دروب الخير ، حاثَّاً لهم على التَّنافس في الخيرات ، والسِّباق على الطاعات .

---

(١) رواه أبي داوود في سننه ، كتاب:الزكاة ، باب:الرخصة في ذلك ، رقم الحديث (١٦٧٨) (١٢٩/٢) ، ورواه الترمذي في سننه ، كتاب: المناقب، باب: في مناقب أبي بكر وعمر برقم الحديث (٣٦٧٥) (٥٦/٦) ، وقال (هذا حديث حسن صحيح)،ورواه البزار في مسنده ، مسند عمر بن الخطاب ، باب:أسلم مولى عمر عن عمر ، رقم الحديث (٢٧٠) (٣٩٤/١) ، وقال الألباني في سلسلته (حسن).

(٢) عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد(٢٤٠ - ٣٢٧ هـ = ٨٥٤ - ٩٣٨ م) حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل - ط) ثمانية مجلدات منه، و (التفسير) عدة مجلدات، منها جزآن مخطوطان، و (الرد على الجهمية) كبير، و (علل الحديث - ط) جزآن، و (المسند) كبير، و (الكنى) و (الفوائد الكبرى) و (المراسيل - ط) و (تقدمة المعرفة بكتاب الجرح والتعديل - خ) (الأعلام للزركلي ٣٢٤/٣).

(٣) سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة (٢٦٦/٢٥).

قال ابن قيِّمٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَصِفُ حال المُتنافسين الخيِّرين : (والمُتنافسان كعبدين بين يَدَي سيدهما يتباريان ، ويتنافسان في مرضاته ، ويتسابقان إلى محابه ، فسيّدهما يُعجبه ذلك منهما، ويحثهما عليه ، وكل منهما يُحِبُّ الآخر ، ويُحرّضه على مرضاة سيِّده)[1] .

فالدَّاعية ينافس صحبه في كُلّ خير ، لا يرتضي بغير جنَّات الفِردوس نُزُلاً ، يجعل قول عمر بن عبد العزيز[2] -رَحِمَهُ اللَّهُ- شعاراً له : (إِنَّ نَفْسِي تَوَّاقَةٌ، وَإِنَّهَا لَمْ تُعْطَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئاً إِلاَّ تَاقَتْ إِلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، فَلَمَّا أُعْطِيَتْ مَا لاَ أَفْضَلَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا، تَاقَتْ إِلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ - يَعْنِي: الجَنَّةَ -)[3] .

وبعد بيان مجمل لهذا المعلم المهم بين الدعاة إلى الله تعالى ، أنتقل إلى تفصيل خوارم التنافس في الخيرات بين الدعاة إلى الله تعالى.

ثالثاً: خوارم التنافس في الخيرات بين الدُّعاة[4] :

١- الفُتور (التَّكاسل أو التَّراخي) :

إنَّ الإسلام برغم حثِّه لبنيه على التَّنافس في الخيرات ، وإدراك السُّويعات ، إلا أَنَّه يُراعي النَّفس البشرية التي من طبعها أن تنشط فتفتُر، فترى توجيه النَّبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لحنظلة-رضي الله عنه-: حيثُ جاءه يشكو حاله بعد خروجه من مجلس رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتأثره بحديثه ، فإذا خرج إذ به يُخالط الأزواج والأولاد وينشغل كثيرا ، فردَّ عليه الرَّؤوف الرحيم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقوله: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[5] .

---

(١) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ص:٢٥١ .

(٢) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص (٦١ – ١٠١ هـ = ٧٨١ – ٧٢٠ م) الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد. ثم استوزره سليمان ابن عبد الملك بالشام.وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ (الأعلام للزركلي ٥/٥٠).

(٣) سير أعلام النبلاء ،الذهبي (٩/١٥٤).

(٤) (الفتور–الرياء–الاستعجال) استفدتها من مقال:ومضات على الطريق ، محمد عبد الخالق
http://www.saaid.net/aldawah/459.htm

(٥) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ، رقم الحديث (٢٧٥٠) (٤/٢١٠٦).

فالإسلام هو دين السَّماحة ، فليس على الدَّاعية حرج أَن يُروِّح عن نفسه مع صَحبه بين الفِينة والأُخرى أو مع أهله ، بل إنهم بهذا التَّرويح يتقوَّون على العبادة بإذن الله.

وثَمَّة ترويحٌ مرفوض ، وتكاسِلٌ مردود ، ذاك التَّرويح الذي يكون فيما حرَّم الله وأبغضه هو رسوله -ﷺ- ، والتَّكاسل الذي يكونُ قعوداً عن أداءِ ما أمر الله به من واجِب التَّبليغ ، ودعوة الناس للدِّين الحقّ.

إنَّ فتور الدَّاعية وتكاسله عن أداء مُهمَّته التي شُرِّف وكُلِّف بها ، لمن معوِّقات وخوارم التَّنافس الخيِّر بين صَحْبِ الدُّعاة .

(وهو داءٌ يمكن أن يُصيب بعض العاملين ، بل قد يُصيبهم بالفعل ، أدناه : الكسل ، أو التَّراخي ، أو التَّباطؤ ، وأعلاه: الانقطاع أو السُّكون بعد النَّشاط الدَّائب والحركة المُستمرة)[1] .

إنَّ السَّائر في طريق الدَّعوة يجب أَن يكون مُتمسِّكاً بهدفه ، سائراً إلى بُغيته ، لا يَملُّ ولا يكل ، يتلذذ مع صُحبته في أشرفِ المِهن ، يُسارعوا ويُسابقوا ، وإن تباطَئوا قليلاً لحكمة وهدف ، أكمَلُوا بِكُلِّ همَّةٍ ونشاط.

وهذه أمُّ المؤمنين الصِّدّيقة بيت الصِّدّيق-رضي الله عنها-تروي لنا حديثاً عن المُصطفى-ﷺ- حيثُ تقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » ، فما إن تسمع الصِّدِّيقة -رضي الله عنها- بالحديث حتَّى تُسارع لِتَطْبيقه ، يروي القاسِم ابن محمدٍ -رحمه الله- حالها حيثُ قَالَ: (وَكَانَتْ عَائِشَةُ -رضي الله عنها- إِذَا عَمِلَتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ)[2] .

والبُخاريُّ -رحمه الله- بوَّب في كِتابه الرِّقاق باباً أسماه (القصد والمُداومة على العمل)[3]، فحريٌّ بصَحْبِ الدُّعاة أن يكونوا أحياء الهِمَم ، منافِسين للقِمَم ، لا يعرفون للكسل والتَّراخي طريق .

---

(١) آفات على الطَّريق، السيد محمد نوح، دار اليقين ص:٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الرقاق ،باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث (٥٩٤٨)، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب: صلاة المسافرين،باب: فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ، رقم الحديث (١٨٦٦) واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب:الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل (٩٨/٨).

٢- الرِّياء:

الإخلاص هو مَطلبٌ أَوَّلي لكُلّ داعِية ، فإن كان الأمرُ يخُصُّ جمعهم حينها تزداد أهميَّته ، ويعظِمُ فضله ؛ إذ يجب على صَحب الدُّعاة مَنْ عُرِفوا ببذل النُّصح للجموع أن يُواصوا بعضهم حال تنافِسِهم: " أَن يَا صَحْب الخَير أُصْدُقوا وأَخلصُوا علَّ الباري يُعظم لنا الأجور ".

ولعلَّها مِنْ أعظم المخاطِر والخَوارِم لتَنافُس صَحْبِ الدُّعاة ؛ أن يدخل الرِّياء فيُفسِد ما أنبتوا ، ويُهلِكَ ما زرعوا.

إنَّ الرِّياء داءٌ فتَّاك يمحقُ الحسنات ، ويُباركُ السَّيِّئات ، ويقتُل الهِمَم ، فترى المُرائي إذا لم يجد آثاراً يرجوها من مُنافسته من مدحٍ أو عطاء ، تراه فَتَر وَ تَرَك مسارعته ودعوته وقفل عائداً.

والرِّياء من أعظم المواحِق التي تنسُف الخَيرات ، (وهُو إِطْلَاع المُسلم النَّاس على ما يصدُرُ منه من الصَّالِحات طلباً للمنزلة والمكانة عندهم ، أو طمعاً في دنياهم)[1] .

وما الذي يرجوه الدُّعاة من أيدي فُقَراء ضُعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرًّا ؟

وما الذي سيُفِيدُهم إذا مُحقَت بركَة تنافُسِهم ، وذَهَب فَضْلُ وَظِيفتِهم؟.

وقد حذَّر الله -ﷻ- عِباده من هذا الخارم ، و يا لِخَسارة المُرائي إذ يَذهب عمله هباءاً منثوراً قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥ – ١٦] .

٣- الاستعجال:

طُبِع الإنسان على السُّرعةِ والعَجَلة ، ما إن يبدأ بعمل حتَّى يستعجل نتائجه ، ويترقَّب ثمراته ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١] ، وكم تكون هذه العجلةُ حميدة إذا دفعت بصاحِبها للخير ، واستعجلت النفع للغير ، كم تكُونُ نافِعة إذا حَرَّكت صَحْبَ الدُّعاة وأشعلت التَّنافُس بينهم ، لكِنَّها قد تكُونُ مَقِيتة إذا أماتت الهِمم ، وقتلت العزائِم.

(١) آفات على الطريق، السيد محمد نوح ص:١٧١.

قد يستعجِلُ الدَّاعِية نتائج مُنافسته مع صَحبِه الدُّعاة ، فيُثبّطه الشَّيطان ، فيقعُد ويركُن، وإنَّها لمن أسوء الأُمُور أَن يعتزِل الدَّاعية مُنافسة صُحبته الدُّعاة ، ويترُك مُسابقته لهم في الخيرات ، فإن المرء إذا ما طَمِح للمعالِي وبُلُوغِ الثُّريّا أقعدته همَّته فَيرَكَن إلى الأرض ، فيُصبِحُ همُّه ما سآكله اليوم ؟ وما سأشربه؟ وما الذي سألبسه؟.

وإنَّها لمن أَعْظَم المَعائب أن تسقُطَ هِمَّة الدُّعاة بعد سِباق ، أو تهبط بعد مُنافسة.

(والاستعجال معناه في اصطلاح الدُّعاة : إرادة تغيير الواقع الذي يحياه المُسلمون اليوم في لمحة ، أو في أقل من طرفة عين دون نظرٍ في العواقب ، ودون فهمٍ للظروف والمُلابسات المُحيطة بهذا الواقع ، ودون إعدادٍ جيّد للمقدِّمات ، أو الأساليب والوسائل ، بحيث يغمض الناس عيونهم ثمَّ يفتحونها ، أو ينامون ليلة ثمَّ يستيقظون ، فإذا بهم يرون كُلَّ شيءٍ عاد إلى وضعه الطَّبيعي في حياتهم : زالت الجاهليَّة من طريقهم ، ورُفعت الرَّاية الإسلاميَّة من جديد، ووجد كل إنسان إنسانيَّته ، وخلصت الفطرة من كل ما يُكدرها ويُعكِّر صفوها)[1].

وَصَحْبُ الدُّعاة يؤمنون أنَّ هذه الحياة إنَّما ابتلاء ، وتمحيص للنَّوايا ، فتحتاجُ مَزِيْدَ صَبْرٍ وعظِيم رويَّة ، فيتواصون على المُنافسة والصَّبر ، ويُنافِسُون في تواصيهم أدعياء الباطِل الذين تَنَادَوا ﴿ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ ﴾ [ص: ٦].

٤- الحسد:

إنَّ من تَلبيس إبليس على صُحْبَةِ الدُّعاة أن يُدخل في مُنافَسَتِهم الخيِّرة الحسد ، فترى الغيرة تدُبُّ في قلوب بعض الدُّعاة ، ويتلوها من تلبيسه التَّجريح والنَّقد والتَّنفير حسداً وغيرة.

قال صاحِب الرُّوح -رَحِمَهُ اللهُ- : (والفرق بين المنافسة والحسد : أن المنافسة المبادرة إلى الكمال الذي تشاهد من غيرك فتنافسه فيه حتى تلحقه أو تجاوزه ؛ فهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ ﴾ [المطففين: ٢٦]، وأصلها من الشيء النفيس الذي تتعلق به النفوس طلبا ورغبة ، فينافس فيه كل من النفسين الأخرى ، وربما فرحت إذا شاركتها فيه كما كان أصحاب رسول الله يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه بل يحض بعضهم بعضا عليه مع تنافسهم فيه ، وهي نوع من المسابقة وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ

(١) آفات على الطريق ، السيد محمد نوح ص:٥١-٥٢.

ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الحديد: ٢١]، وكان عمر بن الخطاب يسابق أبا بكر رضي الله عنهما فلم يظفر بسبقه أبدا، فلما علم أنه قد استولى على الإمامة قال : (والله لا أسابقك إلى شيء أبدا)[1] ، وقال : (والله ما سبقته إلى خير إلا وجدته قد سبقني إليه) ،... والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة ليس فيها حرص على الخير ، فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ، ويفوز بها دونها وتتمنى أن لو فاته كسبها حتى يساويها في العدم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾[النساء: ٨٩]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩] ، فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو ، والمنافس مسابق النعمة متمن تمامها عليه وعلى من ينافسه ، فهو ينافس غيره أن يعلو عليه ، ويحب لحاقه به ، أو مجاوزته له في الفضل ، والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه في النقصان ، وأكثر النفوس الفاضلة الخيرة تنتفع بالمنافسة فمن جعل نصب عينيه شخصا من أهل الفضل والسبق فنافسه انتفع به كثيرا ، فإنه يتشبه به ويطلب اللحاق به والتقدم عليه وهذا لا نذمه ، ... فهذا حسد منافسة وغبطة يدل على علو همة صاحبه وكبر نفسه وطلبها للتشبه بأهل الفضل)[2] .

وقد بيَّن ابن القيِّم -رَحِمَهُ اللَّهُ- الفَرْقَ بين المُنافسة والحسد ، وحرِيٌّ بالدَّاعِية أن يكون على أعلى درجةٍ من الخُلُق مع صَحْبِه الدُّعاة يُحبُّ لهم الخَيْر ، ويَدْعُوهم له ، بل ويدعو لهم بالتَّوفيق ، مع شدَّة مُنافسته لهم ، ورغبته في سبقهم .

وإنَّها لِمن الخَوارِم المُسيئة أن يدَخُل الحسَد فيَحرِق تِلك الهِمم العَالية ، ويُبطِل تلك الأعمال النَّفِيسة ، فليحذر الدُّعاة من الشَّرَرِ المُبْطِل.

بعد التفصيل في معلم التنافس في الخيرات بين الدعاة إلى الله تعالى أنتقل إلى المعلم التالي وهو : التجديد كمعلم مهم بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى.

(١) سبق تخريجه ، ص:٦١.

(٢) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة،أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ ص:٢٥١.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَة: الْتَّجْدِيْد.

أَوَّلاً: تَعْرِيْفُ الْتَّجْدِيد:

أ- التَّجْدِيْد لُغَةً :

قيل: (تجدَّد الشيءُ: صار جديداً وأَجَدَّه وجَدَّده واسْتَجَدَّه. أَي : صَيَّرَهُ جديداً)[1] .

وقيل : (ركب جدَّةً من الأمر. أي : طريقة ورأى رأياً)[2] .

والمعنى الأقرب هنا هو الأول.

ب- التَّجديد اصطِلاحاً :

قيل : (هو محاولة بعث روح جديدة في شيءٍ أو عملٍ أو فنٍّ تحوّله إلى ما هو أفضل)[3] .

فالتَّجْدِيد كَمعلمٍ مِن معالم صُحبة الدُّعاة يعني: محاولة صحبة الدعاة المستمرة لبعث روح جديدة في دعوتهم ، وتحويلها إلى ما هو أفضل .

ثانياً: مِنْ صُوَرِ الْتَّجْدِيد في صُحْبَةِ الْدُّعاة :

١- تجديد الإيمان:

الدَّاعِيَة في سعيه في هذه الحياة ما بين كدٍّ وتعب ، يُجاهد ويناضل ، هو كغيره تسير عليه سنَّة الحياة ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد: ٤] ، وهو في كِفاحِه وجِهادِه وسيره في دروب الحياةِ المُختلفة ، إمَّا يطلب رِزقاً، أو يُرشد ضالاً ، أو يرد مُجادِلاً، أو يُعين مُحتاجاً ، وفي ثنايا سعيه يَخلقُ الإيمان في جوفِهِ – هذه هي طبيعة الإيمان يزيد وينقص- ، فيزداد حاجةً إلى تجديده والسَّعي لزيادته.

(١) لسان العرب ، ابن منظور (١٠٧/٣).

(٢) أساس البلاغة ، الزمخشري (٥٥/١).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد عمر ، عالم الكتب ط١ (٣٤٩/١).

ولابن القيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- كلامٌ قيِّمٌ في ذلك حيثُ يقول : (الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها؛ فإذا قطع عنها السقي أوشك أن تيبس ، فهكذا شجرة الإسلام في القلب إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح ، والعود بالتذكر على التفكر والتفكر على التذكر وإلا أوشك أن تيبس ... ، وبالجملة فالغرس إن لم يتعاهده صاحبه أوشك أن يهلك ، ومن هنا تعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات ، وعظيم رحمته وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده بأن وظفها عليها ، وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم ، ومنها: أن الغرس والزرع النافع قد أجرى الله سبحانه العادة أنه لا بد أن يخالطه دغل[1] ونبت غريب ليس من جنسه ، فإن تعاهده ربه ونقاه وقلعه كمل الغرس والزرع واستوى وتم نباته ، وكان أوفر لثمرته وأطيب وأزكى ، وإن تركه أوشك أن يغلب على الغرس والزرع ويكون الحكم له أو يضعف الأصل ، ويجعل الثمرة ذميمة ناقصة بحسب كثرته وقلته ، ومن لم يكن له فقه نفس في هذا ومعرفة به فإنه يفوته ربح كثير وهو لا يشعر ، فالمؤمن دائما سعيه في شيئين: سقي هذه الشجرة ، وتنقية ما حولها ؛ فبسقيها تبقى وتدوم ، وبتنقية ما حولها تكمل وتتم)[2] .

هُنا يأتي دور ذاك الجمعِ المُبارك جمع صَحب الدُّعاة ؛ فيتعاهدون بعضهم ، كل يسعى لتجديد إيمانه وإيمان صاحِبه ، فهم قد تواصوا فيما بينهم لِتطبيق حديث نبيّنا الكّريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ((إِنَّ الْإِيْمَانَ لَيَخْلَقُ فِيْ جَوْفِ أَحَدِكُم كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْب الْخَلِق فَاسْأَلُوا الله أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيْمَان فِيْ قُلُوْبِكُم))[3] .

يُجاهِدون في الله حقَّ جهاده ، واضعين نصب أعينهم موعود الكريم سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأَهلُ الهِداية الموعودين بها في الآية الكريمة هم : (الذين جاهدوا في اللّه ليصلوا إليه ويتصلوا به، الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا فلم ينكصوا و لم ييأسوا، الذين صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس ، الذين حملوا أعباءهم وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب ، أولئك لن يتركهم اللّه وحدهم ولن يضيع إيمانهم ، ولن ينسى جهادهم. إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم ، وسينظر إلى

(١) الدغل : اشتباك النبت والتفافه (جمهرة اللغة لابن دريد ٢/٦٧٠).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية (١/١٧٤-١٧٥).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:الإيمان ، رقم الحديث (٥) (١/٤٥) ، ورواه الطبراني في معجمه الكبير ، مسند عبدالله بن عمرو بن العاص ، رقم الحديث (١٤٦٦٨) (١٤/٦٩) ، قال الذهبي: (رواته ثقات) ، وصححه الألباني في سلسلته.

جهادهم إليه فيهديهم ، وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم ، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء)[1] .

وكأنّي بصُحبة الدُّعاة يتلون هذه الآية ، وقد فَقِهوا مغزاها، فينهضوا لينفضوا ما خالط إيمانهم من شوائب ، ويُجدّدوا ما خلق من إيمانهم ، ترى كل فردٍ منهم قد وثب واعِظاً ومُذكّراً لأصحابه ، كُلَّما مرَّت بِهم حادِثة فيها عِبرة، أو قصَّة فيها مغزى ، تسابقوا وتسارعوا ليتفقَّهوا ثمَّ يتسائلوا : ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾ ؟، لا يملّ أحدهم من ذاك التَّعهد ، ولا يكلّ من تلك الهمّة.

هذه هِي إحدى صور التَّجديد بين صُحبة الدُّعاة وأهمها ؛ إذ هي زادٌ لهم في طريقهم، فكُلَّما زاد الإيمان علت الهِمَّة ، وزاد الإخلاص ، وعظُم ترابُطهم واتِّحادهم لنُصرة دِين الله .

فعَلى صُحبة الدُّعاة أن يستثمروا الأوقات الفاضلة كرمضان والعشر الأواخِر منه ، والعشر الأُوَلِ من ذي الحِجَّة ، ليزدادوا إيماناً ، ويتعاهدوا إيمان بعضهم البعض، بل ويستغلّوا رحلاتهم الدَّعويّة ليتفكّروا في خلقِ الله ، ويتدبَّروا آيات الله ، ويتأمَّلوا في أحاديث المُصطفى ﷺ- ، كما لا يُفوِّتوا أيَّ لحظةٍ في رحلاتهم الإيمانيّة الجماعيّة كالحجّ والعُمرة إلا ويرفعوا بها أرصدة إيمانهم ، فيعودون وقد اطمأنت قلوبهم بالإيمان ، هكذا هي الرِفقة المُباركة، يزداد عطاؤها ، ويعظُم لله سخاؤها.

وبعد ذكر الصورة الأولى من صور التجديد بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى أنتقل إلى بيان الصورة الثانية وهي تجديد الدين.

٢- تجديد الدِّين[2] :

قدَّر الله -سبحانه وتعالى- لهذا الرسالة أن تكون خاتمة الرسالات ، ولنبيّنا محمد ﷺ- أن يختم به الأنبياء والمُرسلين ؛ ومع مرور الأيام على بِعثة نبيِّ هذه الأمَّة ﷺ- ، يُصِيب النَّاس من البعد عن دِينهم ،

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٥/٢٧٥٢).

(٢) للاستزادة: تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره ، محمد العلي ، كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع ، ط١.

التجديد في الفكر الإسلامي ، عدنان أمامة ، دار ابن الجوزي ، ط١.

تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره، محمد حسانين، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية، الدورة الثالثة، ط١.

والغفلة عن شرائعه، والإهمال لعلومه ، والجهل بما يُستجد عليهم من نوازِل ، ممَّا يُوجِب قيام من ينصحُ لهم ، ويُصلح ما فسد من دينهم.

ولقد بشَّر المُصطفى -ﷺ- ببَعثِ من يُجدِّدُ لهذه الأمَّة أمر دينها ، قَالَ النبي -ﷺ-: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »[1].

وتجديد الدِّين يعني : (إحياء ما اندرس أو ضعُف من أُصول الدِّين وفروعه ، قولاً وعملاً، وإعادته إلى حالته الصحيحة التي جاء بها الكِتاب والسُّنة ، وإزالة ما علق به في عقول النَّاس وأعمالهم من البدع والخرافات)[2].

(والمُجدِّد لَا يَكُون إِلَّا مَنْ كَانَ عَالِمًا بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّة وَمَعَ ذَلِكَ مَنْ كَانَ عَزْمه وَهِمَّته آنَاء اللَّيْل وَالنَّهَار إِحْيَاء السُّنَن وَنَشْرهَا، وَنَصْر صَاحِبهَا، وَإِمَاتَة الْبِدَع وَمُحْدَثَات الْأُمُور وَمَحْوهَا ، وَكَسْر أَهْلهَا بِاللِّسَانِ ، أَوْ تَصْنِيف الْكُتُب وَالتَّدْرِيس أَوْ غَيْر ذَلِكَ ، وَمَنْ لَا يَكُون كَذَلِكَ لَا يَكُون مُجَدِّدًا الْبَتَّة وَإِنْ كَانَ عَالِمًا بِالْعُلُومِ مَشْهُورًا بَيْن النَّاس، مَرْجِعًا لَهُمْ)[3].

(ولابد أن يكون ذا صلابة وقوة ، جريئاً في بيان الحقّ ، صادعاً بدعوته ، حريصاً على معالجة واقعه ، مُربياً للمسلمين على الجهاد ، حريصاً على إحيائه.

ولأنَّه ((يُبعث لهذه الأُمَّة)) فهو يُشغل وقته لخدمة الأمة بإيقاظها وردِّها إلى المنهج الصَّحيح)[4].

(فالتَّجديد ليس مجرَّد حديث عن الإسلام ، أو حديث يغلب عليه الطَّابع الفقهي، وليس إيماناً بعقيدة الإسلام وتشبثاً بتعاليمه ، بمنأى عن واقع الأمة ، ومعاناتها اليومية ومُستقبلها ، وما يُجابهها من تحديات ، وإنَّما إيمان يُصاحبه عمل صالح على الأرض لمصلحة الأمَّة ، وتحريك لهذا الواقع الراكد

---

(1) رواه أبو داوود في سننه ، كتاب: الملاحم ، باب: ما يُذكر في قرن المائة ، رقم الحديث (٤٢٩١) (١٠٩/٤)، ورواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:الفتن والملاحم ، حديث أبي عوانة ، رقم الحديث (٨٥٩٣) (٥٧٨/٤)، ورواه الطبراني في معجمه الأوسط ، كتاب: الميم ، باب:من اسمه محمد ، رقم الحديث (٦٥٢٧) (٣٢٣/٦)، وقال الألباني في سلسلته (صحيح).

(٢) تجديد الدين ، محمد العلي ، ص: ٤٦.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، شمس الحق العظيم آبادي ، المكتبة السلفية-المدينة المنورة ، ط٢ (١٣٥١/٩-١٣٥٢).

(٤) تجديد الدين ، محمد العلي ، ص:٦٥.

بميراث النُّبوة ، ومواجهة للتَّحدِّيات بالعقل المؤمن الواثق بأنَّ ﴿ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]) [(١)] .

التَّجديد شرفٌ يخُصّه الله من عباده من صَبر وجاهد في سبيل الدَّعوة إلى الله ، ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ ، والمُتأمِّل في حقيقة التّجديد وعمل المُجدّد يجد أنَّه يقومُ بعمل الدَّاعية البَصير بدِينه على أكمل وجه ، ومُطَبّقاً له على واقع الحياة.

والتَّجديد واجبٌ إن لم يقم به الدُّعاة فَمَن سيتصدَّر له؟.

إن لم يتفرغ الدُّعاة لتلك المهمة العظيمة سيتصدّر لها الجُهال والأشقِياء ، يبغون بذاك التّجديد الذي يدَّعون : تحريف الدِّين، والتَّلاعب بتعاليمه ، وغواية النَّاس ، والبغي على أهل العلم والدِّين.

ولعل الأمر يحتاج مزيد صبر ، وصحبة متواصية عليه ، ولا مجال للحزن وإن حصلت الغربة .

(إنَّ أهل الغربة الإسلاميَّة أُناس صالحون مصلحون رغم الفساد الكثير من حولهم إلا أنَّهم يعملون على إصلاحه وإزالته ، ويقومون بواجبهم غير مستسلمين ، ولا يظهر البؤس عليهم ، ولا يقبعون في بيوتهم بل يُخالطون النَّاس ، ويصبرون على أذاهم ، إنَّهم متشبثون بالدِّين ومدافعون عنه يتحدَّون العراقيل التي توضع في طريقهم) [(٢)] .

إنَّ من أجمل معالِم الصُّحبة بين الدُّعاة : تسابق الدُّعاة وتعاونهم لنصرة هذا الدِّين بتجديده تنقيةً له ممَّا شابه من خرافات الأزمان ، وإبرازاً لمحاسنه ومميّزاته ، وتنزيلاً له على واقِع الحياة ومستجدَّاتِها.

ولقد سار مُجدّدو الدعوة السَّابقون على نهجٍ قويم ، وصراطٍ مُستقيم ، يدفعون بعضهم لإصلاح ما فسد من عقائد النَّاس وأحوالهم الدِّينيّة ، لا يرجون ثواباً إلا من باريهم، وإن كان لا يظهر لنا إلا مُجدّد لكُل عصر لكنّه لم يبرُز أو يخرُج في الغالب إلَّا عن رِفقةٍ ناصِحة أعانته وأرشدته ، وإن رأته حاد قوَّمته ؛ فهذا عُمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ اللَّهُ- يتّخذ عشرةً من العلماء والفقهاء أهل مشورة له ، وهذا ابن حنبلٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يُسانده عبد الله بن مبارك وجمعٌ من الصَّالحين -رَحِمَهُمُ اللَّهُ-.

(١) تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره ، محمد حسانين ، ص:١٠٤.

(٢) تجديد الدين مفهومه ضوابطه وآثاره ، إيهاب حفظي ، ص:٣٦.

هذا هو دأبُ صُحبة الدُّعاة ، يتسابقون لنفي البِدع والمنكرات ، يُظهرون الدِّين الحقّ، ينشرونه ، يتعاونون على تجديده ، ثمّ لا يأبهون حينها أيّهم قيل عنه هو مُجدّد هذا العصر ، فهم متعاونون ومتشاركون ، بدفعهم له ، ومعونتهم إيّاه ، يُقاسمونه الأجر ، فلله درّها من صُحبة مُباركة !.

وبعد أن اتضحت أهمية تعاون الدعاة وتناصرهم لأجل تجديد الدين ، أنتقل إلى بيان الصورة الثالثة من صور التجديد وهي تنوع الوسائل والأساليب.

٣- تنوعُ الوسائل والأساليب:

إنَّ الدَّاعية في طريق دعوته يُقابل من النَّاس أصنافاً شتّى ، ويمر في دعوتهم بأحوالٍ مُختلفة ، لا تستوي دعوة فقيرهم مع غنيهم ، ولا شابهم مع كبيرهم ، أحدهم يرجو وعظاً وتذكيراً ، وآخر يحتاج زجراً وتحذيراً ، وفي جمع صُحبة الدُّعاة ترى تنبههم جليًّا لذلك ، فتراهم يُنوِّعون الأساليب ، ويُجدِّدون الوسائل ، لا يكلّون ولا يملون.

إنَّ صحب الدُّعاة يؤمنون أنَّ (سنة التغيير هذه نعمة كبرى من الله تعالى إذ إن دوام حالة واحدة لأي شيء يجعله مُمِلًّا، فيفقده قيمته وألقه، أي أنه يفقد صلاحيته المُثلى للحياة)[(١)] .

وإنَّهم ليعلمون يقيناً أنَّ (الأصل في الوسائل والأساليب التَّطور والتَّجدد ، تبعاً لتطور عادات الناس وأعرافهم ، ولتقدم العلوم والفنون... ، فإنَّ لكل عصرٍ أساليبه ووسائله في جميع نواحي الحياة ، وإنَّ هذه الوسائل المُعاصرة قد تشترك مع وسائل عصرٍ سابق، وقد تختلف عنها)[(٢)] .

لذا فمن صور التَّجديد لدى صحبة الدُّعاة : تنويع الوسائل والأساليب ؛ فلا يقتصرون على أسلوب أو وسيلة دون غيرها ، كُلَّما ظهرت وسيلة جديدة تدارسوها فيما بينهم ، فإن كانت داخلة في دائرة المشروع أو المُباح ، ولم تكن شعاراً للكفر[(٣)] ، تسارعوا إلى تفعيلها ، وتسخيرها لصالح الدَّعوة إلى الله.

(١) تجديد الوعي ، عبدالكريم بكار ، دار القلم-دمشق ١٤٢٦هـ ،ص:١٧٩.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة ، محمد أبو الفتح البيانوني ، مؤسسة الرسالة ط٣ ، ص:٣٤٠.

(٣) للاستزادة: المدخل إلى علم الدعوة ، البيانوني ، ص:٢٨٦.

فتظهر صُحبة الدُّعاة صُحبة فعَّالة ، يتناصحون ، ويتعاونون لسبق دُعاة الباطل ، ففي المواقع الإجتماعية لصحبتهم صدى ، وفي البرامج الواقعية لصحبتهم أجمل صورة ؛ مرَّة بالحكمة يُدلون، ومرَّة يعظون ، ومرَّة يُجادلون ، هكذا هم بصحبتهم إلى الخيرات يُسارعون، وللوسائل والأساليب يُنوِّعُون .

وبعد بيان تنوع الوسائل والأساليب كصورة من صور التجديد بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى تأتي الصورة التالية وهي الترويح المباح بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى.

٤- التَّرويح المُباح :

إنَّ الإسلام هو دين اليُسر والسُّهولة ، هو الدِّين الَّذي يُوافِقُ الفِطْرَة السَّلِيمة ويُلائمها، وقد جُعِلت هذه الدُّنيا دار ابتلاء واختبار ، على المُسلم أن ينهض فيها للإعداد لدارِ القرار، ومع عِظَم مسؤوليَّة المُسلِم إلَّا أَنَّ الإسلام يُراعي فِطْرته ؛ إذ الباري الذي خَلَقَه يعلم من عبده نشاطٌ يتبعه فُتُور ، ويعلم حبّه للمُلَحِ بعد الجد ، فدَعَا الإسلام بنيه للتَّرويح عنِ النَّفس لِتجديد الهمَّة ، ترويحاً لا يخرُج عن أُطُرِ المُباح.

وقد يغفل بعض من صِحبة الدعاة عن الترويح عن أَنفُسِهم بين الفِينةِ والأُخرى ، مُتناسين أنفسهم في خِضَمِّ دَعوتهم، ولكن من أبرز صور التَّجديد في الصَّحبة بين الدُّعاة : التَّرويح المُباح .

ولا يغيب عن الدَّاعِية النصوص التي وردت في سُنَّة المُصطفى ﷺ- تدل جُملةً أو تفْصِيلاً على أَهمِّيَّة التَّرويح بين فترةٍ وأُخرى ، فيستنُّ جمعُ الصِّحاب بِسُنَّة نبيهم ﷺ- يُرَوِّحُون عن أَنفسهم فيما أحلَّ الله غير مُقَصِّرين في عباداتهم ، ومُتذاكِرين بينهم أن البَارِي هو خالقكم ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

(ولقد كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ -ﷺ- يَتَبَادَحُونَ [١] بِالْبِطِّيخِ ، فَإِذَا كَانَتِ الْحَقَائِقُ كَانُوا هُمُ الرِّجَالَ) [٢] .

(١)البدح :ضَرْبُكَ الشَّيء بِشَيْءٍ فِيهِ رَخَاوَةٌ (مقاييس اللغة لابن فارس ٢١٥/١).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ، باب:المزاح ، رقم الحديث (٢٦٦) (١٠٢/١) ، وقال الألباني في سلسلته (صحيح).

هذا هو التَّوازُن الَّذي يجب أن يكون عليه المُسلِم فضلاً عن الدَّاعية يُرَوِّح عن روحِه ليتقوى على عبادة ربه حقَّ العِبادة مُمْتثلاً أمر باريه سُبحانه حيث **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص:٧٧].

بل إنَّه من سُمُوِّ هذا الدِين وسماحته أنَّ الله -ﷻ- يُجازي المُسلم على ترويحه إن احتسب فيه الخير ، ولقد كان صاحِب المُصطفى -ﷺ- وحبيبه ، وأعلم أمَّته بالحلال والحَرام مُعاذ بن جبل -رضي الله عنه- يصِفُ حال عِبادته حيثُ يقول :(أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنْ النَّوْمِ فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي)[(١)].

ولابن القيِّم -رحمه الله- كلامٌ قَيِّمٌ حريٌ بجمعِ الدُّعاة أن يَضعوه نصب أعينهم يَصِف فيه حال المُحِبّ الصَّادق حيث قال: (وعمارة الوقت : الاشتغال في جميع آنائه بما يقرب إلى الله، أو يعين على ذلك من مأكل أو مشرب أو منكح أو منام أو راحة ، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتجنب ما يسخطه كانت من عمارة الوقت ، وإن كان له فيها أتم لذة فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات ، فالمحب الصادق ربما كان سيره القلبي في حال أكله وشربه وجماع أهله وراحته أقوى من سيره البدني في بعض الأحيان... ولهذا سبب صحيح وهو : اجتماع قوى النفس وعدم التفاتها حينئذ إلى شيء مع ما يحصل لها من السرور والفرح والسرور ، يذكر بالسرور واللذة تذكر باللذة فتنهض الروح من تلك الفرحة واللذة إلى ما لا نسبة بينها وبينها بتلك الجمعية والقوة والنشاط ، وقطع أسباب الالتفات فيورثه ذلك حالا عجيبة)[(٢)].

فلعلَّ فترة ترويحٍ بين صُحبة الدُّعاة تَرقى بإيمانهم أعلى المَراتِب ، ولا يَخفى على ذي لُبٍّ ما للترويح من عوائد نافعة ؛ فيه تتقارب الأرواح وتتآلف ، وفيه كشفٌ لمعادِن النُّفوس وحقيقتها ، وفيه اكتِسابٌ للمهارات ، وتنشيطٌ للخبرات.

وقد مَرَّ النَّبِيُّ -ﷺ- عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ [(٣)] ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ)) قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: المغازي ، باب: بَعْثُ أَبِي مُوسَى وَمُعَاذٍ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، رقم الحديث (٤٣٤١) (١٦١/٥).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي-بيروت ، ط٢ (١٧/٢-١٨).

(٣)نضل: باراهُ فِي الرَّمْي (لسان العرب لابن منظور ٦٦٥/١١).

ﷺ-: ((مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ)) قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: ((ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ)) [1].

وعن الشَّاب الصَّالِح عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ [2] -رضي الله عنه-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي أُضْمِرَتْ [3] مِنْ الْحَفْيَاءِ [4] وَأَمَدُهَا ثَنِيَّةُ الْوَدَاعِ [5] ، وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ مِنْ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ [6][7]، وكان ممَّن شارك في هذا السِّباق صاحِبُ القِيام والعِبادة عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رضي الله عنه-.

قال ابن حجرٍ [8] -رحمه الله- : (في الحديث مشروعية المسابقة ، وأنه ليس من العبث بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى تحصيل المقاصد في الغزو والانتفاع بها عند الحاجة ، وهي دائرة بين الاستحباب والإباحة بحسب الباعث على ذلك) [9].

وهكذا يتبين كيف كان -ﷺ- يُشارك صحبه سباقهم ، ويُشجِّعهم ، وهو يحمِل في صدرهِ همَّ هذا الدِّين ، لم يمنعه ذلك من أن يُشاركهم ترويحهم ، بل إنَّ المُصطفى -ﷺ- كان يُسابق أَصحابه

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الجهاد والسير ، باب: التحريض على الرمي ، رقم الحديث (٢٨٩٩) (٣٨/٤).

(٢)عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بنِ نُفَيْلٍ العَدَوِيُّ ، أَسْلَمَ وَهُوَ صَغِيْرٌ، ثُمَّ هَاجَرَ مَعَ أَبِيْهِ لَمْ يَحْتَلِمْ، وَاسْتُصْغِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَوَّلُ غَزَوَاتِهِ الخَنْدَقُ، وَهُوَ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.وَأُمُّهُ وَأُمُّ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ حَفْصَةَ: زَيْنَبُ بِنْتُ مَظْعُوْنٍ؛ أُخْتُ عُثْمَانَ بنِ مَظْعُوْنٍ الجُمَحِيِّ.رَوَى: عِلْماً كَثِيْراً نَافِعاً عَنِ: النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (سير أعلا النبلاء للذهبي ٢٠٣/٣-٢٠٤).

(٣)مِنْ أَضْمَرْت الشَّيْءَ إذا غَيَّبْتَه (لسان العرب لابن منظور ٤٩٣/٤).

(٤)هُوَ مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَميال (لسان العرب لابن منظور ١٨٩/١٤).

(٥)وهي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة (معجم البلدان للحموي ٨٦/٢).

(٦)بَيْنَ الثَّنِيَّةَ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ مِيلٌ (شرح صحيح البخاري لابن بطال ٧١/٥).

(٧) رواه البُخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: هل يقال مسجد بني فلان؟، رقم الحديث(٤٣٠)(٩١/١).

(٨) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاويّ: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) (الأعلام للزركلي ١٧٨/١).

(٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار المعرفة-بيروت ١٣٧٩ (٧٢/٦).

وأهل بيته ويُنافِسهم ، وممَّا ثبت عَنْ عَائِشَةَ [1] -رضي الله عنها- قَالَتْ : سَابَقَنِي النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَسَبَقْتُهُ، فَلَبِثْنَا حَتَّى إِذَا رَهِقَنِي اللَّحْمُ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي، فَقَالَ:((هَذِهِ بِتِيكِ)) [2] .

وهكذا هم جمعُ الدُّعاة ترى السَّماحة ظاهرةً على مُحيَّاهم وفعالهم ، برغم ثقل تكاليفهم إلا أنَّهم يؤانِسُون بعضهم ، يُروِّحون بين الوقت والآخر ، يُضِيفون لمواعظهم المُلَح، هم كذلك يأنسون ويؤنسون ، يظهر للعالم أجمع معالِم تِلك الصُّحبة السَّاميَة ، وقد فاح عبير بعض تِلك البرامج التَّرفيهية أو الواقِعيَّة التي شارك فيها جمعٌ من صَحْب الدُّعاة ، فأصبح صيتها واسِعاً، الكُل يبدي تعجُّبه كيف لأولئك الجَّمع الرَّبَّانيِّن أن يلعبوا ويمرحوا ويتفاكهوا فيما بينهم ، ثمَّ تتشوَّق تلك النُّفوس لصُحبة مثل أولئك حقَّاً إنَّهم الصحب المُبارك .

وبعد أن فصَّلت في صور التجديد بين الدعاة إلى الله تعالى أشرع في ذكر بعض فوائده.

ثَالِثاً: فَوَائِدُ الْتَجْدِيد:

وللتجديد فوائد عدَّة ، منها:

- معالجة الفُتور بين صُحبة الدُّعاة ، والقضاء على التَّكاسل والتَّراخي ، وإشعال جذوة الحماس بينهم .
- جعل صُحبة الدُّعاة قويَّة مُتماسكة ، فكُلَّما زادت إيمانيات أفراد تلك الصُّحبة كلَّما عظُم ترابطهم وتعاضدهم وبالتَّالي تعاونهم لنُصرة الدَّعوة إلى الله.
- قيام صحبة الدُّعاة بواجب التَّجديد في الدِّين يوقف محاولات الحاقدين ، ويُضعف كيد الماكرين ، ضدَّ هذا الدِّين ، الباغين تبديل شرائعه ، وتغيير أحكامه ، وأنَّى لهم ذلك ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

(١)عَائِشَةُ بِنْتُ الصِّدِّيْقِ أَبِي بَكْرٍ التَّيْمِيَّةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِيْنَ ، زَوجَةُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَفْقَهُ نسَاءِ الأُمَّةِ عَلَى الإِطْلاَقِ ، هَاجَرَ بِعَائِشَةَ أَبَوَاهَا، وَتَزَوَّجَهَا نَبِيُّ اللهِ قَبْلَ مُهَاجَرِهِ بَعْدَ وَفَاةِ الصِّدِّيْقَةِ خَدِيْجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِبِضْعَةَ عَشَرَ شَهْراً (سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده ، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة ك، رقم الحديث (٢٤١١٨) (١٤٤/٤٠) ، ورواه النسائي في سننه ، كتاب:عشرة النساء ، باب:مسابقة الرجل زوجته ، رقم الحديث (٨٨٩٣) (١٧٧/٨) ، قال الألباني في سلسلته (صحيح) ، وقال الأرنؤوط:(إسناده صحيح على شرط الشيخين)..

- تحسين مهارات جمع الدُّعاة ، واستثارة هممهم ، واستثمار قدراتهم تيقنهم بأَنَّ (اصطدام الآراء ، ليس كارثة، وإنَّما هو فرصة لإثارة الفكر الذَّكي، وفرصة للبحث والتَّمحيص والمُراجعة ، وستكون النَّتائج -بإذن الله- باهرة ، إذا استطعوا استخراج خلاصات من خلافاتهم ومناقشاتهم وجعلها أساساً لمشروعات عمليَّة منتجة)[1] .

رَابعاً: مَحاذِير في التَّجديد:

- الحذر من التَّقليد للأمم الغابرة ، أو للشعوب الكافرة بل يجب على صُحبة الدُّعاة اقتفاء أثر المُرسلين -ﷺ- ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

- (الواجب في التَّجديد أن يتحرَّر من التَّعصب للأشخاص والمذاهب والطَّوائف والجماعات ... أي : ينبع من وحي قناعة شخصية مبنية على أدلة معتبرة ومؤصَّلة ، وإلَّا فإنَّه يكون عبارة عن إضافة مريضة لتجذير حالة مرضيَّة ، تعاني منها الأمَّة منذ أمدٍ بعيد)[2] .

- يجب على صُحبة الدُّعاة التَّنبُّه (ألَّا يؤدِّي [التَّجديد] إلى تعادي الجَّماعة ، وتناحر الأُمَّة ، وتفرُّق كلمتها ، وليست المعادلة صعبة كما قد يُتوهم ؛ إذ إن أكثر ما يؤجج نار الشِّقاق والخلاف بين المُسلمين ، ليس الاجتهاد في القضايا العمليَّة ، وإنَّما في المسائل العلمية والعقليَّة المُجرَّدة)[3] .

- التَّنويع الغير متَّزن في الوسائل والأساليب الدَّعوية ، يُضعف من نتاج صُحبة الدُّعاة ، ورُبَّما يضرها أعظم ممَّا ينفعها ، فيجب أن يكون التَّنويع مُتَّزنا وفق دراسة مُتأنّية حتَّى تكون المُخرجات سليمة.

- ألَّا يكون التَّرويح سمة غالبة لصُحبة الدُّعاة ، وألا يكون التَّفكُّه والضَّحك غالب حديثهم ، إذ بذلك تسقط هيبتهم، وتضعف ثمار صحبتهم .

وبعد التفصيل في معلم التجديد بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى أنتقل إلى المعلم التالي وهو التناصر بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى.

(١) تجديد الوعي ، عبد الكريم بكار ،ص: ١٧٥.

(٢) المرجع السابق ، ص:١٧٤.

(٣) المرجع السابق ، ص:١٧٢-١٧٣.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَة: الْتَّناصُر.

أوَّلاً : تَعْرِيْف الْتَّناصُر:

أ- التَّنَاصُر لُغَةً:

قال ابن فارس-رَحِمَهُ اللَّهُ-: (النون والصاد والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على إتيان خَيرٍ وإيتائه)[1].

ب- التَّناصُر اصْطِلاحاً:

(تناصر المسلمين يراد به: أن يقدّم كلّ منهم العون لأخيه ليدفع عنه الظّلم إن كان مظلوما ويردّه عن ظلمه إن كان ظالما)[2].

فالتَّناصُر كَمَعْلَمٍ من معالِمِ الْصُحْبَةِ بين الدُّعاة يعني : تسابق الدُّعاة لعون بعضهم البعض بردِّ الشُّبه الظَّالمة عن بعضهم ، وإغاثة مظلومهم ، وردِّ ظالمهم ، والدُّعاء لبعضهم البعض في كل وقتٍ وحين .

ثانياً: التَّناصر من مَعالِمِ الصُّحبة بين الدُّعاة :

طريق الدَّعوة إلى الله طريقٌ شائكٌ طويل ، فيه الكثير من العقبات ، يُخشى على السائر المُنفرد فيه ، ولقد وجَّه الباري نبيَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى لزوم مجالس أهل البر والخير، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾** [الكهف: ٢٨].

أي : (لا تمل ولا تستعجل «مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» فاللّه غايتهم ، يتجهون إليه بالغداة والعشي ، لا يتحولون عنه ، ولا يبتغون إلا رضاه ، وما يبتغونه أجل وأعلى من كل ما يبتغيه طلاب الحياة.

اصبر نفسك مع هؤلاء، صاحبهم وجالسهم وعلمهم ، ففيهم الخير ، وعلى مثلهم تقوم الدعوات.

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (٥/٤٣٥).

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٤/١٢٣١).

فالدَّعوات لا تقوم على من يعتنقوها لأنها غالبة ، ولا من يعتنقوها ليقودوا بها الأتباع، ولا من يعتنقوها ليحققوا بها الأطماع ، وليتجروا بها في سوق الدعوات تشترى منهم وتباع، إنما تقوم الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى اللّه خالصة له ، لا تبغي جاها ولا متاعا ولا انتفاعا ، إنما تبتغي وجهه وترجو رضاه)[1] .

فأن يلتفَّ الدُّعاة بعضهم حول بعض ، مُتحابين متواصلين في الرَّخاء ، متعاضدين في الشِّدة، ناصرين لمظلومهم ، رادعين وناصحين لظالمهم ، رادِّين وداحضين للشُبَه التي تُثار عن أحدهم ، فذاك نفعٌ عظيم ، وخيرٌ عميم .

(فحين يقع الدَّاعية في شدّة ، أو يحتاج إلى معونة ، فإنَّه يأمل في مساعدة رفاق الطَّريق الطَّويل ومناصحتهم وتسديدهم ... ولا ريب أنَّ بعض عذابات الطريق شيء لا بد منه ، وحين يتعرَّض لها الدَّاعية يكون بحاجة إلى من يُصبِّره ويُثبته ، كما أنَّ جزءاً من الآلام يحل بالدُّعاة بسبب أخطائهم وسوء تقديرهم للأمور ، وهم آنذاك بحاجة إلى من يُسدّدهم ، ويُبصرهم بعواقب الاجتهادات الخاطئة ، وإنَّ كثيراً من الكوارث التي أصابت الدَّعوة والدُّعاة كان من الممكن [تلافيها][2] لو أَنَّ العارفين منَّا بالموقف الصَّحيح نهضوا لمناصحة إخوانهم وثنيهم عن اندفاعهم نحو حرق المراحل ، أو القفز في الهواء ، أو سوء التَّقدير)[3] .

إن تعاضد الدُّعاة وتعاونهم لنُصرة بعضهم إذا ما حلَّت الشَّدائد ، فذلك من أبرز معالم صحبتهم ، ولتلك النُّصرة صورٌ عدَّة.

وبعد بيان مجمل لمعلم التناصر بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى أنتقل إلى شيء من التفصيل في أهم صور هذا المعلم.

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٤/ ٢٢٦٨).

(٢) جاءت في الكتاب [تلافيه].

(٣) مقدمات النهوض بالعمل الدعوي ، عبد الكريم بكار ، ص:٢٠١.

ثانياً : من صُوَرِ التَّناصُر بين الدُّعاة:

١. رَدُّ الشُّبه :

أعلى الإسلام قدر المؤمن ، وكرَّم مترلته ، وَدَعا إلى حفظ عِرضه مِن كُلّ ما يشوبه ، فحرَّم القذف بل وجعل لصاحبه عُقوبة رادِعة "جلدٌ وتشهير"، وحرَّم الغيبة والنَّميمة، وحث المؤمنين إلى دفعها ، ومن دافعها نال الخير العظيم ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: ((مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ))[(١)] .

يُكافئ الإسلام بنيه على صِيانة سُمعة الأخ في الغيبة ، حتَّى لا تُنتهك الحُرُمات ، وتكثُر السقطات .

بل وينهى عن تداول الأحاديث بلا نفع ، وتنقُّل الأخبار بلا تبصُّر ، فعَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ الْبَنَاتِ وَمَنْعًا وَهَاتِ وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ »[(٢)] .

إنَّ مصلحة الدَّعوة قد توجب ترك بعض الواجبات حفاظاً على الدَّعوة ، ودرءاً للمفاسد ، وقطعاً لطريق القيل والقال ، وسدّاً لباب الشُّبه حتَّى لا تُثار ، فهذا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ يقول: وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَيَبْلُغُ قَوْلَه النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فيقوم عُمَرُ -رضي الله عنه- قائلاً: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: ((دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ))[(٣)] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، مسند القبائل ، بقية حديث أبي الدرداء ، رقم الحديث (٢٧٥٤٣) (٥٢٨/٤٥) ، ورواه الترمذي في سننه ، كتاب: البر والصلة عن رسول الله ج ، باب:ما جاء في الذب عن عرض المسلم ، رقم الحديث (١٩٣١) (٣٢٧/٤) ، وقال : (هذا حديث حسن) ، ورواه البيهقي في شعبه ، كتاب:التعاون على البر والتقوى ، رقم الحديث (٧٢٢٩) (١٠١/١٠) ، وقال الألباني في سلسلته (صحيح).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:في الاستقراض وأداء الديون...، باب: ما ينهى عن إضاعة المال ، رقم الحديث (٢٤٠٨) (١٢٠/٣) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الأقضية ، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ، رقم الحديث (٥٩٣) (١٣٤١/٣) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: تفسير القرآن ، باب: قول الله ـــ: ((سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم)) ، رقم الحديث (٤٩٠٥) (١٥٤/٦)، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب: البر والصلة والآداب ، باب: نصر الأخ ظالما أو مظلوما ، رقم الحديث (٢٥٨٤) (١٩٩٨/٤).

قال ابن حجر -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (كان النبي -ﷺ- في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك لمصلحة الاستئلاف وعدم التنفير عنه)[1] .

إن الواجب على الدُّعاة أن يصونوا أنفسهم عن الشُّبه ، وأن يقطعوا سُبُلها والطُرق الموصلة إليها ، حتَّى تبقى سمعتهم ناصعة ، ولا تشوبها شائبة ، ورسول الله -ﷺ- يُعلّم معاشر الدُّعاة ذلك ، فَعَن عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ [2] -رضي الله عنهما- أَنَّ صَفِيَّةَ [3] زَوْجَ النَّبِيِّ -ﷺ- أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ ، فَقَامَ النَّبِيُّ -ﷺ- مَعَهَا يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها- مَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ -ﷺ-، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ -ﷺ-: ((عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ)).فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا .فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا))[4] .

لقد قطع النَّبي -ﷺ- طرق الريبة والشك ، وقوله -ﷺ- كان لِصَحبٍ مُزَكّون من فوق سبع سموات رضي عنهم باريهم وأرضاهم .

إنَّه لمن باب أولى أن يلتزم صحب الدُّعاة بذات المنهج الذي رسمه له نبيهم -ﷺ-، خاصة ونحن في زمن تكاثرت فيه الفتن ، وضعفت النُّفوس ، وتسلَّطت الأهواء.

فيتميز صحب الدُّعاة الأخيار بسيَرٍ تفوح عِطْراً ، يسدّون أبواب الفِتن ، ويُغلقون مداخل القلاقل، ثمَّ مع ذلك لا يتوانون عن الدِّفاع عن صاحِبهم الذي ظُلِم ونُسبت إليه بعض الشُبهات، ينطلقون إلى أخيهم متثبتين ومثبّتين ، ثمَّ يسعون بجهدهم داحضين للباطل الذي لفه بأقلامهم وألسنتهم وبكل قدراتهم.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (٨/٣٣٦).

(٢)عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ ابْنِ الإِمَامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ الهَاشِمِيُّ ،وُلِدَ فِي: سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلاَثِيْنَ ظَنّاً. وَكَانَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ ثِقَةً، مَأْمُوْناً، كَثِيْرَ الحَدِيْثِ، عَالِياً، رَفِيْعاً، وَرِعاً. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٣٨٦-٣٨٧).

(٣)صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ بنِ سَعْيَةَ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ ، وَكَانَتْ شَرِيْفَةً، عَاقِلَةً، ذَاتَ حَسَبٍ، وَجَمَالٍ، وَدِيْنٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -.وَكَانَتْ صَفِيَّةُ ذَاتَ حِلْمٍ، وَوَقَارٍ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٢٣١-٢٣٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الاعتكاف ، باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ، رقم الحديث (٢٠٣٥) (٣/٤٩) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:السلام ، باب:أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة...، رقم الحديث (٢١٧٥) (٤/١٧١٢).

إن صحبة الدُّعاة المُباركة تعلم يقيناً ما للشبهات من ضرر عليهم وعلى دعوتهم ، لذا تراهم يُجاهدون في دحضها ، كالجسد الواحد ما إن اشتكى عضو منهم إلا تَدَاعو دَاعِين وناصِرين ومُثبِّتين.

وبعد ايضاح الصورة الأولى من صور التناصر بين الدعاة إلى الله تعالى ، وبيان أدلتها ، أنتقل إلى الصورة الثانية وهي نصرة المظلوم.

٢. نُصرة المَظلوم :

جاء المصطفى ﷺ- إمام الدُّعاة بدعوة الحق ، دعوة الرَّحمة والإحسان ، فهو ﷺ- الرَّحمة المُهداة الذي سعُدت به هذه الأمَّة ، وَبه رُحِمَت ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩] ، وكان ﷺ- يُوجِّهُ أمَّته لنُصرة من ظُلِم منهم ، بل ويأمرهم بذلك ، فقد ثبت في الحديث : أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَإِجَابَةِ الدَّاعِي وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ...)) (١) .

فأصبحت نُصرة المَظلوم باب لِتسابق أهل الإيمان ، كلٌ يتقرَّب إلى الله بنُصرة أخيه ، ودفع الظُلم عنه ، وغدا مُجتمع أهل الإيمان مُجتمعاً يُضرب به الأمثال ، كل فرد يتشوَّف لأن يحيا بينهم ، لكن كُلَّما ضعف تماسك المؤمنين بدستور ربهم ، والمنهج الذي رسمه له باريهم ، كلَّما خارت قواهم ، وتفكَّكت روابطهم ، وزاد هوانهم.

(وإذا ما وقع تظالم بين المسلمين ، أو وقع ظلم من أحدهما على الآخر ، فإنَّ وقعه يكون أليما جدا ، لأنَّه صدر ممن لا يُتصور صدوره عنه ، وكأنه صدر عن الإنسان ذاته، فهو الظالم والمظلوم ، أو القتيل القاتل ، لأنَّ أثر هذا الظلم متعد على النفس وعلى الآخرين) (٢) .

إنَّ المؤمنين بنيان واحد إذا ما ظهر الظلم من فرد منهم إلى آخر تسارعوا إلى نُصرة المظلوم ، ونادوا بحقوقه ، كذلك هم سائرون على ما شرع لهم باريهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الجنائز ، باب:الأمر باتباع الجنائز ، رقم الحديث (١٢٣٩) (٢/٧١) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب: اللباس والزينة ، باب:تحريم استعمال إناء الذهب والفضة...، رقم الحديث (٢٠٦٦) (٣/١٦٣٥).

(٢) معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها ، محمود بابلي ، إدارة الصحافة والنشر-مكة المكرمة ، ص:٦٤.

﴿بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات: ٩– ١٠].

ورسول الله –ﷺ– برغم مشاغله وارتباطاته ، فهو قائد للأمَّة جمعاء إلا أنَّه يبلغه خِصَامٌ بين قوم ، فيوكل أبا بكرٍ بمهمّة الإمامة ، وينطلق إلى أولئك المُتخاصمين مُصلحاً وناصراً، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ –رضي الله عنه– قَالَ: كَانَ قِتَالٌ بَيْنَ بَنِى عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَ –ﷺ– ، فَأَتَاهُمْ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ بَعْدَ الظُّهْرِ ، فَقَالَ لِبِلاَلٍ : ((إِنْ حَضَرَتْ صَلاَةُ الْعَصْرِ وَلَمْ آتِكَ فَمُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ)) [(١)] .

فرسول الله –ﷺ– يأبى أن يُظلم مُسلم في حضرته ، لذا نهض وسارع للإصلاح ، حتى غدا أبناء ذلك الجيل ، دُعاة مُتحابين مُتصافين ، لا يُهملُ ضعيفهم ، ولا يُترك مظلومهم، جيلٌ تربّى على الإيجابية والنّهوض ، تلك هي حقيقة الإيمان إذا استقرّت في قلوب صُحبة الدُّعاة ، يشعرون أنَّ جمعهم جسدٌ واحد ، لا وجود لتلك العنصرية البغيضة ، أو الطَّبقيَّة الممقوتة ، وإنما أيّ فردٍ منهم ظُلم ، أصابته ضراء ، أيًّا كان في شرق المعمورة أم في غربها نهضوا وسارعوا لنصرته .

إنَّ هذه الحقيقة هي التي تجلَّت في عهد سلف الأمة الأول –رضي الله عنهم– ، فما الذي أنهض أبا بكرٍ –رضي الله عنه– ليَعتق رقبة أخيه الحبشي بلال –رضي الله عنه– ؟!.

وما الذي أيقظ الغيرة في نفس المُعتصم –رحمه الله– لاستغاثة امرأة؟!.

إنَّ هذه الدَّعوة تُربّي أفرادها على التَّماسك والتَّكاتف والتَّعاضد ، فأي وجود لتلك الصُّحبة ، وأحدهم لا يكترث لوقوع أخيه في ضر ؟! أيُّ صحبةٍ تلك إن لم ينصر الأخ أخاه وقتما تقع عليه الضرَّاء ؟!.

وبعد بيان الصورة الثانية من صور التناصر بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى أنتقل إلى الصورة الثالثة .

٣. رَدْعُ الظَّالِم ونُصحُ الضَّال :

الدَّعوة الإسلاميَّة حثَّت بنيها –كما سبق ذكره– على نصرة المظلوم وإعانته ، وهذا لا يخفى ويظهر جليًّا كسمة لتلك الصُّحبة في مُسارعتهم لنصرة أخيهم إذا ظُلِم.

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الأحكام ، باب:الإمام ياتي قوما فيصلح بينهم ، رقم الحديث (٧١٩٠) (٧٤/٩).

لكن ممَّا يغيب عن أذهان صُحبة الدُّعاة أحياناً نُصرة الظَّالم ، فإذا ما وقع أحدهم في ظُلم تقاعس البعض عن نصرته وتوجيهه ، وهو في تلك الحال أحوج إليهم من كونه مظلوماً، إنَّه أحوج إلى نُصحهم وتوجيههم وإرشادهم ، لأنَّه قد يكون مُجتهداً ظنّ أنَّه مُصِيب ، أو يكون قد غفل عن ظُلمه وضلاله .

إنَّ النبي -ﷺ- يُوجِّه أمَّته ، ويُبين لهم حقيقة تلك النُّصرة ، فعَنْ أَنَسٍ [1] -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: ((انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا)) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: ((تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ)) [2] .

فابتدأ النَّبيُّ -ﷺ- أمره بنصرة الظَّالم ، ممَّا أثار تساؤلات ذلك الصَّحب المُبارك -رضي الله عنهم- فتسائلوا: (أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ)؟!

ومعناه : (أن الظالم مظلوم في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسا ومعنى ، فلو رأى إنسانا يريد أن يُجبّ نفسه لظنه أن ذلك يزيل مفسدة طلبه الزنا مثلا منعه من ذلك ، وكان ذلك نصرا له واتحد في هذه الصورة الظالم والمظلوم) [3] .

لقد كان المُصطفى -ﷺ- يُحذّر من الظُلم، ويردعُ الظَّالم من صحابته بكلمات توقظه من غفلته ، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ [4] قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَمًا لِي ، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا:((اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ)). فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ النبي-ﷺ- فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ. فَقَالَ: ((أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ)) [5] .

---

(١)أَنَسُ بنُ مَالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ ضَمْضَمٍ الأَنْصَارِيُّ ، خَادِمُ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَرَابَتُهُ مِنَ النِّسَاءِ، وَتِلْمِيذُهُ، وَتَبَعُهُ، وَآخِرُ أَصْحَابِهِ مَوْتاً. رَوَى عَنِ: النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِلْماً جَمّاً (سير أعلام النبلاء للذهبي ٣/٣٩٥-٣٩٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الإكراه ، باب: يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل ، رقم الحديث (٦٩٥٢) (٩/٢٢).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (٥/٩٨).

(٤)أَبو مَسْعُوْدٍ البَدْرِيُّ عُقْبَةُ بنُ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبَةَ ،وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ، وَكَانَ شَابّاً مِنْ أَقْرَانِ جَابِرٍ فِي السِّنِّ. مَاتَ بِالمَدِيْنَةِ، فِي خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٤٩٣-٤٩٦).

(٥) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الأيمان ، باب: صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده ، رقم الحديث (١٦٥٩) (٣/١٢٨١).

(وإنَّ التَّناصر لا يقتصر... على إنقاذ الإنسان من عدوه الطبيعي، وإنَّما يشمل نصر الإنسان من ذاته من أن يُسيء إلى نفسه) [1].

إنَّ صحبة الدُّعاة تُلزم كلّ عضوٌ من تلك الجماعة أن يكونوا على قلب رجلٍ واحد، فإذا زاغ أخ لهم تسابقوا لتقويمه ، وإذا جار أحدهم تواصوا لإصلاحه ، والأخذ بيده إلى الخَير والفلاح ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١ – ٣].

فتجد صُحبة الدُّعاة صحبة إيجابية ، تأخذ بيد مَنْ ظَلَم منهم برِفق ، تنصحه ، ثمَّ تُوجّهه، ثم تدله على الخير وتؤيّده عليه ، يخشى جمع صُحبة الدُّعاة على سفينتهم من الغرق ومن الهلاك ، يرجُون فوزهم جميعاً برضوان الله ، ووصول سفينتهم إلى أعالي الجنان ، بل إلى منابر من نور يغبطهم عليها الأنبياء والشُّهداء ، امتثلوا أمر نبيهم وما فرَّطوا فيه ، فَعن النَّبِيِّ -ﷺ- : ((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)) [2].

ولقد كان لسلف هذه الأمة سبقٌ في هذا الباب ؛ وسيرتهم ملأى بذلك ، ثمَّ تبعهم الدُّعاة النَّاصحون ، هذا العلامة ابن باز [3] -رَحِمَهُ اللهُ- يطَّلع على مجلة إسلامية فيذهل لوجود بعض الأفكار الخاطئة ، فيُراسل رئيس تحريرها برأفة ورحمة ناصحاً ، وكان من قوله : (استغربت صدور هذا الكلام، ونشره في مجلتكم الغراء الحافلة بالمقالات العلمية والأدبية النافعة ... عصمني الله وإياكم وسائر إخواننا من أسباب الضلال والإضلال، وجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين) [4].

وبعد ايضاح الصورة الثالثة من صور التناصر بين الدعاة إلى الله تعالى أنتقل إلى بيان الصورة الرابعة.

---

(١) معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها ، محمود بابلي ، إدارة الصحافة والنشر-مكة المكرمة ، ص:٦٥-٦٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيها؟ ، رقم الحديث (٢٤٩٣) (١٣٩/٣).

(٣) عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز (١٣٣٠-١٤١٩) : أبو عبد الله ، الإمام الصالح الورع ، أحد الثلة المتقدمين بالعلم الشرعي ، كان إماما لأهل السنة والجماعة ، كان رئيسا للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية (الآراء التربوية عند الإمام ابن باز ص:٢٠-٩٣-١٢٣).

(٤) الصداقة بين العلماء ، محمد الحمد

٤. الدُّعاء :

إنَّ صُحبة الدُّعاة صُحبة فريدة من نوعها ، تُحقّق معنى الوحدة في صورة لا يعرفها الجُهال ، وتُنمّي الحُبّ بطريقة لم يألفها العُشاق ، إنّها كيانٌ واحد ، يتّسم بالنُصرة في أسمى معانيها ، فلا يرضى لفرده أن يَظلِم أو يُظلم ، صُحبة عادلة ، تأخذ بكل فردٍ منها إلى برّ الأمان متنادية : أن يا أُخيَّ ﴿ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾ [هود: ٤٢].

تِلك الصُحبة لا تعرف للرّياء طريقها ، بإخلاص وصدق تنفرد ، صُحبة صدقت في رباطها لله وفي الله ، ولأجل نُصرة دين الله ، لذلك ترى كل فردٍ منهم مُهتم بأمر أخيه ، يدعو له في الظّلمات ، كُلّما ألم بأخيه أمر ، أو أقبل لمشروع دعويّ جديد ، أو زلّ ، أو سهى ، لهجت له ألسن صُحبته الدُّعاة في الظلمات ، وفي أوقات إجابة الدّعوات.

فذاك نبيّ الله موسى -عليه السلام- حينما ضاقت به الأرض بما رحبت ، وبلغ به الغضب مبلغه على فساد قومه ، تأجّجت لديه عاطفة الرَّحمة ، واستنارت عنده خِصلة النُصرة لأخيه وصاحبه، وعَضِده في طريق دعوته هارون عليه السلام فينادي الباري بدعوات يرجو لها القبول ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وخير البريّة -صلى الله عليه وسلم- يُناصر صاحِبه أبي هريرة (١) -رضي الله عنه- بدعوات تُعينه بإذن الله على بلوغ هدفه ومرماه ، فيسعد ببركة تلك الدَّعوة بإسلام أُمِّه -رضي الله عنها-، قال أَبُو هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- : (كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا ، فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَا أَكْرَهُ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَأَنَا أَبْكِي قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ فَتَأْبَى عَلَىَّ ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِىَ أُمَّ أَبِى هُرَيْرَةَ .فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: ((اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِى هُرَيْرَةَ)). فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَاب ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَىَ فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا ، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا ، فَفَتَحَتِ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - قَالَ - فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِى

(١)أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ صَخْرٍ ، سَيِّدُ الحُفَّاظِ الأَثْبَاتِ. حَمَلَ عَنِ: النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِلْماً كَثِيْراً، طَيِّباً، مُبَارَكاً فِيْهِ،حَدَّثَ عَنْهُ: خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٥٧٨-٥٧٩).

مِنَ الْفَرَحِ - قَالَ – قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِى هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا - قَالَ – قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا - قَالَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِى أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ - إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ)). فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلاَ يَرَانِي إِلاَّ أَحَبَّنِي [1].

وهكذا يتجلّى التّناصر بين صُحبة الدُّعاة بأبهى صوره ، يهنأ وينعم بل ويُكرم ويُحب بدعوة صاحبه -ﷺ-.

إنَّ للدُّعاة في نبيّهم -ﷺ- قدوة حسنة ، فقد نصر أصحابه -رضي الله عنهم- بدعوته لهم في حضرهم - كما دعا لأبي هريرة رضي الله عنه- ، أو في غيابهم ، أو حتَّى بعد موهم -كما كان يدعو -ﷺ- لأهل البقيع [2]-، بل إنَّه ﷺ لم يفتر لسانه من الدعاء لأمَّته جمعاء ، وتبعه صحابته رضي الله عنهم، ودعاة صالحون من بعدهم ، رفعوا دعواهم ، نصروا بها صحبتهم.

فتبدو صُحبة الدُّعاة صُحبة متناصرة متلاحمة ، جمعها على قلب رجل واحد ، لا يغفلون عن أحدهم ، فإن زاغ قوَّموه ، وإن ظُلم نصروه ، وإن ابتلي دافعوا عنه ، وفي كل الأحوال يدعون له ، هذه هي صحبة الدُّعاة المُباركة .

وبعد أن فصَّلت في التناصر كمعلم من معالم الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى ، أنتقل إلى المعلم السادس وهو التواصل بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى.

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: فضائل الصحابة ، باب: من فضائل أبي هريرة الدوسي ، رقم الحديث (٢٤٩١) (١٩٣٨/٤).

(٢) روى مسلم في صحيحه:عَنْ عَائِشَةَ -ك-أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ج- كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ج - يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ: ((السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ)) كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ، رقم الحديث (٩٧٤) (٦٦٩/٢).

الْمَسْأَلَة الْسَادِسَة: الْتَّواصُل.

أولاً: تَعْرِيْفُ الْتَّوَاصُل:

أ- التَّواصُل لُغةً:

قال ابن فارس -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (الواو والصاد واللام: أصلٌ واحد يدلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حَتَّى يَعْلَقَه... والوَصل: ضِدّ الهِجْران)[1].

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة قيل : (اتَّصل الشَّيءُ بالشَّيءِ: ارتبط، التأم به...و اتَّصل فلانٌ بفلانٍ: اجتمع به، خاطبه)[2].

ب- التَّواصُل اصْطِلَاحاً:

هو : (سلوك أفضل السبل والوسائل لنقل المعلومات والمعاني والأحاسيس والآراء إلى أشخاص آخرين ، والتَّأثير في أفكارهم وتوجهاتهم ، وإقناعهم بما تريد ، سواء كان ذلك بطريقة لغوية أو غير لغوية)[3].

وقيل هو : (متابعة الاجتماع مع مبادلة الحب وعدم الهجر)[4].

فالتَّواصل كمعلم من معالم الصُّحبة يعني: متابعة الاجتماع بين الدعاة ، وبقائهم على صلة فيما بينهم من غير مُبالغة أو جفاء .

ثانياً: التَّواصل من معالِم الصُّحبة بين الدُّعاة :

اعتنى الإسلام بتربية بنيه ، وحثّهم على توحيد صفّهم ، وتنظيم جمعهم ، فكانت الوصايا الرَّبّانيَّة ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[آل عمران: ١٠٣] ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠]، والتَّوجيهات النَّبويَّة ((كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))[5] ، ((مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (٦/١١٥-١١٦).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد عمر (٣/٢٤٤٩).

(٣) حتى لا تكون كلا ، عوض القرني ، دار الأندلس الخضراء ، ص:١١٧.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد عمر (٣/٢٤٤٩).

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم الحديث (٦٠٦٤) (٨/١٩) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر، رقم الحديث (٢٥٥٨) (٤/١٩٨٣) .

رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ))[1] ، ((يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ))[2] ، كُلُّها تدفع المؤمن إلى التَّشبث بإخوانه ، وإكرامهم حتى ضرب المؤمن بذلك أروع الأمثال.

وقد نهى الباري -ﷻ- عباده المؤمنين عن التَّفرق ، وسلوك مسلك الأمم الضَّالة ، فأهل الزيغ من عاجل عقوبة الله لهم أنك : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ على خلاف المؤمنين الذين تتضامن أجيالهم ، وتجمعهم آصرة الإيمان من وراء فواصل الزمان والمكان ، والجنس والوطن والعشيرة)[3] .

وقد عظّم الإسلام الرَّوابط التي تنشأ بين بنيه ، فجعل لها حقوقاً وواجبات ، فلا هجران فوق ثلاث، ولا تدابر أو تباغض ، بل مُبادرة واجبة لردّ السَّلام ، وإجابة للدَّعوة ، وتشميت من عطس ، وعيادة من مَرِض ، وإتِّباع جنازة مَن مَات .

إنَّ جميع الحقوق والواجبات التي أوجبها الله -ﷻ- في حق الأخ المُسلم تُشعر بوجوب التَّواصل بين أفراد هذا الدِّين وأبنائه ، ليتشاركوا في كل أحوالهم ، ويتضافروا في جميع مناسباتهم.

إنَّ أهميَّة التَّواصل بين أفراد هذا الدين تعظم كُلما ازداد أفرادها علماً وإيماناً فـ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩]..

وتعلم صحبة الدُّعاة عِظَم فضل التَّواصل بينهم ، إذ هي بحدّ ذاتها ذات فضل عظيم ، بدون تبعاتها وثمراتها ، ففي الحديث القدسي يقول الله -ﷻ-: ((حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ))[4] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الأمارة ، باب: حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ، رقم الحديث (١٨٥٢) (١٤٨٠/٣)..

(٢) رواه الترمذي في سننه ، كتاب: الفتن ، باب: لزوم الجماعة، (٣٦/٤) ، رقم الحديث (٢١٦٦) (٤٦٦/٤) ، وقال (حديث حسن غريب) ، ورواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب:طاعة الأئمة ، باب:ذكر إثبات معونة الله الجماعة...، رقم الحديث (٤٥٧٧) (٤٣٧/١٠) ، ورواه البيهقي في شعبه ، باب:التمسك بما عليه الجماعة ، رقم الحديث (٧١٠٦) (١٨/١٠) ، وقال الألباني في سلسلته (صحيح).

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٣٥٢٩/٦).

(٤) رواه أحمد في مسنده ، تتمة مسند الأنصار ، مسند معاذ بن جبل ، رقم الحديث (٢٢٠٠٢) (٣٢٧/٣٦) ، ورواه البزار في مسنده ، مسند عبادة بن الصامت ، رقم الحديث (٢٦٩٧) (١٤٣/٧) ، ورواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:البر والصلة، حديث عبدالله بن عمرو ، رقم الحديث (٧٣١٥) (١٨٧/٤) ، وقال (إسناد صحيح على شرط الشيخين) ، وقال الألباني في سلسلته (صحيح).

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- : ((أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ ، غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ))[1] .

قال العلامة ابن حبان[2] -رحمه الله-: (الواجب على العاقل تعاهد الزيارة للإخوان، وتفقد أحوالهم لأن الزائر في قصده الزيارة يشتمل على مصادفة معنيين: أحدهما: استكمال الذخر في الآجل بفعله ذلك...، والأخر: التلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور مع الأنقلاب بغنيمتين معا)[3] .

ولجمع الدُّعاة في نبيهم -ﷺ- أُسوة حسنة ، حيث كان -ﷺ- يُعظم حقَّ الصُّحبة ، يبادر ويُسارع لصلة صحبه ، وهو -ﷺ- أفضل الخلق ، إلا أنَّه كان على خلق عظيم ، وتواضع جم ، فهذه أُمّ المؤمنين عَائِشَةَ -رضي الله عنها- تحكي فتقول: ((لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- طَرَفَيْ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً))[4] .

وهذا ديدن صحبه -رضي الله عنهم- ، وللمتأمل في السيرة النَّبوية يجد التَّواصل المبارك بين المُصطفى -ﷺ- وبين أبي بكرٍ وعمر -رضي الله عنهما- ، وما أثمر ذلك التَّواصل إلا خيراً عظيماً.

والفاروق هو وصاحبه الأنصاري -رضي الله عنهما- يتناوبان للنزول إلى النَّبي -ﷺ- وصلته.

ولقد كان سلف الأمة الصَّالح يُعظِّمون إخوانهم ، ويُسارعون لصلتهم ، والسَّبق لزيارتهم ، فهذا أحمد بن حنبل[5] -رحمه الله- يضرب في ذلك مثلا رائعا ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل[1] : (لَمَّا أُطلِقَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: البر والصلة والآداب ، باب: في فضل الحب في الله ، رقم الحديث (٢٥٦٧) (١٩٨٨/٤).

(٢) ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد التميمي: أبو حاتم ، شيخ خراسان (٠٠٠ - ٣٥٤ هـ = ٠٠٠ - ٩٦٥ م) من كتبه (المسند الصحيح) في الحديث، يقال: إنه أصح من سنن ابن ماجه، و (روضة العقلاء - ط) في الأدب . (سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠٥/٣١) ، (الأعلام للزركلي ٧٨/٦).

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، محمد بن حبان البستي ، دار الكتب العلمية-بيروت ، ص:١١٤-١١٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الصلاة ، باب: المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس ، رقم الحديث (٤٧٦) (١٠٢/١).

(٥) أحمد محمد بن بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي (١٦٤ - ٢٤١ هـ = ٧٨٠ - ٨٥٥ م) : إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة ، وصنف (المسند - ط) ستة مجلدات، يحتوي على ثلاثين ألف حديث. وله كتب في (التاريخ) و (الناسخ والمنسوخ) (الأعلام للزركلي٢٠٣/١).

أَبِي مِنَ المِحْنَةِ، خَشِيَ أَنْ يَجِيْءَ إِلَيْهِ إِسْحَاقُ بنُ رَاهْوَيْه [٢]، فَرَحَلَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ الرَّيَّ، دَخَلَ مَسْجِداً، فَجَاءَ مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ القِرَبِ، فَقَالُوا لَهُ: اخْرُجْ مِنَ المَسْجَدِ لِنُغْلِقَهُ.فَأَبَى، فَقَالُوا: اخْرُجْ، أَوْ تُجَرَّ بِرِجْلِكَ.فَقُلْتُ: سَلاَماً.فَخَرَجتُ، وَالمَطَرُ وَالرَّعْدُ، وَلاَ أَدْرِي أَيْنَ أَضَعُ رِجْلِي، فَإِذَا رَجُلٌ قَدْ خَرَجَ مِنْ دَارِهِ، فَقَالَ: يَا هَذَا، أَيْنَ تَمُرُّ؟فَقُلْتُ: لاَ أَدْرِي.قَالَ: فَأَدْخَلَنِي إِلَى بَيْتٍ فِيْهِ كَانُوْنٌ فَحْمٍ وَلُبُودٌ وَمَائِدَةٌ، فَأَكَلتُ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟قُلْتُ: مِنْ بَغْدَادَ.قَالَ: تَعْرِفُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ؟فَقُلْتُ: أَنَا هُوَ.فَقَالَ: وَأَنَا إِسْحَاقُ بنُ رَاهْوَيْه) [٣].

والمتتبِّع لحال سلف هذه الأُمَّة يرى سبق الصَّالحين، والدُّعاة العاملين إلى وَصل إخوانهم، ومُسارعتهم للقيام بحقوقهم لذا (فمحبتهم تدوم وتتصل، بدوام من كانت المحبة لأجله) [٤].

وبهذا يكُون التَّواصل بين صحبة الدُّعاة من أبرز معالم صُحبتهم ، إذ إنهم يتواصلون فيتعاونون ويتنافسون في الخيرات ، ولا تثمر تلك الصُّحبة بلا تواصل بينهم.

وبعد أن تحدثت عن التواصل كمعلم من معالم الصحبة بين الدعاة إلى الله بصورة مجملة ، أنتقل إلى بيان بعض الضوابط التي يلزم الدعاة إلى الله تعالى أن يلتزموها.

ثَالِثاً: ضَوَابِط الْتَّواصُل بَيْن الْدُّعَاة:

١- أن يكون التواصل بين الدعاة تواصلاً مثمراً غير عقيم: إن صُحبة الدُّعاة أرفع وأرقى من أن يشغلها حال وِصالها غير همِّ الدَّعوة والإصلاح ، إذ في وصال الدُّعاة يكون التَّنافس في الخيرات، والتَّزود من الطَّاعات ، بل حتَّى ترويحهم يكون مُثمراً ومعطاءاً، فهم بذلك صورة خيّرة، ومِثَال مُبارك ، بل إنَّ صُحبتهم شجرة لا يتحاتُّ ورقها ، ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٥].

---

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (٢١٣ – ٢٩٠ هـ = ٨٢٨ – ٩٠٣ م) أبو عبد الرحمن: حافظ للحديث، من أهل بغداد. له " الزوائد " على كتاب الزهد لابيه، و " زوائد المسند " زاد به على مسند أبيه نحو عشرة آلاف حديث (الأعلام للزركلي ٤/٦٥).

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر بن عبيد الله التميمي الحنظلي ، هو: الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ ، مولده في سنة إحدى وستين ومائة ، ووفاته في مائة وثمانية وثلاثين (سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/٣٥٨-٣٨٣).

(٣) سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة (٢١/٣٨٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ، عبدالرحمن السعدي ، ص:٧٦٩.

٢- احتساب الأجر ، واستحضار النية: وصُحبة الدُّعاة يجب أن تتواصى وتتذاكر فيما بينها بين الفينة والأخرى على الصِّدق في التَّواصل ، صِدق النَّوايا وصفائها، إذ كلما صَدَقوا في تواصلهم، وصدقوا في احتسابهم ، كُلما عظمت ثمار تلك الصُحبة، فسعُدوا بها دنيا وأخرى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٩]، ولهم في وصالهم سعدٌ ومرح لكن لو احتسبوا لكسبوا خيري الدنيا والآخرة، ولهم في ابن جبل-رضي الله عنه- أسوة حسنة حيث قال: (أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنْ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي) [(١)] .

٣- أن يكون تواصلا متزنا بلا إفراط أو تفريط: فلا يهجر الدَّاعية صاحبه ، ولا يسرف في زيارته ويُثقل عليه ، والدَّاعية أوعى النَّاس بالمنهج الرَّبَّاني حيث جاء التَّوجيه بأن يكون المرء عدلاً وسطاً لا غالياً ولا جافياً ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] ، (وإِنَّ الْوَسَطَ هُوَ الْعَدْلُ وَالْخِيَارُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى الْمَطْلُوبِ فِي الْأَمْرِ إِفْرَاطٌ ، وَالنَّقْصَ عَنْهُ تَفْرِيطٌ وَتَقْصِيرٌ ، وَكُلٌّ مِنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ مَيْلٌ عَنِ الْجَادَّةِ الْقَوِيمَةِ فَهُوَ شَرٌّ وَمَذْمُومٌ ، فَالْخِيَارُ : هُوَ الْوَسَطُ بَيْنَ طَرَفَيِ الْأَمْرِ ؛ أَيِ : الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَهُمَا) [(٢)] .

ولعل ابن القيِّم -رحمه الله- يذكر تلك الضوابط في كلامٍ قيِّمٍ له حيث يقول: (الاجتماع بالإخوان قسمان: أحدهما: اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت ؛ فهذا مضرته أرجح من منفعته ، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ، ويضيع الوقت .الثاني: الاجتماع بهم علي التعاون على أسباب النجاة ، والتواصي بالحق والصبر ، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها ، ولكن فيه ثلاث آفات: أحداها: تزين بعضهم لبعض. الثانية: الكلام والخلطة أكثر من الحاجة. الثالثة: أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود) [(٣)] .

فباحتساب الدعاة في وصالهم ، وتخيرهم للوقت المناسب ، وتزودهم بوصالهم بما يدفعهم إلى الخير، تبقى جذوة الصحبة مشتعلة ، ويستمر نفعها ويتعدى لينفع الدعوة ، ويُمكن لها بإذن الله.

---

(١) سبق تخريجه ص:٤٧.

(٢) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (٤/٢).

(٣) الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية-بيروت ط٢ ، ص:٥١-٥٢.

وبعد التفصيل في معالم الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى ، وبيان أدلتها ، وبعض خوارمها ، وذكر صورها ، أنتقل إلى التفصيل في المطلب الثاني وهو ضوابط الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى.

الْمَطْلَبْ الْثَّانِي: ضَوَابِط الْصُّحْبَةِ بَيْنَ الْدُّعَاة

وفيه ثمانية مسائل :

المسألة الأولى : صحة المعتقد

المسألة الثانية : الإخلاص

المسألة الثالثة : الصدق

المسألة الرابعة : أن يكون من نفس الجنس

المسألة الخامسة : الصلاح

المسألة السادسة : الأدب

المسألة السابعة : الحب

المسألة الثامنة : النقد الذاتي

الْمَطْلَبْ الْثَّانِي: ضَوَابِط الْصُّحْبَةِ بَيْنَ الْدُّعَاة.

تَعْرِيْف ضَوَابِط الْصُّحْبَة:

أ- الضَّوابِط لُغَةً:

- لفظة (ضَوَابِط) تَرجع للفعل الثُّلاثي (ضَبَطَ) .

- (ضَبَطَ) تعني : الحفظ البليغ ، ذُكِر في المعجم الوسيط :(ضبطه ضبطا: حفظه بالحزم حفظا بليغا ،وأحكمه وأتقنه)[1] .

- (ضَبَطَ) تعني: الإحكام والإتقان-دلَّ على ذلك ما ذُكِر في المعجم الوسيط-.

- (ضَبَطَ) تعني: اللُّزوم والحَبْس ، ذكر ذلك صاحب لسان العرب حيث قال: (الضَّبْطُ لزوم الشيء وحَبْسُه)[2] .

- (ضَبَطَ) تعني: الأخذ بشدَّة ، قال ابن دريد -رحمه الله- : (ضَبَطَ الرجلُ الشيء يضبِطه ضَبْطاً، إذا أخذه أخذاً شديداً)[3] .

ب- الضَّوابِط اصْطِلَاحاً:

في تعريف الضَّابط قيل هو : (أَمْرٌ كُلِّيٌّ يَنْطَبِقُ عَلَى جُزْئِيَّاتِهِ لِتُعْرَفَ أَحْكَامُهَا مِنْهُ... [وهي] صُورَةٌ كُلِّيَّةٌ يَتَعَرَّفُ مِنْهَا أَحْكَامُ جَمِيعِ جُزْئِيَّاتِهَا)[4] .

وقيل : (ما يضبط وينظِّم من المبادئ أو القواعد)[5] .

---

(١) المعجم الوسيط ،إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار ، دار الدعوة ، ت: مجمع اللغة العربية (٥٣٣/١).

(٢) لسان العرب ، ابن منظور (٣٤٠/٧).

(٣) جمهرة اللغة ، ابن دريد (١٦٢/١).

(٤) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر ، أحمد بن محمد الحنفي الحموي (٢/٣).

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد عمر (١٣٤٥/٢).

فضوابط الصُّحبة بين الدُّعاة يُعنى بها: ما يُنظِّم ويضبط صحبة الدعاة من الأمور والأحكام في صُحْبتهم ، مما يجب عليهم المحافظة عليها والتزامها .

هذا المختصر في تعريف ضوابط الصحبة ، ثمَّ ينتقل إلى التفصيل في أولى مسائلها.

الْمَسْأَلَةُ الأولى : صِحَّة الْمُعْتَقَد.

أَوَّلاً: التَّعْريف بِصِحَّةِ الْمُعْتَقَد:

أ- التَّعْرِيف الْلغَوي:

أوَّلا: الصِّحَّة:

قال ابن فارس - رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الصَّادُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِنَ الْمَرَضِ وَالْعَيْبِ، وَعَلَى الِاسْتِوَاءِ. مِنْ ذَلِكَ الصِّحَّةُ: ذَهَابُ السُّقْمِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ)[1] .

ثانياً: العقيدة:

المُعتقد : مصدر ميمي للفعل الثلاثي " عَقَدَ ".

ويدل لفظ "عَقَدَ" على عدة معاني ، وهي : (العزم المؤكد ، الجمع ، النيَّة ، التَّوثيق للعقود ، ما يدين به الإنسان سواء كان حقاً أو باطلاً)[2] .

ب- التَّعْرِيف الْإِصْطِلاحِي:

العقيدة هي: (الإيمان الذي لا يحتمل النَّقيض)[3].

وقيل هي: (العلم بالأحكام الشَّرعية العقدية المكتسب من الأدلة اليقينية ، ورد الشُّبهات، وقوادح الأدلة الخلافيَّة)[4] .

وقيل هي: (مجموعة من قضايا الحقّ البدهيّة المسلّمة بالعقل ، والسمع ، والفطرة ، يَعقد عليها الإنسان قلبه ، ويثني عليها صدره جازما بصحتها ، قاطعا بوجودها وثبوتها ، لا يرى خلافها أنَّه يصح أو يكون أبداً)[5] .

فصِحَّة الْمُعْتَقَد كضابط من ضوابط الصُّحبة بين الدُّعاة يعني: براءة عقيدة جمع صحبة الدعاة وسلامتها مما يشوبها أو يُنقصها .

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٢٨١/٣).

(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، إبراهيم البريكان ، دار ابن القيم-دار ابن عفان ، ص:١٢-١٣.

(٣)المرجع السابق ، ص:١٣.

(٤) المرجع السابق ، ص:١٣.

(٥) عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة ، ص:٢٣.

ثَانياً: أَهَمِّيَّة صِحَّةِ الْمُعْتَقَد لَدَى الْدَّاعِيَة:

إنَّ العقيدة هي تلك الطَّاقة الفاعلة التي تُحرِّك صاحبها ، تُوجِّهه ، وتدفعه ، يسير مناضلاً مُدافعاً عنها ، لا يرى الخير إلا في أوامرها ، ولا يجد الشرَّ إلا في خلافها .

وقد حَكَى الباري سُبحانه حال أهل العقائد الفاسِدَة في نضالهم ، ودفاعهم عن فسادهم وأوهامهم قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾ [ص: ٦].

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ [الفرقان: ٤١ – ٤٢].

بل لم يكتفوا بالتَّمسك بعقيدتهم ، وإنَّما تواصوا واصطبروا عليها ، وتنادوا داعين إليها ، ومُكذِّبين كل من يدعو خلافها .

(فالمُتأمِّل يجد أن العقيدة تمتاز بسلطان قويٍّ قاهر على نفوس معتنقيها ، و صاحب العقيدة يرى أنَّ عقيدته التي يحملها مستمدة من العالِم بسِر الوجود الذي أحاط بكل شيء علماً ، فهي تمثل الحقيقة بلا غبش)[1] .

لكن الحقيقة التَّي تغافل عنها أصحاب القلوب المريضة ، والنُّفوس الطَّاغية هي تلك التي تقول : أن كُل ما يدعون باطلٌ، وكل ما يُعبد إنما هم عبيد أذلاء ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن نفع غيرهم أو ضرّهم ،﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾[ص:٦٥].

إنَّ من يُؤمن بأنَّ القويَّ العزيز خالقه ورازقه هو المُستحقّ للعبادة وحده ، تراه عزيز النَّفس ، قويَّ الجناب ، مُرتاح الضَّمِير ، إنَّه يركن لذي الأمر والسُّلطان للقويِّ العزيز.

إنَّ عقيدة الدَّاعية إلى الله تمتاز بصلابّةٍ وقوَّة ، إذ هو يدعو على بصيرة وعلم ، قد سكن اليقين فؤاده ، واطمأنّ القلب بباريه ، فتراه يُصبح ويُمسي لا يَبغي إلا دعوة الخلائق جميعها لرحمة الرَّحيم الرَّحمن ، جادت نفسه وسخت لمَّا بربها آمنت ، ولأمره أطاعت .

(١) العقيدة في الله ، عمر الأشقر ، ص:٤٦بتصرف يسير.

إنَّ الداعية الحقَّة هو ذلك المؤمن الذي صفت عقيدته ، وسما إيمانه ، وغدا لسان حاله يقول: ﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

إنَّ العقيدة الإسلامية هي تلك العقيدة السَّامية النَّقية ، هي تلك التي تُلغي الفوارق، فوارق العِرق واللَّون ، هي التي توحِّد أمم الأرض تحت لواء واحد ، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات: ١٣].

فَترى الدَّاعية يُحب إخوانه، يواليهم ، ينصرهم، إنَّه لا يُفرق بين غنيٍّ وفقير، أو عزيز وذليل ، إنَّما ميزانه ميزانٌ صادق ، فمن آمن بالله وصحَّت عقيدته دخل في زُمرة إخوانه.

إنَّ الدَّاعية هو صاحب عقيدة صلبة ، يوقن أنه لأجل تصويب العقيدة وتصحيحها ، أرسل الله رسله إلى الأمم كافَّة ، ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[فاطر: ٢٤].

أرسل الله رُسله لتكون كلمة الله هي العليا ، أرسلهم بدعوة واحدة ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[هود:]، فدعى الرُسل كلَّهم إلى كلمة واحدة هي كلمة التَّوحيد:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، فَلَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟ .فَجَوَابُ الْأُولَى: بِتَحْقِيقِ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا. وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ: بِتَحْقِيقِ "أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ" مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً)[1] .

وفي ظِلِّ التَّوحيد الخالص ترى الدَّاعِية قد أثمر إيمانه الصَّادق ، وعقيدته الصحيحة بالله ، لا يدعو غيره، ولا يستعين بسواه ، إذا ضاقت به السُّبل ، أو ضيَّق على دعوته أهل المكر والحِيَل، نادى

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، دار الرسالة-بيروت (٣٦/١).

بقلب صادق، ونفسٍ موقنة﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[النمل:٦٢]، ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٧].

وإن تأخَّر رفع ضُرِّه ، أو لم تظهر ثمار دعوته ، أو عظُم كربه إذ ضُيِّق عليه في الدَّعوة، أيقن أن كل ذلك خير ، يؤمن بما أخبره به الباري ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[البقرة: ٢١٦] ، ويوقن بصِدق الصادق المصدوق -ﷺ- إذ بشَّر المؤمن بقوله : ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))[(١)] .

إنَّ أَوْلى الأوليات، وأوجب الواجبات لدى الدَّاعية هي تصويب العقيدة وتصحيحها ممَّا يشوبها ، وذلك باستمرارية المُعاهدة ، يتعاهد عقيدته أوَّلاً ، (إذ إن من أخطر الأشياء على الداعية إلى الله ﷻ الذي يحمل عقيدةً ومنهجاً أن تهتز قناعته بما يدعو إليه، ومن ثم فإن التصميم الجاد القوي لا يكون إلا من إنسان لديه القناعة التامة الكاملة بما يدعو إليه من منهاج)[(٢)] .

ومن ثمَّ ترى الدَّاعية يسعى جاهداً لنشر العقيدة الصَّحيحة ، وإحيائها في نفوس معتنقينها ، إنَّه يخشى من تزعزع التَّوحيد في نفوس أبناء أمَّته ، أو فساد عقيدتهم ، لأنه مُنذر بشرٍ عظيم ، وفساد كبير.

(ولقد جاء الخبر الصَّادق في محكم التَّنزيل أنَّ الأمة إذا ابتعدت عن التَّوحيد فإنَّ الخوف يحل محل الأمن ، والذلة والهوان محل العزة والتمكين ، والفرقة محل الاجتماع ، والجوع محل الشَّبع ، والقحط محل الرَّغد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢]. ولا يُؤلِّف بين المسلمين اليوم، ولا يردهم إلى وحدتهم وقوَّتهم وتآلفهم ، ولا يُصحح منهجهم إلا ما كان عليه نبيهم -ﷺ- وصحبه الكِرام -رضي الله عنهم-)[(٣)] .

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الزهد والرقائق ، باب: المؤمن أمره كله خير ، رقم الحديث (٢٩٩٩) (٤/٢٢٩٥).

(٢) دروس للشيخ عبد الرحمن المحمود ، دروس صوتية فرغها موقع الشبكة الإسلامية-المكتبة الشاملة (٢١/٧).

(٣) فقه مقاصد الدَّعوة إلى الله ـــ وأثره في حياة الدَّاعية ، سعد القعود ، دار أطلس الخضراء-الرياض ،٢٧٧-٢٧٨.

إنَّ عقيدة الدَّاعية الرَّاسِخة هي تلك التي تتكوَّن من ستِّ أركان ، والتي تُسمَّى بأركان الإيمان ، التي ذكرها المُصطفى العدنان -ﷺ- بقوله : ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))[1] .

فالدَّاعية يركن لركن ركين ، وأول أركان عقيدته وأولاها هو: الإيمان بملك الملوك ربَّاً ، خالقاً ، ورازقاً ، ومُستحقَّاً للعبادة وحده .

ففعال الدَّاعِية تُثمر خيرا وبرّاً ، يُراقب مولاه ، يرجو ثوابه ، ويخاف عِقابه ، يدعو من حوله ، يُصحِّح وُجهتهم نحو باريهم ، لايألوا جهدا داعياً ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

(إنَّ الإيمان بالله بالنِّسبة لبقيَّة الأصول والفروع كأصل الشَّجرة بالنِّسبة للسوق والفروع ، فهو أصل الأصول ، وقاعدة الدِّين ، وكُلَّما كان حظ المرء من الإيمان بالله عظيماً كان حظُّه في الإسلام كبيراً)[2] .

إنَّ حقيقة الإيمان بالله يجب أن تعظم وتكبر في نفس المرء كُلَّما ازدادت معرفته بالله فـ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر: ٩].

فترى الدَّاعية يستحضر عظمة باريه ، يُقدِّره حقَّ قدره ، يخشى أن يُحابي أو يُهادن في دين الله ، شديد الحرص على البراءة من أعداء الله ، يخشى أن يناله سخط الله بسبب ميلٍ قلبي ، أو وداد لعدوٍّ من أعداء الله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومع ذلك تراه أعظم رجاءاً لرحمات باريه ، يترقَّب نصره ، ويتأمَّل الفوز بثوابه ، لا يكترث رغم العقبات التي تعترض دعوته ، يعلم يقيناً أنَّ الله ناجز وعده ، وناصرٌ دينه ، يُردِّد على إخوانه الدُّعاة مواسياً قول الله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج: ٤٠] ، ويُذكِّرهم بأسباب النَّصر والتَّمكين ، يسعى جاهداً لأن يُقيمها في نفسه ، ويدعو من حوله إليها.

أمَّا إذا وقع في بلاء ، وأحاطت به الضرَّاء ، لجأ إلى خالقه الرَّحيم الرَّحمن ، توسَّل إليه أن يرفع ما به ، بدون ضجرٍ أو إظهار للشكوى ، مُتيقناً أن حسبه ناصره ومُعينه ، مُردِّداً ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الإيمان ، باب:معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة ، رقم الحديث (٨)(١/٣٦).
(٢) العقيدة في الله ، عمر الأشقر ، ص:٧٦.

ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ﴿ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، ومُرتقباً الفضل العظيم الذي سينقلب إليه ، والنِّعمة التي سيتمتَّع بها ، والأمان الذي سينعم به ، والهداية التي سيسعد بها ، إنَّه يؤمن بموعود باريه ، فينتظر واثقاً مُتفائلا ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ومن ثمَّ فإنَّ ثاني أركان الإيمان هو: الإيمان بالملائكة -عليهم السلام- ، فإنَّ نفس الدَّاعية الصَّافية تلك التي أيقنت بوجود خلق من نور ، خلق زكَّاهم مليكهم فهم ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٨].

فيستحضر الدَّاعية بإيمانه بهم ، عظمة باريه ، ويُردِّد بتعظيم وتقدير ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾[المدثر: ٣١]، فيزداد إيمانا إلى إيمانه، يقتدي بهم، فيجاهد لأن يمتثل أمر الله-سبحانه وتعالى- فلا يُخالفه ، ويسعى لمُساعدة عِباد الله المؤمنين.

إنَّه يسعى لِصُحبة الملائكة ورِفقتهم ، فلا يملّ من مجالس الذِكر ، ولا يفتأ لسانه عن الذِّكر والتَّحصين ، يتذكَّر قصَّة أُسيد بن حضير[1] -رضي الله عنه- فتتنشَّط نفسه للعبادة ، يأنس بالذِكر وإن كان وحيداً ، يُحادِثُ نفسه بما أخبره به مولاه في محكم التَّنزيل ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾[الانفطار:١٠-١١] ، يُحبهم ، يُجلّهم ، يقتدي بهممهم العالية، يُجاهد لأن يُقلِّدهم في السَّبق للطَّاعات، وحبِّ مجالس الخيرات ، يؤمن بما صحَّ الخبر عنهم.

---

(١) وقصَّة ابن حضير راواها مسلم قال: عن أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ: حَدَّثَهُ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ج، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ج: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ج: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ج: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَانْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ج: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ» رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها ، باب:نزول السكينة لقراءة القرآن ، رقم الحديث (٧٩٦) (٥٤٨/١).

ومن ثمار إيمانه بهم ، وحبِّه للاقتداء بهم ،استشعار وجودهم ، واستحضار هيبتهم ، تأمّله سيرهم العَطِرة ، ومن ثمَّ الاحتذاء بحذوهم في معونة إخوانه الدُّعاة ، وكذاك المدعوين، بالدُّعاء ، والاستغفار لهم ، وتشجيعهم في الثَّبات على الحق الذي هم عليه ، إنَّه يتأمَّل دعائهم للمؤمنين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر: ٧].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ [١] – رضي الله عنه – ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ... قَاتَلَ طَلْحَةُ [٢] قِتَالَ الْأَحَدَ عَشَرَ، حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ، فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ: حَسٍّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: «لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعَتْكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ» [٣].

وتجد الداعية يتعلَّم منهم حسن الامتثال لأمر الله ، وتمام الطَّاعة والانقياد لما يأمر سبحانه ، فلا زيغ عمَّا أمر ، ولا فِعل لما نهى ، يسكن النَّفس القبول التَّام ، والرِّضى الخالص له ﷻ ، إذ تراه تعجَّب من صَنْعِ روح القدس –عليه السلام– إذ أنس خير البريَّة –عليه الصَّلاة والسَّلام– بزيارته ، والتَّذاكر معه، فتمنَّى أن يُكرِّرها مرَّات ومرَّات ، لكن ماذا كان ردّ روح القُدُس –عليه السلام– الطَّائع المُنقاد لأمر ربه؟.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [٤] –رضي الله عنهما– : أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– ، قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»، فَنَزَلَتْ:﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾[مريم: ٦٤] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، قَالَ: كَانَ هَذَا الجَوَابَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ [١].

---

(١)جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ السَّلِمِيُّ ، الإِمَامُ الكَبِيْرُ، المُجْتَهِدُ، الحَافِظُ، صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ شَهِدَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مَوْتاً.رَوَى: عِلْماً كَثِيْراً عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.(سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨٩/٣).

(٢)طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عُثْمَانَ بنِ عَمْرٍو التَّيْمِيُّ ، أَحَدُ العَشَرَةِ المَشْهُوْدِ لَهُم بِالجَنَّةِ، لَهُ عِدَّةُ أَحَادِيْثَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٤/١).

(٣) رواه النَّسائي في سننه ، كتاب:الجهاد ، باب:ما يقول من يطعنه العدو ، رقم الحديث (٣١٤٩) (٢٩/٦) ، قال الألباني في سلسلته – :-:(حسن وهو على شرط مسلم).

(٤)عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ البَحْرُ أَبُو العَبَّاسِ الهَاشِمِيُّ ، حَبْرُ الأُمَّةِ، وَفَقِيْهُ العَصْرِ، وَإِمَامُ التَّفْسِيْرِ، ابْنُ عَمِّ رَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ شَيْبَةَ بنِ هَاشِمٍ،صَحِبَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نَحْواً مِنْ ثَلاَثِيْنَ شَهْراً، وَحَدَّثَ عَنْهُ بِجُمْلَةٍ صَالِحَةٍ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣١/٣-٣٣٢).

وكما يسكن في نفس الدَّاعِية الصِّفة التي تجلب الخير ، الصِّفة التي بلغه أنَّ خلق الله المُكرمون يتَّصفون بها ((أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ)) (٢) .

ويصدق في النُّصح لإخوانه الدَّعاة ، يُوجِّههم نحو الخير ، لا يتوان عن بذل المشورة لهم ، فلا يزال عالقاً بذهنه قول روح القدس -رضي الله عنهما- للمصطفى -صلى الله عليه وسلم- حينما خيَّره ربُّه، ففي الحديث : " جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ ، فَلَمَّا نَزَلَ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ ، قَالَ : أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ : تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ: ((بَلْ عَبْدًا رَسُولًا)) (٣) .

وكما أنَّه يصدق في النُّصح لإخوانه ، فإنَّه يُدافع عنهم في الضراء ، بل ويستشعر مُدافعة الملائكة -عليهم السلام- لمن دافع عن دين الله ، ثمَّ وقع في بلاء ، واستغاث ربّ الأرض والسَّماء ، فموقف يوم بدرٍ عظيم له أثر في نفس الدَّاعية ، فما الذي حصل حينما اشتدَّ البلاء بعباد الله المؤمنين المُستضعفين؟ وكيف كان موقف خلق الله المُكرمون -عليهم السلام-؟.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢].

وعن ابْنُ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ)) (٤) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:التوحيد ، باب:قول الله ـــ:"ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين" ، رقم الحديث (٧٤٥٥) (٣٥/٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الفضائل ، باب: من فضائل عثمان بن عفان -س- ، رقم الحديث (٢٤٠١) (١٨٦٦/٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة س، رقم الحديث(٧١٦٠) (٧٦/١٢-٧٧)، ورواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب:من صفته ج وأخباره، باب: ذكر وصف خزائن الأرض...، رقم الحديث (٦٣٦٥) (٢٨٠/١٤) ، قال الألباني في سلسلته (صحيح)، وقال الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الجهاد والسير ، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، وإباحة الغنائم ، رقم الحديث (١٧٦٣) (١٨٢/٣-١٨٣).

والدَّاعية مُنظَّم في جميع أموره ، يُرتِّبها ، يُنسِّقها ، ثمَّ يُدوِّنها ، ويُنظِّم الأعمال بينه وبين صُحبته من الدُّعاة ، إنَّه تعلّم ذلك من ملائكة الله ، فمَّما آمن به أنَّ منهم فينا يتعاقبون، بعضهم يبدأ فجراً وينتهي عصراً ، والبعض الآخر يبدأ عصراً وينتهي فجراً ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – ﷺ– : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– قَالَ: ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ))[(١)] .

فترى جمع الدُّعاة منظمين ، يسيرون وُفق نظم وأُطُر معيَّنة ، حتَّى تسمو دعوتهم ، وتبرز بأفضل خراجٍ وأسمى نتاج.

هكذا هي عقيدة الدَّاعية في الملائكة –عليهم السلام– لا تزال تعظم في نفسه ، وتُثمر خيراً ، يتأمَّل حُسن خُلُقهم ، وعظمة خَلْقهم ، فيزداد تعظيمه لخالقه ، ذاك خلقٌ من خلقه ، فكيف بالخالق سُبحانه؟!.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١١].

الإيمان بالكتب: هو ثالث أركان الإيمان ، والتِّي يؤمن بها الدَّاعية يقينا يستقر في نفسه، فيؤمن بالكتب التي أنزلها الله عز وجل جميعها ، ويؤمن بما سمى سبحانه منها ، ويؤمن أنَّ خيرها وأفضلها هو خاتمها القرآن الكريم.

إنَّ من أعظم القصور والنَّقص أن ترى الدَّاعية ليس من أهل كتاب الله –عز وجل– ، وليس له حظ من حفظه وفهم معانيه.

إنَّ من بلغه بركة هذا الكتاب العظيم ، وسمع عن عجائبه وعظيم خيراته ، لا يدع هذا الخير العظيم يفوته ، بل يُسابق الجميع لأن يكون من أهل هذا الكتاب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩].

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: مواقيت الصَّلاة ، باب: فضل صلاة العصر ، رقم الحديث (٥٥٥) (١/١١٥) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:المساجد ومواضع الصَّلاة ، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر ، والمحافظة عليهما ، رقم الحديث (٦٣٢) (٤٣٩) ، واللَّفظ للبخاري.

إنَّ الواجب على الدَّاعية أوَّلاً أن يكون تُرجماناً لأوامر هذا الكتاب العظيم ، فهو يعلم أنَّ هذا الكتاب مُبارك ، عظيم النَّفع ، وإنَّما أُنزل للتدبر ، للتَّفكُّر ، أُنزل ليكون منهاجاً تصلح به الحياة ، وتسعد به النُّفوس ، وتزول به الصِّراعات .

يقرأُ آياته ويتأمَّلها ، ثمَّ يسعى لتطبيقها في واقع حياته ، ودعوة قومه إليها ، دعوتهم لبركات هذا الكتاب ، دعوتهم للعودة إليه ، وتطبيق أحكامه وتوجيهاته ، وجعله الدُّستور الأوَّل المُهيمن على الحياة.

فلا يليق بالدَّاعية إلى الله أن يهجر القرآن يوماً واحداً ، بل تراه يتوق ويشوق لوقت حزبه ، فيتغنَّى بآياته ، وينشر تعليماته ، ويتدبَّر كلماته.

وكما أنه من أعظم العَوَر أن يهجر الدَّاعية أوامر كتاب الله مُتعلِّلا بقال فلان وقال فلان ، ومُنافحاً عن أولئك القوم ، غافلاً عن أوامر الله في كتابه .

فلا يليق بمن سلك درب أحسن القَول أن يكون ذلك فعله ، بل يجب أن يكون أوَّل من يتزجر بآيات الله وأوامرها ، فلا يُقدّم استدلالاً على آيات الله ، ولا يسبق قولاً على قوله.

وهذا المُصطفى-ﷺ-خير داعية إلى الله لَّما أنس بِصُحبة جبريلعليه السلام يُدارسه آيات الله، ويُلّغه أوامره، تمنَّى لو يُضاعف زيارته«يَا جِبْرِيلُ، مَايَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»[1] .

هكذا هو الدَّاعية الحقَّة ، يأنس بكلام الله ، يسعد بالمجالس التي فيها الآيات تُتلى ، يُشجّع المدعوين للسبق في حفظه وتدبره ، يُذكّرهم بخيراته ، يستشهد ويُدلّل ، يُبرهن لهم أنَّه لا أعظم بركة من رفقة هذا الكتاب وصُحبته ، إذ خيراته تُصبّ صبّاً على صاحبه ، والبركات تدرّ عليه درّاً .

وقد بَّوب البُخاريُّ رحمه الله في صحيحه باباً سمَّاه "باب اغتباط صاحب القرآن" ، وذكر فيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: ((لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ))[2] .

---

(١) سبق تخريجه، ص: .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:فضائل القرآن ، باب: اغتباط صاحب القرآن ، رقم الحديث (٥٠٢٦) (١٩١/٦) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها ، باب: فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها ، رقم الحديث (٨١٥) (٥٥٨/١)، واللفظ للبخاري.

فالدَّاعية يُجاهد لأن يكون من أهل هذا الكِتاب العظيم ، يُنافس إخوانه الدُّعاة ، يُسارع ويُسابق في هذا المِضمار ، بل ويدعو صُحبته لتلك المُنافسة ، ويُشجِّعهم ، يدعو بتضرع ((اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي))[(١)] .

يُجلّ صاحِب القرآن ، يُقدِّمَهُ ويُقدّره ، يحتسب إجلاله إجلالاً لصاحِب الكلام الذي سكن صَدر هذا القارئ ، يُجلّه ليُعلم النَّاس أنَّ أهل القرآن العادلين المُنصفين هم أهل لأن يُوضعوا كالتّيجان على الرؤوس ، و يُقدّموا في الصُّفوف ، حتَّى يُشعل في النُّفوس جذوة المُنافسة ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[المطففين: ٢٦].

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ [(٢)] -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))[(٣)] .

إنَّ الدَّاعية يجب عليه أن يقوم بثورةٍ لتجديد[(٤)] علاقة النَّاس بهذا الكِتاب المُبارك ، وردّهم إلى الحق ، يزرع في نفوسهم حبَّه ، ويوقظ هممهم للتَّمسّك به ، فخير الدُّنيا ونعيم الآخرة في الإيمان بما أنزل الله ، والعمل به قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة: ٦٦].

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند عبدالله بن مسعود ، رقم الحديث (٣٧١٢) (٦/٢٤٦) ، ورواه البزار في مسنده ، مسند عبدالله بن مسعود ، رقم الحديث (١٩٩٤) (٥/٣٦٣) ، رواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب:الأدعية ، باب: ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرحا ، رقم الحديث (٩٧٢) (٣/٢٥٣)، وقال الألباني في سلسلته في سلسلته : (صحيح).

(٢)أَبو مُوْسَى الأَشْعَرِيُّ عَبْدُ الله بنُ قَيْس ، صَاحِبُ رَسُوْلِ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ،وَهُوَ مَعْدُوْدٌ فِيْمَنْ قَرَأَ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَقْرَأَ أَهْلَ البَصْرَةِ، وَفَقَّهَهُمْ فِي الدِّيْنِ. وَقَدِ اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمُعَاذاً عَلَى زَبِيْدٍ، وَعَدَنَ (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٣٨٠-٣٨١).

(٣) رواه البخاري في مفرده ، باب:إجلال الكبير ، رقم الحديث (٣٥٧) (١٣٠) ، ورواه أبو داوود في سننه ، كتاب: الأدب ، باب:في تنزيل الناس منازلهم ، رقم الحديث (٤٨٤٣) (٤/٢٦١) ورواه ابن أبي شيبه في مسنده ، كتاب:السير ، باب:ماجاء في الإمام العادل ، رقم الحديث (٣٢٥٦١) (٦/٤٢١)، قال الألباني في سلسلته: (حسن).

(٤) الجملة مقتبسة من عنوان كتاب: ثورة التَّجديد ، الدكتور عائض القرني.

الْإِيْمَان بِالرُّسُل: إنَّ الإيمان بالرُّسل الذين اصطفاهم مولاهم ، واختارهم ليكُونوا فرساناً للخير ، أرسلهم برحمته ورضوانه ، ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٩] ، وإنَّ الإيمان بهم تزداد أهمِّيته وتعظم في حقّ الدُّعاة إلى الله ، إذ إن الدُّعاة هم خلفاؤهم والمتَّبعون لهم ، بل والمتوظفون بوظيفتهم.

إنَّ الإيمان برسل الله -عليهم السلام- يقتضي: محبَّتهم ، والاقتداء بهم ، واقتفاء أثرهم، والإيمان بهم جُملةً وتفصيلاً .

كما أنَّه يُصلِّي ويُسلِّم عليهم إذا ورد ذكرهم في مجلس، أو خَتم درسه، أو مُحاضرته بقوله: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

إنَّه يبتدئ دعوته بما ابتدؤا دعواهم عليهم السَّلام يبتدؤها بـــقوله: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [هود: ٢].

إنَّ الإيمان بهم يُثمر في نفس الدَّاعية الشَّغف بتتبع سيرهم ، واتِّباع نهجهم ، رجاء أن يكون معهم في أعالي الجنَّات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩].

يُتابع قصَّة نبيّ الله نوحٍ -عليه السلام- فتَتصوَّب عقيدته ، كيف أنَّ جميع العلائق تتقطَّع ، إذ لم يكن الوِصال لأجل الله ، إذ لم تكن أخوَّة العقيدة ، فلا قرابة حينها ولا نَسَب ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [هود: ٤٦].

إنَّ همَّة الدَّاعية تسمو حينما يتأمَّل الفترة التي قضاها نبي الله نوح -عليه السلام- داعية في قومه ، ثمَّ ما هي الوسائل والأساليب التي عدَّد ونوَّع بينها؟!.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾[نوح: ٥ – ٩].

وفي قصَّة إبراهيم يجد عجباً ، حسن الظنَّ بالباري ، والتَّوكّل عليه ، بل وصحَّة العقيدة وصفاؤها ، ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[الأنعام:٨٠ – ٨١].

والدَّاعية يتيقَّن أنَّه إذا كان الباري معه ، وهو ناصِره ، فلا يضرّه ضعف ولا قلَّة عدد ، فهو يرى في قصَّة الخليل –عليه السلام– انقلاب الموازين ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٨ – ٧٠].

ويتعلَّم وجوب الاستسلام لأمر الله ، والانقياد له بالطَّاعة ، و﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور: ٥١].

والاستسلام يظهر جليًّا في قصة الخليل ، وابنه الذَّبيح –عليهما السلام– قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الصافات: ١٠٢– ١٠٣].

وأمَّا الدُّعاء ، ورجاء ربَّ الأرض والسَّماء ، ففي قصَّة زكريَّا ما يُهدئ أرق المريض ، ويُطفئ جذوة المظلوم ، ويُريح قلب المكسور ، حُسن الظَّنِّ بالباري ، وصِدق اللجوء إليه ، بعد أن انقطعت أسباب الطَّلب ، يدعو بيقين ، وينكسر بين يديه ، يطلبه ابناً صالحاً رضيًّا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾[مريم: ٤ – ٦].

ويؤمن الدَّاعية أنَّه مهما طال ليل الظُّلمات ، وعظُم الكَرب ، وحُوربت الدَّعوة ، واضطهد الدُّعاة أنَّه ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾[الطلاق: ٧]، وأنَّ البلايا إنما تنزل بالدَّاعية لتمحصه ، ولتهيؤه لما هو مُقدم عليه ، فهو يرى في قصَّة يوسف –عليه السلام– أنموذجاً صادقاً ، وسلوى لكل محزون.

وفي قصَّة نبيَّ الله عيسى –عليه السلام– يؤمن يقيناً أنَّه من كان في حفظ الله ورعايته ، فلن يمسه سوء أو أي مكروه .

إنَّ الدَّاعية يُؤمن أنَّ ((الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ))[1]، ويؤمن أَن أفضلهم هو خاتمهم المُصطفى -ﷺ- .

يتَّخذ منه قُدوة ، ومن سيرته أُسوة ، يُعلِّم سُيرته ، ويُحيي سنَّته ، يُنشئ في النُّفوس أنَّ الخير كل الخير في اقتفاء أثره ، والتَّأسي بسنَّته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

يحرِص على إحياء سُنَّته ، والدَّعوة إلى دعوته ، تجده حريصاً على صلاح النَّاس ، رؤوفاً رحيماً بهم ، يقتدي بقدوته ، ويتَّبع نهجه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

يُحذِّر من الإعراض عن نهجه ، يردُّ الضُّلَّال إلى الطَّريق المُستقيم ، يُوجَّههم أنَّ طريق هذا النبيُّ -ﷺ- هو طريق النَّجاة والسَّلامة فأفيقوا قبل أن يأتي زمن الحسرة والنَّدامة ، يحكي لهم حال أهل النَّار مُحذِّراً ومخوِّفاً، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

لا يُقدِّم على قول المُصطفى -ﷺ- قول أحد من الناس ، قوله المُقدّم ، وتوجيهه المُقدّس ، وسُنَّته المُتَّبعة ، إنَّه لا يُخالف أمر الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الحجرات: ١].

يوقِّره ، ويُجلِّه ، وينشر سيرته ، ويُحيي سنّته ، يُكثر من الصَّلاة عليه ، تراه حذراً من مخالفة سنَّته حتَّى لا يقع في غضب الله وعِقابه ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

هكذا تكون عقيدة الدَّاعية في رسل الله -ﷺ- لا يزال يقتدي بهم ، ويقتفي أثرهم ، ولا يزال على خيرٍ من كان هذا نهجه.

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الفضائل ، باب: فضائل عيسى ؛ ، رقم الحديث (٢٣٦٥) (١٨٣٧/٤).

الإِيْمَان بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: كُلَّما عظُم إيمان الدَّاعية باليوم الآخر ، وكلَّما كثُر استحضاره لعظمة ذلك اليوم زاد عطاؤه في الدَّعوة ، وعظُم صبره في سبيلها .

إنَّ إيمان الدَّاعية باليوم الآخر يُورِث في قلبه المَهابة والخشية ، ويجعله عادلاً في حكمه، متوازناً في نقده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المرسلات: ٣٨ – ٤٠].

يُسارع في الطَّاعات ، يدَّخرها ليوم تشخص فيه الأبصار ، ينفر من المعاصي وذنوب الخلوات ، إنَّه يهاب ذاك الموقف ، موقف الحِساب ، يخشى أن يكون مع الفسقة الظَّلمة الذين يُنادى فيهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يس: ٦٥].

يذكر المرور على الصِّراط فيسكُن قلبه خشية الله ومهابته ، والذُّل بين يديه ، فلا يتعاظم على غيره ، أو يُنافِس صُحبته من الدُّعاة في غير طاعة.

يتجنَّب السُّخرية ويحذرها ، خاصَّة إن تعلَّقت بأحد الدُّعاة إلى الله ، يحذر أن يقتفي أثر الممقوتين يوم القيامة الذين يُوبِّخهم خالقهم ، ويُذكِّرهم بسوء فعالهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٨ – ١١٠].

يستحضر موقف المُصطَفين الأخيار ﷺ- ، ومقولتهم يومئذ ((نَفْسِي نَفْسِي))[1] ، ومقولة المصطفى ﷺ- ((رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ))[2] ، فيرتعد ويترجر ، ويتواضع بين صُحبته من الدُّعاة وغيرهم ، ويُعظِّم الله ، فلا هو خير من خيرة الخلق المُرسلين ﷺ- ، يهاب ذلك الموقف ، همُّه الإعداد له ، والنَّجاة من أهواله إذ ممَّا ورد عن الصَّادق المصدوق ﷺ فيما يرويه عن ربه ((وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:أحاديث الأنبياء ، باب:قول الله ـــ:"إنا أرسلنا نوحا إلى قومه.." ، رقم الحديث (٣٣٤٠) (١٣٤/٤) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الإيمان ، باب:أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، رقم الحديث (١٩٤) (١٨٤/١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإيمان ، باب:أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، رقم الحديث (١٩٥) (١٨٦/١).

عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1].

فتجده يتقلَّب بين الخوف والرَّجاء ، يُردِّد دوماً بخوفٍ ووَجل : ((اللهمَّ أجرني من النَّار)) ، ثمَّ يُناجي باريه برجاءٍ وحُسن ظنّ : ((اللهم إنِّي أسألك بوجهك الكريم الجنَّة)).

يُكثر من الحمد ، خاصَّة في خِتَام أعماله ، وتحقُّق شيء من آماله ، مُقتدياً بِفعال أهل الجنَّة ، إذ قال الباري على لسان حالهم بعد أن قرَّت أعينهم: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[الزمر: ٧٤].

الْإِيْمَان بالْقَدَر خَيْرِهِ وَشَرِّه: إنَّ من أقوى المُدعِّمات للدَّاعية في طريق دعوته هو: قوَّة إيمانه بالقدر خيره وشرِّه.

فطريق الدَّعوة محفوفٌ بالابتلاءات ، فما سَلَك هذا الطَّريق أحدٌ إلا ابتُلي واختبُر ، فيُمحِّص الله ليُظهر الصَّادق ويُثبِّته وينفع به ، ويبرُز المرائي ويُنفِّر منه.

قد كان من وصيَّة لقمان لابنه أن قال ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[لقمان: ١٧]، فبعد أن أوصاه بأن يسلك درب الأنبياء –عليهم السَّلام– ويتوظَّف بوظيفتهم التي هي أشرف الوظائف وأنبلها، إذ لا ﴿ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣] ، حينها أمرهُ بالصَّبر على ما يُصيبه في سبيل الدَّعوة إلى الله .

وما أحوج الدَّاعية إلى الصَّبر ، والرِّضا بالقضاء والقدَر ، فيجب أن يكون مُطمئن النَّفس لما يكتبه الله ، فلا يضجر ، ولا يسخط ، بل يُسلِّم ويَحمد ، ويتيقن أنَّ كل ما كتبه الله فهو خير ، وكل ما يُصيبه من ضرٍ إن احتسبه كُتِبَ له عظيم الأجر قَالَ الرسول ﷺ-: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب:الرقائق ،باب:حسن الظن بالله ، رقم الحديث (٦٤٠) (٤٠٦/٢) ، ورواه البيهقي في شعبه ، باب:الخوف من الله ، رقم الحديث (٧٥٩) (٢٢٣/٢) ، ورواه البزار في مسنده ، مسند أنس بن مالك ، رقم الحديث (٨٠٢٨) (٣٤٢/١٤) ، قال الألباني في سلسلته الصحيحة: (حسن صحيح).

كُلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)) [(١)].

(وكثيراً ما تنكشف الحُجب عن الفطرة ، فتزول عنها الغشاوة التّي رانت عليها عندما تُصاب بمصاب أليم ، أو تقع في مأزق لا تجد فيه من البشر عوناً ، وتفقد أسباب النَّجاة ، فكم من ملحد عرف ربّه وآب إليه عندما أُحيط به وكم من مشرك أخلص دينه لله لضرّ نزل به) [(٢)].

فتترل المُصيبة بالدَّاعية ، وتحلّ عليه الكُربة ، فيزداد قُرباً من الله ، يفزع إلى الصَّلاة ، يُناجي ربه ، يشكو إليه وحده ضرَّه ، فحينما تترل المصائب بالدَّاعية يترقَّب المدعوون موقفه، أتُراه يصبر ؟! أتراه يشكر ؟! أتُراه يرضى ؟! أم يسخط ويضجر؟!.

وللرِّضا بالقضاء والقدر ثمرات تُدرّ على صاحبها الخيرات إذ (أنَّه يكسب صاحبه قوَّة الشَّكيمة ، ومضاء العزيمة ، إذ من اطمأنت نفسه إلى أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليُصيبه خلت جميع أعماله من الحيرة والتَّردد ، وانتفى من حياته القلق والاضطراب ... لا يحزن على ماض ، ولا يغتم لحاضر ، ولا يُؤلمه همّ المستقبل ، وبذلك يكون أسعد النَّاس حالاً ، وأطيبهم نفساً ،... إذ من عرف أن أجله محدود ، ورزقه معدود، فلا الجبن يزيد في عمره ولا الشح يزيد في رزقه ، نافس في البطولات ، وسابق في المكرمات) [(٣)].

وبعد بيان أهمية صحة المعتقد بالنسبة إلى الداعية إلى الله تعالى أخصص حديثي عنصحة المعتقد كضابط للصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى.

ثَالِثاً: صحَّة الْمُعْتَقَد من ضَوَابِطِ الْصُّحْبَةِ بَيْنَ الْدُّعَاة :

إنَّ أوَّل ما يجب أن يكون ضابطاً لصُحبة الدُّعاة، هو أوَّل ما دعى إليه الأنبياء-عليهم السلام-، صحَّة العقيدة هو أوَّل وأجب ضابطٍ يجب أن تقوم عليه صُحبة الدُّعاة فيما بينهم ، إذ لا يليق فيمن يدعو إلى ربِّه، ويُصحّح عقيدة من حوله أن يَصْحَب مَنْ كان ذا عقيدة فاسدة فضلاً أن يكون داعية إليها.

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب:الزهد والرقائق، باب:المؤمن أمره كله خير ، رقم الحديث (٢٩٩٩) (٤/٢٢٩٥).

(٢) العقيدة في الله ، عمر الأشقر ، ص:٨٠.

(٣) عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري ، ص:٤٣٦.

إنَّ الدَّاعية في اختياره لِصَحبه يجب أن يتحرَّى صفاء عقائدهم ، وذاك التَّحرِّي ليس تعصُّباً أعمى ، أو دعوة للعداوة والبغضاء ، وإنَّما صيانةً لهذه الدَّعوة السَّامية ، وحفاظاً على أتباعها، بل واتّباعاً لأمر الباري إذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

إنَّ الدَّاعية يسعى ليَفوز برِفقةٍ تأخذ بيده للفلاح ، تُعينه على الصَّلاح والإصلاح ، وليس من العقل أنَّ صاحِب العقيدة الفاسِدة يُعين صاحِبه على غير ما يعتنقه ويُؤمن به.

(والعقيدة الصَّحيحة اليوم لا تُوجد إلا في الإسلام ، لأنَّه الدِّين المحفوظ الذي تكفَّل الله بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، والعقائد في غير الإسلام ، وإن كان في بعضها نتفٌ من الحق ، فإنها لا تمثل الحق ولا تجليه.

فمن أراد أن يعرف العقيدة السّليمة فإنَّه لن يجدها في اليهوديّة ، ولا في النصرانيّة ، ولا في كلام الفلاسفة...، وإنَّما يجدها في الإسلام في أصليه: الكتاب والسنَّة ، ندية طريّة صافية مُشرقة ، تقنع العقل بالحجة والبرهان ، وتملأ القلب إيماناً ويقيناً ونوراً وحياة ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢])[(١)] .

فليس مِنْ الصَّواب ولا من الحقّ أن يَصحَب الدَّاعية مَجُوسيًّا ، أو نصرانيًّا ، أو يهوديّاً، أو مُلحِداً ، إذ كيف يدعو غيره للولاء لهذا الدِّين وأهله ، والبراء من غيره من الدَّعوات الباطِلَة وأهلها ثُمَّ هو يُخالف قوله ، فيصحب من وَجَب في حقّهم البراء .

ثُمَّ إنَّ المُصطفى -ﷺ- قد وصَّى المُؤمن أن ينتقي رفيقه ، ويُحسن اختياره قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: ((الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ))[(٢)] .

(١) العقيدة في الله ، عمر الأشقر ، ص:١٤-١٥.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب:الزهد ، رقم الحديث (٢٣٧٨) (١٦٧/٤) ، وقال :(هذا حديث حسن غريب) ، ورواه أبي داوود في سننه ، كتاب:الأدب،باب:من يؤمر أن يجالس ، رقم الحديث (٤٨٣٣) (٢٥٩/٤) ، وقال الألباني في سلسلته: (حسن).

فكيف للدَّاعية أن يُوجِّه النَّاس لانتقاء أصحابهم ، وحُسن اختيارهم ، ثُمَّ هو يُصاحِب فاسِد عقيدةٍ ، والأدهى أن يكون داعيةً إليها.

إنَّ صُحبة شخصٍ تعني مُلازمته ، والسَّماع مِنْه ، وكثرة المِساس تُميت الإحساس -كما قيل- ، فكثرة مُلازمة فاسد العقيدة ، تُميت البراء وتُفسِده ، وتِلك عقيدة يجب على المؤمن الحِفاظ عليها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾[المائدة:٥٤].

قال السعدي [(١)] - رَحِمَهُ اللَّهُ- : (فالغلظة والشدَّة على أعداء الله مما يُقرب العبد إلى الله ، ويُوافق العبد ربَّه في سخطه عليهم ، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدَّة دعوتهم إلى الدِّين الإسلامي بالتي هي أحسن ، فتجتمع الغلظة عليهم ، واللين في دعوتهم ، وكلا الأمرين في مصلحتهم ، ونفعه عائد إليهم) [(٢)] .

ثُمَّ قال -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (فإذا علمتم -أيها المؤمنون- حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم ، فمن لم يعادهم بعد هذا دلَّ على أنَّ الإسلام عنده رخيص ، وأنَّه لا يُبالي بمن قدح فيه ، أو قدح بالكفر والضَّلال ، وأنَّه ليس عنده من المروءة والإنسانيَّة شيء.

فكيف تدعي لنفسك ديناً قيماً ، وأنَّه دين الحق ، وما سواه باطل ، وترضى بموالاة مَنْ اتَّخذه هُزُواً ولعباً ، وسخر به وبأهله ، من أهل الجهل والحمق؟ وهذا فيه من التَّهييج على عداوتهم ، ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم) [(٣)] .

وليس النَّهي عن مُصاحبة فاسد العقيدة نهيٌ عن نفعه ودعوته ، بل يجب على الدَّاعية أن يبذل ما يستطيع من الوسائل والأساليب لدعوة من حوله ، واستجلابهم للحقّ والنَّجاة.

لقد آخى المُصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بين المهاجرين والأنصار على أساس صفاء عقائدهم وسلامتها ، ولو أنَّ هذا الضَّابط غير مهم لآخى النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بين المُهاجرين وقريش ، أو لآخى بين المُسلمين واليهود ،

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي (١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ = ١٨٩٠ - ١٩٥٦ م) مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨) له نحو ٣٠ كتابا (الأعلام للزركلي ٣/٣٤٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي ، ص:٢١٤.

(٣) المرجع السابق ، ص:٢١٥.

إلا أنَّه جعل صُحبتهم مضبوطة بِضابِط صِحَّة العقيدة ، وكُلَّما صحَّت العقيدة وصَفت عند الدُّعاة ، كلَّما عَظُم تلاحُمهم ، وزاد إخاؤهم ، وتقوَّت صُحبتهم ، وانتفعت دعوتهم ، وأثمرت بإذن باريها.

وكما أنَّ صُحبة فاسد العقيدة ليست تليق بالدَّاعية ، فإنَّ صُحبة المبتدع ذي البِدع المُكفرة[1][2] ، أومن كان دون المُكفِّرة[3] لكن المصلحة تقتضي هجره وترك مُصاحبته ، فصُحبة أولئك لا تنبغي ولا تليق بالدَّاعية إلى الله.

وذلك لأنَّ (الابتداع في الدين يزيد الفرقة بين الأمَّة ، فهو أصل للسبل المخالفة للشرع ، والتي نهانا الله عن اتباعها ، كما قال سبحانه ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولأن كثرة البدع طريقٌ لخفاء الحق وعدم ظهوره ، وذلك لكثرة الشبهات التي تحيط بالقلوب بسبب البدع المخالفة لما أنزل الله ، وهذه الأمور تؤدي بالتَّالي لضعف الأمَّة ولظلم بعضها بعضاً ، وذلك بسبب التَّنازع الذي يزرع الأحقاد والبغضاء بين أفراد الأمَّة وطوائفها، ومن ثمَّ ذهاب قوتها ، كما قال سبحانه﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦])[4] .

إنَّ مُصاحبة الدَّاعية لِصاحِب البِدَعِ المُكفرة ، أو المُفسّقة الدَّاعي لها يُروِّج بصحبته لذلك المُبتدع ، فكأنَّه زكَّاه ، وصفَّى سيرته للنَّاس بصُحبته ، إذ كيف للنَّاس أن يمتنعوا من سماع دعوة ذلك المُبتدع ،

---

(١) ضوابط في معرفة البدعة المكفرة :- الضابط الأول:- كل بدعة تتضمن صرف شيء من التعبدات لغير الله ـــ فإنها بدعة مكفرة .الضابط الثاني:- كل بدعة تتضمن إنكار معلوم من الدين بالضرورة فهي مكفرة .الضابط الثالث:- كل بدعة تتضمن خرق الإجماع القطعي فهي مكفرة . الضابط الرابع:- كل بدعة تعود على أصل الشرع بالإبطال فهي مكفرة . الضابط الخامس:- كل بدعة نص أئمة أهل السنة عليها بأنها مكفرة فهي كذلك . (منهج أهل الاتباع في التَّعامل مع أهل الإبتداع ،وليد السعيدان ، ص:١١-١٢).

(٢) المعين المبتدع لا يكفر إلا بأمرين:- الأول:- أن تكون بدعته من البدع المكفرة، الثاني:- أن تتوفر فيه شروط التكفير وتنتفي موانعه ، وهي: العقل، البلوغ، العلم، القصد، الاختيار، عدم التأويل (منهج أهل الاتباع في التَّعامل مع أهل الابتداع ،وليد السعيدان ،ص:١٣-١٨).

(٣) من دواعي وأسباب هجر ذلك المبتدع: أن يكون داعية لبدعته ذا لسان سليط على أهل السنة وذا جدال وخصال ومحاجة وملاججة يخشى على الجالس معه من الفتنة ببدعته فهذا يهجره من خشي الوقوع في حبائله، ومنها:- أن يكون في هجره زجر له عن بدعته رجاء أن يتوب ويعود عنها إلى حياض أهل السنة، فهذا يهجر حتى تتحقق المصلحة وتندفع المفسدة ومنها:- أن يكون في هجره زجراً لغيره عن الوقوع فيما وقع فيه من البدعة، فهذا أيضاً يهجر بالقدر المحقق للمصلحة والدافع للمفسدة، فإن البدعة المفسقة لها مراتب، ويختلف الحال باختلاف صاحبها من كونه داعية أو مستتراً وغير ذلك ويختلف حال الهاجر من كونه عالماً راسخاً لا يخاف عليه من المبتدع، أو كونه عامياً جاهلاً يخاف عليه (منهج أهل الاتِّباع في التَّعامل مع أهل الابتداع ، وليد السعيدان ،ص:٣٩-٤٠).

(٤) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، إبراهيم البريكان ، ص:٨١.

وهو صاحب الدَّاعية الفلاني ، إنَّ صُحبته له من أعظم التَّزكيات، ومن أكثر المُروجات لدعوة ذلك المُبتدع.

(ولأن في مجالستهم مخالفة أمر الشارع كتاباً وسنة ، ولأن مجالستهم توجب محبتهم ، والتودد إليهم ، وإزالة واجب البغض والمعاداة ، ولأن في مجالستهم تعطيلاً لما أوجبه الشارع من هجرهم تعزيراً وعقوبة لهم، ، ولأن الإنسان إذا جالسهم فإنه يفتح على نفسه باب الظنون والتشكيك في سلامة معتقده، ولأن جلوسه معهم قد يكون سبباً لتغرير العامة حتى يقولوا:- لو كانوا ضلالاً لما جلس معهم فلان ، وهذه طامة كبيرة ومصيبة خطيرة، ولأنهم قوم عصاة والجلوس معهم قد يوجب أن يكون تابعاً لهم في اللعنة والعقوبة الربانية لأن مجالسهم مجالس يقرر فيها الباطل ، ويزهق فيها الحق ، ويخالف فيها الشرع ، فلربما لعنوا ، أو نزلت عليهم العقوبة فتعمه معهم، إلى غير ذلك من المصالح والحكم المترتبة على عدم الجلوس معهم، ولكن إن كان الشخص عالماً بمذهب أهل السنة راسخاً في معرفته عارفاً بوجوه الشبهة وجوابها محتاطاً بسلاح المعرفة الراسخة في مذهبهم البدعي، وأراد أن يجلس معهم لبيان الحق ، ودعوتهم إلى السنة ، وإزالة الشبهة عنهم ، وتحذيرهم من البدعة ، فلا بأس بذلك إذ لا مفسدة حينئذٍ، وهذا خاص بأهل العلم الراسخين فيه كما ذكرت ، وإلا فالأصل ترك مجالستهم لما فيها من الزواجر الشرعية والنواهي النقلية ، والمفاسد المتحققة حالاً أو مآلاً)[1] .

و إن كان الدَّاعية صاحب خير ، وأعمال بر ، لكن كانت له بعض السَّقطات ، والبدع اليسيرة التي تُغتفر ، فإنَّ ذلك لا يعني ترك صُحبته ، وإنَّما مُناصحته ، وكشف الشُّبه عنه ، وتأييد ذلك بالحُجج ، والأخذ بيده نحو طريق الحقَّ.

إنَّه يجب على الدَّاعية أن يتبين من صاحِبه إن كان مُجتهداً ، أو صاحب بدعةٍ وهوى، فالأوَّل يُرجى أن يكون مأجوراً ، أمَّا الآخر فيُحذَّر ، ويُنذر ، ويُوجَّه.

وقد يُفاجأ الدَّاعية بسماع ما يُؤرّقه ويُقلقه بأنَّ صاحبه الدَّاعية قد التحق بتلك الفرقة المُبتدعة ، فيهجره ، ويترك صُحبته.

والحقُّ أنَّه إن ثبت في حقِّ تلك الفرقة أو الجماعة أنَّها حقَّاً مُبتدعة ، فقد يكون صاحِبه صاحِب سُنَّة ، وطريقة حسنة ، ولا تعرف البدعة طريقها إليه ، فلربما اغترَّ بنشاط تلك الجماعة واتِّساع دعوتها فالتحق بها ، فلعله يُحذِّر صاحبه حتَّى لا تجرُّه رفقة مثل أولئك المُبتدعة إلى أوحال البدع والهوى.

(١) منهج أهل الاتِّباع في التَّعامل مع أهل الابتداع ، وليد السعيدان ، ص:٨٩-٩٠.

أما وإنَّا في زمنٍ قد غلبت في الشَّهوات ، وضعفت فيه الدَّعوة ، فينبغي أن يُوازن الدّعاة بين مَصلحة الحِفاظ على السُنَّة ، ومُحاربة البدعة ، وبين الدَّعوة إلى تماسك الدُّعاة وتلاحمهم ، والسَّعي إلى نصرتهم جميعا للدَّعوة.

(هذا وليُعلم أنَّ تكامل وتوازن النظرة للآخرين لا يعني أن نجتمع على حساب عقيدتنا ، وأصولنا الإيمانيَّة ، فليس كل من ادَّعى الدَّعوة إلى الله يُقبل قوله ، فالرَّافضة مثلاً يدَّعون أنَّهم دعاة إلى الله ، وفرق الصُّوفية والقبوريَّة كذلك ، وغيرهم من فرق البدعة والضَّلال ممَّن لا يسوغ لنا التَّعاون معهم لمخالفتهم لأصول أهل السنَّة والجماعة ، وإنَّما هذا التَّوازن في النَّظرة يتنزَّل على من كان من الدُّعاة يدور في فلك أهل السُّنَّة والجماعة ولو كان عنده نوع تقصير وخطأ وتأثّر بأهل البدع فنقدِّر له جُهُوده الدَّعويَّة ، ونتناصح فيما بيننا بالموعظة الحسنة ، والكلمة الطيِّبة ، والتَّنبيه الرشيد ، فمن الدُّعاة من ينتسب إلى أهل السنَّة والجماعة ، وله بعض الأخطاء التي لا يخلو منها بشر إمَّا عن تأويل ، أو اجتهاد خاطئ ، أو ضعف في العلم ، أود دعوى المصلحة...إلخ ، ولكنَّه في الجملة متمسك بالسنَّة ، داعٍ إليها ، مدافع عنها ، وحسناته أكثر من سيئاته ، وانتفاع النَّاس بدعوته أكثر من الضرر الحاصل على بعضهم في اتِّباعه في هذه الأخطاء ، والمنصف من يغتفر قليل زلل المرء في كثير صوابه ، ومَن مِن النَّاس هو الذي يصيب دائِما ولا يُخطئ ؟!)[1] .

وبعد التفصيل في صحة المعتقد كضابط أول للصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى أنتقل إلى الضابط الثاني وهو الإخلاص.

(١) فقه مقاصد الدَّعوة إلى الله ــ وأثره في حياة الدَّاعية ، سعد القعود ، ص:٢٢٣-٢٢٤.

الْمَسْأَلَة الْثَّانِيَة : الْإِخْلَاص .

أَوَّلاً:تَعْرِيْف الْإِخْلَاص :

أ- الْإِخْلَاص لُغَةً:

قال ابن فارس -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالصَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ تَنْقِيَةُ الشَّيْءِ وَتَهْذِيبُهُ)[1] .

قال ابن منظور-رَحِمَهُ اللَّهُ-: (خلص الشيء -بالفتح- يخلص خلوصاً، وخلاصاً: إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم.وأخلصه، وخلصه، وأخلص دينه: أمحضه. وأخلص الشيء: اختاره)[2] .

ب- الْإِخْلَاصُ اصْطِلَاحاً:

قيل : (الإخلاص افراد الحق في الطاعة بالقصد ، وهو يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من التصنع لمخلوق ، واكتساب محمدة عند الناس ، أو منحة مدح من الخلق ، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى)[3] .

وقيل : (أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا)[4] .

فالإخلاص هو : (أن يكون الدَّافع على الدَّعوة والعمل والباعث لها هو: التقرب إلى الله -جَلَّ جَلَالُهُ- وحده لا شريك له والحصول على مرضاته ، وليس طلباً للرياء والسُّمعة)[5] .

فالإخلاص كضابط من ضوابط صحبة الدعاة يعني : أن يكون الدافع على الصحبة هو : التقرب إلى الله عز وجل وحده ، لا لمراد من مرادات الدنيا .

---

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٢/٢٠٨).

(٢) لسان العرب ، ابن منظور (٧/٢٦).

(٣)بستان العارفين ،أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، دار ابن حزم - لبنان - ١٤٢٤ هـ ، ط١ ، ت: بسام عبد الوهاب الجابي (١/٦١).

(٤) بستان العارفين ، النووي (١/٦٤).

(٥) فقه مقاصد الدَّعوة إلى الله وأثره في حياة الدَّاعية ، سعد القعود ، ص:١٦٣.

ثَانياً: ضَرُوْرَةُ الْإِخْلاص بالنِّسبة للدَّاعِية :

الإخلاص هو لُبُّ الأعمال ، وأساسُ قبولها ، بل بحسبه يرتقي المرء أعالي الدرجات ، وبانعدامه يهوى في الدَّركات.

وقبول عمل العبد مُرتهن ومشروط بشرطين ، لا ينفع أحدهما دون الآخر ، إخلاصٌ ومتابعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾[النساء: ١٢٥] .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (فَإِسْلَامُ الْوَجْهِ : إِخْلَاصُ الْقَصْدِ وَالْعَمَلِ لِلَّهِ. وَالْإِحْسَانُ فِيهِ: مُتَابَعَةُ رَسُولِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَسُنَّتِهِ)[1] .

وإن كان المُسلم مُطالبٌ بالإخلاص في كل أعماله ، فالدَّاعِية سابقٌ في هذا الباب من باب أولى ، فحياته كُلُّها ، وأعماله جُلّها ، صغيرها وكبيرها ، واجبها ومُباحها ، كُلّها يُخلص ويحتسب لله فيها ، ولسان حاله يقول ﴿ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

(إنَّه التجرد الكامل لله، بكل خالجة في القلب وبكل حركة في الحياة، بالصلاة والاعتكاف، وبالمحيا والممات، بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه ، إنها تسبيحة «التوحيد» المطلق، والعبودية الكاملة، تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات، وتخلصها لله وحده. لله «رب العالمين» القوام المهيمن المتصرف المربي الموجه الحاكم للعالمين، في «إسلام» كامل لا يستبقي في النفس ، ولا في الحياة بقية لا يعبدها لله، ولا يحتجز دونه شيئاً في الضمير ولا في الواقع، «وبذلك أمرت» فسمعت وأطعت: «وأنا أول المسلمين»)[2] .

إنَّ الدَّاعية الذي بذل وقته وجهده ، لله وحده ، راغباً فيما عنده ، لا يبتغي ثواب أحد غيره ، قد رأى من حلاوة هذه الوظيفة الأشرف على الإطلاق ما يُصَبّره على البلايا والمِحن التي يلاقيها ، وهذا من عاجل ثوابه .

(إن المخلص ذاق من حلاوة عبوديته ما يمنعه من عبوديته لغيره ، ومن حلاوة محبته ما يمنعه عن محبة غيره ، إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٨٩/٢).

(٢) في ظلال القرآن ،سيد قطب (١٢٤٠/٣-١٢٤١).

عبوديته لله ، ومحبته له ، وإخلاصه الدين له ، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبا إلى الله خائفا منه راغبا راهبا)[1] .

إنَّ طريق الدَّعوة محفوف ببلايا وامتحانات ، يُبتلى الدُّعاة ليُمحص الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، ففتنة المال ، وفتنة المنصب ، وفتنة الشُّهرة ، لكنّ الدَّاعِية الحقَّة يحذر كل الحذر ، ويُجاهد لأن يُخلص نيته لله وحده ، إذ إن عُقوبة مُبتغي الدِّين لأجل الدُّنيا عظيمة.

قال -ﷺ- : ((إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ))[2] .

إنَّ الدَّاعية يُعالج نيته ويتعاهدها بين الفينة والأخرى ، يُجاهد ليجعلها خالصة لوجه الكريم سُبحانه ، يحذر الخزي والعار يوم تُكشَّف الأسرار ، بل يخشى الطَّرد من دار القرار ، وغضب العزيز الجبَّار.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) يَعْنِي: رِيحَهَا[3] .

ولابن القيم -رحمه الله-كلمات مؤثرة ، وكأنَّه يُخاطب بها كل داعية حيث يقول : (لَا يجْتَمع الْإِخْلَاص فِي الْقلب ومحبة الْمَدْح وَالثنَاء والطمع فِيمَا عِنْد النَّاس إِلَّا كَمَا يجْتَمع المَاء وَالنَّار ، والضب والحوت ، فَإِذا حدثتك نَفسك بِطَلَب الْإِخْلَاص فَأقبل على الطمع أَولا فاذبحه بسكين الْيَأْس ، وَأَقْبل على الْمَدْح وَالثنَاء فازهد فيهمَا زهد عشّاق الدُّنْيَا فِي الْآخِرَة ، فَإِذا استقام لَك ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح سهل عَلَيْك الْإِخْلَاص ، فَإِن قلت: وَمَا الَّذِي يسهّل عَليّ ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء

---

(١) الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية ، دار المعرفة – بيروت ، ت: حسنين محمد مخلوف (٢ / ٣٩٩)

(٢) رواه أحمد في مسنده ، مسند الشاميين ، حديث أبي سعيد بن أبي فضالة ، رقم الحديث (١٧٨٨٨) (٤١٨/٢٩)، ورواه ابن ماجه في سننه ، كتاب: الزهد ، باب: الرياء والسمعة ، رقم الحديث (٤٢٠٣) (١٤٠٦/٢) ، ورواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب: الإخلاص وأعمال السر ، باب: نفي وجود الثواب على الأعمال في العقبى لمن أشرك بالله ، رقم الحديث (٤٠٤) (١٣٠/٢) ، قال الألباني في سلسلته: (حسن صحيح).

(٣) رواه أحمد في مسنده ، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة ، باب: مسند أبي هريرة، رقم الحديث (٨٤٥٧) (١٦٩/١٤) ، ورواه أبو داوود في سننه ، كتاب: العلم، باب:في طلب العلم لغير الله ـــ ، رقم الحديث (٣٦٦٤) (٣٢٣/٣) ، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب:الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب:الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم الحديث (٢٥٢) (٩٢/١) ، قال الألباني في سلسلته: (صحيح).

والمدح قلت: أما ذبح الطمع فيسهله عَلَيْك علمك يَقِينا أَنه لَيْسَ من شَيء يطْمع فِيهِ إِلَّا وبيد الله وَحده خزائنه لَا يملكهَا غَيره ، وَلَا يُؤْتى العَبْد مِنْهَا شَيْئا سواهُ ، وَأما الزهد فِي الثَّنَاء والمدح فيسهله عَلَيْك علمك أَنه لَيْسَ أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إِلَّا الله وَحده ...فازهد فِي مدح من لَا يزينك مدحه وَفِي ذمّ من لَا يشنيك ذمّه ، وارغب فِي مدح من كل الزين فِي مدحه وكل الشين فِي ذمه ، وَلنْ يقدر على ذَلِك إِلَّا بِالصبرِ وَالْيَقِين ، فَمَتَى فقدت الصَّبْر وَالْيَقِين كنت كمن أَرَادَ السّفر فِي الْبَحْر فِي غير مركب)[1] .

إنَّ إخلاص الدَّاعية لله في دعوته ، يكون سبباً في وضع القَبول له في الأرض ، والإقبال على دعوته ، وتمكّن مواعظه من القلوب ، وإن طاله الضَّرر ، فليصبر وليحتسب.

ومن عَلِم ثواب الصَّبر والاحتساب ، وجاهد في سبيل نشر الدَّعوة الإسلاميَّة لن تُغريه زخارف الدُّنيا ولذائذها الفانية عن مقصوده الأسمى ، ولن يبيع نيته الخالصة بنيةٍ دنيِّة ، ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩] .

إنَّ علم الدَّاعية بعقوبة الرِّياء ، ونيل الدُّنيا بما يُبتغى به وجه الله يجعله يفرُّ إلى الإخلاص ويتمسَّك به ، ويُجدِّد نيَّته كلّ حينٍ وآن.

فالداعية يستحضر موقف مُعاوية -رضي الله عنه- حينما رُوي له حديث أول ثلاثة تُسعَّر بهم النَّار حيث قال: ((قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا -قال الرَّاوي- :حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥ – ١٦]))[2] .

حديث أوَّل ثلاثة تُسعّر بهم النَّار ، هو من أكثر الأدلَّة ترهيباً في هذا الباب ، وردعاً لكل نفسٍ استحبَّت ثواب الدُّنيا على ثواب الآخرة ، واتخذت أعمال الآخرة مَطِيّة لتصل لبغيتها ، بئس الرَّاكب ، أيُّ فوزٍ يبغيه ، وأي نصرٍ يرتجيه، ونار جهنَّم إنَّما تُسَعَّر به .

(١) الفوائد ، ابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية-بيروت ، ط٢ ١٣٩٣ه، ص:١٤٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه ، كتاب: الزهد، باب: ماجاء في الرياء والسمعة (١٧١/٤).

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ "[1].

الإخلاص هو إحدى الأسباب الرئيسية لنُصرة الدَّعوة وتمكينها ، بل إنَّ تخاذل الدُّعاة وركونهم للدُّنيا ، وعدم تعهدهم لنواياهم بتخليصها من شوائب الفانية يؤخر نُصرة الدَّعوة ، مِمَّا يزيد عليهم في البلايا والرَّزايا ، فالإخلاص هو سبب نُصرة هذه الأمة ونجاتها ، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ-: ((إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ))[2].

(فليحذر الدَّاعية إلى الله من حبائل الشيطان ، ولا يستجيب لحظوظ النَّفس الأمَّارة بالسوء ، لأنَّ النفس جبلت على حب التَّرأس ، وحب التَّرفع على النَّاس ، والسعي للعز والشرف ، وأن يكون لها مقام في قلوبهم ، حتى يكون هذا همها ومُرادها ، فيتمكَّن هواها منه ، ويأسره في طريق دعوته إلى الله تعالى ، ويسيطر عليه سيطرة المقاتل على أسيره ، فيصبح الهوى هو المُحرك له في دعوته ، وهو الدَّافع والباعث على العمل ، وفي الوقت نفسه تكون مقاصد دعوته تبعاً لهواه التي يسعى إلى تحقيقها ، ومن ثمَّ يكون الهوى هو الإله الذي يعبده ، ويطوف حوله والمعصوم من عصمه الله)[3].

إنَّه لا أضل ولا أخزى ممَّن قادته مُرادات الدُنيا ، وضاع تعبه ونصبه وبلاؤه في طريق الدَّعوة هباءاً منثوراً ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الجاثية: ٢٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الإمارة ، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، رقم الحديث (١٩٠٥).

(٢) رواه النسائي في سننه،كتاب: الجهاد، باب: الاستنصار بالضعيف، رقم الحديث(٣١٧٨)، قال الألباني في سلسلته: (صحيح).

(٣) فقه مقاصد الدَّعوة إلى الله ـــ وأثره في حياة الدَّاعية ، سعد القعود ، ص:١٦٨-١٦٩.

إنَّ الخزي يوم القيامة لمن عَمِل ونَصب ثمَّ يقع في الخسران الحقيقي: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣]، والدَّاعية أولى بأن يتعهَّد نيَّته بالتصفية والتَّخليص ، حتَّى ينال رضى الكريم الرحمن ، يوم يذوق المُراؤون والكذَّابون العذاب الأليم ، ويتجرّعون المرارة ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الصافات: ٣٨ – ٤٤].

وبعد بيان ضرورة الإخلاص وأهميته بالنسبة للداعية إلى الله تعالى ، أخصص الحديث عن الإخلاص كضابط من ضوابط الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى.

ثَالِثاً: الإِخْلاصُ مِن ضَوَابِطِ الْصُّحبة بَيْنَ الْدُّعاة :

إنَّ من أوجب واجبات الصُّحبة بين الدُّعاة أن تكون خالصة لله وحده ، لا يشوبها أي غرض من أغراض الدُّنيا

فعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ : ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))[(١)] .

قال صاحب عمدة القاري[(٢)] –رحمه الله– : (وَمن محبته ومحبة رَسُوله محبَّة أهل مِلَّته، فَلَا تحصل حلاوة الْإِيمَان إلاَّ أَن تكون خَالِصَة لله تَعَالَى، غير مشوبة بالأغراض الدُّنْيَوِيَّة وَلَا الحظوظ البشرية، فَإِن من أحب لذَلِك انْقَطَعت تِلْكَ الْمحبَّة عِنْد انْقِطَاع سَببهَا)[(٣)] .

لن يتلذذ الدُّعاة بحلاوة الصُّحبة في الدَّارين ، حتَّى يتحقّق معنى الإخلاص في تلك الصُّحبة ، وكُلّما زاد الإخلاص فيها وعظم ، كلَّما عظمت صُحبتهم ، وعَظُم عطاؤها وخيرها في الدنيا والآخرة.

(والْإِخْلَاصُ: تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ.أَيْ : لَا يُمَازِجُ عَمَلَهُ مَا يَشُوبُهُ مِنْ شَوَائِبَ إِرَادَاتُ النَّفْسِ إِمَّا طَلَبُ التَّزَيُّنِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِمَّا طَلَبُ مَدْحِهِمْ، وَالْهَرَبُ مِنْ ذَمِّهِمْ، أَوْ طَلَبُ تَعْظِيمِهِمْ،

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الإيمان ، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، رقم الحديث (٤٣) (٦٦/١).

(٢) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين،أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية (الأعلام للزركلي ١٦٣/٧).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ، دار إحياء التراث العربي–بيروت (١٤٩/١).

أَوْ طَلَبُ أَمْوَالِهِمْ أَوْ خِدْمَتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ وَقَضَائِهِمْ حَوَائِجَهُ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ وَالشَّوَائِبِ، الَّتِي عَقْدُ مُتَفَرِّقَاتِهَا هُوَ إِرَادَةُ مَا سِوَى اللَّهِ بِعَمَلِهِ، كَائِنًا مَا كَانَ)[1].

إنَّ كُلّ عملٍ لن يقبله الباري حتَّى يكون خالصاً له سُبحانه ، وما قَبِله البَّاري سُبحانه وُضع له القّبول ، وتسابق إلى محبته أهل العقول وفي الحديث : ((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ))[2].

(فأول ما تصح له المحبة في اللّه عزّ وجل أنْ لا يكون لضد ذلك من صحبة لأجل معصية ، ولا على حظ من دنياه، ولا لسبب موافقته على هواه ، ولا لأجل ارتفاقه به اليوم لمنافعه ومصالحه في أحواله ، ولا يكون ذلك مكافأة على إحسان أحسن به إليه ، ولا لنعمة ويد يجزيه عليها ، فهذه ليس فيها طريق إلى اللّه عزّ وجل ولا للآخرة ، لأنها طرقات الدنيا ولأسباب الهوى ، فإذا سلم من هذه المعاني ، فهذه أول المحبة للّه عزّ وجل ...، وكل محبة تكون عن عوض ، إذا ذهب العوض زالت المحبة ، وصحة الحب في اللّه عزّ وجل والبغض فيه لا ينقلب لسبب حب جعل في الطبع لمنافع الدنيا ، ولا لأجل بغض في النفس لمضارها ، وحقيقة الحب في اللّه عزّ وجل أنْ لا يحسده على دين ولا دنيا ، كما لا يحسد نفسه عليهما، وأن يؤثره بالدين والدنيا إذا كان محتاجاً إليهما كنفسه ، وهذا شرطا الحب في اللّه عزّ وجل)[3].

ويكون الإخلاص كضابط للصُّحبة من أن تخترقها مُرادات الدُّنيا ، فتُذهب عظيم بركاتها وأجرها ، فلا تكون صُحبة حقّة حينما تكون مقاصد الدُّنيا ومُراداتها هي القائدة والمُسيطرة ، فلابد أن تكون صُحبة الدُّعاة خالصة بدءاً لله -ﷻ- لا لأجل منصبٍ أو لطلب شُهرة.

أمَّا ما قد يعترض الدُّعاة من النَّوايا الدُّنيوية التي لا تلبث أن تزول ، فالدَّاعية مُطالب بالاجتهاد ومُدافعة تلك النَّوايا المُبطلة ، والمُجاهد موعودٌ بالهداية، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم (٢/٩٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: بدء الخلق ، باب: ذكر الملائكة ، رقم الحديث (٣٢٠٩) (٤/١١١).

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ،أبو طالب المكي ، دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م،ط٢، ت:عاصم إبراهيم الكيالي (٢/٣٦٨-٣٦٩).

فالصُّحبة الخالصة لله تعالى هي الصُّحبة التي يتحقّق بها سعادة الدُّنيا وفوز الآخرة ، فتكون عوناً للدُّعاة في طريق دعوتهم ، وأنساً لهم في مفاوزها ، ورُشداً حال التِّيه .

ثُمّ في الآخرة تكون فوزاً وفلاحاً ، على منابر من نُور ، وفي ظلّ العرش ، فوزٌ لا يُضاهيه فوز.

وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وعن ابنه عبد اللّه -رضي الله عنهما- :(لو أن رجلاً صام النهار لا يفطر ، وقام الليل وجاهد ، و لم يحب في اللّه عزّ وجل ويبغض في اللّه ما نفعه ذلك شيئاً)[1] .

وبعد بيان الإخلاص وأهميته وضرورته كضابط للصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى ، أنتقل إلى بيان الضابط التالي وهو الصدق.

(١) المرجع السابق (٢/٣٦٦).

الْمَسْأَلَة الْثَّالثّة: الْصِّدْق.

أَوَّلاً: تعريف الْصِّدق:

أ- الْصِّدق لُغَةً:

قال ابن فارس -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (الصَّادُ وَالدَّالُ وَالْقَافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ قَوْلًا وَغَيْرَهُ)[1].

وقال ابن القيِّم -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الصِّدْقُ: هُوَ حُصُولُ الشَّيْءِ وَتَمَامُهُ، وَكَمَالُ قُوَّتِهِ، وَاجْتِمَاعُ أَجْزَائِهِ)[2].

ب- الصِّدْق اصْطِلاحاً:

اهتمَّ العُلماء بالحثِّ على الصِّدق والتَّعريف به ، وهذه بعضاً من التَّعريفات:

قيل : (هو مطابقة القول الضّمير والمخبر عنه معا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صِدْقاً تامّا، بل إمّا أن لا يوصف بالصّدق ، وإمّا أن يوصف تارة بالصّدق، وتارة بالكذب على نظرين مختلفين)[3].

وقيل : (الصدق استواء السرّ والعلانية والظاهر والباطن، بألا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله)[4].

فالْصِّدْقُ كَضابطٍ من ضوابطْ الْصُّحبة يعني: السَّعي الحثيث لبذل الوسائل المُوصلة للحفاظ على الصُّحبة بين الدُّعاة على ميزان الحقِّ .

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/٣٣٩).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم الجوزية (٢/٢٦٧).

(٣) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني،دار القلم-الدار الشامية-دمشق-بيروت،ت:صفوان عدنان،ط١،ص:٤٧٨-٤٧٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي البكري، دار المعرفة-بيروت،ط٤ (١/٢٠٧).

ثَانياً: الصِّدقُ والإخلاص قرينان:

قد يظهر للعامِي أن لا علاقة بين الصّدق والإخلاص ، لكنّ ذلك لا يخفى على الدَّاعية الحصيف.

فمواضع الصِّدق ثلاثة:

١- صدق النّوايا: وهذا مُراده إخلاص النّية لله وحده ، فإنّما يكون العمل له وحده سبحانه لا لأحد سواه ، وقد سبق الحديث في مسألة الإخلاص [(١)].

٢- صِدق الفِعال: فلا تُكَذب أفعال الدَّاعية مايدعو إليه بقوله ، بل تكون مُصدّقةً لها.

٣- صِدْق الأقوال : إذ يكون ديدن الدّاعية ، ألّا يتلفّظ في دعوته وسائر كلامه إلا بحقٍ وصدق.

قال ابن القيّم -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الصِّدْقُ فِي ثَّلَاثَةٍ : فَالصِّدْقُ فِي الْأَقْوَالِ : اسْتِوَاءُ اللِّسَانِ عَلَى الْأَقْوَالِ، كَاسْتِوَاءِ السُّنْبُلَةِ عَلَى سَاقِهَا.وَالصِّدْقُ فِي الْأَعْمَالِ : اسْتِوَاءُ الْأَفْعَالِ عَلَى الْأَمْرِ وَالْمُتَابَعَةِ. كَاسْتِوَاءِ الرَّأْسِ عَلَى الْجَسَدِ. وَالصِّدْقُ فِي الْأَحْوَالِ : اسْتِوَاءُ أَعْمَالِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ عَلَى الْإِخْلَاصِ. وَاسْتِفْرَاغُ الْوُسْعِ، وَبَذْلُ الطَّاقَةِ، فَبِذَلِكَ يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ.وَبِحَسَبِ كَمَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ فِيهِ وَقِيَامِهَا بِهِ: تَكُونُ صِدِّيقِيَّتُهُ) [(٢)].

فالعلاقة وثيقة بين الصدق والإخلاص ، حتّى إنَّ البعض ليخلط بينهما فيُسمّي الصادق مخلصاً، والمخلص صادقاً ، وقد رَسَم ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- الفّارق بينهما إذ قال :

(الْإِخْلَاصُ عَدَمُ انْقِسَامِ الْمَطْلُوبِ ، وَالصِّدْقُ عَدَمُ انْقِسَامِ الطَّلَبِ ؛ فَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ: تَوْحِيدُ الْمَطْلُوبِ. وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ : تَوْحِيدُ الطَّلَبِ وَالْإِرَادَةِ. وَلَا يُثْمِرَانِ إِلَّا بِالِاسْتِسْلَامِ الْمَحْضِ لِلْمُتَابَعَةِ) [(٣)].

(١) للاستزادة:راجع مسألة الإخلاص ص:

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية (٢/٢٥٨).

(٣) المرجع السابق (٢/٩٧).

وبذلك يكون الصّدق في الصّحبة يعني أن يكون مُخلصا له فيها لله ، ثمّ يسعى بكل السبل والوسائل لتقويتها وتوطيدها على الخير ، وتعهّدها بسقي الغِراس بمشاريع دعويّة مُباركة ، وبذلك تكون الصُحبة مخلصَة وصادِقة.

وَلذا فإن كُلَ صادقٍ مُخلص وليس كُلّ مُخلصٍ صادق ، إذ لا يكفي في الصُّحبة بين الدّعاة أن يُخلص أفرادها الصُحبة لله وحده –مع عِظَم شَأنِ الإخلاص– إلّا أنّ الصُّحبة إذا افتقدت الصِدق –غالباً– لا تستمر ولا تُثمِر.

(فمن حقيقة المؤاخاة في اللّه عزّ وجل إخلاص المودة له بالغيب ، والشهادة واستواء القلب مع اللسان ، واعتدال السرّ مع العلانية في الجماعة والخلوة ، فإذا لم يختلف ذلك فهو إخلاص الأخوة ، وإنْ اختلف ذلك ففيه مداهنة في الأخوة ، ومماذقة في المودة ، وذلك دخل في الدين ، ووليجة في طريق المؤمنين ، ولا يكون ذلك مع حقيقة الإيمان)[1] .

وبعد بيان العلاقة القوية بين الصدق والإخلاص ، أنتقل إلى التفصيل في ضابط الصدق.

ثالِثاً: الصِّدقُ سِمَةُ صُحبَةِ الدُّعاة:

إنَّ الصِّدق خُلُق سامٍ رفيع ، لا يتخلّق به إلّا كِرامٌ أَخْيَار ، فهو طَريقُ البرّ والفلاح ، والفوز بالجنَّة.

(مَنْزِلَةُ الصِّدْقِ هِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ الْأَعْظَمِ. الَّذِي مِنْهُ تَنْشَأُ جَمِيعُ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ، وَالطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ الَّذِي مَنْ لَمْ يَسِرْ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنَ الْمُنْقَطِعِينَ الْهَالِكِينَ. وَبِهِ تَمَيَّزَ أَهْلُ النِّفَاقِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَسُكَّانُ الْجِنَانِ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ. وَهُوَ سَيْفُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ الَّذِي مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ. وَلَا وَاجَهَ بَاطِلًا إِلَّا أَرْدَاهُ وَصَرَعَهُ. مَنْ صَالَ بِهِ لَمْ تُرَدَّ صَوْلَتُهُ. وَمَنْ نَطَقَ بِهِ عَلَتْ عَلَى الْخُصُومِ كَلِمَتُهُ. فَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ، وَمَحَكُّ الْأَحْوَالِ، وَالْحَامِلُ عَلَى اقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ، وَالْبَابُ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ الْوَاصِلُونَ إِلَى حَضْرَةِ ذِي الْجَلَالِ ، وَهُوَ أَسَاسُ بِنَاءِ الدِّينِ، وَعَمُودُ فُسْطَاطِ الْيَقِينِ ، وَدَرَجَتُهُ تَالِيَةٌ لِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْعَالِمِينَ ، وَمِنْ مَسَاكِنِهِمْ فِي الْجَنَّاتِ تُجْرَى الْعُيُونُ وَالْأَنْهَارُ إِلَى مَسَاكِنِ الصِّدِّيقِينَ ، كَمَا كَانَ مِنْ قُلُوبِهِمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَدَدٌ مُتَّصِلٌ وَمَعِينٌ)[2] .

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ، أبو طالب المكي (٣٦٦/٢).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٢٥٧/٢).

فالصِّدق سِمَةُ الدَّاعية في عبادته ودعوته ، في أقواله وأفعاله بل وفي جميع شؤونه ، إنَّه نَظَر لِسَبق أصحابه فَلَم يَضل طريقهم ، بل تشبّث بِطريقتهم ، ولَزَم خُلُقَهم.

فتَرَى الدَّاعية يُجاهِد نفسه ، ويُوصي صَحْبَه على وجوب لزوم الصِّدق ، إذ هو الرّفعة الحقيقيّة في الدُّنيا والآخرة.

فلا نجاة ولا فوز ولا خير يناله المرء إلا بالصِّدق ، فينال به الرِّفعة والخيرية ، والفوز بالمساكِن المُباركة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ ﴾ [المائدة: ١١٩].

(ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره مع صدق العزيمة ، فيصدقه في عزمه، وفي فعله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١ ﴾[محمد: ٢١]، فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل، ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره وهذا الصدق معنى يلتئم من صحة الإخلاص وصدق التوكل فأصدق الناس من صح إخلاصه وتوكله)[1].

والصُّحبة بين الدُّعاة يُنيرها ويُعظِمُ بهائها الصِّدق ، فتكون صُحبتهم مِصداقاً للصُّحبة المُباركة ، إنّها قَبَسٌ من ذاك النُّور الخَالِد ، نور النُّبوَّة المُحمَّدِيَة.

إنَّهُ لا صُحْبَةٍ عَطّرت التَّاريخ أَصْدَق من صُحبة خير البَّرِيّة ، فَهِي نِبْراسٌ للصُحبة الخيّرة ، ومعَيْنٌ لكلّ داعِيةٍ رَامَ الصِّدق في صِحْبته.

فممنْ وُسِم مِنْ صَحب المُصطفى -ﷺ- بالصِدق ، وكان الصِدق ديدن صُحبته ، الصِّدِّيق أبا بكرٍ -رضي الله عنه- أُنموذجاً للصُّحبة الصَّادقة.

وهذا حسَّان بن ثابت [2] -رضي الله عنه- يقول في الصِّديق -رضي الله عنه- :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَــةٍ ... فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَــلا

(١) الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، ص:١٨٦-١٨٧.

(٢)حَسَّانُ بنُ ثَابِتِ بنِ المُنْذِرِ بنِ حَرَامٍ الأَنْصَارِيُّ ، سَيِّدُ الشُّعَرَاءِ المُؤْمِنِيْنَ، المُؤَيَّدُ بِرُوْحِ القُدُسِ. شَاعِرُ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَصَاحِبُهُ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٥١٢).

خَيْـــرَ الْبَرِيَّةِ أَتْقَاهَـــا وَأَعْدَلَهَـــا... بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَـــــلا

وَالثَّانِيَ التَّالِيَ الْمَحْمُودَ مَشْهَـــدُهُ ... وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلا[1]

كان -رضي الله عنه- باذلاً نفسه وماله وجاهه ، يفدي المُصطفى -صلى الله عليه وسلم- بكُل ما يملك ، وَقَف صامِداً في وجه كُلّ من يُعادي النبي -صلى الله عليه وسلم- ، كان الأسبق في تصديقه في كُلّ ما يُخبِر، طائعاً له في كلّ ما يأمر.

أَرَاد بعض أشقياء قُريش النَّبي-صلى الله عليه وسلم- بسوء وهو يُصلّي، فَصَدَّهم الصِّدِّيق -رضي الله عنه- وقال لهم واعظاً: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر:٢٨][2] .

الصُّحبةُ الصَّادِقة هي التِّي تكُون عوناً للدُّعاة في طريقهم ، تزيدهم يقيناً بباريهم ، تُعمّق إيمانهم ، هي الصُّحبة التي لاتلتقي على مُرادات الدُّنيا وإنما جُلّ وقتها تقضيه لله ، لأجل الدَّعوة إليه ، والثَّبات عليها.

فهي الصُّحبة التي لا يلتقي أَفرادُها إلا لأجل الله ، بل ومن عِظَم هذه الصُّحبة حتى افتراقهم يكون له سُبحانه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ" وذكر منهم: ((وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ))[3] .

قال ابن القيِّم -رحمه الله- : (فَمُدْخَلُ الصِّدْق، وَمُخْرَجُ الصِّدْق: أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ وَخُرُوجُهُ حَقًّا ثَابِتًا بِاللَّهِ، وَفِي مَرْضَاتِهِ. بِالظَّفَرِ بِالْبُغْيَةِ، وَحُصُولِ الْمَطْلُوبِ، ضِدَّ مُخْرَجِ الْكَذِبِ وَمُدْخَلِهِ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ يُوَصَلُ إِلَيْهَا. وَلَا لَهُ سَاقٌ ثَابِتَةٌ يَقُومُ عَلَيْهَا)[4] .

إنَّ الدَّاعِية الصَّادِق في صُحبته يكون خير عونٍ لصاحبه على نوائب الدَّهر ، إذا احتاج أعانه ، وإذا زلّ صَوَّبَه، وإذا تأخَّر دَفَعَهُ وقدَّمه.

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير ، دار الكتب العلمية، ط١ (٣/٣١٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:أصحاب النبي ج، باب: قول النبي ج:"لوكنت متخذا خليلا"، رقم الحديث (٣٦٧٨) (٥/١٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب:الزكاة، باب:الصدقة باليمين، رقم الحديث (١٤٢٣) (٢/١١١)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: إخفاء الصدقة، رقم الحديث (١٠٣١) (٢/٧١٥).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٢/٢٥٩).

والصِّدق يسمو بهمَّة الأصحاب ، فإذا رأى أحدهم من صاحبه خطأً سَتَرهُ وغطَّاه ، ليكون عوناً لأخيه ، فهو يعلمُ أنَّ هفوة الدَّاعِية إذا نُشِرَت فَضَحت وضُخِّمت ، فأعداء الدَّعوة المُتربِّصون بها يحيكون المَكْر لمُحاربتها -وأنَّى لهم ذلك- فكيف بهم لو سَمِعوا عن غلطة لداعية ، فرحوا بها وطاروا ، وزيّنوها وحبكوها.

إنَّ مِن صِدق الداعية في صحبته أن يُكتِّم أسرار صاحبه الدَّاعية بل ويكره أن يُنشر منها شيء ، كما يكرهُ ذلك لنفسه.

(فإنَّ كَرَاهَتَهُ لِإِطِّلَاعِ النَّاسِ عَلَى مَسَاوِئِ عَمَلِهِ مِنْ جِنْسِ كَرَاهَتِهِ لِلضَّرْبِ وَالْمَرَضِ وَسَائِرِ الْآلَامِ. وَهَذَا أَمْرٌ جَبَلِيٌّ طَبِيعِيٌّ. وَلَا يَخْرُجُ صَاحِبُهُ عَنِ الصِّدْقِ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ قُدْوَةً مُتَّبَعًا. فَإِنَّ كَرَاهَتَهُ لِذَلِكَ مِنْ عَلَامَاتِ صِدْقِهِ. لِأَنَّ فِيهَا مَفْسَدَتَيْنِ: مَفْسَدَةَ تَرْكِ الِاقْتِدَاءِ بِهِ، وَاتِّبَاعِهِ عَلَى الْخَيْرِ وَتَنْفِيذِهِ. وَمَفْسَدَةَ اقْتِدَاءِ الْجُهَّالِ بِهِ فِيهَا. فَكَرَاهِيَتُهُ لِاطِّلَاعِهِمْ عَلَى مَسَاوِئِ عَمَلِهِ: لَا تُنَافِي صِدْقَهُ، بَلْ قَدْ تَكُونُ مِنْ عَلَامَاتِ صِدْقِهِ)[1].

كما أَنَّ من الصدق في الصُحبة حُفظ أسرار الصَّاحب، والبعد عن الثرثرة بأحواله ، مُمتثلاً الدَّاعية بذلك قول الرسول-ﷺ-: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[2].

إنَّ صِدق الداعية في صحبته لصاحبه من الدُّعاة ، وكتمه لأسراره ، وحفظه لأحواله، بِنَفي الشَّائعات ، وردّ الشُبهات عنه ، يعود بالنَّفع والخير على الدَّعوة ، وخِلاف ذلك يجرُّ ويلاتٍ ونكبات.

فالصُّحبة الصَّادقة تتميّز بِجد أفرادها في تطبيق كُل وسيلة لتسمو صحبتهم ، وتثبت دعائمها ، فلا تُمزّها تفاهات ، ولا تُنهيها بعض مشكلات ، فهي صُحبة ارتقت بهمم أفرادها ، لا يبغون الدّنايا ، ولا يُريدون بها شيئا من مصالح دنياهم ، إنَّما يُنقوها ، ويُقدموها خالصة يبتغون بها وجه الله تعالى.

إنَّ الداعية الصَّادق في صُحبته لا يتأفّف من زلات صاحبه ، ولا يُهينه ، أو يزدريه ، وإن ظهر في صحبتهم تقصير نَسَب التَّقصير أولاً إلى نفسه ، هي كذلك هِمم الدُّعاة الصَّادقين ، لا يريدون غير رضى مولاهم، يحتسبون صُحبتهم عوناً لهم في طريق دعوتهم ، يروها زاداً في ظِل

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٢/٢٦٦).

(٢) رواه مسلم في مُقدِّمة صحيحه ، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع (١/١٠).

أكدار الفانية ومُنغِصاتها ، لا سيما أنَّ الدَّاعية إلى الله موعود بالبلاء ، فتكون الصُّحبة الصَّادقة عوناً ومَعِيناً.

إنَّ الصِّدق يُزهِر بالصُّحبة فتغدو ثمارها مُباركة ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٥] .

(إنّ الصحبة على الصدق والوفاء تنفي كل علة في المصطحبين إذا قاما وثبتا على منهاج الصدق، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة: ١١٩])[1] .

(ومن عرف فضل الإخوة في اللّه عزّ وجل ، وعلم درجة المحبة للّه تعالى ، صبر لأخيه وشكر له وحلم عنه وإحتمل له ، لينال ما أمله من مؤمله فيه ويبلغ ما طلبه من طالبه به ، فإنّ الصبر يحتاج إليه ليتمّ العمل والشكر ، لا بدّ له منه لدوام النعمة ، ومن طلب نفيساً خاطر بنفيس، ومن رغب في رغبة بذل لها مرغوباً، واللّه عزّ وجل الموفق من يحب لما يحب)[2] .

وبعد بيان الصدق كضابط من ضوابط الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى ، أشرع في بيان الضابط الذي يليه وهو أن يصاحب الداعية من هو في جنسه .

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي (٢٠٨/١).

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ، أبو طالب المكي (٣٦٤/٢).

الْمَسْأَلَة الْرَّابِعَة: أن يكون من نفس الجنس.

أن يكون من نفس الجنس كضابط لصحبة الدُّعاة يعني: لزوم وحدة النوع والجنس في الصُحبة بين الدُّعاة وغيرهم ، فلا يُصاحب الرَّجل إلا رجلاً ، ولا تُصاحب المرأة إلا امرأة.

ثَانياً: وجوب الحذر عند التعامل بين الجنسين :

جُبِل آدمُ على الميل الشَّديدِ لحوَّاء ، وجُبلت حوَّاءُ على حُبِّ آدم إذ هي جُزءٌ مِنْه ، وهكذا بَنيهما من بعدِهما كُلُّ جنسٍ يفتتنُ بالآخر ، -هَكَذا خُلِقُوا-.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

قال القرطبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- :(بَدَأَ بِهِنَّ لِكَثْرَةِ تَشَوُّفِ النُّفُوسِ إِلَيْهِنَّ، لِأَنَّهُنَّ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ،وَفِتْنَةُ الرِّجَالِ...فَفِتْنَةُ النِّسَاءِ أَشَدُّ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ)[(١)] .

ومن عدله سُبحانه لَّما خلقهما على هذا الوصف ، أمَر على لسان رسوله ﷺ- بالإسراعِ بالزَّواج ، حيث قال ﷺ- حاثًّا الشَّباب على المُسارعة فيه : ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ))[(٢)] .

بل وأمر أولياء الأمور بالمُسارعة في تزويج بُناتهنّ إذا وُجدَ الكُفْؤ قَالَ الرسول ﷺ-: "ثَلَاثٌ يَا عَلِيُّ لَا تُؤَخِّرْهُنَّ: الصَّلَاةُ إِذَا آنَتْ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالْأَيِّمُ إِذَا وَجَدَتْ كُفْؤًا"[(٣)] .

ومن عظيم كرم الله سُبحانه وتعالى أنَّه وَعَد مُريد الخير في إقباله على النِّكاح بالرزق الوفير ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ-: ((ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ))[(٤)] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله القرطبي (٢٩/٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:النكاح ،باب: من لم يستطع الباءة فليصم ، الحديث(٥٠٦٦) (٣/٧) ، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه ،كتاب:النكاح ، باب:استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه...، الحديث(١٤٠٠) (١٠١٨/٢).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:النكاح ، الحديث(٢٦٨٦) (١٧٦/٢) ، وقال: (حديث غريب صحيح) واللفظ له، ورواه ابن الملقن في البدر المنير ، كتاب الصلاة ، الحديث (٣٧) (٢٥١/٣) ، وقال الذهبي: (صحيح).

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب فضائل الجهاد ،باب:ما جاء في المجاهد والناكح... ،الحديث(١٦٥٥) (٢٣٦/٣)، وقال:(حديث حسن)، واللفظ له، ورواه النسائي في سننه ، كتاب:النكاح ،باب:معونة الله الناكح الذي يريد العفاف،الحديث(٣٢١٨)

لكِن من لم يستطع النِّكاح ، ولم يتيسر له سبيل إليه أرشده المصطفى -ﷺ- للصوم فهو علاج ناجعٌ بإذن الباري كما قال -ﷺ-: ((وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)) [1] .

ثُمَّ إنَّ الشارع الحكيم لَّما عَلِم شِدَّة انجذاب الجِنسين لبعضهما ، وسرعة افتتانهما -وإن كانا متزوجين- وَضَع أسباباً وِقائيَّة أُخرى: فكَان الأمر بِغَض البصر ، إذ جاءت الآيات تأمر به كُلَّ جنسٍ على حِدَة ، لتُؤكِد أهمّيّته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

قال القرطبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الْبَصَرُ هُوَ الْبَابُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْقَلْبِ، وَأَعْمَرُ طُرُقِ الْحَوَاسِّ إِلَيْهِ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ كَثُرَ السُّقُوطُ مِنْ جِهَتِهِ، وَوَجَبَ التَّحْذِيرُ مِنْهُ، وَغَضُّهُ وَاجِبٌ عَنْ جَمِيعِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَكُلِّ مَا يُخْشَى الْفِتْنَةُ مِنْ أَجْلِهِ) [2] .

وَأُمِرت المُؤمنات بِالْحِجابِ السَّاتِرِ عن أَعْيُنِ الرِّجال الأجانب ، فلمَّا خَلقَ الله بنت حوّاء فاتِنَة مَطْلُوبة أمرها بِالسَّتر عمَّن لا تَحِلّ له ، وارتِداء جلباب الحياء والعِفَّة إذ الخير كُلّ الخير فيه ، وألَّا تتخذ أَيَّ وسيلة لتغري بها الرِّجال ، فَكُلَّما ازداد إيمانها زادت سِتْراً ، وَعَظِمَ نُوْرُها ، فَغَدت قُرَّة عين لمن هي مِلْكه ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[النور: ٣١] .

وجَاء التَّوجيه لأُمَّهات المؤمنين والسَّائرات على دَرْبِهنَّ بالتزام الأدب في الحديث مع الرِّجال ، فلا ليونة و لا تغنِّج كفعل الفاسِقات ، وإنَّما قَوْلٌ معروفٌ لا يُخالِطه فِسق ، ولا يرمي إلى فجور قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٢ – ٣٣].

وَحَثَّ المؤمنات على القرار في بيوتهنَّ ، وترك الخروج بلا حاجة ، لِقَطْع مُرَاد الشَّيْطان ، فإذا خرجت المرأة من بيتها وهي الدُّرّة المكنونة تَشوَّفت لها الأعين ، وتاقت لها النُّفوس، واتَّخذها الشيطان وسيلة للإغواء ، فَعَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ:((الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ)) [1] .

(٦١/٦) ، ورواه الحاكم في مستدركه ،كتاب:النكاح ، الحديث(٢٦٧٨) (١٧٤/٢)، وقال: (صحيح على شرط مسلم) ، وقال الألباني في سلسلته: (حسن).

(١) سبق تخريجه.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، شمس الدين القرطبي (٢٢٣/١٢).

وَنَهى المُؤمنة عن الخلوة بالأجنبي بل وشدَّد في النَّهي والتَّنفير من ذلك حيث رَوَى الْفَاروق -رضي الله عنه- عَنْ النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- :((لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا))[٢] .

وإن حَصَل وعرضت على المرأة حاجة لُمحادَثَة الرِّجال فالمنهج الرَّباني يربأ بالمؤمنة أن تقف موقف شكٍ وريبة ، فجاء التَّوجيه ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾[الأحزاب: ٥٣] ، ثُمَّ لَحِقَهُ السَّبب ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[الأحزاب: ٥٣]، حتَّى تبقى قلوب أهل الإيمان نقيَّة لا يسكنها إرادات شرٍ ، أو خَطَرات فساد.

قال ابن العربي[٣] -رحمه الله- : (وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَذِنَ فِي مُسَاءَلَتِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ فِي حَاجَةٍ تَعْرِضُ أَوْ مَسْأَلَةٍ يُسْتَفْتَى فِيهَا؛ وَالْمَرْأَةُ كُلُّهَا عَوْرَةٌ؛ بَدَنُهَا وَصَوْتُهَا، فَلَا يَجُوزُ كَشْفُ ذَلِكَ إلَّا لِضَرُورَةٍ أَوْ لِحَاجَةٍ)[٤] .

وبعد الإشارة إلى وجوب الحذر عند التعامل بين الجنسين أنتقل إلى التفصيل في هذا الضابط : الصحبة لا تكون إلا لأبناء الجنس الواحد.

ثَالِثاً: الْصُّحْبَةُ لا تَكُون إلَّا لأبناءِ الْجِنْسِ الْوَاحِد:

إنَّ الشَّارِعَ الحكِيم وَضَع ضَوَابِطاً للخِطَاب بَيْنَ الجِنْسَين، فلا تكون المُحادثَة إلَّا بثلاث:

١- عند وجود حاجة إليها.

٢- عند أمن الفِتنة.

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب:الرضاع ،باب:المرأة عورة ،الحديث(١١٧٣) (٤٦٧/٢)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب) واللفظ له،ورواه البزار في مسنده، مسند عبدالله بن مسعود، الحديث(٢٠٦١) (٤٢٧/٥)،ورواه بن خزيمة في صحيحه، كتاب:الإمامة في الصلاة، باب:اختيار صلاة المرأة في بيتها...، الحديث(١٦٨٥) (٩٣/٣)،وقال الألباني في سلسلته: (صحيح).

(٢) رواه أحمد في مسنده، مسند عمر بن الخطاب، الحديث(١١٤) (٢٦٩/١) واللفظ له،ورواه ابن حبان في صحيحه، كتاب:طاعة الأئمة، باب:ذكر الأخبار عما يجب على المرء...، الحديث(٤٥٧٦) (٤٣٦/١٠)، ورواه البزار في مسنده، مسند عمر بن الخطاب، الحديث(١٦٧) (٢٧١/١)، قال ابن كثير في مسند الفاروق: (رويت هذه الخطبه عن عمر من وجوه عديدة اذا تتبعت بلغت حد التواتر)،وقال الألباني في سلسلته: (صحيح) ، وقال الأرنؤوط: (ثقات من رجال الصحيح).

(٣) ابْنُ العَرَبِيِّ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الأَنْدَلُسِيُّ ، ت:٥٤٣هـ ، كَانَ ثَاقب الذِّهن، عذب الْمنطق، كَرِيْم الشَّمَائِل، كَامِل السُّؤْدُد، وَلِيَ قَضَاءَ إِشْبِيْلِيَة ، قُتل بِأَيدِي الفِرَنْج -:-.، صَنّف كِتَاب (عَارِضَةِ الأَحْوَذِيِّ فِي شَرْحِ جَامِعِ أَبِي عِيْسَى التِّرْمِذِيِّ ،وَفسر القُرْآن الْمجِيد، فَأَتَى بِكُلِّ بَدِيْع، وَلَهُ كِتَاب (كَوْكَب الحَدِيْث وَالمسلسلات) ، وَكِتَاب (الأَصْنَاف) فِي الفِقْه (سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠-٢٠٤).

(٤) أحكام القرآن، محمد بن عبدالله بن العربي ، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٣ ١٤٢٤هـ (٦١٦/٣).

٣- مع عدم خضوع بالقول ، أو تكسرٍ وتغنّج.

ومِّما لا يخفى على كُلّ ذي لب أَنَّ الصُّحبة علاقة وُدِّيَّة لا تكُون إلا بِوِصَالٍ ومحادثة شفهيّة كانت أو كتابيّة، والمُتأمّل يَرَى ما آلت إليه تلك الصُّحبة -وإن كانت سامية نزيهة في بداياتها- ما آلت إليه من مصائب ومفاسد، إذ هي مداخل الشيطان ، يستدرِج الصالحين إليها ، وقد حذَّر الباري سُبحانه من تَتَبُّعِهَا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾[النور: ٢١].

(والْأَصْلُ أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ سَبَبًا لِلْفِتْنَةِ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ، فَإِنَّ الذَّرِيعَةَ إلَى الْفَسَادِ يَجِبُ سَدُّهَا إذَا لَمْ يُعَارِضْهَا مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ، وَلِهَذَا كَانَ النَّظَرُ الَّذِي يُفْضِي إلَى الْفِتْنَةِ مُحَرَّمًا إلَّا إذَا كَانَ لِمَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ، مِثْلُ نَظَرِ الْخَاطِبِ، وَالطَّبِيبِ، وَغَيْرِهِمَا، فَإِنَّهُ يُبَاحُ النَّظَرُ لِلْحَاجَةِ، لَكِنْ مَعَ عَدَمِ الشَّهْوَةِ، وَأَمَّا النَّظَرُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ إلَى مَحَلِّ الْفِتْنَةِ فَلَا يَجُوزُ)[(١)] .

ومَنْ يُتَابِع قَصَصَ النِّساءِ قديماً وحَدِيْثاً يَعلم يقيناً أَنَّه لا بُدّ من قَطع كلّ العلائق بين الجنسين فيما لا ضرورة إليه ، وقد سَبَق تحذير خير البريّة الرَّحيم بأمَّته ﷺحيث قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»[(٢)] .

قال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (وَكَذَلِكَ الشَّرُّ وَالْمَعْصِيَةُ: يَنْبَغِي حَسْمُ مَادَّتِهِ وَسَدُّ ذَرِيعَتِهِ وَدَفْعُ مَا يُفْضِي إلَيْهِ إذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ. مِثَالُ ذَلِكَ مَا نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺفَقَالَ: ((لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ))[(٣)] ... فَنَهَى -ﷺ- عَنْ الْخَلْوَةِ بِالْأَجْنَبِيَّةِ وَالسَّفَرِ بِهَا؛ لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إلَى الشَّرِّ)[(٤)] .

والدَّاعية -رجلاً كان أو امرأة- أرفع وأسمى من أن يُعرف بتساهله وليونته مع الطَّرف الآخر ، ذاك أمر لا تستسيغه الفِطَرُ السَّليمة ، وكلُّ بني آدم خطَّاء ، وقد لا يسلم من هذه الفتنة إلا من عَصَمَهُ الله ، فإذا وقع فيها الدَّاعِية فليتب وليرجع ، وليستغفر وليقلع عن ذنبه .

---

(١) الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية (٢٦٧/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه،كتاب: النكاح، باب: ما يُتقى من شؤم المرأة، الحديث(٥٠٩٦) (٨/٧) واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب:أكثر أهل الجنة الفقراء...، الحديث(٢٧٤١) (٢٠٩٨/٤).

(٣) سبق تخريجه .

(٤) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٣٦٠/٢٨).

قال ابن المُقفع -رحمه الله- : (اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وأهكها للجسد، وأتلفها للمال، وأقتلها للعقل، وأزراها للمروءة، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار:الغرام بالنساء.ومن البلاء على المغرم بهن، أنه لا ينفك يأجم ما عنده، وتطمح عيناه إلى ما ليس عنده منهن.إنما النساء أشباه، وما يتزين في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن باطل وخدعة، بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما عنده، أفضل مما تتوق إليه نفسه منهن.وإنما المرتغب عما في رحله منهن إلى ما في رحال الناس، كالمرتغب عن طعام بيته إلى ما في بيوت الناس، بل النساء بالنساء أشبه من الطعام بالطعام، وما في رحال الناس من الأطعمة، أشد تفاضلًا وتفاوتًا مما في رحالهم من النساء.ومن العجب أن الرجل الذي لا بأس بلبه ورأيه يرى المرأة من بعيد متلففة في ثيابها، فيصوَّر لها في قلبه الحسن والجمال، حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية، ولا خبر مخبر، ثم لعله يهجم منها على أقبح القبح، وأدم الدمامة، فلا يعظه ذلك، ولا يقطعه عن أمثالها، ولا يزال مشغوفًا بما لم يذق، حتى لو لم يبق في الأرض غير امرأة واحدة، لظن لها شأنًا غير شأن ما ذاق، وهذا هو الحمق، والشقاء، والسفه) [1] .

إنَّ الميل إلى الجِنسِ الآخر ممَّا جَبَل الله عليه خَلْقَهُ ، ومُحالٌ أن يكون الدَّاعِيَة مُنَزَّهاً أن يقع فِي الشِّباك ، بل قد يكون مُستقصداً بالإغواء أكثر مِنْ غَيره ، فَعَنْ سَعِيْدِ بنِ المُسَيِّب -رحمه الله- : (مَا أَيِسَ الشَّيْطَانُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ.ثُمَّ قَالَ - وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِيْنَ سَنَةً، وَقَدْ ذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، وَهُوَ يَعْشُو [2] بِالأُخْرَى -: مَا شَيْءٌ أَخَوْفُ عِنْدِي مِنَ النِّسَاءِ) [3] .

هذا كان قول سيِّد التَّابعين في زمانه ، وكان زمانه قريب عهد بعصر النُّبوُّة ، ومن خير الأزمان ، فما يقول المرء في زمان تكاثرت فيه الفتن ، وتدافعت فيه المفاسِد ، حقّاً القابض على دينه كالقابض على الجمر [4]، يَرأس تلك الفِتن فتنة النِّساء التي عَظُمت وأفسدت.

(فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحن ولا إيماء، ولا هذر ولا هزل، ولا دعابة ولا مزاح، كي لا يكون مدخلا إلى شيء آخر وراءه من قريب أو من بعيد) [5] .

---

(١) الأدب الكبير ، عبدالله بن المقفع ، دار صادر-بيروت ،ص:١١٧-١١٨.

(٢) هو الذي لا يبصر بالليل وهو بالنهار بصير، وقد يكون الذي ساء بَصَرُه من غير عمىً، وهو عَرَض حادثٌ ربّما ذهب (العين للفراهيدي ١٨٨/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء، أبوعبدالله الذهبي (٢٣٧/٤).

(٤) رواه أحمد في مسنده ، رقم الحديث (٩٠٧٤) (٣٤/١٥) ، ورواه الترمذي في سننه ، رقم الحديث (٢٢٦٠) (٥٢٦/٤) ، وقال الألباني (صحيح).

(٥) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٢٨٥٩/٥).

إنَّ القول بجواز الصُّحبة بين الدعاة رجالاً ونساءاً بحُكم سموِّ رسالتهم إذ لا يتخللها فِسق ، فهم مشغولون بالدَّعوة ، ولن تنصرف نفوسهم لتلك السَّفاسف قولٌ من تلبيس إبليس ، فالمُنصِف سيعود لحقيقة الصُّحبة ، فهي تعني المُلازمة والاجتماع ، وسيكون من لوازمها الحُبّ والقرب، أيَقُول بجواز ذلك من تبين له حقيقتها؟!.

إنَّ عمل الدَّاعِية قد يُجبره على التَّعامل مع الطَّرف الآخر ، وقد يزداد هذا التعامل خاصَّة إذا كان رجلاً ومشهوراً ، والأعمال الوِقائيَّة من شرور هذه الفتنة لا تخفى على الدَّاعية.

فالحديث الجاد بلا ليونة ، أو مُمازحة ، أو تَعَدٍ بحديث عاطفي كقول من لبَّس عليهم إبليس : (أُحِبُّك في الله) أو (اشتقنالك) ، والحديث عند الحاجة ، وعلى قدرها بلا زيادات تُردي صاحِبها كـــ:(صباح الخير) (أردتُ الاطمئنان عليك).

فمِثل هذه السَّقطات تُردي العاقل اللبيب، وتُفسد قلب المُطمئن الحصيف ، فكم أفسدت من نفوس ، تلك هي خطوات الشيطان.

وفي قِصَّة عابدِ بني إسرائيل مِثالاً على شدَّة افتتان المرء بالنِّساء وإن كان عابداً ، وإن لم يتَّبع المنهج الرَّباني زلّ وضل ، فَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رضي الله عنه- قَالَ: " كَانَ رَاهِبٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ وَامْرَأَةٌ زَيَّنَتْ لَهُ نَفْسَهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: اقْتُلْهَا فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ افْتَضَحْتَ فَقَتَلَهَا فَدَفَنَهَا، فَجَاءُوهُ فَأَخَذُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: أَنَا الَّذِي زَيَّنْتُ لَكَ فَاسْجُدْ لِي سَجْدَةً أُنْجِيكَ فَسَجَدَ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جل جلاله ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾[الحشر: ١٦]))[1] .

قال ابن الجوزي – رحمه الله-: (فَتَلَمَّحْ وَفَّقَكَ اللَّهُ سَبَبَ وُقُوعِهِ فِي هَذَا الشَّرِّ وَهُوَ أَنَّهُ فَسَحَ لِنَفْسِهِ فِيمَا قَدْ نُهِيَ عَنْهُ مِنَ الْكَلامِ لِلأَجْنَبِيَّةِ وَالْخُلْوَةِ بِهَا ، وَكَانَ كَمَأْمُورٍ بِالْحِمْيَةِ أَقْبَلَ عَلَى التَّخْلِيطِ ثِقَةً بِعَافِيَتِهِ فَأَدَّاهُ ذَلِكَ إِلَى تَلَفِ نَفْسِهِ ، وَلَوْ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ قَوْلَ طَبِيبِهِ لَسَلِمَ مِنْ شَرِّ مَا وَقَعَ فِيهِ)[2] .

والمرأةُ الدَّاعِية السَّامية في مقاصدها تكون مضرباً للأمثال في شدَّة الحياء ، والحديث الجاد إن احتاجت إليه مع أحد الدُّعاة ، إنَّها مثال صادق للصَّادقة الناصحة ، تضع نُصب عينيها التَّوجيه الرَّبَّاني

(١) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب:التفسير، باب:تفسير سورة الحشر، الحديث(٣٨٠١) (٥٢٦/٢) وقال:(حديث صحيح الإسناد)،ورواه البيهقي في شعبه،كتاب:تحريم الفروج وما يجب من التعفف عنها ، الحديث(٤٩٨٤) (٢٧٠/٧)، ،قال الذهبي:(صحيح).
(٢) ذم الهوى ، عبدالرحمن بن علي الجوزي ، ت:مصطفى عبدالواحد ، ص:١٦٢-١٦٣.

لأُمهاتها -رضوان الله عليهنّ- ولبناتهنَّ من ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب:٣٢].

قال القرطبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (أَيْ : لَا تُلِنَّ الْقَوْلَ. أَمَرَهُنَّ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُنَّ جَزْلًا وَكَلَامُهُنَّ فَصْلًا، وَلَا يَكُونُ عَلَى وَجْهٍ يُظْهِرُ فِي الْقَلْبِ عَلَاقَةً بِمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ مِنَ اللِّينِ، كَمَا كَانَتِ الْحَالُ عَلَيْهِ فِي نِسَاءِ الْعَرَبِ مِنْ مُكَالَمَةِ الرِّجَالِ بِتَرْخِيمِ الصَّوْتِ وَلِينِهِ، مِثْلِ كَلَامِ الْمُرِيبَاتِ وَالْمُومِسَاتِ. فَنَهَاهُنَّ عَنْ مِثْلِ هَذَا) [(١)].

إنَّ استمراريَّة التَّواصل بين الجِنسين قد يكون سبباً فيما لا يُحمد عُقباه ، فمع التواصل المستمر تسقط علامات الجدية والاحترام ، ولربما دخل التَّلطُّف ، وَسَقَطت الكُلْفَة ، وهذا ما يجب على الدُّعاة الحذر منه .

قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (وَقَدْ يَتَعَرَّضُ الإِنْسَانُ بِأَسْبَابِ الْعِشْقِ ، فَيَعْشَقُ فَإِنَّهُ قَدْ يُرَى الشَّخْصُ فَلا تُوجِبُ رُؤْيَتُهُ مَحَبَّتَهُ فَيُدِيمُ النَّظَرَ وَالْمُخَالَطَةَ فَيَقَعُ فِيمَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ...،وَفِي النَّاسِ مَنْ تُوجِبُ لَهُ الرُّؤْيَةُ نَوْعَ مَحَبَّةٍ فَيُعْرِضُ عَنِ الْمَحْبُوبِ فَيَزُولُ ذَلِكَ ، فَإِنْ دَاوَمَ النَّظَرَ نَمَتْ كَالْجَنَّةِ إِذَا زُرِعَتْ فَإِنَّهَا إِنْ أُهْمِلَتْ يَبِسَتْ وَإِنْ سُقِيَتْ نَمَتْ) [(٢)].

قد يقول قائل: تلك مُبالغة ، ورميٌ بالباطل ، فمَنْ ذا الذي لا يستطيع أن يملك زِمَام نفسه ؟ وكيف إن كان داعية وهو الحكيم المُشتغل بالخير؟!

خير ردٍ على مثلِ هذا القول حادثة حدثت في خير الأزمان ، وفي خير الأماكن ، وفي خير صُحبة ، كان النَّبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واقفاً بعرفة اسْتَفْتَتْهُ جَارِيَةٌ شَابَّةٌ مِنْ خَثْعَمَ فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ أَفْنَدَ وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ فَرِيضَةُ اللهِ فِي الْحَجِّ، فَهَلْ يُجْزِئُ عَنْهُ أَنْ أُؤَدِّيَ عَنْهُ؟ قَالَ: " نَعَمْ، فَأَدِّي عَنْ أَبِيكِ " قَالَ

(١) الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله القرطبي (١٤/١٧٧).

(٢) ذم الهوى ، ابن الجوزي ، ص:٣٠٢.

علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: وَقَدْ لَوَى عُنُقَ الْفَضْلِ [1]، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِّكَ؟ قَالَ:" رَأَيْتُ شَابًّا وَشَابَّةً فَلَمْ آمَنِ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا "[2].

فيلزم الدُّعاة أن يكونوا الأسبق لتطبيق ما يدعون إليه من العفة والحياء ، والتَّمسك بهما ، فهما زينة للمرء في دنياه ، نجاة له في أخراه ، وأن يلتزموا العمل بالقاعدة الفقهية : (سد الذرائع ، وما أفضى إلى حرام فهو حرام) ليفوزوا برضى خالقهم أَوَّلاً ، وليكونوا قدوة حيَّة صالحة ، تتسارع إليهم المُجتمعات ، لعلهم يُنقذونهم من بحور الغيّ والضَّلال.

وفي جَمعِ الدُعاة غُنية لطالبهم ، وفي الدَّاعيات خيرٌ كثيرٌ لمتفقدهن ، وسؤال الله العون ، وحسن التَّوكل عليه في طلب الصَّاحِب ، وأنعِم به من مُعين.

وبعد التفصيل في بيان ضابط الصحبة إلى الله تعالى : ألا تكون الصحبة إلا بين أبناء الجنس الواحد ، أنتقل إلى التعريف بالضابط التالي وهو الصلاح.

(١)الفَضْلُ بنُ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ الهَاشِمِيُّ ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكنى أبا محمد أو أبا عبد الله، وكان أسن ولد العباس ، وغزا مع رسول الله صلى الله عيله وسلم مكة وحنينا، وثبت يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولى الناس، وشهد معه حجة الوداع، وأردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم (سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٤٤/٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده ، مسند علي بن أبي طالب ، الحديث(٥٦٢) (٥/٢-٦) واللفظ له، ورواه الترمذي في سننه، كتاب:الحج ،باب:ما جاء أن عرفة كلها موقف ، الحديث(٨٨٥) (٢٢٤/٢-٢٢٥) ، وقال:(حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، ورواه البزَّار في مسنده ، مسند علي بن أبي طالب، الحديث(٥٣٢) (١٦٤/٢) ، قال الألباني في سلسلته في الثمر المستطاب: (هذا سند صحيح على شرط الشيخين).

الْمَسْأَلَة الْخَامِسَة: الْصَّلاح.

أولاً: تَعريف الصَّلاح:

أ- الصَّلاحُ لُغَةً:

(الصَّادُ وَاللَّامُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْفَسَادِ)[1].

يقال : (رجُلٌ صَالح: مُصلحٌ، والصالح فِي نَفسه، والمصلح فِي أَعماله وأُموره)[2].

ب- الصَّلاحُ اصْطِلاحاً:

(هُوَ سلوك طَرِيق الْهدى وَقيل: هُوَ استقامة الْحَال على مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْعقل. والصالح: الْمُسْتَقيم الْحَال فِي نَفسه وَقَالَ بَعضهم: الْقَائِم بِمَا عَلَيْهِ من حُقُوق الله وَحُقُوق الْعباد)[3].

فالْصَّلاح كَضَابِط مِن ضَوَابِط الْصُّحْبَة يَعني: استقامة حال صُحبة الدُّعاة ، والتزامهم طريق الحقِّ الذي يدعون إليه.

ثَانياً: أهمية استقامة قول الداعية وفعله :

إنَّ من أوجب الواجبات على الدَّاعِيَة إلى الله أن تَصِحَّ سِيرته تَبَعاً لسريرته ، فيكون مُستقيم الحال ، صادِق المقال ، لا تلحقه شُبهة ، ولا تلصق به مَفسدة ، يدعو إلى باريه ، ويسبق صِدق فعله قوله ، فيكونُ حاله مِصداقاً لقول نبيِّ الله شُعيب -عليه السلام- ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

إنَّ الدَّعوة إلى الله مِمَّن خالطت بشاشة الإيمان قلبه ، ونطقت جوارحه بالدَّعوة إلى الحق لهي أشرف الوظائف وأسماها ، إذ لا أحسن ممَّن دعا إلى الحُسنى ، وكان أَوَّل العاملين بها ، وجَهَر داعِياً العالمين إليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[فصلت: ٣٣].

---

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٣٠٣/٣).

(٢) تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهري (١٤٢/٤).

(٣) الكليات ، أبو البقاء الحنفي ، ت:عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت ،ص:٥٦١.

وقد ورد في تفسيرها : (هذا عبد صدّق قولَه عملُه، ومولَجه مخرجُه، وسرَّه علانيته، وشاهده مغيبه، وإن المنافق عبد خالف قوله عمله، وموجه مخرجه، وسرَّه علانيته، وشاهده مغيبه)[1] .

إنَّ التزام الدَّاعِية بالحق الذي يدعو إليه -لا مرآءاة وخِدَاعاً- وإنما امتثال صِدق لله ، لهو من أولى وأعظم أسباب نجاح دعوته.

إذ إن صلاح الدَّاعية وطاقته الإيمانية التي تسكن وجدانه هي الَّتي تُترجم إلى خير الأفعال من غير تصنُّع ، وتُعين الدَّاعية على النَّوائب والمصائب ، ويغدو بها مِشعلاً يسلب الألباب ، فهي خَيْرُ سبيل للدَّعوة إلى طريق الصِّدق.

إنَّ حديث الأفعال أبلغ وأنجع من حديث الأقوال ، بل إنَّ حديث الأقوال مُجرّداً يبدو باهتاً مذمَّةً وَوَبالاً على صاحِبه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ. قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ"[2] .

قال أحد السَّلف : (مَنْ أَمَّرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلاً وَفِعْلاً نَطَقَ بِالحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَّرَ الهَوَى عَلَى نَفْسِهِ نَطَقَ بِالبِدْعَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤])[3] .

إنَّ الدَّعوة الصَّادِقَة التي تخترق القلوب هي تلك الَّتي كانت لصاحِبها في الخفاء وقفات، فلا يخلو داعِية نال قَبولاً مِن المدعوين من أن يكون صاحب صالِحات مُخبّئات ، أنار خلوته بصِدق توبة ، ونورِ صَدقَة ، لا يفتر ليلة عن القِيام بين يدي باريه ، يعلم يقيناً أنَّ في الصَّلاة عونه وأُنسه ، قُدوته في ذلك خيرُ البرايا -ﷺ-.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ، ابن جرير الطبري (٤٦٩/٢١).

(٢) رواه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، الحديث(١٢٢١١) (٢٤٤/١٩)، ورواه البزار في مسنده، مسند أنس بن مالك، الحديث(٧٢٣١) (٤٥٦/١٣)،ورواه ابن حبان في صحيحه، كتاب:الإسراء، باب:ذكر وصف الخطاب الذين يتكلون على القول...،الحديث(٥٣) (٢٤٩/١)، قال الألباني في سلسلته: (حسن صحيح)، وقال الأرنؤوط: (الحديث صحيح بالمتابعات).

(٣) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي (٦٤/١٤).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦ ﴾ [المزمل:١– ٦].

(إن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب، ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل.وإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو يتنزل من الملأ الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل بلا لفظ بشري ولا عبارة ،...إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول –ﷺ– وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل ، وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير) [(١)] .

إنَّ صَلاحَ من عَلِم صِدْق الطَّريق ، وعَرِف الوسائل المؤدِّية إليه لا يغدو أَمراً اختياريّاً بل هو أمرٌ إلزاميّ ، ف﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩ ﴾ [الزمر: ٩].

قال مالك بن أنس –رَحِمَهُ اللهُ– : (حَقٌّ عَلَى مَنْ طَلَبَ العِلْمَ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ وَقَارٌ، وَسَكِيْنَةٌ، وَخَشْيَةٌ، وَالعِلْمُ حَسَنٌ لِمَنْ رُزِقَ خَيْرَه، وَهُوَ قَسْمٌ مِنَ اللهِ –تَعَالَى– فَلاَ تُمَكِّنِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ أَنْ يُوَفَّقَ لِلْخَيْرِ، وَإِنَّ مِنْ شِقْوَةِ المَرْءِ أَنْ لاَ يَزَالَ يُخطِئ) [(٢)] .

إنَّ مِنْ أعظم العار الذي يلحق الدَّاعِية في الدُّنيا ، ويُكتب بسببه الذُلّ في الآخرة: أن يُخالِف قوله فِعله ، فيقولُ قولاً ويعمل خِلافه ، ويأمر النَّاس بأمر ويُخالِفه ، وينهاهم عن مُنكَرٍ ويقع فيه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢ – ٣].

وفي الحَدِيث : " يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ " [(٣)] .

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٦/٣٧٤٥).

(٢) سير أعلام النبلاء ، أبوعبدالله الذهبي (٨/١٠٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب:بدء الخلق ، باب:صفة النار وأنّها مخلوقة، الحديث(٣٢٦٧) (٤/١٢١).

قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (وَأَمَّا الْعَمَى عَنْ عَيْبِ الْوَاعِظِ فَإِنَّهُ إِذَا اشْتَغَلَ بِهِ حُرِمَ الِانْتِفَاعَ بِمَوْعِظَتِهِ، لِأَنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى عَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِكَلَامِ مَنْ لَا يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ، وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَصِفُ لَهُ الطَّبِيبُ دَوَاءً لِمَرَضٍ بِهِ مِثْلُهُ، وَالطَّبِيبُ مُعْرِضٌ عَنْهُ غَيْرُ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ، بَلِ الطَّبِيبُ الْمَذْكُورُ عِنْدَهُمْ أَحْسَنُ حَالًا مِنْ هَذَا الْوَاعِظِ الْمُخَالِفِ لِمَا يَعِظُ بِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ يَقُومُ دَوَاءٌ آخَرُ عِنْدَهُ مَقَامَ هَذَا الدَّوَاءِ، وَقَدْ يَرَى أَنَّ بِهِ قُوَّةً عَلَى تَرْكِ التَّدَاوِي، وَقَدْ يَقْنَعُ بِعَمَلِ الطَّبِيعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ بِخِلَافِ هَذَا الْوَاعِظِ، فَإِنَّ مَا يَعِظُ بِهِ طَرِيقٌ مُعَيَّنٌ لِلنَّجَاةِ لَا يَقُومُ غَيْرُهَا مَقَامَهَا، وَلَا بُدَّ مِنْهَا، وَلِأَجْلِ هَذِهِ النُّفْرَةِ قَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨] وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُقْبَلَ مِنْكَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ فَإِذَا أَمَرْتَ بِشَيْءٍ فَكُنْ أَوَّلَ الْفَاعِلِينَ لَهُ، الْمُؤْتَمِرِينَ بِهِ، وَإِذَا نَهَيْتَ عَنْ شَيْءٍ، فَكُنْ أَوَّلَ الْمُنْتَهِينَ عَنْهُ)[1].

فعلى الدعاة أن يتقوا الله ، ويتركوا نشر زلّات إخوانهم الدُّعاة ، فمن أراد الخير حقّاً سَتَر وَنَصَح، لا نشر وفَضَح ، فَنشر زلات الدُّعاة وسقطاتهم ، بحجَّة النَّصيحة والتنبيه لا يعودُ على الدَّعوة بخيرٍ ولا نفع ، وفي المُسَارَّة بالنَّصيحة خير عظيم خاصَّة في زمانٍ كزماننا ، حُوربت الدَّعوة حتَّى من أبنائها ، فالحكمة الحكمة يا أرباب الدَّعوة!.

واللَّازم على الدَّاعِية ألا يقتصِر صلاحُه على الالتزام بالواجبات ، واجتناب المحرمات ، بل الواجب عليه أن يرتقي فيسعى جاهداً للالتزام بالمستحبات ، وتركِ المكروهات ، بِجانب التزام الواجبات ، وترك المُحرَّمات.

(كانت وصِية العلماء الرَّبانيين أن القدوات ينبغي أن يربؤوا بأنفسهم عن خوارم المروءات ، ومواطن الشبهات -فضلاً عن غيرها من المكروهات- حتى لا يُفسر فعلهم أو قولهم على غير وجهه ...، ولقد رأينا في واقعنا الاجتماعي كيف أن العامة يلوكون أحياناً أعراض بعض العلماء أو الدُّعاة ، بسبب توسعهم الزائد في الدنيا ، وتعلقهم بزخارفها ، أو بسبب وقوعهم في بعض الممارسات المفضولة ، وتصبح تلك المواقف فتنة تصرف الناس عن العلماء والدعاة ، وربما تسقط هيبتهم وقدرهم ، وتؤدي إلى تنقصهم وازدرائهم ، وقد تكون باباً يتندَّر به بعض أهل الأهواء مِمَّن يتصيدون العثرات ، ويفرحون بالزلات)[2].

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (١/٤٤٥).

(٢) في البناء الدعوي المجموعة الثانية ، أحمد الصويان ،مجلة البيان-الرياض ١٤٣٣ه،ص:٧٠-٧١.

إنَّ انشغال الدَّاعِية بأمر الدَّعوة ، قد يُنسيه إصلاح قلبه ، وتفقّد حال إيمانه ، لذا فإنَّ مِن الواجب على الدَّاعِية أن يستغل بعض المُناسبات الإيمانيَّة ليُجدّد روحه ، ويُراجع صلاحه كاعتكاف العشر الأُخر من رمضان ، وحجّ بيت الله الحرام .

(وصَلَاحُ الْقَلْبِ فِي أَنْ يَحْصُلَ لَهُ وَبِهِ الْمَقْصُودُ الَّذِي خُلِقَ لَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَفَسَادُهُ فِي ضِدِّ ذَلِكَ، فَلَا صَلَاحَ لِلْقُلُوبِ بِدُونِ ذَلِكَ قَطُّ. وَالْقَلْبُ لَهُ قُوَّتَانِ: الْعِلْمُ وَالْقَصْدُ، كَمَا أَنَّ لِلْبَدَنِ الْحِسَّ وَالْحَرَكَةَ الْإِرَادِيَّةَ، فَكَمَا أَنَّهُ مَتَى خَرَجَتْ قُوَى الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ عَنْ الْحَالِ الْفِطْرِيِّ الطَّبِيعِيِّ فَسَدَتْ. فَإِذَا خَرَجَ الْقَلْبُ عَنْ الْحَالِ الْفِطْرِيَّةِ الَّتِي يُولَدُ كُلُّ مَوْلُودٍ، وَهِيَ أَنْ يَكُونَ مُقِرًّا لِرَبِّهِ مُرِيدًا لَهُ فَيَكُونُ هُوَ مُنْتَهَى قَصْدِهِ وَإِرَادَتِهِ) [(١)] .

وبعد الحديث عن أهمية استقامة قول الداعية إلى الله تعالى وفعله ، أشرع في بيان الصلاح كضابط للصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى.

ثَالِثاً: الْصَّلاحُ مِنْ ضَوابِط صُحبة الدُّعاة:

إنَّ من تمام سعادة المرء أن يُوفِّقه رَبُّه لِصُحْبَةٍ صَالِحَة يأنس بها ، ويسعد معها ، فلا تترل به نازلة إلا وجد من يُعينه ويُواسيه ، ولا يحل بداره سرور إلا كانت رفقته أوَّل المُهنِّئين والمُباركين.

مَنْ ذاق حلاوة الصُّحبة الصَّالِحة تَيَقَّن أَنَّها غنيمة لا تُفوَّت بل هي سَعْدٌ للدَّارين ، أُنسٌ وعونٌ في الدُّنيا ، ورفعة وخير في الآخرة.

عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه-عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ-وذكر منها:، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ"[(٢)] .

إنَّ العيش في ظلال صُحبة صَالِحة يُسعِد المرء ويُبهِجه بِقَدْر صلاحِها وإيمانها ، فكُلّما زاد صلاحُها وإيمانها عَظُم سعده ، وزادت بَهْجَتُه.

(١) الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية (٩٥/١).

(٢) رواهُ مسلم في صحيحه، كتاب:الإيمان، باب:بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ،الحديث(٦٧) (٦٦/١).

إنَّ من تلبيس إبليس أن يُزين رفقة غير أهل الصَّلاح ، إذ إنها زينة باطلة زائلة غير حقيقيّة ، فكيف لمن سكن الكدر والهمّ نفسه أن يُسعد جليسه بل إنّه ليصُبّ عليه الكدر والغمّ صبّاً ، ذاك جمعٌ بغِض الحياة، وبقدر بُعدهم عن الصَّلاح عظم كدرهم وزاد همّهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾[طه: ١٢٤].

والدَّاعِيَةُ أرفع من أن يُصاحِب من خالَف فعله قوله ، إنَّه أسمى من أن يُصاحِب من مارى في دينه وباع الآخرة بالدُّنيا ، إنَّه يُهدر بصحبته تلك الكثير من وقته وجُهده ، بل إنّه يُلبس على المدعوين بِصحبته تلك ، ويُلحق بالدَّعوة الضَّرر والسوء.

إنَّ وَصِيَّة صُحبة أهل الصَّلاح وُجِّهت لخير البرايا وأزكاهم المُصطفى -ﷺ- أمره ربُّه بِصُحبة أهل الخير والصَّلاح، وإذا كان خير البَرِيَّة أُمِر بهذا، فالدُّعاة من بعده من باب أولى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[الكهف: ٢٨].

(أي : لا تمل ولا تستعجل «مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» فالله غايتهم، يتجهون إليه بالغداة والعشي، لا يتحولون عنه، ولا يبتغون إلا رضاه ، وما يبتغونه أجل وأعلى من كل ما يبتغيه طلاب الحياة ، اصبر نفسك مع هؤلاء ، صاحبهم وجالسهم وعلمهم. ففيهم الخير، وعلى مثلهم تقوم الدعوات ، فالدعوات لا تقوم على من يعتنقوها لأنها غالبة ، ولا من يعتنقوها ليقودوا بها الأتباع ، ولا من يعتنقوها ليحققوا بها الأطماع، وليتجروا بها في سوق الدعوات تشترى منهم وتباع ، إنما تقوم الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى الله خالصة له، لا تبغي جاها ولا متاعا ولا انتفاعا، إنما تبتغي وجهه وترجو رضاه.«وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا» ولا يتحول اهتمامك عنهم إلى مظاهر الحياة التي يستمتع بها أصحاب الزينة. فهذه زينة الحياة «الدُّنْيا» لا ترتفع إلى ذلك الأفق العالي الذي يتطلع إليه من يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)[1] .

وبِتلك الوصية عَمِل خير البرية -ﷺ- فاختار خير من وطِئ الثَّرى بعد الأنبياء صاحِباً الصِّدِّيق -رضي الله عنه-.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٢٦٨/٤).

وجاءت وصيَّةُ المصطفى -ﷺ- بالأمر برفقة أهل الإيمان ، فَعَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» [(١)] .

إنَّ صُحبة الدَّاعِية الصَّالِحة تزداد أهميتها وتعظم كلّما زادت الفِتن ، وعظمت على المُسلمين المحن ، ففي وقت الفتن تتضارب الأهواء ، وتعظم المصائب على أهل الإيمان ، وبتقاربهم وائتلافهم وبالتَّالي تواصيهم تهون تلك الغربة، ويتغلَّبوا-بإذن الله- على تلك الفتن.

وإنَّها لِمن أعظم النِّعم على الدَّاعِية أن يُسخّر له الله الصَّالِح الذي يُعينه على النوائب ، ويُناصِحه ويُرشده -وذاك حق وواجبٌ عليه- ، بل أراد الله به خيراً فليتشبّث بصاحبه.

عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، فَأَرَادَ بِهِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، فَإِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ» [(٢)] .

فعلى الدَّاعِية أن يتنبّه من صُحبة أهل الدَّعاوى المُحدثة ممن يُظهر حميّة على الدين ، وهو يُنفَّر منه بتركه لأوامر الله ، ووقوعِه في معاصِيه .

قال ابن تيمية - رحمه الله- : (فَالْمُصَاحَبَةُ وَالْمُصَاهَرَةُ وَالْمُؤَاخَاةُ لَا تَجُوزُ إلَّا مَعَ أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مُرَادِ اللَّهِ... وَالْمُؤْمِنُ مُحْتَاجٌ إلَى امْتِحَانِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُصَاحِبَهُ وَيُقَارِنَهُ) [(٣)] .

إنَّ صُحبة الدُّعاة يتوجَّب أن يكون من ألزم ضوابطِها: صلاحُ أفرادها ، ولا يُفَرَّط في ضابطٍ هامٍّ كهذا.

---

(١) رواه أبو داوود في سننه ،كتاب:الأدب، باب:من يؤمر أن يجالس ،الحديث(٤٨٣٢) (٤/٢٥٩) ،ورواه الترمذي في سننه،كتاب:الزهد ،باب:ما جاء في صحبة المؤمن ،الحديث(٢٣٩٥) (٤/١٧٨) وقال:(حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه)،ورواه ابن حبان في صحيحه،كتاب:الصحبة والمجالسة،باب:ذكر الأمر للمرء أن لايصاحب إلا الصالحين...،الحديث(٥٥٤) (٢/٣١٤)، وقال الألباني في سلسلته:(حسن) ، وقال الأرنؤوط:(إسناده حسن).

(٢) رواه أحمد في مسنده، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ،الحديث(٢٤٤١٤) (٤٠/٤٧٦) واللفظ له، ورواه أبو داوود في سننه، كتاب:الخراج والإمارة والفيء ، باب:في اتخاذ الوزير، الحديث(٢٩٣٢) (٣/١٣١)،ورواه ابن حبان في صحيحه،كتاب:الخلافة والإمارة،باب:ذكر وصف الوالي الذي يريد به الخير أو الشر ، الحديث(٤٤٩٤) (١٠/٣٤٥)،وقال الألباني في سلسلته:(صحيح)، وقال الأرنؤوط:(حديث صحيح).

(٣) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (١٥/٣٢٧-٣٢٨).

(قَالَ – ﷻ–: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النجم: ٢٩] ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [النجم: ٣٠] . فَأَمَرَ نَبِيَّهُ –ﷺ– بِأَنْ يُعْرِضَ عَمَّنْ كَانَ مُعْرِضًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مُرَادٌ إلَّا مَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا، وَهَذِهِ حَالُ مَنْ فَسَدَ قَلْبُهُ وَلَمْ يَذْكُرْ رَبَّهُ وَلَمْ يَتُبْ إلَيْهِ فَيُرِيدُ وَجْهَهُ، وَيُخْلِصُ لَهُ الدِّينَ، ثُمَّ قَالَ وَذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنْ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ عِلْمٌ فَوْقَ مَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا فَهِيَ أَكْبَرُ هَمِّهِمْ وَمَبْلَغُ عِلْمِهِمْ ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَأَكْبَرُ هَمِّهِ هُوَ اللَّهُ، وَإِلَيْهِ انْتَهَى عِلْمُهُ وَذِكْرُه)[1] .

فعلى الدَّاعِيَة أن يتفرّس فيختار لصحبته من الدُّعاة الصالحِين ، (وَ[الصَّالِحُ]الْعَدْلُ مَنْ يَكُونُ مُجْتَنِبًا عَنْ الْكَبَائِرِ وَلَا يَكُونُ مُصِرًّا عَلَى الصَّغَائِرِ ، وَيَكُونُ صَلَاحُهُ أَكْثَرَ مِنْ فَسَادِهِ ، وَصَوَابُهُ أَكْثَرَ مِنْ خَطَئِهِ ، وَيَسْتَعْمِلُ الصِّدْقَ دِيَانَةً وَمُرُوءَةً وَيَجْتَنِبُ الْكَذِبَ دِيَانَةً وَمُرُوءَةً)[2] .

وبعد تفصيل الحديث في بيان الصلاح كضابط من ضوابط الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى ، أبدأ في بيان الضابط التالي وهو الأدب بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى.

(١) الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية (٩٦/١).

(٢) الحسبة ، ابن تيمية ، ت:علي الحشود ، ط٢ ، ص:٢٨.

الْمَسْأَلَة الْسَّادِسَة: الْأَدَب.

أَوَّلاً: تَعْرِيْفُ الْأَدَب:

أ- الْأَدَبُ لُغَةً:

جاء في المُعجم الوسيط : (الْأَدَب : رياضة النَّفس بالتعليم والتهذيب على مَا يَنْبَغِي)[1].

ب- الْأَدَبُ اصْطِلَاحاً:

قال صاحب الفتح -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الْأَدَبُ : اسْتِعْمَالُ مَا يُحْمَدُ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَعَبَّرَ بَعْضُهُمْ عَنْهُ بِأَنَّهُ: الْأَخْذُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَقِيلَ : الْوُقُوفُ مَعَ الْمُسْتَحْسَنَاتِ، وَقِيلَ : هُوَ تَعْظِيمُ مَنْ فَوْقَكَ وَالرِّفْقُ بِمَنْ دُونَكَ)[2].

وقال ابن القيِّم -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الْأَدَبُ : اجْتِمَاعُ خِصَالِ الْخَيْرِ فِي الْعَبْدِ)[3].

وقال أيضاً: (حَقِيقَةُ الْأَدَبِ : اسْتِعْمَالُ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ)[4].

فالْأَدَبُ كَضَابِطٍ مِنْ ضَوابِطِ الْصُّحْبَةِ يَعْنِي: أن يكون الخُلُق الجَّميل سِمَة صُحبة الدعاة تُرَافقهم في كل أحوالهم .

ثَانياً: أَهَمِّيَّةُ الْأَدَبِ فِيْ صِحْبَةِ الْدُّعاة :

الأدب زينة للمرء ، ومن أعظم النِعم التي يمُنُّها الجواد على عَبدِه ، فَبِه يَغْدُو مِشكاة تُضيء وتُبهِج وتُسعِد.

(وَأَدَبُ الْمَرْءِ : عُنْوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ. وَقِلَّةُ أَدَبِهِ : عُنْوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ.فَمَا اسْتُجْلِبَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الْأَدَبِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ حِرْمَانُهُمَا بِمِثْلِ قِلَّةِ الْأَدَبِ)[1].

---

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٩/١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (٤٠٠/١٠).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٣٥٥/٢).

(٤) المرجع السابق (٣٦١/٢).

فالأدب تُرجُمانٌ لِتلك المعاني السَّامِية التي تسكن نفس المؤمن ، إنَّه يأبى أن يُخالف تلك الأخلاق الرَّفيعة التي آمن بها واعتقد وجوبها ، بل إنَّه ليتقرَّبُ إلى باريه بأدبه وحُسن سَمْتِه ، وقد قيل: (مَنْ أَرَادَ العِلْم وَالفِقْه بِغَيْر أَدبٍ ، فَقَدْ اقتحمَ أَن يكذب عَلَى اللهِ وَرَسُوْله)[٢] .

والدَّاعِيَة قُدوته الأولى والمُثلى خيرُ البريَّة -ﷺ- ، تلك القُدوة التي لازالت سيرتها تُبهر البشرية جمعاء ، أدبٌ لم ولن يُسبق إلى مثله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

وسيرته -ﷺ- وهي المُنيرة بآدابٍ لن يُخطئ المُستنَّ بها طَريق الفوز والفلاح بتوفيق الله وعونه.

والقارئ للسيرة يعجب لأدبه -ﷺ- وهو المُختار المُصطفى ، خير من وطئ الثَّرى ، فَترى أدبه الجمّ يسَع الصَّغير والكبير ، والغنيّ والفقير.

فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قَالَ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا الْتَقَمَ أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَيُنَحِّي رَأْسَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَهُ»[٣] .

فمَع كثرة مشاغله -ﷺ- ، وعِظم مسؤوليَّاته إلّا أنَّه كان عَظيم الأدب، سامي الخُلُق، لا يُعنِّف أو يضجر .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: " خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟ "[٤] .

فهذه من أعظم الشَّهادات ، صبي في العاشرة من عمره ، ألا يُخطئ ؟ ألا ينسى ؟ ألا يَزِل؟.

---

(١) مدارج السَّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٢٦٣/٢).

(٢) سير أعلام النبلاء ، أبو عبد الله الذهبي (٥٨٦/١٣).

(٣) رواه أبو داوود في سننه ، كتاب:الأدب ، باب:في حسن العشرة ، الحديث(٤٧٩٤) (٢٥١/٤) ، ورواه الهيثمي في موارد الظمآن ، كتاب:علامات نبوة نبينا محمد ج ، باب:حسن خلقه ، الحديث(٢١٣٢) ص:٥٢٤، ورواه ابن مفلح في الآداب ، فصل:في سنة المصافحة بين النساء والرجال (٢٦٢/٢) ، وقال:(فيه مبارك ابن فضالة ثقة مدلس) ، وقال الألباني في سلسلته:(حسن).

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الفضائل ، باب:كان رسول الله أحسن الناس خُلقا ، الحديث(٢٣٠٩) (١٨٠٤/٤).

وهذا مثلٌ أعلى للدُّعاة ، فمهما تكاثرت مسؤولياتهم ، وتعاظمت واجباتهم ، وكُبّت عليهم المصائب ، لم يحملوا شيئاً ممَّا حمله صاحِب الخُلق العظيم -ﷺ- ، فعليهم أن يجلدوا ويصبروا ، وألا يُظهروا بسوء خُلقهم الضجر ، بل يبقوا ثابتين بأدبٍ جم ، وخلق رفيع.

فاقتبست الصُحبة المُباركة من صاحبهم-ﷺ-الخُلق الجم، فغدا الأدب سيما صُحبتهم.

(وفي سيرة الصِّدِّيقِ -رضي الله عنه- أَدَبٌ جَمّ مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي الصَّلَاةِ: أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ: مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-. كَيْفَ أَوْرَثَهُ مَقَامَهُ وَالْإِمَامَةَ بِالْأُمَّةِ بَعْدَهُ؟ فَكَانَ ذَلِكَ التَّأَخُّرُ إِلَى خَلْفِهِ - وَقَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنِ اثْبُتْ مَكَانَكَ - جَمْزًا[1]، وَسَعْيًا إِلَى قُدَّامَ؟ بِكُلِّ خُطْوَةٍ إِلَى وَرَاءَ مَرَاحِلُ إِلَى قُدَّامَ. تَنْقَطِعُ فِيهَا أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ)[2].

إن الصِّدِّيق-رضي الله عنه-نال أعلى المنازل، صُحبة وقُربة، وأدبٌ وعلوّ مترلة أعظم به من فوز!

وقد كان الأدب سمَة تلك الصُّحبة المُباركة ، فعن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال : ((وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ))[3].

وقد حكى القرآن صُوراً لأدب الأنبياء -عليهم السلام- فيما بينهم ، ومن ذلك قِصَّة كليم الله مع أخِيه ووزيره -عليه السلام- لَمَّا تترّلت رحمة الله واصطفاؤه عليه ، سأل الكريم أن يُعظم له المِنَّة بنبوَّة أخيه هارون ، وبالعِظم أدب كليم الله -عليه السلام- حين قال: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ [القصص: ٣٤].

وحينما عاد الكليم من ميقات ربِّه ، ورأى ما فُجع به من قومه الذين دعاهم ، وكابد ليله ونهاره في سبيل هدايتهم، ثمَّ يُفجع بعبادهم للعجل، وقد أخلف فيهم أخيه هارون-عليه السلام- ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ [طه: ٩٢ – ٩٤].

(١) وَهُوَ عَدْوٌ دُونَ الْحُضْرِ الشَّدِيدِ وَفَوْقَ العَنَق (لسان العرب لابن منظور ٥/٣٢٣).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٢/٣٦٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإيمان ، باب:كون الإسلام يهدم ما قبله...، الحديث(١٩٢) (١/١١٢).

عِتابٌ يغمره الشَّفقة، وردٌّ بأدبٍ رفيع، تَلاهُ استفاقةٌ من غَضب، وجُرعة خُلُقٍ عظيمة ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾[الأعراف:١٥١].

ويُسجل الكِتاب المُبارك صورة أخرى من أدب كليم الله -عليه السلام- ، يُسائل الخِضر -عليه السلام- أن يتبعه ليتعلَّم منه ، كليم الله ، مختارٌ مُصطفى ، لم يأنف أن يطلب العلم ، والأسمى من ذلك تخلُّقه بأدب الطَّالِب المُتعطِّش للعلم.

﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ ﴾[الكهف: ٦٦].

(وهَذَا سُؤَالُ الْمُلَاطِفِ، وَالْمُخَاطِبِ الْمُسْتَنْزِلِ الْمُبَالِغِ فِي حُسْنِ الْأَدَبِ، الْمَعْنَى: هَلْ يَتَّفِقُ لَكَ وَيَخِفُّ عَلَيْكَ؟) [(١)].

قال فخر الدين الرَّازي[(٢)] -رحمه الله- : (اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاعَى أَنْوَاعًا كثيرة من الأدب واللطف عند ما أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنَ الْخَضِرِ. فَأَحَدُهَا: أَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ تَبَعًا لَهُ لِأَنَّهُ قَالَ: "هَلْ أَتَّبِعُكَ". وثانيها: أن استأذن في إثبات هذا التَّبَعِيَّةِ فَإِنَّهُ قَالَ هَلْ تَأْذَنُ لِي أَنْ أجعل نفسي تبعا لك وهذا مُبَالَغَةٌ عَظِيمَةٌ فِي التَّوَاضُعِ.وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ قَالَ "عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ" وَهَذَا إِقْرَارٌ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْجَهْلِ وَعَلَى أستاذه بالعلم. ورابعها: أنه قال:"مِمَّا عُلِّمْتَ " وَصِيغَةُ مِنْ لِلتَّبْعِيضِ فَطَلَبَ مِنْهُ تَعْلِيمَ بَعْضِ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَهَذَا أَيْضًا مُشْعِرٌ بِالتَّوَاضُعِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ لَا أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مُسَاوِيًا فِي الْعِلْمِ لَكَ، بَلْ أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تُعْطِيَنِي جُزْأً مِنْ أَجْزَاءِ عِلْمِكَ، كَمَا يَطْلُبُ الْفَقِيرُ مِنَ الْغَنِيِّ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ جُزْأً مِنْ أَجْزَاءِ مَالِهِ. وَخَامِسُهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: "مِمَّا عُلِّمْتَ" اعْتِرَافٌ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ ذَلِكَ الْعِلْمَ. وَسَادِسُهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: "رُشْداً" طَلَبٌ مِنْهُ لِلْإِرْشَادِ وَالْهِدَايَةِ وَالْإِرْشَادُ هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي لَوْ لَمْ يَحْصُلْ لَحَصَلَتِ الْغَوَايَةُ والضلال. وسابعها: أن قوله: "تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ" مَعْنَاهُ: أَنَّهُ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعَامِلَهُ بِمِثْلِ مَا عَامَلَهُ اللَّهُ بِهِ ... وَعَاشِرُهَا: أَنَّهُ ثَبَتَ بِالْأَخْبَارِ أَنَّ الْخَضِرَ عَرَفَ أَوَّلًا أَنَّهُ نَبِيٌّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّهُ هُوَ مُوسَى صَاحِبُ التَّوْرَاةِ وَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَخَصَّهُ بِالْمُعْجِزَاتِ الْقَاهِرَةِ الْبَاهِرَةِ، ثُمَّ إِنَّهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن ، شمس الدين القرطبي (١٦/١١).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري،(٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها.
وكان يحسن الفارسية (الأعلام للزركلي ٣١٣/٦).

-عليه السلام- مَعَ هَذِهِ الْمَنَاصِبِ الرَّفِيعَةِ وَالدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ الشَّرِيفَةِ أَتَى بِهَذِهِ الْأَنْوَاعِ الْكَثِيرَةِ مِنَ التَّوَاضُعِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ -عليه السلام- آتِيًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِأَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْمُبَالَغَةِ ، وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَتْ إِحَاطَتُهُ بِالْعُلُومِ أَكْثَرَ كَانَ عِلْمُهُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبَهْجَةِ وَالسَّعَادَةِ أَكْثَرَ فَكَانَ طَلَبُهُ لَهَا أَشَدَّ وَكَانَ تَعْظِيمُهُ لِأَرْبَابِ الْعِلْمِ أَكْمَلَ وَأَشَدَّ. وَالْحَادِي عَشَرَ: أَنَّهُ قَالَ: "هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ" فَأَثْبَتَ كَوْنَهُ تَبَعًا لَهُ أَوَّلًا ثُمَّ طَلَبَ ثَانِيًا أَنْ يُعَلِّمَهُ وَهَذَا مِنْهُ ابْتِدَاءٌ بِالْخِدْمَةِ ثُمَّ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ طَلَبَ مِنْهُ التَّعْلِيمَ. وَالثَّانِي عَشَرَ:أَنَّهُ قَالَ: "هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ" فَلَمْ يَطْلُبْ عَلَى تِلْكَ الْمُتَابَعَةِ عَلَى التَّعْلِيمِ شيئا كان قَالَ لَا أَطْلُبُ مِنْكَ عَلَى هَذِهِ الْمُتَابَعَةِ الْمَالَ وَالْجَاهَ وَلَا غَرَضَ لِي إِلَّا طَلَبُ الْعِلْمِ)[1] .

إنَّ صُحبة ذي الأدب غَنيمة عُظمى ينالها من وفَّقه الله وأكرمه، ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٥]، والمُتتبِّع لِقصص خيار هذه الأمَّة دُعاتها وعلماؤها يرى أنَّ الأدب كان قريناً لِصُحبتهم لا ينفك عنهم بحالٍ من الأحوال.

إنَّ الأدب بين صُحبة الدُّعاة واجبٌ ولازم ، فالدُّعاة أهل عِلْم ، وأهل العِلْم مقامُهم التَّشريف والتَّكريم وحُسن الأدب، وكُلَّما زاد عِلم الدَّاعية عَظُم خُلُقُه ، وزاد أدبه ، وخفض جناحه لِصُحبته من الدُّعاة، وفي الحديث:((مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ))، إنِّها هي الرِّفعة الحقيقية، أن يغدو الدِّاعية خافض الجناح مع صَحْبِه من الدُّعاة، متواضعاً، هيِّناً، حَسَن المُحيّا.

(فَعَلَى الدَّاعِيَةِ إِذَا أَحَبَّ مُجَالَسَةَ الدُّعَاةِ جَالَسَهُمْ بِأَدَبٍ ، وَتَوَاضُعٍ فِي نَفْسِهِ ، وَخَفَضَ صَوْتَهُ عَنْ صَوْتِهِمْ ، وَسَأَلَهُمْ بِخُضُوعٍ ، وَيَكُونُ أَكْثَرُ سُؤَالِهِ عَنْ عِلْمِ مَا تَعَبَّدَهُ اللَّهُ بِهِ ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ فَقِيرٌ إِلَى عِلْمِ مَا يَسْأَلُ عَنْهُ ، فَإِذَا اسْتَفَادَ مِنْهُمْ عِلْمًا أَعْلَمَهُمْ: أَنِّي قَدْ أُفِدْتُ خَيْرًا كَثِيرًا ، ثُمَّ شَكَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ. وَإِنْ غَضِبُوا عَلَيْهِ لَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهِمْ ، وَنَظَرَ إِلَى السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ غَضِبُوا عَلَيْهِ ، فَرَجَعَ عَنْهُ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ، لَا يُضْجِرُهُمْ فِي السُّؤَالِ ، رَفِيقٌ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، لَا يُنَاظِرُهُمْ مُنَاظَرَةً يُرِيهِمْ: أَنِّي أَعْلَمُ مِنْكُمْ. وَإِنَّمَا هِمَّتُهُ الْبَحْثُ لِطَلَبِ الْفَائِدَةِ مِنْهُمْ ، مَعَ حُسْنِ التَّلَطُّفِ لَهُمْ ، لَا يُجَادِلُ الْعُلَمَاءَ ، وَلَا يُمَارِي السُّفَهَاءَ ، يُحْسِنُ التَّأَنِّي لِلْعُلَمَاءِ مَعَ تَوْقِيرِهِ لَهُمْ ، حَتَّى يَتَعَلَّمَ مَا يَزْدَادُ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ فَهْمًا فِي دِينِهِ)[2] .

(١) مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث-بيروت ، ط٣ ١٤٢٠هـ (٢١/٤٨٣-٤٨٤).

(٢) أخلاق العلماء ، محمد بن عبد الله الآجري ، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء ، ص:٥٠.

وفي سِيَرِ دُعاة الأُمَّة وصالحيها ترى أدباً عجيباً ، سِعَةُ صَدرٍ، وحُسن ظنٍّ ، وعُمقُ إخاء ،وإن حصل بينهم خلاف في بعض الفروع.

قَالَ يُونُسُ الصَّدَفِيُّ[1] – رَحِمَهُ اللهُ– : (مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ[2] ، نَاظَرْتُهُ يَوْماً فِي مَسْأَلَةٍ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقِيَنِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوْسَى، أَلاَ يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُوْنَ إِخْوَاناً وَإِنْ لَمْ نَتَّفِقْ فِي مَسْأَلَةٍ)[3] .

وَعَنْ أَحْمَد بنُ حَنْبَلٍ–رَحِمَهُ اللهُ–أَنَّه قَالَ: (إِذَا سُئِلْتُ عَنْ مَسْأَلَةٍ لاَ أَعْرِفُ فِيْهَا خَبَراً، قُلْتُ فِيْهَا بِقَولِ الشَّافِعِيِّ، لأَنَّهُ إِمَامٌ قُرَشِيٌّ، وَإِنِّي لأَدْعُو لِلشَّافِعِيِّ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ فِي صَلاَتِي)[4] ، قال بعض السَّلف:(رَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ بِمَكَّةَ يُفْتِي النَّاسَ، وَرَأَيْتُ أَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ حَاضِرَيْنِ)[5] ،
وقَالَ عبد الله بْنُ وَهْبٍ[6] :(مَا نَقَلْنَا مِنْ أَدَبِ مَالِكٍ[7] ،أَكْثَرُ مِمَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ عِلْمِهِ)[8] .

هَكَذَا هِيَ الصُّحبةُ حِينما يرتقي أفرادها الدُّعاة بأدبهم ، وحُسن سمتهم ، يبقى الإخاء، وتعظُم في الله المحبَّة ، وتقوى الصِّلة .

---

(١) يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة، أبو موسى الصدفي (١٧٠ – ٢٦٤ هـ) من كبار الفقهاء. انتهت إليه رياسة العلم بمصر. كان عالما بالأخبار والحديث، وافر العقل. صحب الشافعيّ وأخذ عنه قال الشافعيّ: ما رأيت بمصر أحدا أعقل من يونس. مولده ووفاته بها (الأعلام للزركلي ٢٦١/٨).

(٢) الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيْسَ بنِ العَبَّاسِ، عَالِمُ العَصْرِ، نَاصِرُ الحَدِيْثِ، فَقِيْهُ الملة ، وَارْتَحَلَ – وَهُوَ ابْنُ نَيِّفٍ وَعِشْرِيْنَ سَنَةً، وَقَدْ أَفْتَى وَتَأَهَّلَ لِلإِمَامَةِ – إِلَى المَدِيْنَةِ، فَحَمَلَ عَنْ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ (المُوَطَّأَ) ، عَرَضَهُ مِنْ حِفْظِهِ. صَنَّفَ التَّصَانِيْفَ، وَدَوَّنَ العِلْمَ، وَرَدَّ عَلَى الأَئِمَّةِ مُتَّبِعاً الأَثَرَ، وَصَنَّفَ فِي أُصُوْلِ الفِقْهِ وَفُرُوْعِهِ، وَبَعُدَ صِيْتُهُ، وَتَكَاثَرَ عَلَيْهِ الطَّلَبَةُ (سير أعلام النبلاء ، أبو عبد الله الذهبي ٥/١٠-٧).

(٣) سير أعلام النبلاء ، أبو عبد الله الذهبي (١٦/١٠).

(٤) المرجع السابق (٨٢/١٠).

(٥) المرجع السابق (٦٨/١٠).

(٦) عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري، أبو محمد (١٢٥ – ١٩٧ هـ) : فقيه من الأئمة. من أصحاب الإمام مالك. جمع بين الفقه والحديث والعبادة. له كتب، منها " الجامع – ط " في الحديث، مجلدان، و " الموطأ " في الحديث، كتابان كبير وصغير. وكان حافظا ثقة مجتهدا. عرض عليه القضاء فخبأ نفسه ولزم منزله. مولده ووفاته بمصر (الأعلام للزركلي ١٤٤/٤).

(٧) مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ المَدَنِيُّ (٩٣ – ١٧٩ هـ)شَيْخُ الإِسْلاَمِ، حُجَّةُ الأُمَّةِ، إِمَامُ دَارِ الهِجْرَةِ، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، وشي به فضربه سياطا الخلعت لها كتفه. ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى، فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدثه (الأعلام للزركلي ٢٥٧/٥، سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله الذهبي ٤٨/٨).

(٨) المرجع السابق (١١٣/٨).

وقد قِيل : (إِذَا صَحَّتِ الْمَحَبَّةُ تَأَكَّدَتْ عَلَى الْمُحِبِّ مُلَازَمَةُ الْأَدَبِ)[1] .

وبعد التفصيل في بيان أهمية الأدب بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى ، أنتقل إلى الحديث عن أهم مظاهر الأدب بين صحبتهم.

ثالثاً : من مظاهر الأدب بين صُحبة الدُّعاة :

١- الأدب في التَّعامل:

من أولى مظاهر الأدب بين صُحبة الدُّعاة وأَعَمِّها: أدب التَّعامل ، وهذا الأدب يُرافِقُ الدُّعاة في صِحبتهم حال حَلِّهم وترحالهم ، جدِّهم وهزلهم ، سرّائهم وضرّائهم ، فلا ينفك عن صُحبتهم بحالٍ مِنْ الأحوال .

وقد قِيل : (لَيْسَ مِنَ الأَدَبِ أَنْ تُجِيْبَ مَنْ لاَ يَسْأَلُكَ، أَوْ تَسْأَلَ مَنْ لاَ يُجِيْبُكَ، أَوْ تُحِدِّثَ مَنْ لاَ يُنْصِتُ لَكَ)[2] .

(ولقد كان القدوة الأولى -ﷺ- سهلاً ليناً، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم (هكذا) ، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال -ﷺ-)[3] .

ومن يتأمَّل أدب المُصطفى -ﷺ- مع صحبه ، يوقن أن صُحبته قد اقتبست من ذلك خيراً عظيماً ، فمِّما يُروى في ذلك : (صَلَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ[4] -رضي الله عنه- عَلَى جِنَازَةٍ ثُمَّ قُرِّبَتْ لَهُ

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٣٥٨/٢).

(٢) سير أعلام النبلاء ، أبو عبد الله الذهبي (٤٠٩/٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي ، ص:٨٧٨.

(٤)زَيْدُ بنُ ثَابِتِ بنِ الضَّحَّاكِ بنِ زَيْدٍ الخَزْرَجِيُّ ، الإِمَامُ الكَبِيْرُ، شَيْخُ المُقْرِئِيْنَ وَالفَرَضِيِّيْنَ ، مُفْتِي المَدِيْنَةِ، حَدَّثَ عَنِ: النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَنْ صَاحِبَيْهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ بَعْضَهُ أَوْ كُلَّهُ، وَمَنَاقِبُهُ جَمَّةٌ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٢٧/٢).

بَغْلَةٌ لِيَرْكَبَهَا فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: خَلِّ عَنْهُ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكُبَرَاءِ» ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ كَافَأَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى أَخَذِهِ بِرِكَابِهِ أَنْ قَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا -ﷺ-) [1].

إنَّ الواجب على الدُّعاة أن يكونوا على أسمى درجات الأدب في تعاملهم فيما بينهم ، لأنّه إذا فُقِدَ الأدب فَتَح الباب للشَّياطِين الَّتي تُريد التَّفريق ، فيجب أن يكونوا على أعلى درجات الحذر وحُسن الأدب ، فالشيطان الرَّجيم يودّ لو يظفر منهم فيُمزِّق هذه الرَّابطة السَّامِيَة.

٢- الأدب في النَّصيحة :

إنَّ مِمَّا يجبُ على صحبة الدُّعاة بذل النُصح بينهم ، إذ إنهم يعلمون يقيناً ألَّا خيريّة في هذه الصُّحبة إذا لم يكِن النُّصح شِعارها ، فكُل ما بين البشر إلى بوار إذا لم يكن بينهم تواصٍ وتناصُح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١ – ٣].

لكِنَّ التَّناصح يجب أن يكون مقدَّماً بقالب الأدب ، مُغلَّفاً بغلاف الحُبّ ، فالنُّفوس تنفر من الغلظة والصَّلابة، ويكفي الدَّاعِيَة أن ينظر في سيرة خير البريَّة -ﷺ- ليتعلَّم هذا الخُلُق.

فعَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ-رضي الله عنه-، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ-ﷺ- إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- : مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» [2].

(١) جامع بيان العلم وفضله ، أبو عمر يوسف القرطبي ، ت:أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي-السعودية ، ط١ (٥١٤/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الأدب ، باب:الرفق في الأمر كله ، الحديث(٦٠٢٥) (١٢/٨) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الطهارة ، باب وجوب غسل البول...، الحديث(٢٨٥) (٢٣٦/١) واللفظ له.

فكان توجيهه -ﷺ- في هذا الموقف توجيه الناصح الرحيم، فلم يُعنف أو يُوبِّخ ، على الرغم من عظم شرف المكان ، وسوء الموقف ، ليتمثل - ﷺ - أدب النصيحة ، ويغدو هذا الموقف درساً يُستنبط منه أعظم العبر.

٣- الأدب في الخلاف :

إنَّ المُتأمِّل في حالِ بعض الدُّعاة اليوم مِن نقدٍ لبعضهم البعض على الملأ، وبأساليبٍ تجريحيَّة بسبب خِلافٍ وقع بينهم في بعض الفروع ، وما نتج عن هذه الظَّاهِرة من مساوئ يُوقن بأهمِّيَة زرع خُلق الأدب حالَ الخِلاف ، إذ إنه لا يعني أنَّنا "إذا اختلفنا افترقنا" ، فَرِبَاط الصُحبة عظيم ، وهو بين الدُعاة أعظم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: " إِنَّا مَعَاشِرَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- كُنَّا نُسَافِرُ فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، وَمِنَّا الْمُتِمُّ وَمِنَّا الْمُقْصِرُ، فَلَمْ يَعِبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ، وَلَا الْمُقْصِرُ عَلَى الْمُتِمِّ، وَلَا الْمُتِمُّ عَلَى الْمُقْصِرِ"[(١)] .

وكَانَ أَحْمَدَ بنَ حنْبَلٍ -رحمه الله- يَقُوْلُ : (لَمْ يَعْبُرِ الجِسْرَ إِلَى خُرَاسَانَ مِثْلُ إِسْحَاقَ[(٢)]، وَإِنْ كَانَ يُخَالِفُنَا فِي أَشْيَاءَ، فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَلْ يُخَالِفُ بَعْضُهُم بَعْضاً)[(٣)] .

فاللازِمُ على الدُّعاة التزام الأدب حال الخِلاف ، وترك التَّنقّص ، أو الرمي بالجهل، أو الاستهزاء والسُّخرية ، وإلَّا حصل ما لا يُحمد عُقباه ، وتحقَّق انحراف الضَّمائر.

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب:الصلاة، جماع أبواب صلاة المسافر...، باب:من ترك القصر في السفر..، الحديث(٥٤٤٠) (٢٠٧/٣).

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظليّ التميمي المروزي، (١٦١ - ٢٣٨ هـ) أبو يعقوب ابن راهويه: عالم خراسان في عصره. من سكان مرو (قاعدة خراسان) وهو أحد كبار الحفاظ. طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم ، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد (الأعلام للزركلي ٢٩٢/١).

(٣) سير أعلام النبلاء ، أبو عبد الله الذهبي (٣٧١/١١).

إنَّ الدَّاعِية الحصيف ليعلم وجوب الرُّجوع الصَّادق لهذا الخُلُق النَّبيل "الأدب" ، فمع الحملات الَّتي تبطش ، وتُشوِّه ، ومع نشاط أعداء الدِّين لتشويه صورة هذا الدِين القويم ، يلزم من الدعاة أن يكونوا جسداً واحداً يسود بينهم الأدب الرَّفِيع ، حتّى لا تكون للشيطان منافذ، وليظهروا ككيان واحد قويٍّ يُنير العالم بحُسن أدبه ، وسلامة خُلُقه ، ذاك ما ينبغي ، بل هذا هو ما يُؤمَّل من صُحبة الدُّعاة المُباركة.

وبعد الحديث عن الأدب كضابط من ضوابط الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى وبيان أهميته ، أبدأ في بيان الضابط التالي من ضوابط الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى وهو الحب.

الْمَسْأَلَةُ الْسَّابِعَة: الْحُبّ.

أَوَّلاً: تَعْرِيْفُ الْحُبّ:

أ- الْحُبّ لُغَةً:

قال ابن فارسٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الْحَاءُ وَالْبَاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، أَحَدُهَا: اللُّزُومُ وَالثَّبَاتُ، وَالْآخَرُ :الْحَبَّةُ مِنَ الشَّيْءِ ذِي الْحَبِّ، وَالثَّالِثُ: وَصْفُ الْقِصَرِ)[1] ، والمقصود هنا المعنى الأوَّل.

ب- الْحُبُّ اصْطِلَاحاً:

الحب هو : (الْمَيْلُ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْمُحِبَّ ، وَقَدْ تَكُونُ بِحَوَاسِّهِ: كَحُسْنِ الصُّورَةِ أَوْ بِفِعْلِهِ، إِمَّا لِذَاتِهِ:كَالْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ، وَإِمَّا لِإِحْسَانِهِ: كَجَلْبِ نَفْعٍ أَو دفع ضَرَر)[2] .

فالْحُبُّ كَضَابِطٍ مِنْ ضَوابِطِ صُحْبَةِ الْدُّعاة يعني: مُلازمة صُحبة الدُّعاة ، والتَّودد إليهم ، والثَّبات عليه .

ثَانياً: الحبُّ أساس صحبة الدُّعاة :

جاء الإسلام رحمة للنفوس ، ورأفة بالضُّلال ، وهدايةً للحيارى ، فهذَّب الأخلاق، وسمى بالمشاعر ، وارتقى بالأرواح ، فغدت بعده الهِمم عالية ، والقِيَمُ رَفيعة.

وقد جاء بالرَّحمة ، وانتشر بالحُب ، بل وعَزَّز قَيم الحُبّ ، وأثنى على أهل محبَّة الباري ووصفهم بقوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وجاء الرَّحمة المهداة -ﷺ- بأسمى حبٍّ وأرفعه ، ودعا بالحبِّ :«يَا مُعَاذُ [1]، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، ثم قال -ﷺ- : " أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ "[2] .

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٢/٢٦).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (١/٥٧).

كان -ﷺ- بثغره الباسم ، وكلمته الحانِيَة يُنمِّي الحب في مجتمعٍ كان أفراده أحزاباً مشتِّتين ، وجماعاتٍ متصارعين ، فجاءت دعوته -ﷺ- في مجتمع قاسى من العناء والبلاء والتَّشرُّد والضَّراء ما الله به عليم ، فكانت دعوته بالحب وإلى الحُب بلسماً على الجراح النَّازِفة ، والأنفس المُنهكة.

لقد كانت الدَّعوة المُحمَّديَّة أُنموذجاً فريداً لن ينساه التَّاريخ ، هذه الدَّعوة خلَّفت أعجب مُجتمع ، وأندر أفراد ، فالفرد منهم غدا كجماعات مِنَّا.

إنَّ ايقاظ الحب وإشعال جذوته في النُّفوس كانت طريقة المُصطفى-ﷺ- في دعوته ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فأثمرت الدَّعوة المُحمَّديَّة خير قِصَّة إخاءٍ عرفها التَّاريخ وأثنى عليها الباري في كتابه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩].

والنَّاظر في الحُبَّ اليوم يَرَى أنه من أكثر القِيَم التي ظُلِمَت وهُضِم حَقُّها ، فما إن ترد كلمة الحب حتى تتوارد إلى الأذهان تلك المعاني الساقطة ، والحكايات البائسة ، لقد أصبح يُربط حال ذِكْرِه بقيس وليلى ، أو بعنترة وعبلة ، فنشأت أجيال لا تعرف حقيقة ذاك المعنى السَّامِي ، لا تعرف سوى صور الانحلال والضَّياع، ذاك ما صورته لهم جهود الإفساد والتَّغريب.

الحُبُّ حَقِيقتة كالنَّهر العذب الفرات ، إذا جرى في صحارى غَدَت به خضراء نَضِرَة ، هو سرُّ هذه الوجود ، وبه تُغفر الزلّات ، وتُقال العثرات ، ولولا الحُب لما كان للرَّحمة وجود في هذا الكون.

إنَّ مَحبّة الله هي أسمى أنواع الحبّ وأرقاها ، ومنه تنتج الخيرات والبركات ، ولا سبيل لمحبَّة الله إلا بطاعته ، والتَّقرّب إليه بالصَّالِحات.

---

(١)مُعَاذُ بنُ جَبَلِ بنِ عَمْرِو بنِ أَوْسٍ الأَنْصَارِيُّ ، السَّيِّدُ، الإِمَامُ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، المَدَنِيُّ، البَدْرِيُّ، شَهِدَ العَقَبَةَ شَابّاً أَمْرَدَ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ١/٤٤٣-٤٤٤).

(٢) رواه أبو داوود في سننه ، كتاب:قيام الليل ، باب:الوتر ، الحديث(١٥٢٢) (٢/٨٦) واللفظ له ، وراه النسائي في سننه ، كتاب:عمل اليوم والليلة ، باب:الحث على قول:"رب أعني...، الحديث(٩٨٥٧) (٩/٤٧) ، ورواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب:الصلاة ، باب:القنوت ، الحديث(٢٠٢٠) (٥/٣٦٤) ، وقال الألباني في سلسلته:(صحيح) ، وقال الأرنؤوط:(إسناده صحيح).

فبِمَحبَّة الله صارت النَّار على إبراهيم جنة وبرداً وسلاماً ، وبه قدَّمت آسية امرأت فرعون روحها وهي تبتسم ، ولأجله فدت ماشطة ابنت فرعون بَنِيْها وما تراجعت ، وفي سبيله قتل بن الجراح والده ، وبه بات علي بن أبي طالب على فراش النُّبوة ، وجعفر بن أبي طالب هانت عليه يداه، والصِّديق أنفق ثروته كلها لله ، فغدت براهين على الحُبّ الصَّادق ، الحُبّ الذي من أجله هانت الأرواح ، وقُدِّمت الجماجم قرابيناً.

إنَّ السَّائر في طريق الدَّعوة المُتبع لمنهج أنبياء الله -ﷺ- ، المشتغل بالطَّاعات ، لن يُعدَم من إقبال القلوب عليه واستبشارهم به.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾[مريم:٩٦].

أي : (سَيُحْدِثُ لَهُمْ فِي الْقُلُوب مَوَدَّةً وَيَزْرَعُهَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ غَيْرِ تَوَدُّدٍ مِنْهُمْ وَلَا تَعَرُّضٍ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي يَكْتَسِبُ النَّاسُ بِهَا مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ مِنْ قَرَابَةٍ أَوْ صَدَاقَةٍ أَوِ اصْطِنَاعِ مَعْرُوفٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ اخْتِرَاعٌ مِنْهُ تَعَالَى وَابْتِدَاءٌ تَخْصِيصًا لِأَوْلِيَائِهِ بِهَذِهِ الْكَرَامَةِ)[1].

وقد قيل : (ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه، وزاده من عنده)[2].

وأيِّ إقبال على الله بقربة بعد الواجبات من الدعوة إلى دينه ، وهداية القلوب إليه ، وتبصيرها بالحق الذي جاء من عنده .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت: ٣٣].

إنَّ أصحاب القول الحسن مِنْ الدُّعاة إلى الله رِفقة الخير ، ليتقرَّبوا إلى الله بحبِّهم وإخائهم ، ويتشبَّثوا به ما داموا أحياءاً.

قال ابن حزم[1] -رَحِمَهُ اللهُ-: (إنّ المحبّة ضروب ، فأفضلها محبّة المتحابّين في الله- جَلَّ جَلَالُهُ-: إمّا لاجتهاد في العمل، وإما لاتّفاق في أصل النّحلة والمذهب، وإمّا لفضل علم يمنحه الإنسان، ومحبّة القرابة، ومحبّة

(١) مفاتيح الغيب ، أبو عبدالله الرازي (٥٦٧/٢١).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ، ابن جرير الطبري (٢٦٢/١٨).

الألفة، ومحبّة الاشتراك في المطالب، ومحبّة التّصاحب والمعرفة، ومحبّة البرّ يضعه المرء عند أرضه، ومحبّة الطّمع في جاه المحبوب، ومحبّة المتحابّين بسرّ يجتمعان عليه يلزمهما ستره، ومحبّة بلوغ اللّذّة، وقضاء الوطر، ومحبّة العشق الّتي لا علّة لها إلّا اتّصال النّفوس)[٢].

إنَّ الحُب في الله زادٌ للدُّعاة في طريق صُحبتهم ، يُلطِّف عليهم ، ويُنسيهم شيئاً من أكدار الفانية ، ويُعينهم على العقبات الَّتي تعترضهم في طريق دعوتهم.

قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: " لاَ يَجِدُ أَحَدٌ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ"[٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»[٤].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ"وَذَكَرَ مِنْهَا:" وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ"[٥].

قال ابن تيمية -رحمه الله- : (فَهَذَا وَافَقَ رَبَّهُ فِيمَا يُحِبُّهُ، وَمَا يَكْرَهُهُ فَكَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَحَبُّ الْمَخْلُوقِ لِلَّهِ لَا لِغَرَضٍ آخَرَ، فَكَانَ هَذَا مِنْ تَمَامِ حُبِّهِ لِلَّهِ، فَإِنَّ مَحَبَّةَ مَحْبُوبِ الْمَحْبُوبِ مِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ الْمَحْبُوبِ؛ فَإِذَا أَحَبَّ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ وَأَوْلِيَاءَ اللَّهِ لِأَجْلِ قِيَامِهِمْ بِمَحْبُوبَاتِ الْحَقِّ لَا لِشَيْءٍ آخَرَ، فَقَدْ أَحَبَّهُمْ لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ)[٦].

إنَّ على الدُّعاة أن يُشيعوا ثقافة الحب فيما بينهم ، ويتعهَّدوها بالعطاء والبذل ، كي يتفيَّؤوا في ظلال جَنَّة تُؤنسهم في الدُّنيا ، ويُبهروا ويُبهجوا بثمارها -بإذن الكريم- يوم القيامة.

---

(١) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزْمية ". ولد بقرطبة،وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة(الأعلام للزركلي ٢٥٤/٤).

(٢) طوق الحمامة في الألفة والألاف ، علي بن حزم الأندلسي ، ت:إحسان عباس ، المؤسسة العربية-بيروت ، ط٢ ، ص:٩٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الأدب ، باب:الحب في الله ، الحديث(٦٠٤١) (١٤/٨).

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:في فضل الحب في الله ، الحديث(٢٥٦٦) (١٩٨٨/٤).

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الإيمان ، باب:حلاوة الإيمان ، الحديث(١٦) (١٢/١) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإيمان، باب:بيان خصال من اتصف...، الحديث(٤٣) (٦٦/١).

(٦) الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية (١٨٦/٥).

والحُبُّ في الله من أعظم أسباب رضى الله عن عبده ، وحلول البركة والخير والنعيم عليه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-، " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ "[1].

(فَالْمَخْلُوقُ إذَا أَحَبَّ لِلَّهِ كَانَ حُبُّهُ جَاذِبًا إلَى حُبِّ اللَّهِ ، وَإِذَا تَحَابَّ الرَّجُلَانِ فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ؛ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا جَاذِبًا لِلْآخَرِ إلَى حُبّ اللَّهِ ... فَإِنَّك إذَا أَحْبَبْت الشَّخْصَ لِلَّهِ كَانَ اللَّهُ هُوَ الْمَحْبُوبُ لِذَاتِهِ فَكُلَّمَا تَصَوَّرْته فِي قَلْبِك تَصَوَّرْت مَحْبُوبَ الْحَقِّ فَأَحْبَبْته فَازْدَادَ حُبُّك لِلَّهِ. كَمَا إذَا ذَكَرْت النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- وَالْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَصْحَابَهُمْ الصَّالِحِينَ وَتَصَوَّرْتهمْ فِي قَلْبِك، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْذِبُ قَلْبَك إلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ وَبِهِمْ إذَا كُنْت تُحِبُّهُمْ لِلَّهِ ، فَالْمَحْبُوبُ لِلَّهِ يُجْذَبُ إلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ ، وَالْمُحِبُّ لِلَّهِ إذَا أَحَبّ شَخْصًا لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَحْبُوبُهُ فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَجْذِبَهُ إلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَكُلٌّ مِنْ الْمُحِبِّ لِلَّهِ وَالْمَحْبُوبِ لِلَّهِ يُجْذَبُ إلَى اللَّهِ)[2].

إنَّ صُحبة الدُّعاة وقد اتَّحد هدفهم ، واتَّفقت أرواحهم ، فحصلت صُحبتهم ، جاء الحُبُّ وحضر بينهم.

قال ابن القيم -رضي الله عنه- : (إن التناسب الذي بين الأرواح من أقوى أسباب المحبة فكل امرىء يصبو إلى ما يناسبه ، وهذه المناسبة نوعان: أصلية من أصل الخلقة ، وعارضة بسبب المجاورة أو الاشتراك في أمر من الأمور فإن من ناسب قصدك قصده حصل التوافق بين روحك وروحه فإذا اختلف القصد زال التوافق ، فأما التناسب الأصلي فهو اتفاق أخلاق وتشاكل أرواح وشوق كل نفس إلى مشاكلها فإن شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع فتكون الروحان متشاكلتين في أصل الخلقة فتنجذب إليه بالطبع ، فتكون الروحان متشاكلتين في أصل الخلقة فتنجذب كل منهما إلى الأخرى بالطبع ، وقد يقع الانجذاب والميل بالخاصية وهذا لا يعلل ولا يعرف سببه كانجذاب الحديد إلى الحجر المغناطيس ، ولا ريب أن وقوع هذا القدر بين الأرواح أعظم من وقوعه بين الجمادات)[3].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:في فضل الحب في الله ، الحديث(٢٥٦٧) (١٩٨٨/٤).

(٢) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٦٠٨/١٠-٦٠٩).

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية-بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ص:٦٧-٦٨.

وقال – ﷺ- : (فإذا كانت المحبة بالمشاكلة والمناسبة ثبتت وتمكنت و لم يزلها إلا مانع أقوى من السبب ، وإذا لم تكن بالمشاكلة فإنما هي محبة لغرض من الأغراض تزول عند انقضائه وتضمحل ، فمن أحبك لأمر ولى عند انقضائه فداعى المحبة وباعثها إن كان غرضا للمحب لم يكن لمحبته بقاء ، وإن كان أمرا قائما بالمحبوب سريع الزوال والانتقال زالت محبته بزواله وإن كان صفة لازمة فمحبته باقية ببقاء داعيها ما لم يعارضه يوجب زوالها ، وهو إما تغير حال في المحب ، أو أذى من المحبوب ، فإن الأذى إما أن يضعف المحبة أو يزيلها)[1] .

فالواجب على الدُّعاة تعاهد صُحبتهم بالحِب ، وتزكِيَته من مُرادات الدُنيا ، وعليهم الصبر والمُصابرة على هذا الحب ، وألَّا يُهملوه ماداموا في طاعة الله ، والدَّعوة إليه.

(إنَّ تآزر الأمزجة هو أساس الألفة والتزامن الوجداني ، وإذا برع الدعاة في تناغمهم الوجداني مع بعضهم وتفاعلهم ، فإن هذا يجنى منه ثمار النجاح . فالداعية الناجح في التفاعل مع صحبه هو القادر على أن يجعلهم يتفاعلون معه فكرياً وعاطفياً)[2] .

إنَّ الحُبَّ بين صُحبة الدُّعاة جنَّة إذا أقحطت دُنياهم تفيّؤوا في ظلالها ، ونهرٌ عذب ارتووا منه كُلَّما راودهم العطش.

(إنَّ أعمال الدَّاعِيَة جُلُّها ذات مسحة صارمة ، وتحتاج دأباً وسهراً وسفراً ، حتى يعتري الداعية الإرهاق ، ومع الأيام تتراكب الأحمال حتى تكون ثقيلة ، فيكون نوع ضجر وتوتر أعصاب قد يؤدي إلى زلل لسان الدَّاعية بلفظ نابٍ أو تصرفٍ جاف يكسر قلب المؤاخى الصافي ، فتنبغ موعظة صيانة الحب تدعو إلى مداراة واحتياط ، تُخاطب المرهق أن يزداد صبراً ، ويُبدي حلماً ، ويمنح حباً)[3] .

فوُجود الحُب بين صُحبة الدُّعاة يُعين على التَّصبر على زَلل بعضهم ، وغض الطَّرف عن التَّقصير ، فلا تستقيم الصُحبة و لا تُثمر بغير الحب ، وفي ميراث النُّبوَّة وصايا لِجَلْبِ الحُبِّ وإشاعته.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –ﷺ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ-: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[4] .

(١) المرجع السابق ، ص:٧٠.

(٢) قوة الذكاء الوجداني ، موسى البهدل ، ص:٨٦.

(٣) منهجية التربية الدعوية ، محمد الراشد ، ص:١٠٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإيمان ، باب:بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون...، الحديث(٥٤) (١/٧٤).

ومن أسباب الحب الإحسان ، ودفع السَّيئة بالحسنة ، فالدُّعاة في خِضَمِّ انشغالهم في مهمَّاتهم الدَّعوية ، ومسؤولياتهم المُتكاثرة ، قد تصدر من أحدهم لصاحبه كلمة أو فعل لم يقصده ، لكنّه بشر صَدَر مِنْهُ الخطأ ، فكيف العِلاج؟ هل ينتهي الحب ، وتنقطع الصُحبة بين مَن تحمَّلوا أسمى رسالة لأجل موقف أو كلمة؟.

إنَّ الإحسان والكلمة الطَّيِّبة تصنع العجائب، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥].

أحسن إِلَى النَّاس تستعبد قُلُوبهم ... فطالما استعبد الْإِنْسَان إِحْسَان

وَإِن أَسَاءَ مسيء فَلْيَكُن لَك فِي ... عرُوض زلته صفح وغفران[1]

فمُبادرة المُسيء لتقديم اعتذاره ، وتقبّل الصَّاحِب لعذر أخيه ، وإهاجُه بترحابٍ ذاك ما يُؤمَّل في صُحبة الدُّعاة.

وبعد الحديث عن الحب كأساس للصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى ، أشرع في بيان بعض مظاهره.

ثالثاً : مِنْ مَظَاهِرِ الْحُبّ بَيْنَ الْدُّعَاةِ :

١- الْدَّيْمُوْمَة:

إن الحُب بين صُحبة الدُّعاة دائمٌ مُتَعَهَّد ، فهو قُربة يُقدِّمها صُحبة الدُّعاة لينالوا ظلَّ العرش ، والفوز برضى الرحمن.

قال ابن عثيمين[2] -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (المتحابين في الله لا يقطع محبتهم في الله شيء من أمور الدنيا، وإنما هم متحابون في الله لا يفرقهم إلا الموت، حتى لو أن بعضهم أخطأ على بعض، أو قصر في حق

(١) طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي ، ت:محمود محمد ، عبدالفتاح محمد ، دار هجر ، ط٢ (٢٩٥/٥).

(٢) محمد بن صالح العثيمين (١٣٤٧-١٤٢١ه) عالم وفقيه سعودي، وأستاذ في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في منطقة القصيم، وعضو هيئة كبار العلماء ، زادت آثار الشيخ العلمية على خمسة وخمسين مؤلفاً، وقد اختير بعضها مقررات في المعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية. نقلا عن : الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net .

بعض، فإن هذا لا يهمهم؛ لأنه إنما أحبه لله عز وجل، ولكنه يصحح خطأه ويبين تقصيره؛ لأنه هذا من تمام النصيحة)[1].

ومِمَّا لا يخفى على صُحبة الدُعاة (أنَّ العاطفة أرض خصبة تحتاج لقطرات من الاهتمام ، والتعامل النقي الرقيق حتى تنمو زهور العاطفة ، وتفوح في ثنايا الذات ، وينتشر عبقها للآخرين ، ولكن عندما تُهمل فإنها تجذب وتصبح قاحلة مهلكة خالية من روعة الحياة)[2].

ويُجاهد صُحبة الدُعاة ألا يفتقدوا هذا المعين المُبارك الحُب في الله ، فلفقدان الحُب آثاراً ضارَّة ، ومُخلَّفات سلبية منها:(عدم القدرة عن التعبير على المشاعر ، ضغوط الحياة العاصفة بالفرد والمتنوعة ، خلل في التنشئة الاجتماعية في التعامل مع العاطفة ، كثرة المشاكل ، عدم العفو والمسامحة ، عدم الاستماع العاطفي)[3].

فَتَتَّسم محبة الدُّعاة بالدَّيمومة والاستمرارِيَّة ، يسقونه بالتعهُّد لئلا تنطفيء جذوة هذا الْحُبّ.

٢- الْإِعْلَام :

إنَّ من مظاهر الحب بين صحبة الدُّعاة الإعلام والإخبار ، فيتسابق الصاحب من الدُّعاة بإخبار صاحِبِه بمحبّته له تطبيقاً للسنَّة النَّبويَّة:«إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُعْلِمْهُ»[4].

وبتطبيق هذه السُّنَّة يُنمّي الْحُب ، وتزداد به همَّة المُتحابين للتَّقرب إلى الله بالطَّاعات لنيل أعلى المنازل ، وتشتعل بينهم المُسارعة في الخيرات ، وتقديم القُرُبات عمَّن يُحبُّون ، وتسقي النُفوس العطشى من معين الحُبّ الصَّافي الْحُبّ في الله.

وبعد تفصيل الحديث عن الحب كضابط للصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى ، وبيان أبرز مظاهره ، أبدأ في بيان الضابط الأخير من ضوابط الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى وهو النقد الذاتي.

---

(١) شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح العثيمين ، دار الوطن-الرياض ، ط١٤٢٦ (٢٦٣/٣).

(٢) قوة الذكاء الوجداني ، موسى البهدل ، دار وجوه للنشر-الرياض ، ط١ ، ص:٦٨.

(٣) قوة الذكاء الوجداني ، موسى البهدل ، ص:٧٠-٧١.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب:الصحبة والمجالسة ، باب:ذكر الأمر للمرء إذا أحب...، الحديث(٥٧٠) (٣٣٠/٢) واللفظ له ، ورواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:البر والصلة ، الحديث(٧٣٢٢) (١٨٩/٤) ، ورواه الترمذي في سننه ، كتاب:الزهد ، باب:ماجاء في إعلام الحب ، الحديث(٢٣٩٢) (١٧٧/٤) وقال:(حسن صحيح غريب ، وقال الألباني في سلسلته:(صحيح).

الْمَسْأَلَة الثَّامِنَة : الْنَّقْد الْذَّاتِي.

أَوَّلاً: تَعْرِيْف الْنَّقْد الْذَّاتِي:

أ- الْنَّقْد الْذَّاتِي لُغَةً:

١- "النَقَدَ" : (نقَد الشّيءَ : بيَّن حسنَه ورديئه ، أظهر عيوبه ومحاسنه)[١].

٢- "الذات": (تقول العرب فِي تَأْنِيث (ذُو) : ذَات، تَقول: هِيَ ذَات مالٍ ، و (ذُو) اسْم نَاقص: وتَفسيره: صَاحب ذَلِك ،... وَذَات الشَّيء: حقيقتُه وخاصته... وَكَذَلِكَ: عَرَفه من ذَات نَفْسه: كَأَنَّهُ يَعْني:سَرِيرتَه الْمُضْمَرة)[٢].

ب- الْنَّقْد الْذَّاتِي اصْطِلاحاً:

هو عبارة عن محاولة لتقييم منتج أو حالة أو ظاهرة ، وفي ذلك التَّقويم تُذكر المحاسن والمساوئ ، والإيجابيات والسلبيات[٣].

وقيل هو : (نقد الشَّخْص لأخطائه أو نقاط ضَعْفه بهدف تحسينها)[٤].

فالنَّقْد الْذَّاتِي كَضابِط مِن ضوابط الْصُّحْبَةِ يعني: دراسة شاملة للدُّعاة والعمليَّة الدَّعوية بجدِّيَّة وبشكل مستمر تشمل الأهداف والمُخرجات وبتقويمٍ مستمر.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد عمر (٢٢٦٤/٣).

(٢) تهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهري (٣٣/١٥-٣٤).

(٣) الصحوة الإسلامية ، عبدالكريم بكار ، دار السلام ، ص:٣٢.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد عمر (٢٢٦٥/٣).

ثَانياً : النَّقْدُ الذَّاتِيّ مِنْ ضَوَابِطِ صُحْبَةِ الدُّعَاة :

إنَّ تَنَاصُح أفراد هذه الأُمة هو صمَّام الأمان وطريق الفلاح والنَّجاح ، فلا نجاة بتركه، والخسران كل الخسران في إهماله ، والتَّولي عنه .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١ – ٣].

(هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى حَكَمَ بِالْخَسَارِ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِلَّا مَنْ كَانَ آتِيًا بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَهِيَ: الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ النَّجَاةَ مُعَلَّقَةٌ بِمَجْمُوعِ هَذِهِ الْأُمُورِ ، وَإِنَّهُ كَمَا يَلْزَمُ الْمُكَلَّفَ تَحْصِيلُ مَا يَخُصُّ نَفْسَهُ فَكَذَلِكَ يَلْزَمُهُ فِي غَيْرِهِ أُمُورٌ، مِنْهَا الدُّعَاءُ إِلَى الدِّينِ وَالنَّصِيحَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، ثُمَّ كَرَّرَ التَّوَاصِيَ لِيُضَمِّنَ الْأَوَّلَ : الدُّعَاءَ إِلَى اللَّهِ، وَالثَّانِيَ : الثَّبَاتَ عَلَيْهِ، وَالْأَوَّلُ : الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالثَّانِي: النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: "وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ" وَقَالَ عُمَرُ: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي)[1] .

إنَّ خيريَّة الأمة المُحمدية مُرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقيامها بشعيرة التناصح ، فإذا أهملتها سقطت عنها الخيرية قَالَ تَعَالَى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إنَّ السعي في إصلاح عيوب الأمة ، بتقويم معوجِّها وتشجيع صالحها يكون شفيعاً لصاحبه إذا حلَّ العذاب ، فلا ينجو حينئذ إلا المصلحون.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۝١١٧ ﴾[هود:١١٧].

وإذا كان أفراد هذه الأمة مأمورين بالإصلاح والتواصي على الخير والصَّبر ، فدُعاتها مُخاطبون من باب أولى، إذ ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩ ﴾[الزمر: ٩].

(١) مفاتيح الغيب ، أبو عبدالله الرازي (٢٨٢/٣٢).

إنَّ النَّقد الذَّاتي بين صُحبة الدُّعاة ينبغي أن يُعزز ويُقوّى ، فلا يليق بمن نذروا أنفسهم لإصلاح عيوب النَّاس أن يتعاموا عن عيوبهم ، بل الواجب إزالة تلك النَّظرة السوداوية للنقد، والترحيب به ، بل والدَّعوة إليه على الدَّوام.

(إنَّ الانحراف في فهم وظيفة النقد هو أحد أكثر وجوه الخطأ في فهم سَنن الحياة والتاريخ ، وأبلغها نأياً عن المنهجية وعن التأثير في عالم الواقع ، ولا يملك مرتكب هذا الخطأ غير المراقبة المتشائمة السلبية العاجزة عن تقليل الشر أو تكثيف الخير ، ولو أنصف المتأسفون أنفسهم لرأوا في جريان القدر الذي تعرضت له الجماعة حكمة مرافقة هي واضحة ليست خفية)[1] .

إنَّ التَّجارب الدَّعوية التي تمر بصحبة الدُّعاة مُختلفة ومتباينة ، وكل فردٍ من هؤلاء الصحبة يُواجه مواقف ذات أبعادٍ متفاوتة ، فيُصيب تارة ، ويُخطئ تارة أُخرى ، فهو لازال في عداد البشر، ولا يُمكن تقليص تلك الأخطاء والاستفادة منها إلَّا بالنَّقد الذاتي بين الدُّعاة.

(إن مصارحة الذات وفتح باب النقد العلمي البناء القائم على النصح الخالص طريق قوي لإدراك الأخطاء والعيوب ، وتقديس المبادئ وتعظيم الحرمات ، وتحويلها إلى مزيج من كيمياء العمل الناطق بالورع والشاهد بالتقوى والقائم بالهدى)[2] .

إنَّ من الأفكار الخاطئة التي يعتنقها بعض الدُّعاة أنَّ نقدهم يعني استنقاصهم ، والتَّقليل من شأنهم ، وتلك مشكلة كبرى يجب تداركها ، إذ لها تبعات سيئة على مسيرة الدعوة الإسلامية ، فكيف لأفراد هذه الدَّعوة أن يستفيدوا من تجارهم السَّابقة بإصلاح الخطأ ، وتعزيز الصَّواب ، إذا لم تحصل بينهم وظيفة النقد الذاتي سواءاً لأعمالهم ، أو للأفراد أنفسهم.

و لَمَ يتحرَّج الدُّعاة النَّاصحون من استقبال النَّقد الذاتي أو بذله وقد سبقهم خير البرية رسل الله – ﷺ – ، فهذا المصطفى –ﷺ– يُعلنها مُدوية يحفظها التَّاريخ: «وَاللَّهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُهَا»[3] .

(١) منهجية التربية الدعوية ، محمد الراشد ص:١٦٦.

(٢) الدعوة في الواقع المعاصر ، غازي المطيري ، جامعة أم القرى ١٤٣٠هـ ، ص:١٨٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الأيمان والنذور ، باب:اليمين فيما لايملك...، الحديث(٦٦٨٠) (١٣٨/٨) واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الأيمان ، باب:ندب من حلف يمينا فرأى غيرها...، الحديث(١٦٤٩) (١٢٧٠/٣).

وفي قصَّة موسى مع الخضر -عليه السلام- خير شاهدٍ على بذل النَّقد وتقبُّله ، و لم يتوانَ كليم الله -عليه السلام- من أن يبذل نصحه للمصطفى -صلى الله عليه وسلم- ، قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: ((فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي)) [(١)] .

وقد كان دَأب السَّلف الكِرام النَّقد لِصَحبهم ومُناصحتهم خاصَّة إذا نزلت بأحدهم ضائقة ، أو حلَّت به كُربة ، واحتاج لمن يُؤازره بالنَّقد والتَّوجيه تسارعوا إلى ذلك ، وفي مِحْنَة ابن حنبل -رحمه الله- شاهِدٌ على ذلك ، فقد قال أبو جعفر الأنباري -رحمه الله- : (لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ إِلَى المَأْمُوْنِ [(٢)] ، أُخبرتُ، فَعَبَرْتُ الفُرَاتَ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الخَانِ [(٣)] ، فَسَلَّمتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، تَعَنَّيْتَ.فَقُلْتُ: يَا هَذَا، أَنْتَ اليَوْمَ رَأْسٌ، وَالنَّاسُ يَقتدُوْنَ بِكَ، فَوَ اللهِ لَئِنْ أَجبتَ إِلَى خَلقِ القُرْآنِ، لَيُجِيْبَنَّ خَلقٌ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُجبْ، لَيَمْتَنِعَنَّ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيْرٌ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الرَّجُلَ إِنْ لَمْ يَقْتُلْكَ فَإِنَّك تَمُوتُ، لاَبُدَّ مِنَ المَوْتِ، فَاتَّقِ اللهَ وَلاَ تُجبْ.فَجَعَلَ أَحْمَدُ يَبْكِي، وَيَقُوْلُ: مَا شَاءَ اللهُ.ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، أَعِدْ عَلَيَّ.فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَقُوْلُ: مَا شَاءَ اللهُ) [(٤)] .

إنَّ تفهُّم أهمية النَّقد الذاتي يُوجب قبوله والتَّطلع إليه ، بل والمطالبة به ، فمن فَقِه عِظَم الْصُّحبة من الدُّعاة ابتدأ بتقديم النقد ، ورحَّب به .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب:الصلاة، باب:كيف فرضت الصلاة في الإسراء، الحديث(٣٤٩)(١/٧٨) واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب:الإيمان،باب:الإسراء بالنبيجإلى السموات...،الحديث(١٦٢) (١/١٤٥).

(٢) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، ابو العباس (١٧٠ - ٢١٨ هـ) سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، وأحد أعاظم الملوك، في سيرته وعلمه وسعة ملكه. نفذ أمره من إفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند. فقامت دولة الحكمة في أيامه. وقرب العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والأنساب. وأطلق حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة، لولا المحنة بخلق القرآن، في السنة الأخيرة من حياته (الأعلام للزركلي ٤/١٤١-١٤٢).

(٣) مَتْجر، حانوت (معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد عمر ١/٦٠٣).

(٤) سير أعلام النبلاء ، أبو عبدالله الذهبي (١١/٢٣٩).

وقد قال الإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (آلاَتُ الرِّيَاسَةِ خَمْسٌ: صِدْقُ اللَّهْجَةِ، وَكِتْمَانُ السِّرِّ، وَالوَفَاءُ بِالعَهْدِ، وَابْتِدَاءُ النَّصِيْحَةِ، وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ)[1] .

فَفقه الدُّعاة وعلو مكانتهم ومزيد علمهم يوجب عليهم شِكر الصَّاحب الباذل للنقد، ودعوته إلى بذل المزيد منه ، والداعية الفقيه البصير الذي علم أنه لم يحيا لأجل نفسه ، ولم يدعو إلى نفسه ، وإنما دعا إلى الله ، ويرجو لدعوة الله الفلاح ، فإنَّه يتقبل النَّقد برحابة صدرٍ ، وابتسامة مشرقة ، ولا يتحامل أو يضيق إذا بُذلت له سلبياته ، وطُولِب بإصلاحها.

ولكنّ للنقد آداب لا تخفى على ذي لب ، منها : التزام الأدب في بذل النَّقد ، وترك النَّقد في الملأ في جميع الأحوال ، فهو مُوغر للصُّدور ، جالب للبغضاء والعداوة .

فالنَّقد إذا كان موجهاً إلى أحد صحبة الدُّعاة الواجب فيه أن يكون على انفراد إلا أن يكون النَّقد لعملٍ يشترك فيه صُحبة الدُّعاة فلا بأس ، لأن الدَّاعِية حينها ليس مقصوداً لذاته، ويجب في العمل المشترك مُدراسة الإيجابيات لتعزيزها ، والسَّلبيات لتفاديها.

كما أن الواجب حين بذل النَّقد لأحد الصُّحبة أن يكون بأسلوب حسنٍ ، وكلمة طيبة لينة ، فـ «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[2] ، فكم من حقٍّ نُفِّر منه لفضاضة الدَّاعي إليه ، وكم من باطِل تُدافع إليه للين الدَّاعِي إليه.

والدَّاعية مُطالبٌ بالعدل حال نقده ، وأن يتجنَّب المُبالغة في المدح أو الذم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، فيلزمه العدل في حقِّ صاحِبه ، ويُنهى عن الاجحاف، فإذا نقد صاحِبه يجب عليه أن يقول كلمة الحق ، وألا يُذهب محاسن أخيه ، ويُشعره أنَّك لم تصنع خيراً قط ، فذاك مدخل من مداخل الشيطان ، وكم من خيرٍ اندرس ، وكم من داعِية انتكس بسبب الاجحاف وترك العدل.

(إن التربية على النقد الذاتي البناء هي : أن يتربى أبناء الإسلام على النصح والمناصحة، والنقد الذاتي البناء مع كل من ينتمي إليهم ، ويلتقي معهم ، ويأخذ عنهم وينضوي تحت قيادتهم ، بقول لين ، وأسلوب لطيف ، وأخلاق فاضلة ، وتذكير بالحكمة والموعظة الحسنة)[1] .

---

(١) المرجع السابق (١٠/٤٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:فضل الرفق ، الحديث(٢٥٩٤) (٤/٢٠٠٤).

وبعد بيان النقد الذاتي كضابط من ضوابط الصحبة إلى الله تعالى ، أذكر شيئاً من خصائصه بين صحبة الدعاة إلى الله تعالى.

ثَالثاً : مِنْ خَصَائِص الْنَّقْد الْذَّاتِي بَيْنَ الْدُّعاة:

١- الْجِدِّيّة :

إنَّ من نذروا أوقاتهم وأعمارهم لنصرة دين الله إذا جاءهم من أحد صُحبتهم نقدٌ بنَّاء لم يكتفوا بالتَّرحيب والشُّكر ، وإنما اتخذوا الاجراءات اللازمة لاستثمار هذا النَّقد ، فتعاملوا معه بجدِّية ، وتدارسوه بينهم ، فإن كان النقد يُوجب تغييراً سارعوا للتَّغيير والتَّعديل ، فهم أسبق للتغيير لأجل الله ، فبُوركت صُحبتهم ، وعمَّ نفعهم ، وغدت سِيَرهم نافعة لكل من اقتدى بهم.

فالجِدِّية لازمة للنَّقد ، فلا يليق بمن دعا إلى الله أن يأتيه النَّقد من صاحِبِه فيركنه جانباً، فلا يُفيد ولا يستفيد ، وتلك طامَّة كُبرى في حقِّ الدُّعاة إلى الله.

٢- الْتَّقْوِيْم الْمُسْتَمِر:

إنَّ من لوازم النَّقد الذاتي بين الدُّعاة وخصائصه : التَّقويم المُستمر ، ولن تؤتي الصُّحبة بين الدُّعاة ولا النَّقد الذاتي فيما بينهم ثماراً يانعة إلَّا أن يُصاحب ذلك التَّقويم المُستمر ، إذ لا فائدة من العلم إذا لم يصحبه عمل ، بل وقد توعَّد الله جل وعلا من عَلِم فلم يعمل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾[الصف: ٢ – ٣]، وحينما يبلغ الدَّاعِية نقد من أحد صحبه ، وبعد أن أخذه بجدِّية وعلم جدواه وجب التَّقويم والإصلاح.

والتَّقويم المُستمر هو من شِيَم الدُّعاة النَّاصِحين ، فلا يأتِ يوم على أحدهم إلا هو خيرٌ وأفلح مما سبقه ، وإذا قصَّر أو زل تدارك فقوَّم وأصلح.

(١) سلسلة مدرسة الدعاة ، عبدالله علوان (٢/٧١٥-٧١٦).

٣- تَنْقِيَة الْأَهْدَاف وَتَجْدِيْدها:

إنَّ النقد الذاتي بين صَحب الدُّعاة يُنبّه بعضهم على أهدافٍ أهملوها ، وأخرى يجب أن يتركوها ، فيحصل بالنقد تنقية الأهداف بتقديم صالحها وتجنب رديئها وسيئه ، وذاك يحصل بشكلٍ مستمر ، وبروحٍ عالية تبتغي المعالي ، وسبق الحديث عن فوائد ذلك في مسألة التَّجديد[(١)] .

وبعد التفصيل في بيان ضوابط الصحبة إلى الله تعالى ، وبيان أهميتها ، أنتقل إلى المبحث الثاني للحديث عن أثر الصحبة بين الدعاة في الدعوة إلى الله تعالى.

(١) للاستزادة:راجع مسألة التجديد.

المبحث الثاني : أثر الصحبة بين الدعاة في الدعوة إلى الله تعالى

وفيه ست مطالب :

المطلب الأول : التوافق وإظهار قوة الدعوة بتماسك الدعاة

المطلب الثاني : تبادل الخبرات وتوظيف الملكات والطاقات

المطلب الثالث : تفعيل مفهوم النصرة في الدعوة إلى الحق

المطلب الرابع : وحدة منهج العمل الدعوي

المطلب الخامس : سرعة مواجهة الانحرافات والمشكلات وتذليل العقبات

المطلب السادس : زيادة فرص الإبداع في العمل الدعوي

المبحث الثاني : أثر الصحبة بين الدعاة في الدعوة إلى الله .

تمهيد :

إن مخالطة الدَّاعية لإخوانه الدُّعاة لها صداها الخيِّر ، وبركاتها المُتتالية إذا قام بحقِّ الصُّحبة خير قيام ، وأَتى بالضَّوابط ، وحينما تبرز معالم هذه الصُّحبة يكون الأثر عظيماً.

وقد ورد في صفات جيل التمكين : (أن الأخ يرى إخوانه أولى به من نفسه، فهو يحب لهم الخير ويعمل على هدايتهم، ولابد أن يفصح لهم عن حبه لهم ويخبرهم به، وأن يترجمه لهم في تصرفاته، فإن هذا أدعى إلى التفاف الناس حوله واستجابتهم له. وأعلى مراتب الحب الإيثار وأدناها سلامة الصدر، وأن يكون لإخوانه كالبنيان يشد بعضه بعضا ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣])[1] .

والصُّحبة بين الدُّعاة مشروعٌ مبارك ، يفيض بالبركات والخيرات ، ويكون له دور كبير في التَّمكين للدعوة ، وهذه بعض من ثمراته .

(١) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين ، علي الصلابي ، ص:٤٤٥.

الْمَطْلَبُ الْأَوَّل: التَّوَافُق وإِظْهَارُ قُوَّةِ الدَّعْوَةِ بِتَمَاسُكِ الدُّعَاةِ .

الْمَسْأَلَة الْأُوْلَى: الحثُّ على الاتفاق .

بُعث المُصطفى -ﷺ- على أُمَّة دَبَّ النِّزاع بين أبنائها ، وشتت شملهم الخلاف ، ومزَّقهم كُلَّ ممزَّق ، فأتى -ﷺ- ، فهذَّب النُّفوس ، وسما بالأرواح حتّى غدا الأدب شعارهم ، والمُوافقة سيماهم.

ولقد عنت الرِّسالة المُحمَّدية بأبنائها وربَّت نُفوسهم فلا يأذنون لأيِّ شيطانٍ أن يُفرِّق صَفَّهم أو يُشَتِّت شملهم، فأصبحوا أقوى قوَّةٍ في زمانهم على قل عتادهم ، وقلة عددهم.

لقد كان تآزرهم وتوافقهم في وجوه الخير ، وفي ميادين الدَّعوة من أقوى القوى الَّتي نصرتهم على أعدائهم ، وسحبت أبسطة الملك من تحت أقدام الفرس والروم.

وتأتي الرَّسائل الرَّبانية لتُحذِّر أبناء هذا الدِّين من أن يُشقّ صفُّهم ، أو تختل وحدتهم ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنفال: ٤٦].

أي : (﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ ﴾ تنازعا يوجب تشتت القلوب وتفرقها، ﴿ فَتَفْشَلُواْ ﴾ أي: تجبنوا ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ ﴾ أي: تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله)[1] .

وتتوالى الآيات البيِّنة في كتاب الله لتزرع في نفوس أبناء الدَّعوة الإسلاميَّة أن " لا قوة لكم إن اختلفتم "، وتُبغِّض في الفُرقة والاختلاف قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(ولقد نَهَانَا اللهُ عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِانْفِصَامِ بَعْدَ هَذَا الِاجْتِمَاعِ وَالِاعْتِصَامِ، لِمَا فِي التَّفَرُّقِ مِنْ زَوَالِ الْوَحْدَةِ الَّتِي هِيَ مَعْقِدُ الْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ، وَبِالْعِزَّةِ يَعْتَزُّ الْحَقُّ فَيَعْلُو فِي الْعَالَمِينَ، وَبِالْقُوَّةِ يُحْفَظُ هُوَ وَأَهْلُهُ مِنْ هَجَمَاتِ الْمُوَاثِبِينَ وَكَيْدِ الْكَائِدِينَ)[2] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن السعدي ، ص:٣٢٢.

(٢) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (١٧/٤-١٨).

بل إنَّ الله -ﷻ- برَّأ رسوله -ﷺ- من أن يكون من أولئك الذي تفرَّقوا ، واختلفت قلوبهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

(إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ذَمَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٥٣﴾ [المؤمنون: ٥٣] وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ التَّقْلِيدِ بِأَعْيَانِهِمْ، بِخِلَافِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ اخْتَلَفُوا لَمْ يُفَرِّقُوا دِينَهُمْ وَلَمْ يَكُونُوا شِيَعًا، بَلْ شِيعَةً وَاحِدَةً مُتَّفِقَةً عَلَى طَلَبِ الْحَقِّ، وَإِيثَارِهِ عِنْدَ ظُهُورِهِ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَهُمْ طَائِفَةٌ وَاحِدَةٌ قَدْ اتَّفَقَتْ مَقَاصِدُهُمْ وَطَرِيقُهُمْ؛ فَالطَّرِيقُ وَاحِدٌ، وَالْقَصْدُ وَاحِدٌ، وَالْمُقَلِّدُونَ بِالْعَكْسِ: مَقَاصِدُهُمْ شَتَّى، وَطُرُقُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، فَلَيْسُوا مَعَ الْأَئِمَّةِ فِي الْقَصْدِ وَلَا فِي الطَّرِيقِ)[1].

(إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ سَبِيلَ اللهِ لَا يَتَفَرَّقُونَ ، نَعَمْ قَدْ يَطْرَأُ عَلَيْهِمْ سَبَبُ الْخِلَافِ وَالتَّنَازُعِ، وَلَكِنَّهُمْ مَتَى شَعُرُوا بِأَنَّ التَّنَازُعَ قَدْ دَبَّ إِلَيْهِمْ فِي أَمْرٍ فَزِعُوا إِلَى تَحْكِيمِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِيهِ بِرَدِّهِ إِلَى حُكْمِهِمَا كَمَا أَمَرَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩])[2].

ولقد كان المُصطفى -ﷺ- على حذر من أن تفترق أمته في حياته ، بل كان يدعو إلى إماتة كل وسيلة تؤدي إلى الفرقة ، فنهى عن العصبية القبلية وقال: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»[3] ، ونهى عن بيع الرَّجل على بيع أخيه ، أو خطبته على خطبة أخيه فقال : «لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا يَخْطُبْ بَعْضُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ بَعْضٍ»[4] ، كل ذلك حتى لا يقع النّزاع ، وألا تدب الفرقة بين صفوف الأمَّة.

إنَّ الاختلاف والنِّزاع سبب لتشتت الأمم وتفرّقها ، وهو مؤذن لسقوط أقوى القُوى، فمتى ما تزعزعت الوحدة لبناء أُمَّة كان نبأ سقوطها قريباً.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية (١٦٠/٢).

(٢) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (٢٠٧/٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:تفسير القرآن ، باب:قوله:"سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم" ، الحديث(٤٩٠٥) (١٥٤/٦) واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، الحديث(٢٥٨٤) (١٩٩٨/٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:البيوع ، باب:النهي للبائع أن لايحفل الإبل... ، الحديث(٢١٥٠) (٧١/٣) ، ومسلم في صحيحه،كتاب:النكاح، باب:تحريم الخطبة على خطبة أخيه...،الحديث(١٤١٢) (١٠٣٢/٢) واللفظ له.

(وهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْخِلَافِ هُوَ الَّذِي ذَلَّتْ بِهِ الْأُمَمُ بَعْدَ عِزِّهَا، وَهَوَتْ بَعْدَ رِفْعَتِهَا ، وَضَعُفَتْ بَعْدَ قُوَّتِهَا، هُوَ الِافْتِرَاقُ فِي الدِّينِ وَذَهَابُ أَهْلِهِ مَذَاهِبَ تَجْعَلُهُمْ شِيَعًا ، تَتَحَكَّمُ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ كَمَا حَصَلَ مِنَ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لَا يَكَادُ أَحَدُهُمْ يَعْلَمُ أَنَّ الْآخَرَ خَالَفَهُ فِي رَأْيٍ إِلَّا وَيُبَادِرُ إِلَى الرَّدِّ عَلَيْهِ بِالتَّأْلِيفِ وَبَذْلِ الْجُهْدِ فِي تَضْلِيلِهِ وَتَفْنِيدِ مَذْهَبِهِ، وَيُقَابِلُهُ الْآخَرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، لَا يُحَاوِلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مُحَادَثَةَ الْآخَرِ وَالِاطِّلَاعَ عَلَى دَلَائِلِهِ وَوَزْنَهَا بِمِيزَانِ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ، فَالْوَاجِبُ أَوَّلًا: مُحَاوَلَةُ الْفَهْمِ وَالْإِفْهَامِ فِي الْبَحْثِ وَالْمُذَاكَرَةِ – أَيْ وَلَوْ كِتَابَةً – ، وَثَانِيًا: أَلَّا يَكُونَ الْخِلَافُ مُفَرِّقًا بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الدِّينِ. قَالَ: فَمَا دَامَ الْمُسْلِمُ لَا يُخِلُّ بِنُصُوصِ كِتَابِ اللهِ وَلَا بِاحْتِرَامِ الرَّسُولِ – ﷺ– ، فَهُوَ عَلَى إِسْلَامِهِ لَا يَكْفُرُ وَلَا يَخْرُجُ مِنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا تَحَكَّمَ الْهَوَى فَلَعَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَكَفَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَقَدْ بَاءَ بِهَا مَنْ قَالَهَا)[1] .

إنَّ النِّزاع الذي يؤدِّي إلى تشتت القلوب وتبعثرها لن يُثمر خيراً ، ولا يُرجى منه نفع، وإنما هو (مَهْلَكَةٌ، وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الِاخْتِلَافَ مُنَافٍ لِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، قَالَ عُمَرُ –رضي الله عنه–: لَا تَخْتَلِفُوا؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ اخْتَلَفْتُمْ كَانَ مَنْ بَعْدَكُمْ أَشَدَّ اخْتِلَافًا)[2] .

(وليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو وضع «الذات» في كفة، والحق في كفة وترجيح الذات على الحق ابتداء)[3] .

وبعد الحث على التوافق بين صحبة الدعاة ، وأثره في بيان التوافق وإظهار قوة الدعوة، أنتقل إلى الحديث عن مساوئ الاختلاف ومضارِّه.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَة : مَساوِئُ الاخْتِلَافِ وَمَضَارُّه:

ما ذَمَّ الشَّارِعُ الحكيم أَمراً إلا لحِكَم ومقاصِد عُظمى ، فـ (طَرِيقُ الْحَقِّ هُوَ الْوَحْدَةُ وَالْإِسْلَامُ، وَطُرُقُ الشَّيْطَانِ هِيَ مُثَارَاتُ التَّفَرُّقِ وَالْخِصَامِ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ فِي كُلِّ الْأُمَمِ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ يُزَيِّنُ طُرُقَهُ وَيُسَوِّلُ لِلنَّاسِ الْمَنَافِعَ وَالْمَصَالِحَ فِي التَّفَرُّقِ وَالْخِلَافِ، فَقَدْ كَانَتْ يَهُودُ أُمَّةً وَاحِدَةً مُجْتَمِعَةً عَلَى كِتَابٍ وَاحِدٍ هُوَ صِرَاطُ اللهِ، فَسَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَتَفَرَّقُوا وَجَعَلُوا لَهُمْ مَذَاهِبَ وَطُرُقًا، وَأَضَافُوا إِلَى

(١) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (٢١/٤).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية (١٩٧/١).

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب (١٥٢٩/٣).

الْكِتَابِ مَا أَضَافُوا، وَحَرَّفُوا مِنْ كَلِمِهِ مَا حَرَّفُوا، وَاتَّبَعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَتْ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ حَتَّى حَلَّ بِهِمُ الْهَلَاكُ وَالدَّمَارُ، وَمُزِّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ وَكَذَلِكَ فَعَلَ غَيْرُهُمْ، كَأَنَّهُمْ رَأَوْا دِينَهُمْ نَاقِصًا فَكَمَّلُوهُ، وَقَلِيلًا فَكَثَّرُوهُ، وَوَاحِدًا فَعَدَّدُوهُ، وَسَهْلًا فَصَعَّبُوهُ، فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ فَوَضَعُوهُ، فَذَهَبَ اللهُ بِوَحْدَتِهِمْ حَتَّى لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ كَثْرَتُهُمْ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْأَعْدَاءَ، وَأَنْزَلَ بِهِمُ الْبَلَاءَ، ﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ﴾ [غافر: ٨٥])[1].

وإنَّما يكون الاختلاف في زمن الضَّلال والفتن ، وتفرُّق القلوب وتعاديها ، وهو نذير شر ، وعلامة خسارٍ إذ لم يتداركها أبناء الدَّعوة ، ويسعون للعلاج ، ولا خير في غير الاعتصام بشرع الله والاتِّفاق على سُنَّة المُصطفى -ﷺ-.

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ [2] -رضي الله عنه-، قَالَ: صَلَّى لَنَا الرَسُولُ-ﷺ- صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ:«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[3].

(وَهَذَا ذَمٌّ لِلْمُخْتَلِفِينَ، وَتَحْذِيرٌ مِنْ سُلُوكِ سَبِيلِهِمْ، وَإِنَّمَا كَثُرَ الِاخْتِلَافُ وَتَفَاقَمَ أَمْرُهُ بِسَبَبِ التَّقْلِيدِ وَأَهْلِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ فَرَّقُوا الدِّينَ وَصَيَّرُوا أَهْلَهُ شِيَعًا، كُلُّ فِرْقَةٍ تَنْصُرُ مَتْبُوعَهَا، وَتَدْعُو إِلَيْهِ، وَتَذُمُّ مَنْ خَالَفَهَا وَلَا يَرَوْنَ الْعَمَلَ بِقَوْلِهِمْ حَتَّى كَأَنَّهُمْ مِلَّةٌ أُخْرَى سِوَاهُمْ يَدَّأَبُونَ وَيَكْدَحُونَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَيَقُولُونَ: كُتُبُهُمْ، وَكُتُبُنَا وَأَئِمَّتُهُمْ وَأَئِمَّتُنَا، وَمَذْهَبُهُمْ وَمَذْهَبُنَا.

هَذَا وَالنَّبِيُّ وَاحِدٌ وَالْقُرْآنُ وَاحِدٌ وَالدِّينُ وَاحِدٌ وَالرَّبُّ وَاحِدٌ؛ فَالْوَاجِبُ عَلَى الْجَمِيعِ أَنْ يَنْقَادُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَهُمْ كُلِّهِمْ، وَأَنْ لَا يُطِيعُوا إِلَّا الرَّسُولَ، وَلَا يَجْعَلُوا مَعَهُ مَنْ يَكُونُ أَقْوَالُهُ كَنُصُوصِهِ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ فَلَوْ اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَانْقَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِمَنْ دَعَاهُ

---

(١) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (٢٠٧/٢-٢٠٨).

(٢)العِرْبَاضُ بنُ سَارِيَةَ السُّلَمِيُّ ، مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الصُّفَّةِ، سَكَنَ حِمْصَ، وَرَوَى أَحَادِيْثَ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٤١٩/٣).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:العلم ، الحديث(٣٢٩) (١٧٤/١) ، واللفظ له ،وقال:(هذا حديث صحيح ليس له علة) ، ورواه أحمد في مسنده ، مسند الشاميين ، حديث العرباض بن سارية ، الحديث(١٧١٤٥) (٣٧٥/٢٨) ، ورواه ابن ماجه في سننه ، كتاب:السنن ، باب:اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهددين ، الحديث(٤٣) (٢٩/١) ، وقال الذهبي:(حديث صحيح ليس له علة) ، وقال الألباني في سلسلته:(صحيح).

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَحَاكَمُوا كُلُّهُمْ إِلَى السُّنَّةِ وَآثَارِ الصَّحَابَةِ لَقَلَّ الِاخْتِلَافُ وَإِنْ لَمْ يَعْدَمْ مِنْ الْأَرْضِ؛ وَلِهَذَا تَجِدُ أَقَلَّ النَّاسِ اخْتِلَافًا أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ؛ فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ طَائِفَةٌ أَكْثَرَ اتِّفَاقًا وَأَقَلَّ اخْتِلَافًا مِنْهُمْ لِمَا بَنَوْا عَلَى هَذَا الْأَصْلِ، وَكُلَّمَا كَانَتْ الْفُرْقَةُ عَنْ الْحَدِيثِ أَبْعَدَ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ أَشَدَّ وَأَكْثَرَ، فَإِنَّ مَنْ رَدَّ الْحَقَّ مَرَجَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَاخْتَلَطَ عَلَيْهِ وَالْتَبَسَ عَلَيْهِ وَجْهُ الصَّوَابِ فَلَمْ يَدْرِ أَيْنَ يَذْهَبُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [ق: ٥])[1].

(إِنَّ التَّنَازُعَ فِي الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالشَّعَائِرِ أَوْجَبَ أَنْوَاعًا مِنْ الْفَسَادِ الَّذِي يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ ، ومنها:التَّفَرُّقُ وَالِاخْتِلَافُ الْمُخَالِفُ لِلِاجْتِمَاعِ والائتلاف حَتَّى يَصِيرَ بَعْضُهُمْ يُبْغِضُ بَعْضًا وَيُعَادِيهِ وَيُحِبُّ بَعْضًا وَيُوَالِيهِ عَلَى غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ ، وَحَتَّى يُفْضِيَ الْأَمْرُ بِبَعْضِهِمْ إلَى الطَّعْنِ وَاللَّعْنِ وَالْهَمْزِ وَاللَّمْزِ، وَبِبَعْضِهِمْ إلَى الِاقْتِتَالِ بِالْأَيْدِي وَالسِّلَاحِ ، وَبِبَعْضِهِمْ إلَى الْمُهَاجَرَةِ وَالْمُقَاطَعَةِ حَتَّى لَا يُصَلِّيَ بَعْضُهُمْ خَلْفَ بَعْضٍ وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَالِاجْتِمَاعُ والائتلاف مِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ...، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَصِيرُ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ بِخُرُوجِهِ مِنْ السُّنَّةِ الَّتِي شَرَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأُمَّتِهِ ، وَمِنْ أَهْلِ الْفُرْقَةِ بِالْفُرْقَةِ الْمُخَالِفَةِ لِلْجَمَاعَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا وَرَسُولُهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ..وَهَذَا الْأَصْلُ الْعَظِيمُ: وَهُوَ الِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ، وَأَنْ لَا يَتَفَرَّقَ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أُصُولِ الْإِسْلَامِ ، وَمِمَّا عَظُمَتْ وَصِيَّةُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ ، وَمِمَّا عَظُمَ ذَمُّهُ لِمَنْ تَرَكَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ ، وَمِمَّا عَظُمَتْ بِهِ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ - ﷺ- فِي مَوَاطِنِ عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ مِثْلَ قَوْلِهِ: {عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ}...، وَبَابُ الْفَسَادِ الَّذِي وَقَعَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، بَلْ وَفِي غَيْرِهَا هُوَ التَّفَرُّقُ وَالِاخْتِلَافُ فَإِنَّهُ وَقَعَ بَيْنَ أُمَرَائِهَا وَعُلَمَائِهَا مِنْ مُلُوكِهَا وَمَشَايِخِهَا وَغَيْرِهِمْ مِنْ ذَلِكَ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ ذَلِكَ مَغْفُورًا لِصَاحِبِهِ لِاجْتِهَادِهِ الَّذِي يُغْفَرُ فِيهِ خَطَؤُهُ أَوْ لِحَسَنَاتِهِ الْمَاحِيَةِ أَوْ تَوْبَتِهِ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ؛ لَكِنْ يُعْلَمُ أَنَّ رِعَايَتَهُ مِنْ أَعْظَمِ أُصُولِ الْإِسْلَامِ ، وَلِهَذَا كَانَ امْتِيَازُ أَهْلِ النَّجَاةِ عَنْ أَهْلِ الْعَذَابِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَيَذْكُرُونَ فِي كَثِيرٍ مِنْ السُّنَنِ وَالْآثَارِ فِي ذَلِكَ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ. وَكَانَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ بَعْدَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّذِي يَجِبُ تَقْدِيمُ الْعَمَلِ بِهِ هُوَ الْإِجْمَاعُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى ضَلَالَةٍ)[2].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية (١٧٣/٢).

(٢) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٣٥٧/٢٢-٣٦٠).

هذا ولظاهرة تفرق الدُّعاة واختلافهم آثار عظمى على الدَّعوة منها[1]:

- أنها تعطي كثيراً من المسلمين مبررات للهروب من الانتماء الدعوي ، بسبب ذريعة التَّحير التي يبديها هؤلاء حيال كثرة الاتجاهات .

- كما أنَّها فَتَّت القوى الإسلامية وأضعفتها ، و لم تكن بحال عاملاً في تطوير العمل الإسلامي وإغنائه ، وإنما كانت عاملاً في تشرذمه وتخلفه والتشكيك فيه .

- سهَّلت على أعداء الإسلام عملية تصفية الاتجاه الإسلامي باستفراد كل كيان على حدة ، و لم تكن باعث صمود أمام التحدي.

- أفرزت حساسيات لدى أتباع كل داعية ، مما زاد في التشرذم ، وأجج العصبية الحزبية الفئوية بين أفرادها، وجعل بأسها بينها بدل أن يكون بينها وبين عدوها.

- يستترف طاقة الأمَّة ويُضيع جهدها ، (وكثيراً ما استهلك المسلمون من أوقاتهم وجهودهم تاريخياً ، و لم تكن المشكلة التي يعانون منها مشكلة أفكار، وإنما كانت مشكلة الاختلاف على أشخاص وُظِّفت لها الأفكار ، وفُصِّلت عليها الأحكام ، وامتلأت الساحة الإسلامية بكثير من الإقطاعات البشرية ، والولاءات الشخصية ، كانت السبب الكبير في التدمير والقيل والقال وضياع العمر وذهاب الأجر)[2].

- وهذا كله عمل على تأخرهم وتخلفهم وعدم وصولهم إلى الأهداف المرجوة[3].

وبعد بيان مساوئ الاختلاف ومضارِّه ، أنتقل إلى إظهار دور توافق صحبة الدعاة في نصرة الدعوة إلى الله تعالى.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَة: دَوْرُ تَوَافُقُ صُحْبَةِ الدُّعَاةِ وَوِحْدَتِهِم فِيْ نُصْرَةِ الدَّعْوَةِ:

إنَّ صُحبة المرء هم عضده وأعوانه ، فمتى ما نزلت به نازلة ، أو حلَّت بداره مُصيبة هبَّوا فزعين لنجدته وعونه ، وهم زينة المرء في رخاءه ، مجالستهم أُنس ، ورفقتهم سعد ، وفراقهم وحشة.

(١) أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ص:٧٠-٧١.

(٢) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر حسنه ، رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ، ط١ ، ص:١٢٤.

(٣) أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، فتحي يكن ، ص:٧١.

وقد قيل : (مَنْ اتَّخَذَ إخْوَانًا كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا، وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ عَضُدٌ وَسَاعِدٌ)[1].

وصَحْب الدُّعاة صَحبٌ مُبارك ، عونٌ في الخير ، ودرع واقٍ عند حلول الشَّدائد ، يُوافقون صَاحِبهم ، يعينونه في أمره ، يؤازرونه ولا يُخالفونه في دعوته للحَقَّ ، فيكونون مرآة صادقة للحق الذي يدعون إليه ، كلُّهم سائرون على الحق ، فيكونون مصداقاً لما أخبر عنهم نبيهم ﷺ-: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ»[2].

إنَّ صُحبة النَّبي ﷺ- كانوا خير ردء ، وافقوا النبي ﷺ- وعاونوه، ومع تآزرهم معه ، وموافقتهم له اشتدَّت الدَّعوة ، وباتحادهم وصُلب عقيدتهم انتصرت .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[الفتح:٢٩].

قال القرطبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ- حِينَ بَدَأَ بِالدُّعَاءِ إِلَى دِينِهِ ضَعِيفًا فَأَجَابَهُ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ حَتَّى قَوِيَ أَمْرُهُ، كَالزَّرْعِ يَبْدُو بَعْدَ الْبَذْرِ ضَعِيفًا فَيَقْوَى حَالًا بَعْدَ حَالٍ حَتَّى يَغْلُظَ نَبَاتُهُ وَأَفْرَاخُهُ)[3].

إنَّ الإخاء الذي كان القاعدة الصَّلبة التي بُنيت عليه الدَّعوة الإسلاميَّة في المدينة النَّبوية هو سرّ قوَّة الدَّعوة آنذاك ، فصحبة سمت أهدافها ، وزكى إيمانها ، وابتغت رضى باريها بصحبتها ، ستغدو الدَّعوة في زمانها إلى نُصرة ، والحَق إلى مِنْعَة.

---

(١) أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن الماوردي ، ص:١٦١.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:البر والصلة ، باب:حديث عبدالله بن عمرو ، الحديث(٧٣٢٠) (١٨٩/٤) ، واللفظ له ، وقال:(حديث صحيح و لم يخرجاه) ، ورواه أحمد في مسنده ، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند أبي هريرة ، الحديث(٨٤١٧) (١٤٢/١٤) ، ورواه الترمذي في سننه ، كتاب:الزهد ، الحديث(٢٣٧٨) (١٦٧/٤) ، وقال:(حديث حسن غريب) ، وقال الذهبي:(صحيح إن شاء الله).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله القرطبي (٢٩٥/١٦).

وقد قيل : (عوامل النصر الحقيقية : الثبات عند لقاء العدو ، والاتصال بالله بالذكر ، والطاعة لله والرسول ، وتجنب التراع والشقاق ، والصبر على تكاليف المعركة ، والحذر من البطر والرئاء والبغي)[1] .

إنَّ الدُّعاة في صحبتهم على مرِّ التَّاريخ يُصوِّرون حقيقة الجسد الواحد في موافقتهم لبعضهم ، وكونهم سداً منيعاً ضدَّ أيِّ باطل ، وجسداً قوياً في ميدان الحقّ.

والتَّوافق الذي عليه هذه الصُّحبة المُباركة يُغيظ الأعداء ويُرهبهم ، بل هي نقطة القوَّة التِّي يُحاولون من خلالها إرباك صف الوحدة وخلخلته ، ومثال ذلك ما حصل يوم أحد إذ خالف الرُّماة الأمر فحصل ما حصل .

(ولما لم تكن للجماعات الإسلامية رابطة تربطها ببعضها البعض فتوحد جهودها ، وتنظم سير عملها ، وتوفق بين أهدافها وأساليب دعوتها ، كانت جهودها مبعثرة ، وطاقاتها مبددة ، فلم يظهر لها أثر محسوس قوي في مجال الهداية والإصلاح يُطمئن المسلمين على عقائهم وأخلاقهم ، بل نجم عن تفرقها في محيط الدعوة الإسلامية بلبلة أ فكار واضطراب نفوس كثير من أفراد الأمة ، وأوجد شكّاً عاماً في الدعاة والداعيات على حد سواء)[2] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(أَمْرَهُمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ أَنْفُسِهِمْ لَأُخْرَاهُمْ، بِأَمْرِهِمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ حَالِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ، وَذَلِكَ بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى هَذَا الدِّينِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ لِيَكْتَسِبُوا بِاتِّحَادِهِمْ قُوَّةً وَنَمَاءً)[3] .

وفي توافق الدُّعاة نصرٌ لدعوة الحقّ ، وإعلاء لكلمة الصِّدق ، وقهرٌ للعدو الَّذي ما فتئ يرجو إفساداً لهذا الجسد الواحد.

(إن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم ، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب (١٥٢٨/٣).

(٢) رسائل الجزائري ، أبوبكر جابر الجزائري ، دار العلوم والحكم-المدينة (٦١٠/٢).

(٣) التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٣١/٤).

يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام)[1] .

إنَّ أهل الضَّلال والزَّيغ عُشاق الكفر والإلحاد يطيرون بأدنى شرر يُفرِّق صَفّ الدَّعوة ، يرجون بذلك كتم الحق لكن أنَّى لهم ذلك، قال تعالى: ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وهذه بعض أمانيِّ أعداء الدَّين : (يقول القس سيمون : إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية.

ويقول المبشر لورنس براون : إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية ، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير.

ويكمل حديثه: يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير.

ويقول أرنولد توينبى في كتابه الإسلام والغرب والمستقبل:إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ)[2] .

إنَّ وحدة أبناء هذه الدَّعوة تُقلق أعداء الدِّين ، فكيف إذا حلَّ الوِّفاق بين دعاتهم ، وانتشر أريج الإخاء بينهم ، وكانت صُحبتهم عوناً لنصر الدِّين ، وكسر شوكة أعداءه.

وفي الصَّحب الأوَّل ، وركب الدَّعوة الأسبق نموذجٌ يتفطَّن له أولو الألباب ، حرب دامت بين الحيَّين "أوسٌ وخزرج" مائة وعشرين سنة[3] ، يُشعل وقودها يهود ، فلمَّا جاءت الدَّعوة وسمت بنفوسهم ، فغدو صحباً مُباركاً لا همَّ لهم إلا نصرة دين الله ، والفوز برضاه، فأصبحوا صفّاً منيعاً دون الدَّعوات المُضللة ، فكانوا كما حكى باريهم عنهم ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن السعدي ، ص:١٤١.

(٢) الاختلاف في العمل الإسلامي ، ناصر العمر http://almoslim.net/node/89354 .

(٣) ذكره ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٤١/٢).

(ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير التآخي والمحبة المتبادلة، فكل جماعة لا تؤلف بينها آصرة المودة والتآخي الحقيقية، لا يمكن أن تتحد حول مبدأ ما، وما لم يكن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة أو الجماعة، فلا يمكن أن تتألف منها الدولة ، على أن التآخي لابد أن يكون مسبوقا بعقيدة يتم اللقاء عليها والإيمان بها، فالتآخي بين شخصين يؤمن كل منهما بفكرة أو عقيدة مخالفة للأخرى خرافة ووهم... لم يكن ما أقامه الرسول -ﷺ- بين أصحابه من مبدأ التآخي مجرد شعار في كلمة أجراها على ألسنتهم، وإنما كان حقيقة عملية تتصل بواقع الحياة وبكل أوجه العلاقات القائمة بين الأنصار والمهاجرين، ولذلك جعل النبي -ﷺ- من هذه الأخوة مسئولية حقيقية تشيع بين هؤلاء الأخوة، وكانت هذه المسئولية محققة فيما بينهم على خير وجه ، لقد كانت رابطة الأخوة بين الصحابة الكرام من أسباب قوتهم ونصرة الله لهم)[1] .

إنَّ توافق الدُّعاة لا يعني عدم تناصحهم أو تواصيهم على الخير ، وإنَّما هي موافقة محمودة في وجوه الخير ، فإذا حدث ما استُنكِر ، فبرحمة ولين تُفعَّل وظيفتهم بينهم ، ﴿ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفتح: ٢٦].

وفقه صَحب الدُّعاة يمنعهم من أن يُفرِّقوا صَفَّهم لأجل خلافٍ في الفروع ، حينها تأتي القاعدة التي يسير عليها هذا الصَّحب المُبارك : (إن الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين، والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية، فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع)[2] ، وهو خلافٌ ينمّ عن اجتهاد يُتدارس بينهم ، كلٌّ قد استحضر دليله ، فإذا انفض المجلس كانوا صحباً صادقاً ، فلا غلّ ولا حقد.

قال القرطبي -رَحِمَهُ اللهُ- في تفسير ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣]: (وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الِاخْتِلَافِ فِي الْفُرُوعِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ اخْتِلَافًا إِذِ الِاخْتِلَافُ مَا يَتَعَذَّرُ مَعَهُ الِائْتِلَافُ وَالْجَمْعُ، وَأَمَّا حُكْمُ مَسَائِلِ الِاجْتِهَادِ فَإِنَّ الِاخْتِلَافَ فِيهَا بِسَبَبِ اسْتِخْرَاجِ الْفَرَائِضِ وَدَقَائِقِ مَعَانِي الشَّرْعِ، وَمَا زَالَتِ الصَّحَابَةُ يَخْتَلِفُونَ فِي أَحْكَامِ الْحَوَادِثِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُتَآلِفُونَ)[3] .

(١) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين ، علي الصلابي ، مكتبة الصحابة ، مكتبة التابعين ، ط١ ، ص:٣١٦-٣١٧.

(٢) الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية (١٠٩/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله القرطبي (١٥٩/٤).

أمَّا إذا احتدَّ الخلاف في مسألةٍ هي من الفروع ، وخُشي من الإرادات الشَّيطانيَّة في التَّفريق بين الدُّعاة ، فحينها لا أخير ممَّا أوصى به النَّبي -ﷺ- : «اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»[1] .

فلتوافق الدُّعاة دورٌ عظيم في نُصرة الدَّعوة والتَّمكين لها ، وليتأمَّل الفَطِن ، (فلأن الأرض تحفزت ، وخزنت من قوة الجذب ما استطاعت أجبرت القمر على الارتباط بها ، والدوران حولها ، حتى بات لا يحدث نفسه فرار ، فكذلك التفاف الناس حول دعوة الإسلام يكون حتميّاً إذا شدَّ الدعاة قواهم ، حتى يعتاد الناس الدوران في فلكهم ، ويجدون في ارتباطهم بالدعوة نوع اضطرار.

فأنتم أنتم أيها الدعاة من يتحكم في الأمر، لا نماء لأحزاب الضلال إن شددتم قواكم، ولا مناص للناس آنذاك إنما هم أسراكم ، وإنما شد القوة في الاجتماع ، ونتيجة الاجتماع أن يكون الصَّف ، ومن أتى صفّاً غلب إلا أن يشاء الله غير ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف: ٤]... إن الجاهلية المنظمة لا يغلبها إلا [دعوة منظمة] ، ولا ينتصر دعاة الإسلام اليوم إلا إذا أجمعوا خيرهم ثمَّ أتوا صفّاً واحداً متراصّاً مقتحماً)[2] .

إن تماسك الدُّعاة ضرورة لا بد منها ، بل هي من صُلب وظيفتهم ، ولا نصرة للتَّفكّك أو التَّنازع ، بل الصَّف الواحد بُشارة فتحٍ وخير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف: ٤].

فلذلك يتوجَّب إشاعة روح الإخاء بين الدُّعاة ، وإحياء معاني الصُّحبة السَّامية ، (فالجماعة المؤمنة تبقى مستعصية على مؤامرات أعدائها في مواجهتهم ، كائنا ما كانت شراستهم وضراوتهم ، ما لم يتشقق صفها ، وتتفرق كلمتها ، ويصبح بأسها بينها ، وعند ذلك فقط تكون الطامة الكبرى التي يحذر منها رب العالمين حيث يقول ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[الأنفال: ٤٦])[3] .

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب:كراهية الخلاف ، الحديث(٧٣٦٤) (١١١/٩) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:العلم ، باب:النهي عن اتباع متشابه القرآن...، الحديث(٢٦٦٧) (٢٠٥٤/٤) ، واللفظ لهما.

(٢) المنطق ، محمد الراشد ، ص:١٥٩.

(٣) أبجديات التصور الحركي ، فتحي يكن ، ص:١٢٥.

وبعد الحديث عن التوافق وإظهار قوة الدعوة بتماسك الدعاة كأثر من أهم آثار الصحبة بين الدعاة على الدعوة إلى الله تعالى ، أنتقل إلى بيان الأثر الثاني وهو تبادل الخبرات وتوظيف الملكات والطاقات.

الْمَطْلب الثَّاني: تَبَادل الْخِبْرَات وَتَوْظِيف الْمَلَكَات وَالطَّاقَات.

الْمَسْأَلَةُ الْأُوْلَى : ضَرُوْرَةُ التَّخَصُّص .

إنَّ من سمات الدَّاعية الصَّادِق أن يتحدَّث عن عِلْمٍ وخِبرة ، وألا يتشدّق ويتفلسف فيما لا يعلم ، يفرُّ من الحديث عمَّا لا علم له به ، يُطَبِّقُ الوصية الربانية ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

فلا يدعو إلا عن علمٍ وبصيرة ، يقتفي أثر نبيّه –ﷺ– إذ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والدَّاعية الصادق يعلم ويوقن أنَّه مهما بلغ علمه فإنه لا يزال في عداد الجُهَّال عن كثير من العلوم والمعارف، بل ويعترف ويُعلن ذلك بين صُحبته (رَحِمَ اللهُ مَنْ أَهدَى إِلَيَّ عُيُوبِي).

إنَّ دعوة ذي البصيرة تستوجب منه حذراً دائماً ، فلا يُفتي عن غير علم ، ولا يتكلَّم فيما لا يفقه.

وفي زمن تنوع التَّخصصات يجب على الدَّاعية أن يبرُع في تخصصه ، ويستزيد ويُبدع فيه ، ولا ينقطع عن الطلب ، راغباً في اتقان صنعته الدَّعوية .

(إن من سمات الروح العلمية المنشودة لدى الداعية : احترام التخصصات ، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣] ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٩] ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾[فاطر: ١٤] ، فللدين أهله ، وللاقتصاد أهله ، وللعسكرية أهلها ، ولكل فن رجاله ، وخاصة في عصرنا عصر التخصص الدقيق ، أما الذي يعرف في الدين والسياسة والفنون والشؤون الاقتصاديَّة والعسكريَّة ، ويفتي في كل شيء ، فهو في حقيقته لا يعرف شيئاً)[1] .

وفي سِيَر الدُّعاة الأُوَل أعظم المُثَل ، فهذا كليم الله – عليه السلام – لا يتحرَّج من سؤال الخضر – عليه السلام – لينهل من علمه ، فيستزيد من الخير.

(١) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ، يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ط٧ ، ص:٨١.

(قَالَ : "هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ ، قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) [1] .

إن الحوار الذي حصل بين كليم الله والخضر – عليهما السلام – مدرسة للدَّاعية وأيُّ مدرسة!

(فيُسْتَحَبُّ [لِلدَّاعِيَةِ] وَإِنْ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَحَلٍّ عَظِيمٍ أَنْ يَأْخُذَهُ مِمَّنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ وَيَسْعَى إِلَيْهِ فِي تَحْصِيلِهِ) [2] .

وقد رَبَّى المصطفى – ﷺ – خير جيلٍ للدُّعاة على احترام التَّخصصات ، والإبداع في الصَّنعة وإتقانها ، فتارَّةً يمتدحُ الماهِر من صحابته في تخصصه ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رضي الله عنه–، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ: "أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ [3]، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ [4]، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ" [5] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:العلم ، باب:مايستحب للعالم إذا سئل...، رقم الحديث (١٢٢) (١/٣٥) ، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب:الفضائل، باب:من فضائل الخضر ، رقم الحديث (٢٣٨٠) (٤/١٨٤٧).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبوزكريا النووي (١٥/١٣٧).

(٣)أُبَيُّ بنُ كَعْبِ بنِ قَيْسِ بنِ عُبَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ ، سَيِّدُ القُرَّاءِ، أَبُو مُنْذِرٍ الأَنْصَارِيُّ، النَّجَّارِيُّ، المَدَنِيُّ، المُقْرِئُ، البَدْرِيُّ. شَهِدَ العَقَبَةَ، وَبَدْراً، وَجَمَعَ القُرْآنَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَعَرَضَ عَلَى النَّبِيِّ –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– وَحَفِظَ عَنْهُ عِلْماً مُبَارَكاً، وَكَانَ رَأْساً فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–. (سير أعلام النبلاء للذهبي١/٣٨٩-٣٩٠).

(٤)مُعَاذُ بنُ جَبَلِ بنِ عَمْرِو بنِ أَوْسٍ الأَنْصَارِيُّ ، السَّيِّدُ، الإِمَامُ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، المَدَنِيُّ، البَدْرِيُّ، شَهِدَ العَقَبَةَ شَابّاً أَمْرَدَ.(سير أعلام النبلاء للذهبي١/٤٤٣-٤٤٤).

(٥) رواه ابن ماجه في سننه ، كتاب: فضائل أصحاب رسول الله ، باب: فضائل زيد بن ثابت ، رقم الحديث (١٥٤) (١/١٠٧) ، واللفظ له ، ورواه أحمد في مسنده ، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند أنس بن مالك ، رقم الحديث (١٣٩٩٠) (٢١/٤٠٥) ، ورواه الترمذي في مسنده ، كتاب: المناقب ، باب: مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت...، رقم الحديث (٣٧٩١) (٦/١٣٦) ، وقال:(حديث حسن صحيح) ، ، وقال الألباني في سلسلته:(صحيح) .

وَتَارَّة ينهى من يخوض فيما لا يعلم ولا يفقه ، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ – ﷺ–، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[1] .

(إن التخصص في الأعمال الدعوية يعني المهارة لدى المختصين ، وهذا يعني أن إنتاج المتخصص – بإذن الله – فيما تخصص به أجود من إنتاج غير المتخصص ، فتتكامل جميع التخصصات ويشعر كل متخصص بأهمية أخيه الآخر وضرورته ، وتتعانق الهموم ليتولد الهم الأكبر وهو القيام بهذا الدين العظيم)[2] .

وبعد الحديث عن ضرورة التخصص في شتى الميادين نصرة للدعوة إلى الله تعالى ، أشرع في بيان دور تبادل الخبرات وتوظيف الملكات في التمكين للدعوة إلى الله تعالى.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَة : دَوْرُ تَبَادُلِ الْخِبْرَاتِ وَتَوْظِيْفِ الْمَلَكَات فِيْ التَّمْكِيْنِ للدَّعْوَةِ .

إنَّ من أبرز ما تفتقر إليه الدَّعوة في عصرنا ثراؤها بأفرادٍ إيجابيين ، يتوقون لتكوين منظومةٍ دعويَّة تستثمر طاقاتهم ، وتوظف ملكاتهم على اختلاف تخصُّصاتهم.

(إن إعادة النظر من حين لآخر بسلَّم المشكلات وإعادة تصنيف هذه المشكلات وترتيب الأولويات حماية للجهد ، واغتنام لفرصة العمر وتوفر الطاقات ، والموازنة الدقيقة بين الحاجات والإمكانات ، وإعادة النظر بالموقع الذي يمكن أن يكون فيه الفرد المسلم والعاملون للإسلام ، وإعادة النظر أيضاً بوسائل الدعوة وتطويرها حسب حاجات العصر ، ومن خلال مشكلاته ، وعدم القفز من فوق السنن والنكوص في عملية البلاغ ، وإهمال شرائط النهوض بها ووسائل الإبانة عنها التي هي وظيفة المسلم الرئيسية ، وقضيته المحورية ، والتقدم في قضية الدعوة "البلاغ المبين" واكتشاف المنابر المؤثرة ، والمواقع الجديدة التي أخذت مكاناً في المجتمع الحديث ، واعتلاء هذه المنابر العلمية والثقافية عن جدارة واختصاص ، وجعل الاختصاص في خدمة العقيدة ، والقدرة على الإبصار ودراسة شبكة العلاقات الاجتماعية ، والاقتناع بأن التفوق العلمي والتخصص النادر الذي يتحصن صاحبه بالدين القويم هو المطلوب لهذه الأمة لحل معضلة انفصال العلم عن الدين التي عانى منها الجيل الماضي)[3] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإمارة ، باب:كراهة الإمارة بغير ضرورة ، رقم الحديث (١٨٢٥) (١٤٥٧/٣).

(٢) فقه مقاصد الدعوة إلى الله ، سعد القعود ، ص:٢١٨-٢١٩.

(٣) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر حسنه ، ص:٨٨-٨٩.

إن تشتيت الطَّاقات والجهود ، والعمل باجتهادات فرديّة ، يُنافي ما جاءت به هذه الدَّعوة الغراء ، التي دعت للاتِّحاد ، ولا قوَّة أو نُصرة تُرجى بغير وِحْدَة .

(ولعل من أخطر ما تُعانيه بيئات العمل الدعوي في وقتنا الحاضر غياب الروح الجماعية ، وعدم اهتمام بعض الدعاة بالقضايا المشركة بين المسلمين والمشروع الأكبر الذي هو الدين نفسه ، مما أدى إلى انعكاس هذا الواقع على مسيرة العمل الدعوي الصحيح حتى صار من عللنا الدعوية المعاصرة ممارسة العمل الدعوي بطريقة قاصرة ، ومنها التفكير في شؤون الفرد ومصلحته على حساب التفكير والعمل بشؤون الجماعة ومصلحة الأمة جمعاء)[1] .

إنَّ تعزيز معاني الصُّحبة السَّامية بين جمع الدُّعاة يقوي روح التَّعاون بينهم ، ويسعى في إسقاط الأنانيَّة وإثبات الذات من نفوسهم.

فالحب الذي ينشأ بين صَحْبِ الدُّعاة ، والإخاء الذي تنتشي به نُفوسهم يُعلي القيم الإيمانيَّة ، فترتفع معه الهِمم ، ويتَّحد معه الصَّف الدَّعوي ، على شتَّى التَّخصصات ، وبسائر المجالات ، فتزداد اللُّحمة ، وتتمكَّن الدَّعوة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[الصف: ٤].

(فيجب أن تتضافر الطاقات والكفاءات في تحمّل عبء الدعوة ، إذ إن مواجهة أحزاب الشيطان والباطل لا تكون ناجعة إلا بإعداد القوة المنظمة المنافسة لها)[2] .

إنَّ أحزاب الشيطان تُعدُّ العُدَّة وتُكرّس الجهود وتُجهّز الجيوش لتقوى دعوتها ، وتنشر ضلالاتها ، بل وتُوظَّف ملكات دعاتها ، وتُفعَّل طاقاتهم ، ويُستفاد من خبراتهم ، متواصِين فيما بينهم، أن اتَّحدوا﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾[طه:٦٤].

لقد كان خير البريَّة –ﷺ– يُفعِّل بين صَحبه مفهوم "تبادل الخبرات" ، فتراهُ يسأل بلال: «يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ» قَالَ: مَا

(١) فقه مقاصد الدعوة إلى الله ، سعد القعود ، ص:٢١٤.

(٢) رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين ، مؤسسة الكلمة ١٤١٧هـ (١/١٥٢).

عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ[1].

بل وكان -ﷺ- يدعو صَحبه إلى بذل الخبرات وتوظيف الملكات لتمكين هذه الدَّعوة ، ويظهر هذا جليًّا في غزواته -ﷺ- .

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ غُلَامٌ يَحْدُو بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ سَوْقَكَ بِالقَوَارِيرِ»[2].

وَقَد قِيْلَ في فائدة حُدائه : (لِأَنَّهُ يَحُثُّ الْإِبِلَ حَتَّى تُسْرِعَ)[3].

فها هي مَلَكَةُ الحدَاء تجد مجالاً لها لتَخدِم دينها.

وقد كان صَحْبُ رسول الله أُنموذجاً لتبادل الخبرات ، وتوظيفها في سبيل نُصرة الدَّعوة وتمكينها ، فَعَنْ عُمَرَ -رضي الله عنه-، قَالَ: (كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ)[4].

(كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ جَمَاعَةً وَاحِدَةً ؛ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى عَنْ غَيْرِ ارْتِبَاطٍ بِعَهْدٍ وَنِظَامٍ بَشَرِيٍّ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْجَمْعِيَّاتِ الْيَوْمَ، فَإِنَّ عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ كَانَ مُغْنِيًا لَهُمْ عَنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ شَهِدَ اللهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - لَهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وَلَمَّا انْتَثَرَ بِأَيْدِي الْخَلَفِ ذَلِكَ الْعَقْدَ وَنُكِثَ ذَلِكَ الْعَهْدُ، صِرْنَا مُحْتَاجِينَ إِلَى تَأْلِيفِ جَمْعِيَّاتٍ خَاصَّةٍ بِنِظَامٍ خَاصٍّ لِأَجْلِ جَمْعِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى إِقَامَةِ هَذَا الْوَاجِبِ: التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي أَيِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِهِ أَوْ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ، وَقَلَّمَا تَرَى أَحَدًا فِي هَذَا الْعَصْرِ يُعِينُكَ عَلَى عَمَلٍ مِنَ الْبِرِّ، مَا لَمْ يَكُنْ مُرْتَبِطًا مَعَكَ فِي جَمْعِيَّةٍ

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:التهجد ، باب:فضل الطهور بالليل والنهار...، رقم الحديث (١١٤٩) (٢/٥٣) ، واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الفضائل ، باب:من فضائل بلال ، رقم الحديث (٢٤٥٨) (٤/١٩١٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الأدب ، باب:المعاريض مندوحة عن الكذب ، رقم الحديث (٦٢١٠) (٨/٤٧) ، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الفضائل ، باب:في رحمة النبي ج للنساء...، رقم الحديث (٢٣٢٣) (٤/١٨١١).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر (١٠/٥٤٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:العلم ، باب:التناوب في العلم ، رقم الحديث (٨٩) (١/٢٩).

أُلِّفَتْ لِعَمَلٍ مُعَيَّنٍ، بَلْ لَا يَفِي لَكَ بِهَذَا كُلُّ مَنْ يُعَاهِدُكَ عَلَى الْوَفَاءِ، فَهَلْ تَرْجُو أَنْ يُعِينَكَ عَلَى غَيْرِ مَا عَاهَدَكَ عَلَيْهِ؟ فَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ تَأْلِيفَ الْجَمْعِيَّاتِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، مِمَّا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ امْتِثَالُ هَذَا الْأَمْرِ، وَإِقَامَةُ هَذَا الْوَاجِبِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ - كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ -، فَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ تَأْلِيفِ الْجَمْعِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ وَالْخَيْرِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، إِذَا كُنَّا نُرِيدُ أَنْ نَحْيَا حَيَاةً عَزِيزَةً، فَعَلَى أَهْلِ الْغَيْرَةِ وَالنَّجْدَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعْنَوْا بِهَذَا كُلَّ الْعِنَايَةِ)[1].

فالصُّحبة بين الدُّعاة تُشكِّل جسداً مَنيعاً كُلُّ عضوٍ يقومُ بواجبه الذي خُصص له ، ووكّل إليه ، بل تغدو الدَّعوة كالبنيان المشيد المُحكم المُمتنع على الأعداء .

وقد بوَّب البخاري - رَحِمَهُ اللَّهُ- في صحيحه باب : (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) ، وذكر فيه: قال -ﷺ-: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[2].

(هَذِهِ صَرِيحَةٌ فِي تَعْظِيمِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّرَاحُمِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعَاضُدِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ)[3].

(وَالْمُعَاوَنَةُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ وَكَذَا فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ مِنَ الدُّنْيَا مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا)[4].

إنَّ أعظم وِثاقٍ يَربط الدُّعاة ببعضهم ، ويوقظ فيهم أهمِّيَة العناية بالدَّعوة ، وتوظِيف كُلٍّ في مجاله الَّذي يُتقنه، هي رباط الصُّحبة ، فالفقيه له عمله ، والمُفكِّر له عمله ، والمترجم له عمله ، والطَّبيب له عمله .

(إن المجتمع المتكامل الناجح هو الذي تجتمع كافة القوى والطاقات فيه ، لتحقيق الخير فيه ، وإن القيادة الناجحة الواعية هي التي تستقطب كافة الإمكانيات والقدرات لتحقيق الغايات المنشودة...، فلا بد من التنسيق بين هذه الفئات ، وجمع ما تملكه من قوى وطاقات وقدرات ، والتوجه به نحو خير الأمة

(١) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (١٠٨/٦-١٠٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الصلاة ، باب:تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ، رقم الحديث (٤٨١) (١٠٣/١) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، رقم الحديث (٢٥٨٥) (١٩٩٩/٤) ، واللفظ لهما.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبوزكريا النووي (١٣٩/١٦).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر (٤٥٠/١٠).

ورفعتها ، لا بد من اجتماع صاحب الفكر ، ومالك المال ، والقادر على العمل والكسب ، وتوجه الجميع نحو الخير)[1] .

وبعد تفصيل الحديث في الأثر الثاني من آثار الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى ، أنتقل إلى بيان الأثر الثالث وهو تفعيل مفهوم النصرة في الدعوة إلى الحق.

(١) الرائد ، مازن الفريح ، دار الأندلس ط٣ (٢٦٧/٢).

الْمَطْلَب الثَّالِث : تَفْعِيْل مَفْهُوم النُّصْرَة فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَق .

في زمان تكاثر الفتن وتتابع المحن على الأمَّة الإسلاميَّة تتوق الأنفس وتتطلَّع للنَّصر والظفر ، بل وقد تضيق لترَقُّبه فتتساءل : لَمَ أبطأ النَّصر؟!.

والجواب : (قد يبطيء النصر لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها، و لم يتم بعد تمامها، و لم تحشد بعد طاقاتها، و لم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات. فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكا لعدم قدرتها على حمايته طويلا ، وقد يبطيء النصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد، فلا تستبقي عزيزا ولا غاليا، لا تبذله هينا رخيصا في سبيل الله.

وقد يبطيء النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر ، إنما يتنزل النصر من عند الله عند ما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعدها إلى الله...، وقد يبطيء النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة ، فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار. فيظل الصراع قائما حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر ولاستبقائه من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله، قد يبطيء النصر، فتتضاعف التضحيات، وتتضاعف الآلام مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية.

وللنصر تكاليفه وأعباؤه حين يتأذن الله به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه: فوعد الله المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يتخلف هو أن ينصر من ينصره ، فمن هم هؤلاء الذين ينصرون الله، فيستحقون نصر الله، القوي العزيز الذي لا يهزم من يتولاه؟ إنهم هؤلاء: : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١])[1] .

فنصر الله إنما يتنزَّل على من هم أهل له ، والقائمين بموجباته .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧].

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٤/٢٤٢٧).

(وَفِي نَصْرِ اللَّه ﷻ وُجُوهٌ: الْأَوَّلُ: إِنْ تَنْصُرُوا دِينَ اللَّهِ وَطَرِيقَهُ وَالثَّانِي: إِنْ تَنْصُرُوا حِزْبَ اللَّهِ وَفَرِيقَهُ الثَّالِثُ: الْمُرَادُ نُصْرَةُ اللَّهِ حَقِيقَةً...، فَالشَّيْطَانُ عَدُوُّ اللَّهِ يَجْتَهِدُ فِي تَحْقِيقِ الْكُفْرِ وَغَلَبَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَاللَّهُ يُطْلَبُ قَمْعَ الْكُفْرِ وَإِهْلَاكَ أَهْلِهِ وَإِفْنَاءَ مَنِ اخْتَارَ الْإِشْرَاكَ بِجَهْلِهِ)[1].

فللنَّصر ثمن وثمنه نُصرة الحقّ ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: ٤٠]، فنُصرة الحق واجبٌ على طالب الخير ، فمن نصر الحق فأله النَّصر.

ولا تقوم دعوة وتظهر إلا بأنصارٍ يدعمونها ، ويدفعون لها الغالي والنَّفيس ، ويبذلون المُهج والأوقات لنصرتها، وهكذا هي دعوة الحق تغدو بدُعاتها ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤]، وفي هذه الآية أمر لدُعاة الخير : أن كونوا أنصاراً خُلّاصاً لدعوة الحق (بالأقوال والأفعال ، وذلك بالقيام بدين الله، والحرص على إقامته على الغير، وجهاد من عانده ونابذه، بالأبدان والأموال، ومن نصر الباطل بما يزعمه من العلم ورد الحق، بدحض حجته، وإقامة الحجة عليه، والتحذير منه.

ومن نصر دين الله، تعلم كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، [والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر])[2].

كما أنَّ في هذه الآية توجيهاً للدَّاعِية المُحنَّك أن ابحث وجاهد في جمع صُحبة مُباركة تنصر الحق، وتُخلص له، فموقف الدَّاعية الصَّادق أن ([يَتَوَجَّهَ] إِلى الْبَحْثِ عَنْ أَهْلِ الِاسْتِعْدَادِ الَّذِينَ يَنْصُرُونَهُ فِي دَعْوَتِهِ تَارِكِينَ لِأَجْلِهَا كل مَا يُشْغِلُ عَنْهَا، مُنْخَلِعِينَ عَمَّا كَانُوا فِيهِ، مُتَحَيِّزِينَ وَمُنْزَوِينَ إِلَى اللهِ، مُنْصَرِفِينَ إِلَى تَأْيِيدِ رَسُولِهِ وَنَصْرِهِ عَلَى خَاذِلِيهِ وَالْكَافِرِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ)[3].

إنَّ الطَّالب لرؤية النُّصرة في الدَّعوة إلى الحق كأثر للصُّحبة المباركة يجدها في خيرة صَحْب ، يأنس بها في السيرة المُباركة ، والنَّبتة التي سُقيت ونبتت بالخير ، نتاج دعوة الصَّادق المصدوق -ﷺ- صحبه المباركون -رضي الله عنهم-.

(١) مفاتيح الغيب ، أبو عبدالله الرازي (٤٢/٢٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، عبدالرحمن السعدي ، ص:٨٦٠.

(٣) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (٢٥٨/٣).

(فالنَّبِيَّ -ﷺ- بُعِثَ إِلَى قَوْمٍ أَنَفَتُهُمْ شَدِيدَةٌ ، وَحَمِيَّتُهُمْ عَظِيمَةٌ حَتَّى لَوْ لُطِمَ رَجُلٌ مِنْ قَبِيلَةٍ لَطْمَةً قَاتَلَ عَنْهُ قَبِيلَتُهُ حَتَّى يُدْرِكُوا ثَأْرَهُ، ثُمَّ إِنَّهُمُ انْقَلَبُوا عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ حَتَّى قَاتَلَ الرَّجُلُ أَخَاهُ وَأَبَاهُ وَابْنَهُ، وَاتَّفَقُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَصَارُوا أَنْصَارًا، وَعَادُوا أَعْوَانًا. وَالْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، الْخُصُومَةَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ شَدِيدَةً وَالْمُحَارَبَةُ دَائِمَةً، ثُمَّ زَالَتِ الضَّغَائِنُ، وَحَصَلَتِ الْأُلْفَةُ وَالْمَحَبَّةُ، فَإِزَالَةُ تِلْكَ الْعَدَاوَةِ الشَّدِيدَةِ وَتَبْدِيلُهَا بِالْمَحَبَّةِ الْقَوِيَّةِ وَالْمُخَالَصَةِ التَّامَّةِ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّه تَعَالَى، وَصَارَتْ تِلْكَ مُعْجِزَةً ظَاهِرَةً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ -ﷺ-) [1] .

ولقد كان الصِّدِّيق -رضي الله عنه- أبرز من ابتدأ بنُصرة الدَّعوة الإسلامية ، فسارع لتصديق النَّبي-ﷺ-، ولم يُكذِّبه بأيِّ أمر حتَّى وإن اتَّفقت الجموع على تكذيبه، وبذلك حاز اللَّقب "الصِّدِّيق"، وفاز بالاصطفاء والقُرب من رسول الله-ﷺ-، قَالَ النَّبِيُّ-ﷺ-: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» [2] .

لقد كان يعي الصِّدِّيق -رضي الله عنه- أن ثمن الصُّحبة غالٍ ، ولَّما كانت مع سيِّد الدُّعاة-ﷺ- التي بها يشرُف ويزداد علماً وفهماً ، فبها عظُمت أمانة نصرة الحق على عاتقه ، وإن افتدى لذلك روحه.

فعَنْ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- قَالَتْ: لَمَّا اجْتَمَعَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ -ﷺ- وَكَانُوا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا أَلَحَّ أَبُو بَكْرٍ-رضي الله عنه-عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِي الظُّهُورِ فَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ"، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يلحُّ حَتَّى ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ كُلُّ رَجُلٍ فِي عَشِيرَتِهِ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ خَطِيبًا وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- جَالِسٌ ، فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيبٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ-ﷺ-،وَثَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَضُرِبُوا فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ ضَرْبًا شَدِيدًا وَوُطِئَ أَبُو بَكْرٍ وَضُرِبَ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَدَنَا مِنْهُ الْفَاسِقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لِوَجْهِهِ، وَنَزَا عَلَى بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَا يُعْرَفُ وَجْهُهُ مِنْ أَنْفِهِ، وَجَاءَ بَنُو تَيْمٍ يَتَعَادَوْنَ فَأَجْلَتِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَحَمَلَتْ بَنُو تَيْمٍ أَبَا بَكْرٍ فِي ثَوْبٍ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَنْزِلَهُ وَلَا يَشُكُّونَ فِي مَوْتِهِ، ثُمَّ رَجَعَتْ بَنُو تَيْمٍ فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، فَرَجَعُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَجَعَلَ أَبُو قُحَافَةَ وَبَنُو تَيْمٍ يُكَلِّمُونَ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَجَابَ ، فَتَكَلَّمَ آخِرَ النَّهَارِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-؟ فَمَسُّوا مِنْهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَعَذَلُوهُ، ثُمَّ قَامُوا وَقَالُوا لِأُمِّهِ: أُمِّ الْخَيْرِ انْظُرِي أَنْ تُطْعِمِيهِ شَيْئًا أَوْ تَسْقِيهِ إِيَّاهُ

(١) مفاتيح الغيب ، أبو عبدالله الرازي (١٥/٥٠١-٥٠٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:المناقب ، باب: "لو كنت متخذا خليلاً" ، رقم الحديث (٣٦٦١) (٥/٥) .

.فَلَمَّا خَلَتْ بِهِ أَلَحَّتْ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ: مَا فَعَلَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-؟ فَقَالَتْ: والله مالي عَلْمٌ بِصَاحِبِكَ.فَقَالَ اذْهَبِي إِلَى أُمِّ جَمِيلِ بِنْتِ الْخَطَّابِ فَاسْأَلِيهَا عَنْهُ، فَخَرَجَتْ حَتَّى جَاءَتْ أُمَّ جَمِيلٍ فَقَالَتْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَتْ: مَا أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتِ تُحِبِّينَ أَنْ أَذْهَبَ مَعَكِ إِلَى ابْنِكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ.فَمَضَتْ مَعَهَا حَتَّى وَجَدَتْ أَبَا بَكْرٍ صَرِيعًا دَنِفًا ، فَدَنَتْ أُمُّ جَمِيلٍ وَأَعْلَنَتْ بِالصِّيَاحِ وَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّ قَوْمًا نَالُوا هَذَا مِنْكَ لَأَهْلُ فِسْقٍ وَكُفْرٍ، وَإِنِّي لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قَالَ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-؟ قَالَتْ: هَذِهِ أُمُّكَ تَسْمَعُ، قَالَ: فلا شئ عَلَيْكِ مِنْهَا، قَالَتْ: سَالِمٌ صَالِحٌ.قَالَ: أَيْنَ هُوَ؟ قَالَتْ: فِي دَارِ ابْنِ الْأَرْقَمِ، قَالَ: فَإِنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَذُوقَ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبَ شَرَابًا أَوْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَأَمْهَلَتَا حَتَّى إِذَا هَدَأَتِ الرِّجْلُ وَسَكَنَ النَّاسُ، خَرَجَتَا بِهِ يَتَّكِئُ عَلَيْهِمَا حَتَّى أَدْخَلَتَاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ-، قَالَ فأكبَّ عَلَيْهِ-ﷺ- فقبَّله وَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، ورقَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- رِقَّةً شَدِيدَةً. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ بِي بَأْسٌ إِلَّا مَا نَالَ الْفَاسِقُ مِنْ وَجْهِي...أهـــ.[1] .

لقد نسي أبو بكرٍ -رضي الله عنه- أوجاعه وآلامه ، وغدا يسأل عن نبي الله -ﷺ- ما حاله؟.

هكذا هي صُحبة الدُّعاة المُباركة ، حينما تُعظِّم دعوة الحقِّ ، وتسعى جاهدة لنُصرتها تتناسى الأوجاع ، ويغدو في سبيلها الفقدُ عِزَّة وشرفاً.

كانت امرأة من الأنصار من بني دينار قد أصيب زوجها وأخوها يوم أحد ، فلما نعوا لها قالت : (ما فعل رسول الله -ﷺ-؟ قالوا: خيراً، يا أم فلان. فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه فأشاروا لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل؛ أي: هين)[2] .

إنَّ دَفْعَ الدَّاعِية لصاحبه وإعانته على قول الحق ونُصرته لهي من أشرف آثار الصُحبة بين الدُّعاة، ولقد بلغ بصاحبي رسول الله-ﷺ- الصديق والفاروق-رضي الله عنهما- مبلغاً أنهما يُصدِّقانه في كل ما قاله فهو الصَّادق المصدوق-ﷺ- المؤيَّد بالوحي، حتَّى أنه -ﷺ- أصبح ينطق بالخبر موقناً تصديقهما له وإن لم يحضرا، فعن أَبِيْ هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، يَقُولُ: قَالَ الرسول-ﷺ-:" بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا الذِّئْبُ، فَأَخَذَ

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، ت:علي شيري ، دار إحياء التراث ، ط١ (٣/٤١).

(٢) سير أعلام النبلاء ، أبوعبدالله الذهبي (١/٤٢٤).

مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهَا حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي "، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمَا ثَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» [(١)].

إنَّ نصرة أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – للحقِّ لا تخفى على مطَّلع على السِّير ، وقارئ للسُّنن ، فقد كان كل واحدٍ منهما ينصر الحق بأسلوبه وطريقته ، أبو بكر – رضي الله عنه – أسيفاً رقيقاً ، ونُصرة الصِّدِّيق مذ بدأت الدَّعوة وهي نصرة صادقة ، نصرها بماله ونفسه وجُهده .

أمَّا الفاروق –رضي الله عنه– فقد كان قويّاً شديداً ، دخل الإسلام فعُزَّت به دعوة الحقِّ واشتدَّت ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه– قَالَ: (مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نُصَلِّيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ) [(٢)].

كان–رضي الله عنه– جسوراً قويّاً أمضى حياته مُذ أسلم في نُصرة الدَّعوة، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان سنداً للنبي–ﷺ– آزره وناصره ودافع عنه، ووقف في وجه كل عدوٍّ لدعوة الحق .

فلما حدث خلافٌ بين أفرادٍ من الأنصار والمهاجري ، فَقَالَ الْمُنافق عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ –رضي الله عنه–: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ –ﷺ–: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» [(٣)].

لقد أثمرت هذه الصُّحبة أُسوداً دفعوا بأرواحهم وأموالهم بل وارخصوا كل شيء نُصرة لدعوة الحق ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ– رضي الله عنه– : (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَتَلَ أَبَاهُ عَبْدَ اللَّه بْنَ الْجَرَّاحِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَتَلَ خَالَهُ الْعَاصَ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَبِي بَكْرٍ دَعَا ابْنَهُ يَوْمَ

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:المناقب ، باب:مناقب عمر بن الخطاب ، رقم الحديث (٣٦٩٠) (١٢/٥) ، واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:فضائل الصحابة ، باب:فضائل أبي بكر الصديق ، رقم الحديث (٢٣٨٨) (١٨٥٧/٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله القرطبي (٤٣/٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:تفسير القرآن ، باب:قوله"يقولون لئن رجعنا إلى المدينة...، رقم الحديث (٤٩٠٧) (١٥٤/٦) ، واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:نصر الأخ ظالما أو مظلوما ، رقم الحديث (٢٥٨٤) (١٩٩٨/٤).

بَدْرٍ إِلَى الْبِرَازِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: -«مَتِّعْنَا بِنَفْسِكَ» وَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ قَتَلَ أَخَاهُ عُبَيْدَ بْنَ عمير، وعلي بن أبي طالب وَعُبَيْدَةَ قَتَلُوا عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ يَوْمَ بَدْرٍ)[1] .

إنَّ ديدن صُحبة الدُّعاة نصرة دعوة الحقّ بمدافعة أهل الكُفر ، والوقوف في وجوه أهل النِّفاق بلا مُجاملة أو مُداهنة ، فعَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ – رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ [2]، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ [3] فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا فِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ وَالمُسْلِمِينَ، وَفِي المَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ [4] ، فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلَيْهِمْ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ[5] .

فصُحبة الدُّعاة تِدَافِعُ عن الدَّعوة ، وتدفع أيِّ مقولة شرٍّ عن أفرادها ، لأنَّ النَّقيصة والذَّم من أهل النِّفاق مُرادها انتقاص دعوة الحق وازدرائها ، وهذا ما يعمل صحبة الدُّعاة على مُدافعته ومحاربته .

ولا تزال هذه الدَّعوة النيِّرة تُثمر دُعاة جمعهم صِدق الإخاء ، وغيرة على الدعوة ، فأثمر هذا الاجتماع همَّة عالية ، ونصرة صادقة لهذه الدَّعوة.

---

(١) مفاتيح الغيب ، أبوعبدالله الرازي (٢٩/٤٩٩).

(٢)(فدكية) أي من صنع فدك وهي بلدة مشهورة على مرحلتين من المدينة (فتح الباري لابن حجر ٨/٢٣١).

(٣)سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ بنِ دُلَيْمِ بنِ حَارِثَةَ الأَنْصَارِيُّ ، السَّيِّدُ الكَبِيْرُ، الشَّرِيْفُ، أَبُو قَيْسٍ الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، السَّاعِدِيُّ، المَدَنِيُّ، النَّقِيْبُ، سَيِّدُ الخَزْرَجِ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ١/٢٧٠).

(٤)عَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ الأَنْصَارِيُّ ، الأَمِيْرُ، السَّعِيْدُ، الشَّهِيْدُ، أَبُو عَمْرٍو الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، البَدْرِيُّ، النَّقِيْبُ، الشَّاعِرُ. شَهِدَ بَدْراً، وَالعَقَبَةَ. اسْتَخْلَفَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى المَدِيْنَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ المَوْعِدِ (١) ، وَبَعَثَهُ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - سَرِيَّةً فِي ثَلاَثِيْنَ رَاكِباً، إِلَى أُسَيْرِ (٢) بنِ رِزَامٍ اليَهُوْدِيِّ بِخَيْبَرَ، فَقَتَلَهُ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ١/٢٣٠-٢٣١).

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:تفسير القرآن ، باب:قوله"ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب..."، رقم الحديث (٤٥٦٦) (٦/٣٩).

والمتأمِّل يجد أنموذجاً ليس بالبعيد عنَّا ، إنها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي أضاء الله بها الظلمات ، وصلُح بها خلق كثير.

إنَّ دعوة محمد بن عبد الوهاب التي أحدثت أثراً بالغاً ، فجدَّدت الإيمان واجتَثَّت الكفر والابتداع ، كانت نتاج إخاءٍ خيِّرٍ مُبارك بين الإمامين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود – رحمهما الله–.

(إن هذه الدعوة السلفية الإصلاحية لما أطل هلالها، وبزغت شمسها، ارتبطت ارتباطاً لصيقا بولاية مؤمنة بالدعوة إلى التوحيد شمولاً وحقيقة، والدين كله تأسيساً وتأصيلاً، فمنذ أن تعاهد الإمامان، وتعاقد المحمدان، الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب، والإمام المجاهد ناصر الحق محمد بن سعود – رحم الله الجميع وأجزل لهم الأجر والمثوبة –...ومعلوم أن الحق لا بد له من قوة تنصره وتنفذه ، وله أثر عظيم بالغ في قمع المعارضين، وإسكات المخالفين، وإرجاع المعاندين... واستمرت تلك المسيرة المباركة من أئمة الدعوة من آل الشيخ وغيرهم – رحم الله أمواتهم وبارك في أحيائهم – وينصرها ويمدها بالخير والعطاء أنصار الدعوة من آل سعود، حتى التزم الناس بالطاعة، ودخلوا في دين الله، وانتشر الخير، وقل الشر، وبانت للإصلاح معالم خير وهدى، واجتثت الشرور والمنكرات وغيرت مواطن الفساد، والحق في نمو وازدهار، وسعة وانتشار، حتى تأثر بالدعوة الجم الغفير في كثير من البلاد والأمصار، وساد الأمن في القرى والطرق والبوادي، وكان لطلاب الشيخ – رحمه الله – ومناصرين اليد الطولى في وصول الحق إلى أغلب البلاد، وتأثر الناس بالدعوة إلى التوحيد، وتركوا ما هم عليه من الشرك والتنديد، وهدمت المشاهد والقبور، وعمرت المساجد وحلقات العلم والإيمان، وحكمت الشريعة، ودانوا بها تحاكماً وتحكيماً، وتركوا ما كانوا عليه من تحكيم سواليف الآباء والأجداد وقوانينهم، ورجعوا إلى المعدن الأصيل، والأصل الكريم الكتاب والسنة.

ولهذا فإن الدعوة السلفية الإصلاحية لارتباطها بالولاية المناصرة كان لها في دعوتها – وما زالت – أعظم الأثر وأبين النفع، في إخراج الناس – بفضل الله ومنته – من الظلمات والضلالات، إلى نور الحق والهدى)[1].

مَحَاذِيْر حَوْلَ تَفْعِيْلِ مَفْهُومِ النُّصْرَةِ:

١– أدعُ إلى الحقّ بالحقّ:

إنَّ الدَّاعية المُبارك لتأخُذه الحمية نُصرة لدين الله ، لكن عليه أن يتجنَّب أن يكون داعياً للباطل منفِّراً عن الحق بفضاضة أسلوبه، أو بقلَّة حكمته، أو بما يُنفِّر ولا يُرغِّب.

(١) المستطاب في أسباب نجاح دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ، عبدالرحمن الرحمة ، وزارة الأوقاف السعودية ، ص:٢١–٢٣.

وقد جاء الإسلام بدعوة الدَّاعِية إلى التَّروي والتَّبصر ، فيكون عالماً إلى ما يدعو ، وبما يدعو ، وكيف يدعو ، إذ الحكمة سمة يجب أن يسألها مولاه ، ويسعى لنيلها ، ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وكم ممَّن نفَّر بأسلوب باطل لم يأتِ به دين الله ، ودعوة الحقّ مليئة بالشَّواهد على لزوم اختيار الأسلوب المناسب في الوقت المناسب على الشَّخص المناسب ، بل ومما لا يغيب عن الدَّاعية الفطن أنَّ " اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ"[1] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

٢- ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ بداية خُذلان :

ليس من الحق أبداً أن يعرض الدَّاعية رأيه ويقول مقولته نُصرة للحق متعالياً عن سماع رأي غيره من الدُّعاة خاصَّة إذا كانت المسألة اجتهادية ، فالواجب على الدَّاعية أن يبذل كلمة الحق ويُحاور بدليل وفقه ، وأن يتجنَّب السُّنَّة الفرعونية ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ فهي بداية خُذلان ، ورسالة تعالٍ واستعلاء ، لا تليق بمن حمل بين جنبيه أطهر رسالة وخير كلام.

٣- ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾:

إنَّ الدَّاعية الصَّادق لا يتوانَ عن قول الحق ولو على نفسه ، فإذا رأى تقصيراً أو زللاً نُصح به تراجع مُعترفاً شاكراً لمن بذل له.

وليس من النُّصح في شيء أن يُجامل صُحبة الدُّعاة بعضهم البعض ، ويتستَّروا على أخطاء بعضهم ، ويُحاربوا النَّاصح حميَّة جاهليَّة.

(إن التستر على الأخطاء باسم المصلحة العامة وحفظ الكيان، والتوهم بأن النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم تؤدي إلى البلبلة والتمزق أمر خطير ، ومفسدة فظيعة تدفع الأمة ثمنها الدماء وتكون محلاً لِلَّعن، لذلك يبقى تصويب الخطوة وصوابها هو الأصل ، وذلك مهما كانت مساحتها محدودة ، وسيرها بطيئاً ، المهم أن نكون على المحجة البيضاء النقية، ويُستفرغ الجهد في الإعداد والاستعداد، والبذل والعطاء، مستشعرين الأبعاد الإيمانية والأخلاقية للمنهج والسيرة والسلوك، أمناء على انتقال القيم الإسلامية صافية سليمة، فقد يستبطئ البعض ثمرات الصواب ويقتضيه الاستعجال السير بخطوات عريضة ، وقد يتجاوز بعض الحواجز الإسلامية ،

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب:الأدب، باب:الرفق في الأمر كله ، رقم الحديث (٦٠٢٤) (١٢/٨) ، ومسلم في صحيحه، كتاب:السلام، باب:النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام...، رقم الحديث (٢١٦٥) (١٧٠٦/٤).

ويتساهل ببعض الضوابط الأخلاقية الإيمانية متعللاً بوفرة النتائج وتحقيق المصلحة ودرء المفسدة وارتكاب أخف الضررين ، ويظن في بعض المراحل أنه قادر على ذلك فيدع المركب السهل المشروع إلى المركب الصعب غير المأمون)[1] .

فدائماً يكون لسان حال صَحْبِ الدُّعاة : "قُل الحقَّ ولو على نفسك".

إنه متى ما صدقت صحبة الدعاة أثمرت نصرة الحق ، ودفعتهم للوقوف صفاً متَّحداً في سبيل تمكين هذه الدعوة وثباتها.

وبعد تفصيل الحديث عن تفعيل مفهوم النصرة في الدعوة إلى الحق كأثر من أهم آثار الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى ، أبدأ في بيان الأثر التالي وهو وحدة منهج العمل الدعوي.

(١) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر حسنه ، ص:١٢٧.

الْمَطْلَبْ الرَّابِع : وِحْدَةُ مَنْهَجِ الْعَمَلِ الدَّعَوِيِّ .

الْمَسْأَلَةُ الْأُوْلَى: أَهَمِّيَّة التَّخْطِيْط فِيْ إِنْجَاحِ الْعَمَلِ الدَّعَوِيّ :

"في الاتِّحاد قوَّة " حكمة تُسمعُ كثيراً ، ويُؤمن بها الكثير لكن لا يسعى بصدقٍ إلى تطبيقها إلا القليل، ومُجتمعِ الدُّعاة الفاضل مُجتمعٌ سامٍ لا يُقدِّم القول ويؤخر الفعل ، بل إن الدُّعاة لينفرون ويفزعون من قولٍ لا يتبعه عمل .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾[الصف: ٢ – ٣].

والعمل الدَّعوي لا يقوم لأجل نُصرة شخصٍ أو لإنجاح جماعة ، لكنَّه رسالة أمَّة ، دينها واحد ، ورسالتها واحدة ، ونبيها واحد ، اصطُفيت إلى قيام السَّاعة.

إنَّ استحضار الدُّعاة كونهم سُفراء هذه الرِّسالة ، وعلى أعناقهم أمانة صدق التَّبليغ ، والإحسان فيه يُعظم في نفوسهم رغبة السَّعي الحثيث بالوسائل المشروعة لإنجاحها.

ولن تنجح فكرة ، ولن يستمرَّ عمل إذا لم يُرسم له منهجاً واضحاً ، وخططاً سليمة ، فرسم المنهج الواضح للعمل الدَّعوي إحدى أولويات صُحبة الدُّعاة المباركة.

ويُقصد بمنهج العمل الدَّعوي :(نُظُم العمل الدَّعوي وخططه المرسومة له)[1] .

فصُحبة الدُّعاة تمضي قُدُماً تُسارع في سبيل نشر الدَّعوة ومن ثَمَّ تمكينها ، ولسان حال أفرادها ﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أي: (فنحن على هدى من الله ونور ، نعرف طريقنا جيداً ، ونسير فيها على بصر وإدراك ومعرفة ، لا نخبط ولا نتحسس ، ولا نحدس)[2] .

(١) المدخل إلى علم الدعوة ، محمد البيانوني ، مؤسسة الرسالة ط٣ ، ص:١٩٥.

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٢٠٣٤/٤).

إنَّ سير صُحبة الدُّعاة وفق خُطط مرسومة ، ونُظِمٍ واضحةٍ معلومة ، ومهمَّات مُقسَّمة حريٌّ أن يؤتي ثماراً يانعة ، وبذل الجُهد بصِدْقٍ وتفانٍ ، وعطاءٍ بلا مَنْ قَمِنٌ أن يُبارك فيه ، و (مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ) [(١)] .

ولا أضيع للأعمال ، ولا أدعى لفوات بركتها من التَّخبَط في آداء مُهِمَّات العمل الدَّعوي ، والعشوائية في التَّنقّل بينها ، وجمع الدُّعاة المُبارك مَنْ رَبَّتهمُ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣] ، لا يُؤخِّرون واجباً عن وقته ، ولا يُقدمون الأهم على المهم ، فعملهم الدَّعوي وفق خُطط مرسومة ، لها مواعيد موقوتة لإنجازها ، ولجداول مرسومة لتقييمها ، وتُختم بدراسة تقويميَّة، لتلافي السلبيات ، وتعزيز الإيجابيات .

فالتَّخطيط بابُ بركةٍ وخير ، يُعنى بتكثير منافع العمل ، ويعين على تضييق مساحات الخلل ، ولا يغيب عن صحب الدُّعاة تفعيله في العمل الدعوي.

(إن المناهج الدَّعوية تنقسم من حيث الحيثية إلى قسمين أساسيين هما :

أ- المناهج الربانية : وهي المناهج التي وضعها الشارع لهذه الدعوة عن طريق القرآن أو السنة ، فهي مناهج معصومة عن الخطأ ، وأصلٌ للمناهج الدعوية كلها قَالَ تَعَالَى:﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ [المائدة: ٤٨].

ب- المناهج البشريَّة : وهي المناهج الدعوية التي يضعها الدعاة والعلماء باجتهادهم في أي جانب من جوانب الدَّعوة ، تطبيقاً للمناهج الرَّبانية واعتماداً عليها ، وذلك بما يتناسب مع زمانهم ، ويتلاءم مع ظروف المدعوين من حولهم.

وهي مناهج تحتمل الخطأ والصَّواب،كأي مسألة اجتهادية لا يعدم المجتهد فيها أجراً أو أجرين، وللدعاة أن يأخذوا منها أو يتركوا ما شاءوا، إلا منهج الخلفاء الرَّاشدين – رضي الله عنهم– التي أُمرنا بالتزامها والأخذ بها والعض عليها بالنواجذ) [(٢)] .

(١) رواه الترمذي في سننه ، كتاب:صفة القيامة والرقائق والورع ، باب:١٨ ، رقم الحديث (٢٤٥٠) (٢١٤/٤) ، واللفظ له ، وقال: (حسن غريب) ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣٧٧/٨) ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان ، كتاب:الخوف من الله ، رقم الحديث (٨٥٥) (٢٦٦/٢) ، وقال الألباني في سلسلته : (صحيح).

(٢) المدخل إلى علم الدعوة ، محمد البيانوني ، ص:١٩٦.

وبعد بيان أهمية التخطيط في إنجاح العمل الدعوي ، أنتقل إلى ذكر أهم عوامل نجاح منهج العمل الدعوي.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةِ : عَوَامِلُ نَجَاحِ مَنْهَجُ الْعَمَلُ الدَّعَوِي :

لنجاح منهج العمل الدَّعوي عوامل عدَّة ، منها :

١- الانضباط التَّام على نَهْج الوحيين وعلى نهج القرون التي زكَّاها النبي -ﷺ- ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[(١)] ، فـــ(المنهج هو مصدر التَّلقي والعمل للدَّعوة لن يستقيم إلا بالانضباط التام للمنهج في كل شيء من أول خطوة ، فالمنهج هو الذي يُحدد التَّصور والاعتقاد والسلوك وطرائق العمل ، وليس في الدنيا منهاج أكثر عظمة وقوة وشمولاً وتكاملاً ولا أشدَّ تأثيراً من هذا المنهاج **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] ، كما أنَّ المنهاج هو قاعدة التَّوحيد ، فمنهجية الدُّعاة إلى الله ذات صبغة توحيدية في خط سيرها ، والذي يُقرر ذلك المنهاج .ولذا فإنَّ أي تفريط في منهج الدَّعوة والرسالة يُعتبر خطراً عظيماً ، والقبول بأنصاف الحلول والمُداهنة والتَّرقيع على حساب المنهج والرسالة ليس من مصلحة الدَّعوة وهو تفريط من قيادة أنصار الله.وعلى ذلك يجب الاستقامة على منهاج الدعوة دون انحراف ، وثبات المؤمنين من أنصار الله في مواجهة حزب الشيطان مرهون بقوة استمساكهم بالمنهج والفكرة والرسالة. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧])[(٢)] .

٢- الثِّقَة التَّامَّة بصواب هذا المنهج ، والثَّبات عليه ، والاستمساك به - وإن كثُر أعداؤه وقَلَّ أتباعه - ، وهذا لا يمنع أن يتحاور الدُّعاة في بعض المسائل الاجتهاديَّة التي تحتمل الخلاف ، واختيار ما هو أقرب للحق .

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الفضائل ، باب:فضل الصحابة ثم الذين يلونهم...، رقم الحديث (٢٥٣٣) (١٩٦٢/٤).

(٢) رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين (١٥٨/١-١٦٠).

(إنَّ منهج الله ينفي عن نفسه الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد ، فهو لا تثبت أمامه شبهة وإن اتسعت دائرتها ، لأنه الحق وغيره باطل ، والله أخبر في كتابه بقوله : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ودور الدعاة هو كشف وبيان منهج الله كما هو بغير لبسٍ ولا غموض ولا تحريف ولا تأويل ، مع اليقين الجازم بأن غيره من المناهج لا بقاء له ولا ثبات في الحياة)[(١)] .

٣- تقديم الأولويات الأولى فالأولى ، الأهم العاجل فالأهم الآجل ، فمثلاً تصويب العقائد مُقدَّمٌ على تعليم السُّنن والمُستحبَّات ، وأمر الأُمَّة عامَّة على أمر خواصِّها .

(ويراعى في تقويم المناهج الدعوية التفريق بين الأصول والمناهج الشرعية الثابتة ، وبين الأمور غير الثابتة .

فالثابتة مثل : وجوب الدعوة وشروطها ، وغاياتها الكبرى ، وضوابطها الشرعية ، فهذه أصول توقيفية ...فهذه ثوابت في الدعوة ليست محل اجتهاد ولا نقاش من حيث المبدأ .

أما غير الثابتة ، فهي الوسائل والأساليب ، وهذه الأمور اجتهادية ، لكنها مشروطة بالتزام نصوص الشرع وقواعده العامة كسائر مناشط الحيلة في الدين والدنيا)[(٢)] .

٤- استمراريَّة التَّناصح والتَّقويم المُستمر لمُخرجات العمل الدَّعوي بين صُحبة الدُّعاة[(٣)]، وتفعيل النُّصح بضوابطه السَّامية ، فيُتناصح سرّاً إلا إن كان التَّقويم يشمل شريحة من الدُّعاة ، أو كان العمل مشتركاً ، فيُلتزم باللين والحكمة حال بذل النُّصح ، ويُفتح المجال للحوار ، وتبادل الآراء ، ثمَّ يُختار الأقرب للنَّفع ، والأنصح للدَّعوة.

(فـــالمنهج الأسلم الأجدى هو أن يعتمد تقويم المناهج الدعوية القائمة اليوم على النصيحة وبيان الحجة بالدليل ومعالجة الأخطاء والانحرافات والأمراض ، بالحكمة والرفق والإشفاق ؛ لا على الفضيحة ولا التشهير ولا الشماتة ، كما أوصى بذلك النبي –ﷺ– «إِنَّ الرِّفْقَ لَا

(١) المرجع السابق (١/٥٣٥).

(٢) مركز الوسطية ، د.ناصر العقل ، يوم ١٤٣٥/٧/٢١هـــ
http://www.wasateah.com/publish/article_256.php

(٣) للاستزادة:راجع مسألة النقد الذاتي ، ص:

يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[1] .

وكان النبي –ﷺ– يعالج ما يقع من الصحابة من أخطاء ومخالفات للسنة بقوله :" مَا بَالُ أَقْوَامٍ[2] "[3] .

٥- إدارة العمل الدَّعوي بعدلٍ وإنصاف، والمُسارعة إلى شُكر المُحسن، وتنبيه المسيء بلا شطط أو جور، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[الأنعام:١٥٢].

(فيجب العدل والإنصاف في حق الدعوات والدعاة وفي تقويم المناهج الدعوية ، فما كان فيها من صواب وموافقة للسنة وإسهام في الخير ونفع الأمة ، ينوه عنه ويشجع عليه ، وما كان من انحراف أو بدعة أو خطأ بيِّن ، يكشف ويناصح من أقره وعمل به ويحذر من ذلك بالأسلوب المناسب)[4] .

٦- اعتبار قواعد الشَّرع حال نقد منهج العمل الدَّعوي ، و (مراعاة قواعد الشرع في أسلوب نقد المناهج الدعوية وتقويمها : من درء المفاسد وجلب المصالح، واعتبار الضرورات – إن وجدت – وتقدير المصالح العظمى للأمة ، ودفع المشقة والحرج ، وتغليب جانب التيسير ، من غير تفريط بأصول الحق ولا إغفال للمسلمات والغايات الكبرى)[5] .

٧- السَّعي الحثيث في إنجاز المُهمَّات المُوكلة في وقتها المُحدد ، وترك التَّراخي أو التَّخاذل، قَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ...»[6] ، ويؤمر الدَّاعية بالوصيَّة الرَّبانية ﴿ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾[مريم: ١٢]، (أَيْ : يَفِرُّ مِنْ إِجَابَةِ دَاعِي الْكَسَلِ إِلَى دَاعِي الْعَمَلِ وَالتَّشْمِيرِ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ.وَالْجِدُّ هَاهُنَا هُوَ صِدْقُ الْعَمَلِ، وَإِخْلَاصُهُ مِنْ شَوَائِبِ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب:البر والصلاة والآداب، باب:فضل الرفق، رقم الحديث(٢٥٩٤) (٤/٢٠٠٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:النكاح ، باب:استحباب النكاح...، رقم الحديث (١٤٠١) (٢/١٠٢٠).

(٣)مركز الوسطية ، د.ناصر العقل ، يوم ١٤٣٥/٧/٢١هـ

http://www.wasateah.com/publish/article_256.php

(٤) مركز الوسطية ، د.ناصر العقل ، يوم ١٤٣٥/٧/٢١هـ

http://www.wasateah.com/publish/article_256.php

(٥) المرجع السابق.

(٦) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:القدر ، باب في الأمر بقوة...، رقم الحديث (٢٦٦٤) (٤/٢٠٥٢).

الْفُتُورِ، وَوُعُودِ التَّسْوِيفِ وَالتَّهَاوُنِ، وَهُوَ تَحْتَ السِّينِ وَسَوْفَ، وَعَسَى، وَلَعَلَّ، فَهِيَ أَضَرُّ شَيْءٍ عَلَى الْعَبْدِ، وَهِيَ شَجَرَةٌ ثَمَرُهَا الْخُسْرَانُ وَالنَّدَامَاتُ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجِدِّ وَالْعَزْمِ أَنَّ الْعَزْمَ صِدْقُ الْإِرَادَةِ وَاسْتِجْمَاعُهَا، وَالْجِدَّ صِدْقُ الْعَمَلِ وَبَذْلُ الْجُهْدِ فِيهِ) [1] .

٨- الرِّفق واللين مع المُجد إن ظهر منه تقصير لظرفٍ خارجٍ عن الإرادة ، وعدم محاسبته على ما ليس بمقدوره ، وتجنُّب لومه أو عَزْو الفشل عليه .

٩- التَّدرج في رسم منهج العمل الدَّعوي ، ويجب أن يُؤسس على قواعد راسخة، وأُسس ثابتة ، ولا يكون كـ ﴿ مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ ﴾ [التوبة: ١٠٩] ، و(الأصل في المناهج أن تكون متناسبة مع من وضعت لهم ، وذلك بحسب الأعمار والأحوال والمستويات ، وقد بدأ منهج القرآن بتفصيل أمور العقيدة وتثبيتها ، ثم ببيان الأحكام الشرعية شيئاً بعد شيء ، حتى نزل قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] ، فقد كمل الدين وتمت النعمة بما نزل من أحكام في القرآن الكريم ، وبمنهج التدرج الذي نزل به ، ولو نزل دفعة لشق على الناس ، وصعب عليهم امتثال أحكامه ، وفي هذا درس بليغ للدعاة ليتدرجوا في مناهجهم، ويكونوا عوناً للناس على تطبيقها وامتثالها) [2] .

١٠- استمرار العمل الدَّعوي وعدم انقطاعه ، إلا أن يُنتقل إلى ما هو أفضل منه وأخير منه، فصحبة الدُّعاة صُحبة زكيَّة تدفعها همم عليَّة ، فلا تنقطع وحدتهم ، ولا يفتر نشاطهم ، إيماناً بوصيَّة الباري ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩]، (والأصل في المناهج الدَّعويَّة أن تكون مستمرَّة لا تنقطع أو تتوقف في مرحلة من مراحل الدَّعوة ، أو في مستوى من مستويات الدعاة ، لأن الدعوة الإسلامية حركة مستمرة على مستوى التبليغ والتعليم والتطبيق ، لا تتوقف ما دامت هناك حياة للبشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها) [3] .

١١- أن يكون مقياس المنهج على الحقِّ لا على الأشخاص ، فيجب أن يُقدِّم الدُّعاة الحقَّ

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٤٦٨/١) .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة ، محمد البيانوني ، ص:٢٣٦-٢٣٨.

(٣) المرجع السابق ، ص:٢٣٨.

أولاً ، وألا تكون هذه الصُّحبة وبالاً عليهم بأن يُقدَّم قول أحدهم وهو خلاف الحق خشية إحزانه ، ومتى ما كان توجَّه الدُّعاة هكذا بإرضاء بعضهم البعض على حساب الحق ، فسدت صُحبتهم ، ولحقها الشُّؤم والنَّدامة .

(إن الذي يهمنا ويشكل المخرج من مأساتنا هو : الحكم على العمل ومدى انطباقه على المنهج الإسلامي، والقدرة على تمييز الخطأ والصواب، وإعطاء العلامة للأعمال وليس للأشخاص، والالتزام بالأدب الإسلامي عند وجود الخلاف.

فالأشخاص يُقاسون بالمنهج الإسلامي والقيم الإسلامية ، ولا يُقاس الإسلام بهم مهما علا شأنهم ، والذي يُمثل محل الأسوة والقدوة بالنسبة للمسلم هو المعصوم -ﷺ-.

وكل البشر يُخطئ ويصيب ، ويُؤخذ من كلامه ويُرد إلا المعصوم -ﷺ- ، وهذا يُشكِّل الضمانة الأكيدة لسلامة العمل واستمراره وسداده ، ذلك أن المشكلة في التصور الإسلامي الآن - كما يبدو- أننا قد نصل في تقديس الأشخاص إلى مرحلة العصمة عن الخطأ إلى مرحلة الملائكة ، فإذا تكشف لنا شيء من الخطأ - وهذا أمر طبيعي وكل بني آدم خطاء- أنزلناهم فوراً إلى مرحلة الشياطين ، لذلك يقتصر التعامل إما مع ملائكة لا تُخطئ أو مع شياطين جُبلت على الخطأ والخطيئة، أما التعامل مع البشر الذي يُخطئ ويُصيب ، والقدرة على إبصار الصواب والخطأ ، وإعطاء كل أمر علامته ، وعدم بخس الناس أشيائهم ، فهذا لا يزال غائباً عن حياة بعض مسلمي اليوم، والله تعالى يقول: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: ١])[1] .

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[آل عمران: ١٠٣].

(اعْتِصَامٌ بِوَحْيِهِ، وَهُوَ تَحْكِيمُهُ دُونَ آرَاءِ الرِّجَالِ وَمَقَايِيسِهِمْ، وَمَعْقُولَاتِهِمْ، وَأَذْوَاقِهِمْ وَكُشُوفَاتِهِمْ وَمَوَاجِيدِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ مُنْسَلٌّ مِنْ هَذَا الِاعْتِصَامِ، فَالدِّينُ كُلُّهُ فِي الِاعْتِصَامِ بِهِ وَبِحَبْلِهِ، عِلْمًا وَعَمَلًا، وَإِخْلَاصًا وَاسْتِعَانَةً، وَمُتَابَعَةً، وَاسْتِمْرَارًا عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[2] .

(١) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر حسنه ، ص:١٢٥.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم الجوزية (٣٠٣/٣).

وبعد بيان أهم عوامل نجاح العمل الدعوي ، أنتقل إلى الحديث عن وحدة صف الدعاة وأثره في نجاح الدعوة إلى الله تعالى.

الْمَسْأَلَة الثَّالِثَة:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾:

إنَّ الاتِّحاد تحت راية واحدة ، ووفق أُسس مرسومة ، وأهداف واضحة ، وأخلاق سامية ، لهي إحدى بركات الصُّحبة بين فئة الدُّعاة المُباركة.

فلما اتَّحدت قلوبهم لأجل باريهم ، وتناسبت أرواحهم وتآلفت ، لم يكن هُناك أغلى من بذل هذه الوحدة المُباركة للاتِّحاد في منهج عملٍ دعوي ، تتَّحد فيه الجهود ، وتقوى معه الأواصر ، وتتآزر الأهداف.

إنَّ اتِّحاد هذه الصُّحبة في عملٍ دعوي مشترك ، ووفق منهج مرسومٍ واضح ، يُخرج العمل الدَّعوي قويّاً ، فدواعي الخِصام والشِّقاق ضعيفة بعد أن تآلفت نُفوسهم ، وهذه الوحدة تحفظ جهود الدُّعاة من الشَّتات ، فتآزرهم بتنوِّع قدراتهم وتخصصاتهم يُثري العمل الدَّعوي، ويجعله أكثر نشاطاً إذ لو انشغل أحدهم عن مهمَّته وجد من يقوم مقامه ، بل ويُظهر الدَّعوة قويَّة متينة.

إن الصُّحبة لما بلغت في نُفوس الصَّحابة – رضي الله عنهم – مبلغها آتت ثماراً يانعة ، تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ولقد جاء مدحهم لهذه الصِّفة في الكتاب العزيز ،**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

(وَإِنَّمَا جُعِلُوا كَالزَّرْعِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَخْرُجُ يَكُونُ ضَعِيفًا وَلَهُ نُمُوٌّ إِلَى حَدِّ الْكَمَالِ، فكذلك المؤمنون، والشطء الفرخ)[(١)] .

فبدء العمل الدَّعوي المُشترَك والمُتَّحد المنهج قد يكون ضعيفاً ، ضيِّق الحدود ، لكن لا يُمانع ذلك استمرارهم ، بل ويعظم معه إصرارهم لأنه يشمل أكبر فئة ، فينفع الله به الأمَّة .

(١) مفاتيح الغيب ، أبوعبدالله الرازي (٨٩/٢٨) .

(إن الأعمال الجزئية المختلفة – من فكرية وتربوية وسياسية وحركية وعسكرية وغيرها- يجب أن يحدوها هدف واحد ، هو إقامة حكم الله في الأرض ، وإلا فستبقى نشاطات دائرة في رحى الواقع الجاهلي وكياناته المختلفة)[1] .

ولما كان هدف صحبة الدُّعاة واحداً وهو السَّعي إلى رضوان الله ، ومنه رسموا خُطَّتهم، وساروا على منهجهم ، وعلى مقدار تمسُّكهم بهدفهم تقوى معه وحدتهم ، ويتَّحد معه صفّهم ، الذي لن يتنازلوا عن وحدته ، ولن يرغبوا في تفرُّقه واختلافه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾[الصف: ٤].

وبعد الحديث عن تفعيل مفهوم النصرة في الدعوة إلى الحق كأثر من آثار الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى ، أبدأ في الحديث عن الأثر التالي وهو سرعة مواجهة الانحرافات والمشكلات وتذليل العقبات.

(١) أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، فتحي يكن ، ص:٣٣.

الْمَطْلَبُ الْخَامِس: سُرْعَة مُوَاجَهَة الْانْحِرَافَاتِ وَالْمُشْكِلَاتِ وَتَذْلِيْلِ الْعَقَبَاتِ .

إنَّ الدَّاعية الصَّادق ليُؤلمه حال أمَّته ، فيأسى لشتاتها ، ويتألم لشدة الصِّراعات بين صفوفها ، يُوقن أنه كُلَّما زاد البعد عن هدي الدِّين القويم عظُمت معه الخلافات ، وزادت الشقاقات بين الصُّفوف.

إنَّ النَّبي -ﷺ- لَّما همَّ بإنشاء كيان رفيع المستوى ، عالي المقام ، مُتماسك الأركان ، ابتدأ بزرع بذور الإخاء بين صَحْبِه -رضي الله عنهم- حتَّى لَّما تمكَّن الإخاء ، وتآزر الصِّحاب ، قام الكيان شامخاً عزيزاً، لا تُحلّ مشكلة إلا وتبادروها بالحلول ، مع صفاء النفوس ، وسلامة الصُّدور ، والرَّغبة في الإصلاح ، مُسقطين معاني "الأنا" ومُراداتها.

إنَّ حادثة الهجرة إحدى الحوادث التي لا ينبغي أن تمرَّ على الدَّاعية دون أن يتفحَّصها ويتأمَّلها ، كانت الجماعة المؤمنة في بلدٍ قاهرٍ ظالم ، وبلغت المحن بها أشدَّها ثمَّ يأتي الفرج ويؤذن لها بالهجرة ، في هذا الوقت تسابق الصِّحاب إلى طيبة يفرُّون بدينهم ، إلا جمعٌ قليل مع رسول الله -ﷺ- ، وهم ما بين عاجز ومعذور ، أو موكَّلٍ بمهمَّة مأمور .

ولَّما همَّ رسول الله-ﷺ- بالهجرة إلى طيبة الطيبة، كان الصِّدِّيق -رضي الله عنه- رفيقاً وصاحباً له في الرِّحلة يُؤانسه ويؤازره ، وعلي بن أبي طالب [1] - رضي الله عنه- أُخِّر عن الهجرة ليبات في فراش النَّبي -ﷺ- فيتوهَّم الجَّمع أنَّ النبي -ﷺ- لم يخرج ، ضحَّى علي - رضي الله عنه- بحياته، ومن ثمَّ تولَّى مهمة تسليم الودائع ، أمَّا عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر - رضي الله عنهما -فكان يرعى الغنم ويأتي الغار ليسقي المصطفى -ﷺ- وصاحبه ويُطعمهما، وعبد الله بن أبي بكرٍ -رضي الله عنهما- تولَّى مُهمَّة تبليغ الأخبار وأهمِّ الأحداث لهما [2] .

إنَّ الله تعالى قادرٌ أن ينصر نبيه -ﷺ- دون أن يُساند الرسول -ﷺ- أحداً من أصحابه ، لكن لتتربَّى نُفوس هؤلاء الأصحاب على البذل لله ، ليتسابقوا لنصرة دينه إذا ادلهمَّت الخطوب ، يُعدُّهم لغزوات ومعارك مقبلة ، حتى غدوا من خيرة الخلق ، نصروا دينه، وأعلوا كلمة الحق.

---

(١)علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمير المؤمنين، أبو الحسن القرشي الهاشمي ، روى الكثير عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعرض عليه القرآن وأقرأه. وكان من السابقين الأولين، شهد بدرا وما بعدها، وكان يكنى أبا تراب أيضا. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢٥-٢٢٦).

(٢) للاستزادة : البداية والنهاية ، ابن كثير (٣/٢١٧-٢١٩) .

إنَّ السيرة النَّبويَّة تكتنز بالحوادث التي سارع فيها الصِّحاب لإطفاء نار الفتنة ، والتَّعامل برويَّة وحكمة ، وحين الحديث عن حادثة الإفك ، فالقول مُختلف ، إذ الخطب جلل ، زوجة خير البرايا – ﷺ– تُرمى في عرضها ، ومن اتُّهم بها من خيرة الصَّحب ، ففي هذه الحادثة ظهرت المعادن ، واتَّضحت الحقائق ، فصفوان – رضي الله عنه– لم يتوانى عن مُساعدة زوج النَّبي –ﷺ– ، ولم يُقدِّم راحة نفسه ، ولم يكن ليدع الهواجس أن تُلاحقه إذ احتملها، فهذه عائشة – رضي الله عنها– تروي بدء الحادثة فتقول : (كَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ [1] ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ يَدَهَا، فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ) [2] .

ثمَّ برز جليّاً حكمة ورويَّة بعض الصَّحب – رضي الله عنهم– ، وحُسن تعاملهم مع الخطب ، فهذا رسول الله –ﷺ– يُشاور أصحابه في أمر عائشة – رضي الله عنها– ، فأمَّا أُسَامَةُ فَقَالَ: "أَهْلُكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا"، وَقَالَتْ بَرِيرَةُ [3] – رضي الله عنها– :"إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ، فَتَأْكُلُهُ "[4] .

وأمَّا زوج رسول الله– ﷺ– زينب [1] – رضي الله عنها– ، فعلى الرَّغم مما يكون بين الضَّرائر من الغيرة والتنافس الشديد ، ورجاء الفوز بقلب الزَّوج ، وأيُّ زوجٍ هذا ؟! إنه خير البرِّيَّة جمعاء ، إلا أنها نزَّهت نفسها عن قول الباطل ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– يَسْأَلُ، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ»،

---

(١)صَفْوَانُ بنُ المُعَطَّلِ بنِ رَحَضَةَ بنِ المُؤَمَّلِ السُّلَمِيُّ ، المَذْكُوْرُ بالبَرَاءةِ مِنَ الإِفْكِ. مَاتَ بِسُمَيْسَاطَ ، فِي آخِرِ خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٥٤٥-٥٤٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الشهادات ، باب:تعديل النساء بعضهن بعضا ، رقم الحديث (٢٦٦١) (١٧٣/٣) ، واللفظ له ، ورواه مسلم ، كتاب:التوبة ، باب:في حديث الإفك...، رقم الحديث (٢٧٧٠) (٢١٢٩/٤).

(٣)بَرِيْرَةُ مَوْلاَةُ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةَ ، لَهَا حَدِيْثٌ عِنْدَ النَّسَائِيِّ. رَوَى عَنْهَا: عَبْدُ المَلِكِ بنُ مَرْوَانَ، وَغَيْرُهُ.قَدْ تَكَلَّمَ عَلَى حَدِيْثِهَا ابْنُ خُزَيْمَةَ وَغَيْرُهُ بِفَوَائِدَ جَمَّةٍ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٢٩٧-٢٩٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الشهادات ، باب:شهادة المختبي ، رقم الحديث (٢٦٣٧) (١٦٧/٣) ، واللفظ له ، ورواه مسلم ، كتاب:التوبة ، باب:في حديث الإفك...، رقم الحديث (٢٧٧٠) (٢١٢٩/٤).

(١)زَيْنَبُ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ بِنْتُ خُزَيْمَةَ بنِ الحَارِثِ بنِ عَبْدِ اللهِ الهِلاَلِيَّةُ ، فَتُدْعَى أَيْضاً: أُمَّ المَسَاكِيْنِ؛ لِكَثْرَةِ مَعْرُوْفِهَا أَيْضاً.قُتِلَ زَوْجُهَا عَبْدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ، فَتَزَوَّجَهَا رَسُوْلُ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؛ وَلَكِنْ لَمْ تَمْكُثْ عِنْدَهُ إِلاَّ شَهْرَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَتُوُفِّيَتْ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٢١٨).

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عائِشَة: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ"[1].

إنَّ المُجتمع الذي تربطه وشائج إخاء صادق ، وتُميِّزه إرادة رضى الخالق ، فلن يتأخر أو يتباطأ عن نُصرة أحد أفراده ، ولن يتركه يُصارع محنته بنفسه .

ولقد كان سلمان الفارسي [2] - ﷺ- رجلاً صادقاً في طلب الحق ، وبُغية الخير ، لحق برسول الله-ﷺ- بالمدينة، لكنَّ الرِّق الذي ابتُلي به لأجل اللحاق بالصَّادق المصدوق-ﷺ- منعه من الالتصاق الدَّائم بالنَّبي -ﷺ- ، وحرمه حضور عدة غزوات ، ممَّا جعل نبي الرَّحمة يُسارع لمساعدة صاحبه سلمان وفكاكه بالمُكاتبة ، إذ يحكي سلمان — ﷺ- فيقول: " قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ» فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ [3]، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً [4]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لِأَصْحَابِهِ: «أَعِينُوا أَخَاكُمْ» فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ: الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً [5]، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يَعْنِي:الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-: «اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ» قَالَ: فَفَقَّرْتُ لَهَا، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي... فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعَتَقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ "[1].

وهكذا دَأب الصِّحاب -رضي الله عنهم- على المسارعة لحلِّ المشكلات الدَّعويَّة ، والاتِّحاد ضد انحرافٍ لتقويمه ، حتَّى بعد وفاة النَّبي -ﷺ- ، فقد ظهرت بعد وفاته أولى الانحرافات : امتناع بعض المسلمين

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب:الشهادات، باب:تعديل النساء بعضهن بعضا، رقم الحديث (٢٦٦١) (١٧٣/٣) ، واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب:التوبة ، باب:في حديث الإفك...، رقم الحديث(٢٧٧٠) (٢١٢٩/٤).

(٢)هُوَ سَلْمَانُ ابْنُ الإِسْلاَمِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الفَارِسِيُّ، سَابِقُ الفُرْسِ إِلَى الإِسْلاَمِ.صَحِبَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَخَدَمَهُ، وَحَدَّثَ عَنْهُ. وَكَانَ لَبِيْباً، حَازِماً، مِنْ عُقَلاَءِ الرِّجَالِ، وَعُبَّادِهِم، وَنُبَلاَئِهِم. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠٥/١).

(٣)الفُقْرَةُ: حفرة يفقرها الإنسان تفقيراً لغرس فسيل (العين للفراهيدي ١٥٠/٥).

(٤)وزن من الأوزان يختلف مقداره من بلدٍ عربيّ إلى آخر (معجم اللغة العربية المعاصرة ١٣٩/١).

(٥)الوادي: فَسيل النَّخْل الذي يُقلَعُ للغرس، الواحدة وَدِيّة (العين للفراهيدي ٩٩/٨).

(١) رواه أحمد في مسنده ، كتاب:أحاديث رجال من أصحاب النبي ج ، باب:حديث سلمان ، رقم الحديث (٢٣٧٣٧) (١٤٠/٣٩) ، واللفظ له ، ورواه البزار في مسنده ، كتاب:مسند سلمان الفارسي ، باب:حديث سلمان، رقم الحديث (٢٥٠٠) (٤٦٢/٦) ، ورواه الطبراني في معجمه ، كتاب:السين ، باب:ما روى ابن عباس عن سلمان ، رقم الحديث (٦٠٦٥) (٢٢٢/٦) ، قال الألباني في سلسلته : (صحيح) وقال: (سنده جيد).

عن أداء الزَّكاة ، فعلى الرَّغم من شدة الموقف وتعقُّده إلا أنَّ الاشكال قد حُلّ ، والاتِّفاق تم ، بعد طلب المشورة والرأي ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ "، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ»[1].

وفي عهد الفاروق - رضي الله عنه- حلَّت بالمسلمين محنة ، ونزلت بهم نازلة ، إذ لَّما حلّوا بأرض الشام أتاهم نبأ الوباء الذي وقع بالشام ، فسارع الدَّاعية المحنك لجمع الأصحاب ومشاورتهم ، ومن ثمَّ اتّحاد الرأي وإصداره ، حماية للدَّعوة وأهلها ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ - رضي الله عنه- ، خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ [2] لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ [3] وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - وَكَانَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب:الاقتداء بسنن الرسول ج ، رقم الحديث (٧٢٨٤) (٩٣/٩) ، واللفظ له ، ورواه مسلم ، كتاب:الإيمان ، باب:الأمر بقتال الناس...، رقم الحديث (٢٠) (٥١/١).

(٢) مَوْضِعٌ مِنَ الشَّامِ قِيلَ : إِنَّهُ وَادِي تَبُوكَ، وَقِيلَ : بِقُرْبِ تَبُوكَ (لسان العرب لابن منظور ٤٣٤/٨).

(٣)أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ عَامِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ ، أَحَدُ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ، وَمَنْ عَزَمَ الصِّدِّيْقُ عَلَى تَوْلِيَتِهِ الخِلاَفَةَ، وَأَشَارَ بِهِ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ؛ لِكَمَالِ أَهْلِيَّتِهِ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ.يَجْتَمِعُ فِي النَّسَبِ هُوَ وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي فِهْرٍ.شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالجَنَّةِ، وَسَمَّاهُ: أَمِيْنَ الأُمَّةِ، وَمَنَاقِبُهُ شَهِيْرَةٌ جَمَّةٌ. (سير أعلام النبلاء ٥/١-٦).

مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ - فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ[1].

و لم يكن الصَّاحِبُ الحَيِّي عثمان - ﷺ- أقل استثماراً لهذا الصَّحب من صاحبيه ، فلمَّا توسَّعت الدَّولة الإسلاميَّة ظهر الخلاف في قراءة القرآن ، فما كان من الصَّحب إلا أن سارعوا إلى خليفتهم يُطالبونه أن يُسرع في إنهاء هذه المُشكلة ، فالتحم عدد من الصَّحب هذا يُوجِّه ، وهذا يُرسل ، وهذا ينسخ ، ومبدأ الحادثة أن " حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ [2] قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ [3]: «أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ [4]، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ [5]، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ [1] فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ "، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ" [2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الطب ، باب: ما يذكر في الطاعون ، رقم الحديث (٥٧٢٩) (١٣٠/٧).

(٢)حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ بنِ جَابِرٍ العَبْسِيُّ ، مِنْ نُجَبَاءِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ صَاحِبُ السِّرِّ ، حَلِيْفُ الأَنْصَارِ، مِنْ أَعْيَانِ المُهَاجِرِيْنَ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٦١/٢).

(٣)حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ العَدَوِيَّةُ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ ، السِّتْرُ الرَّفِيْعُ، بِنْتُ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ.تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا مِنْ خُنَيْسِ بنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، أَحَدِ المُهَاجِرِيْنَ، فِي سَنَةِ ثَلاَثٍ مِنَ الهِجْرَةِ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢٧/٢).

(٤)عَبْدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ بنِ خُوَيْلِدٍ الأَسَدِيُّ ، أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ،أَحَدُ الأَعْلاَمِ، وَلَدُ الحَوَارِيِّ الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، ابْنِ عَمَّةِ رَسُوْلِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَحَوَارِيِّهِ. كَانَ عَبْدُ اللهِ أَوَّلَ مَولُودٍ لِلْمُهَاجِرِينَ بِالمَدِيْنَةِ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٦٣/٣).

(٥)سَعِيْدُ بنُ العَاصِ بنِ أَبِي أُحَيْحَةَ الأُمَوِيُّ ، وَكَانَ أَمِيْراً، شَرِيْفاً، جَوَاداً، مُمَدَّحاً، حَلِيماً، وَقُوراً، ذَا حَزْمٍ وَعَقْلٍ، يَصْلُحُ لِلْخِلاَفَةِ.وَلِيَ إِمْرَةَ المَدِيْنَةِ غَيْرَ مَرَّةٍ لِمُعَاوِيَةَ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٤٤/٣-٤٤٥).

(١)عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ الحَارِثِ بنِ هِشَامٍ المَخْزُوْمِيُّ ، كَانَ أَبُوْهُ مِنَ الطُّلَقَاءِ، وَمِمَّنْ حَسُنَ إِسْلاَمُهُ.وَلاَ صُحْبَةَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، بَلْ لَهُ رُؤْيَةٌ، وَتِلْكَ صُحْبَةٌ مُقَيَّدَةٌ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٨٤/٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:فضائل القرآن ، باب:جمع القرآن ، رقم الحديث (٤٩٨٧) (١٨٣/٦).

فمما يجب أن يُدركه صحبُ الدُّعاة أنَّ (الطاعة من أهم مقومات توحيد الصف ، وجمع الشَّمل ومتانته ، حتى يكون كالبنيان المرصوص ، فالجميع متعاونون في حمل الأمانة ، وكل فرد منفذ لما هو مكلف به ، قائم بما أوكل إليه ، فتنبذ الخلافات التي تفرق القلوب وتصدع البناء)[1] .

إنَّ انجاز المُهمَّات ، والقضاء على المشكلات ، وعدم تضخيمها ، يحتاج إلى جماعة متَّحدة متَّفقة ، ومتى ما اتَّحدت القلوب رحل الغلّ ، ونَدُرَ تحاسد الأقران ، وكانت نُصرة دعوة الحق هي الهدف الأسمى المُتَّفق عليه.

(إن قيمة هذه الأعمال ستبقى فردية جزئية مؤقتة معرَّضة للتآكل والزوال حيال الاجتياح – الفكري والنفسي والحسي– والذي لا قبل لها به ، إن لم تكن متراصَّة متحدة مع سائر الجوانب والأجزاء ، من أجل تحقيق التغيير الإسلامي ، وإيجاد البيئة التي تتوافر فيها مقومات حياة ونماء هذه الجوانب التخصصية)[2] .

(لقد مكَّن الله لذي القرنين في الأرض كما أخبر بذلك – عزَّ وجل– **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [الكهف: ٨٤] ، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَيْ أَعْطَيْنَاهُ ملكا عظيما ممكنا فيه مِنْ جَمِيعِ مَا يُؤْتَى الْمُلُوكُ مِنَ التَّمْكِينِ وَالْجُنُودِ وَآلَاتِ الْحَرْبِ وَالْحِصَارَاتِ، وَلِهَذَا مَلِكَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ مِنَ الْأَرْضِ، وَدَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ، وَخَضَعَتْ لَهُ مُلُوكُ الْعِبَادِ، وَخَدَمَتْهُ الْأُمَمُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ)[3] .

وعلى الرُّغم من هذا التَّمكين فإنَّه لم يستغن عن الجماعية فقال: ﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[الكهف: ٩٥]، أعينوني من المعاونة ، وهي المظاهرة والمساعدة ، فهو يطلب أن يُساعدوه ويُمدوه بالقوة العضلية والمادية لعمل السد ، وكأنَّه يقول : عليّ القوة المالية ، وعليَّ القوة الفكرية ، وعليكم أنتم القوة المادية العملية ، فيجتمع ما عندي مع ما عندكم ، وبذلك يتم انجاز العمل)[1] .

---

(١) الرائد ، مازن الفريح (٢١٦/٣).

(٢) أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، فتحي يكن ، ص:٣٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١٧١/٥).

(١) الرائد ، مازن الفريح (٢٦٦/٢-٢٦٧).

إنَّ طريق الدَّعوة محفوف بالابتلاءات ، فمن سلكه لحقته البلايا التي تزيده مع صبره رفعة ومكانة عند ربه كما أوصى لقمان ابنه وهو يعظه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾[لقمان: ١٧].

فالدَّاعية ضعيف بنفسه ، قويٌّ بصحبته وإخوانه ، يُعاونوه على تحدِّي العقبات ، ويُذكِّروه بالثَّبات لأجل الله وحده ، فينفض غبار الأوهام ، ويهبّ مرحِّباً بالبلاء لأجل الله ، لأنَّه يوقن أن ثبات الدَّاعية ليس كثبات غيره، ونكوصه كذلك ليس كنكوص غيره ، ففي محنة خلق القرآن ، حينما ابتلي ابن حنبل – رَحِمَهُ اللَّهُ– على ثباته على قول أنَّ القرآن ليس بمخلوق ، فَزَع إليه أَبُو جَعْفَرٍ الأَنْبَارِيَّ لينصره ، فهو يحكي ليُعلِّم صحب الدُّعاة درساً في نصرة الحق ، والثبات ضد الباطل ، يقول :(لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ إِلَى المَأْمُوْنِ، أُخبرتُ، فَعَبَرْتُ الفُرَاتَ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الخَانِ، فَسَلَّمتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، تَعَيَّنْتَ.فَقُلْتُ: يَا هَذَا، أَنْتَ اليَوْمَ رَأْسٌ، وَالنَّاسُ يَقتدُوْنَ بِكَ، فَوَ اللهِ لَئِنْ أَجبتَ إِلَى خَلقِ القُرْآنِ، لَيُجِيْبَنَّ خَلقٌ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُجِبْ، لَيَمْتَنِعَنَّ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيْرٌ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الرَّجُلَ إِنْ لَمْ يَقْتُلْكَ فَإِنَّك تَمُوتُ، لاَبُدَّ مِنَ المَوْتِ، فَاتَّقِ اللهَ وَلاَ تُجِبْ.فَجَعَلَ أَحْمَدُ يَبْكِي، وَيَقُوْلُ: مَا شَاءَ اللهُ.ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، أَعِدْ عَلَيَّ.فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَقُوْلُ: مَا شَاءَ اللهُ)[1].

لقد كان لوقوف أبي جعفر مع أخيه عظيم الأثر ، إذ ثبت الإمام – رَحِمَهُ اللَّهُ– على قول الحق ، ونصر الله به دعوة الحق.

إنَّ نظرة سريعة في حال أمَّتنا تستدعي أن تشيع روح الإخاء بين الدُّعاة ، وتعزز الصُّحبة بينهم ، نصرة للحق ، فـــ (الأمة الإسلامية مثخنة بالجراح ، والتَّصارع يزيد هذه الجراح ، ويؤخر شفاءها ، لأنه يُبدد الطّاقات ، ويُلجئنا إلى الاستقطاب الدُّولي ، فلا نتخطّى نحو المستقبل ونحن آمنون مطمئنون ، ولكننا في ظل كتاب الله وشرعه الذي يجعلنا إخوة متحابين ، نستطيع أن نُمد الأمة بترياق الشفاء ، ونسير بها نحو المستقبل ونحن آمنون مطمئنون ، ولن يتم ذلك بغير استمرار البناء ، وبغير الصَّبر على مشقَّات السير في الطَّريق ، وإن تجشّمنا الصعوبات ، وبذلنا في سبيل ذلك ما نستطيعه من تضحيات ، لنجني ثمرة غرسنا أمناً ورغداً واطمئناناً ...، فمن استطال الطَّريق ضعف مشيه ، وإنَّما يقطع الطريق ويصل المُسافر بلزوم الجادَّة وسير الليل)[1].

(١) سير أعلام النبلاء ، أبوعبدالله الذهبي (١٣٩/١١).

(١) رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين (٥٢٣/١).

وبعد تفصيل الحديث عن سرعة مواجهة المشكلات وتذليل العقبات كأثر من أبرز آثار الصحبة بين الدعاة إلى الله تعالى ، أختم الفصل الأول بالحديث عن زيادة فرص الإبداع في العمل الدعوي كأثر أخير لتلك الصحبة المباركة.

الْمَطْلَب السَّادِس: زِيادَةُ فُرَصِ الْإِبْدَاعِ فِي الْعَمَلِ الدَّعَوِي.

إنَّ وجود التَّناحر بين الدُّعاة ، وتصاعد الاختلاف المذموم في صفوفهم من أعظم أسباب تشتيت القدرات ، وتبديد الطاقات ، ودفن المواهب ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فـــ (النِّزَاعَ يُوجِبُ حُصُولَ الْفَشَلِ وَالضَّعْفِ)[1] ، و (الِاخْتِلَافَ وَالتَّنَازُعَ مَدْعَاةُ الْفَشَلِ، وَهُوَ الْخَيْبَةُ وَالنُّكُولُ عَنْ إِمْضَاءِ الْأَمْرِ ، وَمِنْ ثَمَّ تَذْهَبُ الْقُوَّة ، وَتَرْتَخِي أَعْصَابُ الشِّدَّةِ فَيَظْهَرُ الْعَدُوّ)[2] .

فإذا ما اشتعل الخلاف اتَّجه أهل الحكمة منهم لإصلاح ذات البين ، وبذلوا الجهود ، وهم محمودون في فعلهم ، لكن تضيع الجهود ما بين خلافٍ وإصلاح ، وكُلَّما زادت حدَّة الخلاف عظُمت معها الخسائر ، وزاد الانشغال عن المُهمَّة الأسمى وهي نشر دعوة الحق ، ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت: ٣٣].

إنَّ إشاعة معاني الصُّحبة بين جمع الدُّعاة يُضعف ويُضيِّق الخلافات ، بل ويؤدي إلى توادّ القلوب ، وتقارب النُّفوس ، واتِّحاد الجهود ، فإذا ما اتَّحدت الجهود ، تبادلوا الخبرات، ووظَّفوا الملكات ، وكان للإبداع فُرَصاً رحبة في العمل الدَّعوي.

لقد استطاع النَّبي – ﷺ– أن يستخرج أفضل ما في نفوس أصحابه، ساعدهم وأعانهم على إخراج أفضل ما لديهم ، ومن ثمَّ كان الإبداع حليف العمل الدَّعوي.

والنَّاظر في السيرة النَّبويَّة يجد أنَّها مملوءة بصورٍ من الإبداع في العمل الدَّعوي ، فهذا سلمان الفارسي – رضي الله عنه– لَّما رأى تكالب الأعداء في غزوة الخندق أشار على النَّبي ﷺ بحفر الخندق[3] ، فأتى بأمرٍ لم يعهده العرب من قبل في الجزيرة ، و لم يمنعه الخجل من أن يُشير على من يتنزَّل عليه الوحي بما يراه مناسباً ، لأنَّ الصُّحبة أسقطت حواجز التَّكلف لتستخرج أفضل ما في النُّفوس نَفْعاً لهذا الدِّين، ونصرة لهذه الدَّعوة .

(١) مفاتيح الغيب ، أبوعبدالله الرازي (٤٨٩/١٥) .

(٢) تفسير المنار ، محمد رضا (٢٣/١٠) .

(٣) البداية والنهاية ، ابن كثير (١٠٩/٤) .

وهذه امرأة من الأنصار تأتي لرسول الله -ﷺ- فتقول :" يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لِي غُلاَمًا نَجَّارًا" قَالَ - ﷺ-: «إِنْ شِئْتِ»، فَعَمِلَتْ لَهُ المِنْبَرَ[1] ، ولم يكن المنبر أمراً معهوداً آنذاك .

أمَّا الفاروق - رضي الله عنه- فقد كان مُترف الإبداع ، كرَّس جهده كلَّه لنصرة هذا الدِّين ، وكان خير صاحبٍ لخيرة الأصحاب ، لازم النبي -ﷺ- حتى غدا كظله ، حتَّى ألف الصحابة قول النَّبي -ﷺ- الدَّائم : «ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ»[2] ، فكانت هذه الصِّحبة مُثمرة أيَّما إثمار ، فلقد أعمل - رضي الله عنه- عقله وفكره نُصرة لدعوة الحقِّ ، حتى كان ممَّا وفَّقه الله به أن وافق رأيه القرآن ، وها هو - رضي الله عنه- يحكي فيقول -رضي الله عنه-: " وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ:﴿ **وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ﴾[البقرة: ١٢٥] وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ)، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ "[3] ، وفي رواية مسلم زاد :

" وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ"[4] .

وفي عهده كانت فُرَص الإبداع مُفَعَّلة ، حيثُ كان - رضي الله عنه- أوَّل من نُودي بأمير المؤمنين ، وأول من حياهُ بها المغيرة بن شعبة[5] - رضي الله عنه-.

وكان - رضي الله عنه- أوَّل من دون الدواوين[6] [1]، وأوَّل من وضع التَّاريخ بالهجرة [2]، وكان له من الأعمال التي لم يسبق إليه أحداً إليها.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:البيوع ، باب:النجار ، رقم الحديث (٢٠٩٥) (٦١/٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:أصحاب النبي ج ، باب:مناقب عمر...، رقم الحديث (٣٦٨٥) (١١/٥) ، واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:فضائل الصحابة ، باب:من فضائل عمر ، رقم الحديث (٢٣٨٩) (١٨٥٨/٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الصلاة ، باب:ماجاء في القبلة...، رقم الحديث (٤٠٢) (٨٩/١) ، واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:فضائل الصحابة ، باب:من فضائل عمر ، رقم الحديث (٢٣٩٩) (١٨٦٥/٤).

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:فضائل الصحابة ، باب:من فضائل عمر ، رقم الحديث (٢٣٩٩) (١٨٦٥/٤).

(٥) سير أعلام النبلاء ، أبوعبدالله الذهبي ، المقدمة ، ص:٧٩.

(٦) المرجع السابق ، ص:٨٠.

وهكذا هُم صُحبة الدُّعاة ، اجتمعوا واتَّحدوا نُصرة للحق ، فأخرجوا بتوفيق الله أفضل ما لديهم ، وأبرزوا خيرة قُدراتهم ، ففُعِّل الإبداع في ميدان العمل الدَّعوي.

(من أهم ما يجب أن تُركز عليه الحركة الإسلامية في خطتها القادمة : ضرورة التوجه والتوجيه لإعداد متخصصين في جوانب الحياة كافة ، فنحن في عصر التخصص بل التخصص الدقيق ، ولسنا في عصر العباقرة الموسوعيين الذين يعرفون كل فن ، ويفتون في كل علم.

إن الذكاء وحده لا يكفي ، والمواهب وحدها لا تكفي ، لا بد من الدراسة العلمية المتخصصة القادرة على أن تُساير العصر ، وتُلبي الحاجة ، وتُتقن العمل الذي أسند إليها وفي الحديث: " إنَّ الله كَتَب الإِحْسَان على كُلِّ شيء" ، وهذا الإحسان لا يتم في عصرنا إلا بالتَّخصص ، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب) [٣] .

فإذا ما اجتمع دعاة مختلفي التَّخصصات ، مميَّزي القدرات ، تحت مظلَّة صُحبة صادقة، وكان همَّهم الأكبر نُصرة دعوة الحقَّ ، ستجني حينها الدَّعوة ثروات عظيمة ، وخيرات كثيرة ، فليت الدُّعاة يتنبّهوا لأهميتها ، ولأن يكونوا قدوة نيِّرة بتحابهم ، وحُسن إخائهم ، وصدق صُحبتهم ، فإذا ما حصل هذا ، كانت صُحبتهم بحدِّ ذاتها دعوة وقُدوة ، ويكفي الدُّعاة أن يستقرؤا سيرة المصطفى -ﷺ- وسير خير القرون من بعده ليستلهموا ضرورة إشاعة الإخاء ، وتثبيت أمر الصُّحبة بينهم ، فيا داعية الحقّ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[الأنعام: ٩٠].

وبعد تفصيل معالم صحبة الدعاة إلى الله تعالى ، وبيان أهم ضوابط تلك الصحبة ، ثم ختام الفصل بأبرز آثار تلك الصحبة الخيِّرة ، أنتقل بعدها إلى الفصل الثاني وتفصيل الحديث عن الصحبة بين الدعاة والمدعوين وأثره على الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١)دوَّن الدِّيوانَ: أنشأه "عمر بن الخطاب أوّل من دوَّن الدواوين: رتَّب الصُّحفَ يكتب فيها أهل الجنديَّة وأهل العطيَّة والعمَّال وسواهم (معجم اللغة العربية المعاصرة ٧٩١/١).

(٢) المستدرك على الصحيحين ، أبوعبدالله الحاكم ، رقم (٤٢٨٧) (١٥/٣).

(٣) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ، يوسف القرضاوي ، ص:١٧٤-١٧٥.

الفصل الثاني:

الصحبة بين الدعاة والمدعوين وأثرها في الدعوة إلى الله.

ويحتوي على مبحثين :

- ✓ المبحث الأول: الصحبة بين الدعاة والمدعوين؛ معالمها، وضوابطها.
- ✓ المبحث الثاني اثر الصحبة بين الدعاة والمدعوين على الدعوة.

الْمَبْحَث الأَوَّل: الصُّحْبَةُ بَيْنَ الدُّعَاةِ والمَدْعُوِّيْن مَعَالِمُها ، وَضَوَابِطِها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : معالم الصحبة بين الدعاة والمدعوين

المطلب الثاني : ضوابط الصحبة بين الدعاة والمدعوين

الْمَبْحَث الأَوَّل: الصُّحْبَةُ بَيْنَ الدُّعَاةِ والمَدْعُوِّيْن مَعَالِمُها ، وَضَوَابِطِها.

إنَّ مخالطة عامة الناس ، ومشاركتهم تفاصيل حياتهم أمر يلزم الداعية القيام به ، ليبقى على بصيرة من الأمر ، فيعرف ما أحوال الناس ؟ وما مشاكلهم ؟ وما الوسائل والأساليب الأكثر تأثيراً فيهم؟.

إنَّ بقاء الداعية بمعزل عن عامة الناس ، واقتصاره على المحيط الداخلي للدعوة ، يجعله بعيداً عن واقعهم ، ومعاناتهم ، ومشاكلهم ، فلا تكون دعوته ذات تأثير فيهم ، ولا ذات قبول ، بل باردة مغيبة عن واقعهم ، لا تجد لها آذاناً تصغي .

وفي الحديث : " الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ "[1].

فخلطة الداعية للناس ، ومشاركته لهم حياتهم ، ومؤازرتهم في مشاكلهم ، وقضاء حوائجهم له أعظم الأثر في نفوسهم .

وصحبة الداعية للمدعوين كما أنها تفيد الداعية ليبقى مطلعاً دوماً على واقع الناس وما يعانونه ، فإنها أيضاً تُنمي في نفس المدعو المعاني السامية ، وتترك أعظم الأثر بإذن الله تعالى .

(١) رواه أحمد في مسنده ، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند عبدالله بن عمر ، رقم الحديث (٥٠٢٢) (٦٤/٩) ، ورواه ابن ماجه في سننه ، كتاب:الفتن ، باب:الصبر على البلاء ، رقم الحديث (٤٠٣٢) (١٣٣٨/٢) ، ورواه ابن أبي شيبه في مسنده ، ماورواه رافع بن خديج ، رقم الحديث (٩٦٥) (٤٢٥/٢) ، قال الألباني في سلسلته (صحيح).

الْمَطْلَبُ الأَوَّل : مَعَالِمُ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْن .

إن معالم وآثار صحبة الدعاة بين بعضهم وبينهم والمدعوين تكاد تكون متشابهة ومتقاربة ، إلا أن بينها عموم وخصوص ، إذ الأخوة والتحاب في الله أصل مشترك تجتمع فيه الكثير من الحقوق والواجبات ومن ثمَّ المعالم ، إلا أنَّه في صحبة المدعوين يعظم ثقل الواجبات على الدعاة ، ويتوجب أن يزداد فيها عطاؤهم ، بغية هدايتهم وإصلاحهم ، وإعدادهم لحمل الدعوة الحق.

ومتى ما كانت الصحبة بينهم والمدعوين على ضوابط مرسومة ، وأهداف واضحة أثمرت وآتت ثماراً حسنة ، ومع الصبر والصدق في البذل من الدعاة لصحبهم المدعوين ، فيُصبح – بإذن الله – المدعو داعية ، ويُصبح العطاء متبادلاً بينهم .

فللصحبة بين الدعاة والمدعوين معالم تتميَّز بها عن صحبة الدعاة بعضهم البعض ، وفيما يلي بعضاً منها ، أبسطها في هذا المطلب وفيه مسائل .

الْمَسْأَلَةُ الْأُوْلَى : التَّعْلِيْم .

أَوَّلاً : تَعْرِيْفُ التَّعْلِيْم :

أ- التَّعْلِيْمُ لُغَةً :

قيل : (الْعَيْنُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ... وَالْعِلْمُ: نَقِيضُ الْجَهْلِ...، وَتَعَلَّمْتُ الشَّيْءَ، إِذَا أَخَذْتُ عِلْمَهُ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: تَعَلَّمْ أَنَّهُ كَانَ كَذَا، بِمَعْنَى: أعْلَمْ)[1] .

وقيل : (" عَلَّمَ " معناه : عَرَّفَ)[2] .

ب- التَّعْلِيْمُ اصْطِلاحاً:

قيل هو : (فرع من التَّربية يتعلّق بطرق تدريس الطلاب أنواع المعارف والعلوم والفنون)[3] .

فالتَّعْلِيْمُ كَمَعْلَمٍ مِنْ مَعَالِمِ الْصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالمَدْعُوِّيْنَ يعني : تدريس الداعية للمدعو من أنواع المعارف والعلوم والفنون .

ثَانياً : التَّعْلِيْمُ مِنْ مَعَالِمِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْن :

(الْعِلْمُ هُوَ تَرِكَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُرَاثُهُمْ ، وَأَهْلُهُ عُصْبَتُهُمْ وَوُرَّاثُهُمْ، وَهُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَرِيَاضُ الْعُقُولِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، وَأَنَسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ، وَدَلِيلُ الْمُتَحَيِّرِينَ، وَهُوَ الْمِيزَانُ الَّذِي بِهِ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ وَالْأَحْوَالُ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ.بِهِ يُعْرَفُ اللَّهُ وَيُعْبَدُ، وَيُذْكَرُ وَيُوَحَّدُ، وَيُحْمَدُ وَيُمَجَّدُ. وَبِهِ اهْتَدَى إِلَيْهِ السَّالِكُونَ. وَمِنْ طَرِيقِهِ وَصَلَ إِلَيْهِ الْوَاصِلُونَ. وَمِنْ بَابِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاصِدُونَ. بِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ وَالْأَحْكَامُ، وَيَتَمَيَّزُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ. وَبِهِ تُوصَلُ الْأَرْحَامُ ، وَبِهِ تُعْرَفُ مَرَاضِي الْحَبِيبِ، وَبِمَعْرِفَتِهَا وَمُتَابَعَتِهَا يُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ.وَهُوَ إِمَامٌ، وَالْعَمَلُ مَأْمُومٌ. وَهُوَ قَائِدٌ، وَالْعَمَلُ تَابِعٌ. وَهُوَ الصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ وَالْمُحَدِّثُ فِي

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٤/١١٠-١١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله القرطبي (١/٢٧٩).

(٣) معجم اللغة المعاصرة ، أحمد عمر (٢/١٥٤٢).

الْخَلْوَةِ، وَالْأَنِيسُ فِي الْوَحْشَةِ. وَالْكَاشِفُ عَنِ الشُّبْهَةِ. وَالْغِنَى الَّذِي لَا فَقْرَ عَلَى مَنْ ظَفِرَ بِكَنْزِهِ. وَالْكَنَفُ الَّذِي لَا ضَيْعَةَ عَلَى مَنْ آوَى إِلَى حِرْزِهِ.مُذَكَرَاتُهُ تَسْبِيحٌ. وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ. وَطَلَبُهُ قُرْبَةٌ. وَبَذْلُهُ صَدَقَةٌ. وَمُدَارَسَتُهُ تَعْدِلُ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ. وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْهَا إِلَى الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ)[1] .

إنَّ الداعية المُبارك دَرَج في دروب العلم ، أنِسَ بها وأَحبَّها ، لا يأنس إلا في رياضها ، يطلبها ويتتبَّعها ، لا يمنعه عنها مشاغل الدنيا وملهياتها .

لقد عمرت نفس الداعية بالشَّغف بالعلم الشرعي ، والطمع في الاستزادة منه ، والتَّلذذ بمجالسه ، ومجالسة أهله ، ومسامرتهم على لطائف العلم وفوائده.

يحذو بهمَّته حذو سلفٍ صالحٍ مُبارك ، يرى في ابن مسعود – ﷺ– مثلاً سامياً ، وقُدوة يجب أن يُحتذى بها ، فقد أخبر عبدالله بن مسعود – ﷺ– قائلاً :«وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»[2] .

وإذا ما عُوتب الدَّاعية النَّاصح على همه ، وطُلب منه الكفُّ والاقتناع بما رُزق من علم ، ردَّد بيقين ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨] ، يبتغي بتزوُّده العلوَّ في المنازل ، والفوز بالرضوان.

قال الماوردي – رحمه الله–:(فَيَنْبَغِي لِمَنْ زَهِدَ فِي الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ رَاغِبًا وَلِمَنْ رَغِبَ فِيهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ طَالِبًا، وَلِمَنْ طَلَبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مُسْتَكْثِرًا، وَلِمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ بِهِ عَامِلًا، وَلَا يَطْلُبُ لِتَرْكِهِ احْتِجَاجًا وَلَا لِلتَّقْصِيرِ فِيهِ عُذْرًا)[3] .

ولكنَّ شغف الدَّاعية بالعلم وطمعه للاستزادة لا يمنعه من تعليم صحبه من المدعوين ، بل يُسارع لتعليمهم كُلَّ ما يرى أنه يدفعهم لمراقي الرضوان.

يمتثل أمر باريه بتعليم صحبه الحكمة والخير ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٢/٤٣٩-٤٤٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:فضائل القرآن ، باب:القراء من أصحاب النبي ج ، رقم الحديث (٥٠٠٢) (٦/١٨٧).

(٣) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٥٠.

قَالَ مُجَاهِدٌ[1] - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (هُمْ الَّذِينَ يُرَبُّونَ النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ ، فَهُمْ أَهْلُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْإِخْبَارُ ، يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ أَخْبَرَ بِالْعِلْمِ وَرَوَاهُ عَنْ غَيْرِهِ وَحَدَّثَ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْ أَوْ يَنْهَ) وعَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: (هُمْ الَّذِينَ يُغَذُّونَ النَّاس بِالْحِكْمَةِ وَيُرَبُّونَهُمْ عَلَيْهَا) ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: " هُمْ الْفُقَهَاءُ الْمُعَلِّمُونَ"[2] .

وعَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» [3] .

(فَمِنْ آدَابِ الْدُّعاةِ أَنْ لَا يَبْخَلُوا بِتَعْلِيمِ مَا يُحْسِنُونَ ، وَلَا يَمْتَنِعُوا مِنْ إِفَادَةِ مَا يَعْلَمُونَ، فَإِنَّ الْبُخْلَ بِهِ لَوْمٌ وَظُلْمٌ، وَالْمَنْعُ مِنْهُ حَسَدٌ وَإِثْمٌ ، وَكَيْفَ يَسُوغُ لَهُمْ الْبُخْلُ بِمَا مُنِحُوهُ جُودًا مِنْ غَيْرِ بُخْلٍ، وَأُوتُوهُ عَفْوًا[4] مِنْ غَيْرِ بَذْلٍ. أَمْ كَيْفَ يَجُوزُ لَهُمْ الشُّحُّ بِمَا إنْ بَذَلُوهُ زَادَ وَنَمَا، وَإِنْ كَتَمُوهُ تَنَاقَصَ وَوَهِيَ[5] .

وَلَوْ اسْتَنَّ بِذَلِكَ مَنْ تَقَدَّمَهُمْ لَمَا وَصَلَ الْعِلْمُ إلَيْهِمْ وَلَانْقَرَضَ عَنْهُمْ بِانْقِرَاضِهِمْ، وَلَصَارُوا عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ جُهَّالًا، وَبِتَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ وَتَنَاقُصِهَا أَرْذَالًا)[6] .

ولقد كان النَّبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُحفِّزُ صحبه إلى طلب العلم ، ويدعوهم إلى السَّبق في ميادينه، فإذا ما جاءه طالب راغب في العلم رحَّب به ، ودعا له بالخير ، فهذا صَفْوَانُ بْنُ عَسَّالٍ الْمُرَادِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم (٢١ - ١٠٤ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٢ م) تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقل في الأسفار (سير أعلام النبلاء للذهبي٤/٤٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (١/٦٢-٦٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:العلم ، باب:فضل من علم وعلم ، رقم الحديث (٧٩) (١/٢٧) ، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب:الفضائل ، باب:مثل مابعث به النبي...، رقم الحديث (٢٢٨٢) (٤/١٧٨٧).

(٤) عفواً : فضلاً ومجاناً بلا بدل (لسان العرب لابن منظور١٥/٧٤).

(٥) وهي : ضَعِف (جمهرة اللغة لابن دريد٢/٩٩٨).

(٦) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٩١.

يروي حرص النَّبي -ﷺ- على تعليم أصحابه الخير إذ يقول : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بُرْدٍ لَهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: " مَرْحَبًا بطالب الْعِلْمِ، طَالِبُ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ "[(١)] .

إنَّ تعليم الدَّاعية لصحبه من المدعوين العلوم الشَّرعية ، وتفقيههم في دينهم ، فيه إحياء لنفوسهم ، وإنارة لبصائرهم ، حري بكل داعية ألا يغفل عنه.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللهُ-: (النَّاسُ إِلَى الْعِلْمِ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، لِأَنَّ الرَّجُلَ يَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَحَاجَتُهُ إِلَى الْعِلْمِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِهِ)[(٢)] .

(إن العلم الشرعي هو الأساس الذي يبني العقل ، ويوسِّع المدارك ، ويُربي الخُلُق ، وماظهرت الغثائية في بعض الحركات الإسلامية ، وانتشرت الهشاشة الفكرية إلا بعد أن هُجر العلم الشرعي ، وأصبح عند بعضهم مجرد ترف كمالي ، يصرفهم عنه أدنى صارف من الصوارف)[(٣)] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

(إن العلم خط من خطوط تكوين الشخصية الإسلامية ، فالعلم يسعى إلى إنارة العقل بالحق ، وتوضيح الخطوط الشرعية والاعتقادية لصحة سير الشخصية الإسلامية إذ لا عمل بدون علم ، كما يسعى العلم إلى صقل العقلية الإسلامية وضبطها ضبطاً محكماً جيداً متزناً...، فالشخصية الإسلامية تحتاج إلى العلم حاجة شديدة ...فبدون العلم بجوانب الثقافة الإسلامية والشرعية وأصولها تبقى الشخصية معرضة للانحراف أو الخطأ والزلل الفكري والنظري والعملي)[(٤)] .

---

(١) رواه الطبراني في معجمه ، كتاب:الصاد ، باب:صفوان بن عسال ، رقم الحديث (٧٣٤٧) (٥٤/٨) ، واللفظ له، ورواه ابن عبدالبر في جامعه ، باب:ذكر حديث صفوان بن عسال في فضل العلم ، رقم الحديث (١٦٢) (١٥٥/١) ، وقال الألباني في سلسلته في سلسلته الصحيحة (هذا إسناد حسن، رجاله ثقات رجال "الصحيح "، وفي بعضهم كلام لا يضر) (١١٧٦/٧).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٤٤٠/٢).

(٣) في البناء الدعوي المجموعة الثانية ، أحمد الصويان ، مجلة البيان ١٤٣٣ ، ص:٩٢.

(٤) رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين (٢١١/١).

إنَّ إعداد المدعو علمياً ، وتهيئته بالعلم النَّافع من أقوى الأسلحة التي تُعينه على الثبات على الحق ، وتدفعه إلى الصَّلاح ، ومن ثمَّ إلى الإصلاح ونشر الخير.

قال بعض السَّلف : (كُلُّ حَالٍ لَا يَكُونُ عَنْ نَتِيجَةِ عِلْمٍ فَإِنَّ ضَرَرَهُ عَلَى صَاحِبِهِ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ)[1] .

(فيجب تذكير الدُّعاة بضرورة ربط المدعوين بالعلماء الربانيين ، وتقوية صلتهم بهم ، والعمل الجاد على رعاية طلاب العلم وبنائهم ، ولعل المناخ العلمي المتكامل الذي يتحرك فيه الدُّعاة ، ويتربى فيه المصلحون ، هو المنطلق الصحيح لسلامة المسيرة ، وإن مما يُؤسف كثيراً تقصير بعض الدعاة في البناء العلمي لمن التصقوا بهم من المدعوِّين ، وجعل ذلك في آخر الاهتمامات ، بل ازدراءه في بعض الأحيان ، والتهوين من شأنه .

وإذا أردت أن تدرك مترلة أي دعوة ، فانظر إلى مترلة العلماء فيها ، فما حصل الخلل والاضطراب في مواقف بعض الدعاة إلا حينما حصل الانفصال بين العلم والتربية الدَّعوية)[2] .

لقد كان نشر العلم مُهمَّة الدُّعاة الأُوَل ، لم تمنعهم التَّكاليف التي وُكِّلوا بها أن يخُصُّوا نشر العلم بمزيد عناية ، وفائق اهتمام ، وكأن حالهم يحكي :"الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا"[3] .

وكان النَّبي -ﷺ- يتولَّى تعليم صَحبه بنفسه ، ويُرشِّح الأكفاء منهم لتعليم إخوانهم ، فقد قَدَّمَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ -رضي الله عنه- إلى المَدِيْنَةَ لِيُعَلِّمُ النَّاسَ[4] ، ومعاذ بن جبل -رضي الله عنه- أرسله النَّبي -ﷺ- معلماً إلى اليمن.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٤٣٨/٢).

(٢) في البناء الدعوي المجموعة الثانية ، أحمد الصويان ، ص:٩٥.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه ، كتاب:الزهد ، باب:مثل الدنيا ، رقم الحديث (٤١١٢) (٢٣١/٥) ، واللفظ له ، ورواه الترمذي في سننه ، كتاب:الزهد ، رقم الحديث (٢٣٢٢) (١٣٩/٤) ، وقال (حديث حسن غريب) ، وقال الأرنؤوط في تحقيقه سنن ابن ماجه (حديث حسن) ، وأورده الألباني في سلسلته الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (٢٧٩٧) (٧٠٣/٦).

(٤) سير أعلام النبلاء ، أبوعبدالله الذهبي (٢٥٣/١).

وهكذا كان نهج صحبه من بعده ، يُولون التَّعليم أعظم عناية ، ويبعثون من تأهَّل منهم لنشره ، وبثِّه بين صَحْبِهم والنَّاس ، فعَنْ أَنَسٍ – ﷺ–: " بَعَثَنِي الأَشْعَرِيُّ – ﷺ– إِلَى عُمَرَ – ﷺ–، فَقَالَ لِي: كَيْفَ تَرَكْتَ الأَشْعَرِيَّ؟ قُلْتُ: تَرَكْتُهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ القُرْآنَ "[1].

(ولا تكفي مدارسة الكتب الفكرية المعاصرة التي جمعت أنواعاً من الصواب ، وإنما يكون أيضاً تعويد الدعاة الصَّاعدين على الرجوع إلى مصادر العلم الشرعي الكبرى ، فيُعوَّد على طول لبثٍ مع صحيح البخاري ، وتفسير القرآن مما كتبه الأئمة مثل تفسير ابن كثير ، ومختصر الفقه على أي مذهب كان ، فإن مطالعته لهذه الكتب تجعله صاحب حذر واحتياط في أمره الديني ، وتمنعه أن يتساهل ، ويُستحسن عقد مجالس علم لشرح هذه الأصول.

ويدخل في هذا البعد التأصيلي ذكر سِير الفقهاء والزهاد وكبار المجاهدين عبر التَّاريخ الإسلامي ، ثمَّ يكون سِير الدُّعاة المعاصرين)[2].

إن تعليم الدُّعاة لصحبهم من المدعوين لا يُعدونه مكرمة منهم ، أو فضلاً يسدونهم لصحبهم ، بل يعتبرونه واجباً يلزمهم القيام به ، ويأبون أن يُقصِّروا في تقديمه ، ومن كرم أخلاقهم أنَّهم يُعدون صحبهم المدعوين هم أهل الفضل والشُّكر إذ مكَّنوهم من بذل الخير لهم.

قال ابن القيم – ﷺ–: (أَنْفَع النَّاس لَك رجل مكّنك من نَفسه حَتَّى تزرع فِيهِ خيرا، أَو تصنع إِلَيْهِ مَعْرُوفا ، فَإِنَّهُ نعم العون لَك على منفعتك وكمالك، فانتفاعك بِهِ فِي الْحَقِيقَة مثل انتفاعه بك أَو أَكثر ، وأضر النَّاس عَلَيْك من مكّن نَفسه مِنْك حَتَّى تَعْصِي الله فِيهِ فَإِنَّهُ عون لَك على مضرّتك ونقصك)[3].

إنَّ حرص الدُّعاة على تعليم صحبهم من المدعوين الخير لم يكن مُجرَّد حُب الخير لصحبهم، لكنهم يعلمون أن بتعليمهم نصرة للدَّعوة، ورفعة لهذه الأمة، وسبيلاً للتَّمكين لها.

(إنَّ العوامل التي تؤدي إلى الظفر بقيادة الشعوب ، وبسط السيادة على العالم من استقراء التَّاريخ إنَّما هي المعارف والعلوم ، ولهذا السبب وحده استحق الإنسان الخلافة في هذه الأرض ، وأن

(١) المرجع السابق (٢/٣٩٠).

(٢) منهجية التربية الدعوية ، محمد الراشد ، ص:٥٥-٥٦.

(٣) الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، ص:١٩٢.

تُهيَّأ له أسباب السيطرة على المخلوقات كافة ، ومن بين النوع البشري نفسه فازت بالزعامة تلك الفئة التي استطاعت التَّفوق على غيرها ، وإحراز قصب السَّبق في ميدان العلم)[1] .

ولإهمال تعليم الدُّعاة لصحبهم العلم الشَّرعي ، ولعدم دفعهم إلى دروب العلم آثار وعواقب سيئة ، (ففي الدائرة الإسلامية نمط من الناس يهتم بصفاء روحه ونقاء نفسه ، ومستوى تعبده – على مقدار خبرته– جيد ، ولديه طيبة تتصل في بعض الأحيان بطرق من الغفلة التي تصل إلى حدِّ السذاجة ، وكثير من هؤلاء – إن لم نقل أكثرهم– يأخذون عن داعية تقاليداً وطرقاً في التَّعبد ، ويحفظون عن ظهر قلب مقولات يسيرون في ظلال دلالاتها وكأنها مفردات دستور ، لا يمكن إدخال أي تعديل على أيَّة مادة من مواده . ومشكلتهم أنهم كثيراً ما يفقدون التوازن ، ونصاب الحد الأدنى من التوزيع لاهتماماتهم وأنشطتهم ، وينظرون إلى الأقوال المأثورة عن شيوخهم وأسلافهم على أنها أدوات لفهم كل الأوضاع ، والتعامل مع كل تحديات العصور)[2] .

وتعليم الدَّاعية لصحبه من المدعوين يتَّسِمُ بالتَّدرج ، وتقديم الأهم فالمهم ، (فعلى الداعية ألا يمتنع عن تعليم أحدٍ منهم علماً إذا أنس منه الفهم ، وأن يتدرج معه في تفهيمه ، وأن يذكر له قواعد الفن وضوابطه التي لا تخرجه مطلقاً أو غالباً مع مستثنياتها إن كانت موجودة ، وأن يبدأ بعد ذلك بالأمور المتفرعة عن تلك القواعد ، فيصور له المسألة ثم يوضحها بالأمثلة والشواهد ليقربها إلى ذهن المدعو)[3] .

وأولى العلوم التي يبتدئ بها الدَّاعية تعليم الكتاب العزيز ، (فطلب العلم درجات ومناقل ورُتَب لا ينبغي تعديها ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف –رحمهم الله– ، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل، ومن تعداه مجتهداً زل ، فأول العلم حفظ كتاب الله عز وجل وتفهمه وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه)[4] .

(لم يكن القرآن الكريم معجزة النبي –ﷺ– إلا بما تضمنه من شتى أصناف الإعجاز اللغوي والعلمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتشريعي إلى غير ذلك من الميادين ، التي تفتح للعقل مجالاً فسيحاً للتزود من آياته بشتى صنوف المعرفة ، فتقوى قريحته ، ويصلب عُوده ، وتشتد عزيمته ، لذا

(١) رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين (٨٥٤/٢).

(٢) التفكير في المفقود ، عبدالكريم بكار ، دار السلام ط١ ، ص:١٧-١٨.

(٣) رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين (٨٩٥/٢).

(٤) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبدالبر ، ت:أبوالأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي–السعودية ط١ (١١٢٩/٢).

أمر الله -جل جلاله- نبيه -صلى الله عليه وسلم- بتدبر هذا القرآن العظيم فقال : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩])[1].

(فإعراض كثير من الأقطار عن النظر في كتاب الله وتفهمه والعمل به وبالسنة الثابتة المبينة له، من أعظم المناكر وأشنعها، وإن ظن فاعلوه أنهم على هدى.

ولا يخفى على عاقل أن القول بمنع العمل بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - اكتفاء عنهما بالمذاهب المدونة، وانتفاء الحاجة إلى تعلمهما ؛ لوجود ما يكفي عنهما من مذاهب الأئمة - من أعظم الباطل.

وهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة ومخالف لأقوال الأئمة الأربعة)[2].

ومن ثمَّ يتدرَّج الدَّاعية من حفظ كلام الله إلى حفظ جوامع الكلم من أقوال الدَّاعية الأوَّل - صلى الله عليه وسلم- ، وإن استطاع المدعو أن يجمع بين عدة علوم في الطلب في وقت واحد فخير وبركة.

ولأسلوب الدَّاعية في ترغيب صحبه المدعوين في طلب العلم دور كبير في جذبهم إليه، فمتى ما كانت الحكمة سِمَة الدَّاعية ، والأناة وحسن الخلق ، التفَّ حوله الصَّحب ينهلون من علمه ، ويقتبسون من كريم خُلُقه.

وفي قِصَّة معاوية بن الحكم - رضي الله عنه- عبراً ودُرراً ، حريٌ بكل داعية مُتصدِّرٍ لتعليم صحابته أن يستفيد منها فعنه - رضي الله عنه-، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم- ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[3].

(١) وقفات تربوية مع مرحلة الدعوة المكية ، طه بافضل ، مؤسسة الجريسي ١٤٣٠ ، ص:١٦٦-١٦٧.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر بيروت-لبنان ١٤١٥ (٢٥٧/٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:المساجد ومواضع الصلاة ، باب:تحريم الكلام في الصلاة...، رقم الحديث (٥٣٧) (٣٨١/١).

لم يكن الزَّمان ولا المكان مناسبين لكلام معاوية – ﷺ– ، وفي حضور خيرة الدعاة –ﷺ– ، وقد كانت حينها عاطفة الصَّحابة – ﷺ– قوية ، فهم حديثوا عهدٍ بالإسلام ، وغيرهم تبعاً لذلك شديدة .

لكن الدَّاعية البصير –ﷺ– علم جهل صاحبه ، فلم يُعنِّف ، ولم يشتم ، بل بكلمة طيبة، وتوجيه رفيق علَّمه ما يجهله.

إنَّ الشِّدة والتعنيف في بذل العلم لن تزيد الجاهل إلا جهلاً ، بل تُبدِّد معاني الأخوة ، وتجلب دواعي الهجر والجفاء.

ولقد كان النبي–ﷺ– يتألَّف صحبه، يرغبهم، يشجعهم، وقد بوَّب البخاري –رحمه الله– في صحيحه باباً وعنونه بـــ: "باب الحرص على الحديث"، وذكر فيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –ﷺ– أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–ﷺ– [(١)] : «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ» [(٢)] .

وللدَّاعية أن يتأمَّل دور رفع الهمم ، وزرع حُبِّ العلم في نفس أبي هريرة – ﷺ– ، وليرى سموَّ همته، وبذله جلَّ حياته في طلب العلم، والسَّعي له، حتَّى غدا علماً من الأعلام (وقد كان أَبو هُرَيْرَةَ – ﷺ– يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ) [(٣)] .

مثال آخر يُبين حرص النبي–ﷺ– على تحفيز صحبه على طلب العلم، قَالَ النَّبِيُّ –ﷺ– لِأُبَيٍّ – ﷺ–: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ [البينة: ١] قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَى [(٤)] .

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:المساجد ومواضع الصلاة ، باب:تحريم الكلام في الصلاة...، رقم الحديث (٥٣٧) (٣٨١/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:العلم ، باب:الحرص على الحديث ، رقم الحديث (٩٩) (٣١/١) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:العلم ، باب:حفظ العلم ، رقم الحديث (١١٨) (٣٥/١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:مناقب الأنصار ، باب:مناقب أبي بن كعب ، رقم الحديث (٣٨٠٩) (٣٦/٥) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:فضائل الصحابة ، باب:من فضائل أبي بن كعب...، رقم الحديث (٧٩٩) (١٩١٥/٤) ، واللفظ لهما.

ثمَّ ليتأمَّل الدَّاعية من هو أُبي بن كعب – ﷺ– بعد ذلك ؟! إنَّه سيد القرَّاء، هكذا هي صُحبة الدَّاعية للمدعو تُثمر وتُزهر.

والدَّاعية النَّاصح لصاحبه يُعوِّده على تلقي العلم من منبعه الصَّافي ، يستثمر كلَّ فرصة لتعليمه وتوجيهه ، يُذكِّره بآداب طالب العلم ، يُعلِّمه الصِّدق في الطَّلب ، يُنمِّي في نفسه الإخلاص في طلب العلم خشية الخسران فقد قَالَ– ﷺ–: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي رِيحَهَا[(١)] .

والدَّاعية الحصيف يسعى لإغلاق المداخل الشيطانية، (فحين تعليم المدعو وتتوجيهه لا يجوز للدَّاعية الترويج وتخيير المدعو وإلقاؤه في الإشكال والحيرة، بل عليه أن يبين بيانا مزيلا للإشكال، متضمنا لفصل الخطاب، كافيا في حصول المقصود، لا يحتاج معه إلى غيره)[(٢)] .

ولتأليف قلب المدعو وتحيُّن الفرص لإقباله على العلم اهتمام كبير من قِبَلِ الدَّاعية الصَّاحِب ، وَقَد قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:(إنَّ لِهَذِهِ الْقُلُوبِ تَنَافُرَ كَتَنَافُرِ الْوَحْشِ فَتَأَلَّفُوهَا بِالِاقْتِصَادِ فِي التَّعْلِيمِ، وَالتَّوَسُّطِ فِي التَّقْدِيمِ؛ لِتَحْسُنَ طَاعَتُهَا، وَيَدُومَ نَشَاطُهَا)[(٣)] .

وترى لسان حال الدَّاعية يحكي صادقاً قول النَّبيّ –ﷺ– :"إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا"[(٤)] .

إن الاهتمام بطلبة العلم ، وتقديم الحوافز والمشجعات ديدن سلف هذه الأمة ، (فقد قَدِمَ ابْنُ الْمُبَارَكِ –رحمه الله– أَيْلَةَ[(١)] ، وَمَعَهُ غُلَامٌ مُفَرَّغ لعمل الفَالُوذَجِ[(٢)] ، يَتَّخِذُهُ لِلْمُحَدِّثِيْنَ)[(٣)] .

(١) رواه أحمد في مسنده ، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند أبي هريرة ، رقم الحديث (٨٤٥٧) (١٦٩/١٤) ، ورواه ابن ماجه في سننه ، كتاب:الإيمان وفضائل الصحابة...، باب:الانتفاع بالعلم والعمل به ، رقم الحديث (٢٥٢) (٩٢/١) ، واللفظ له ، ورواه أبوداوود ، كتاب:العلم ، باب:في طلب العلم لغير الله ، رقم الحديث (٣٦٦٤) (٥٠٥/٥) ، وقال الألباني في سلسلته (صحيح).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية (١٣٦/٤).

(٣) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٦٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الطلاق ، باب:بيان أن تخيير امرأته لايكون طلاقا...، رقم الحديث (١٤٧٨) (١١٠٤/٢).

ولطالما تنافس الدُّعاة الأخيار على خدمة أهل خيرة المجالس ، يتقرَّبون بخدمتهم ، ويتنافسون على نفعهم وتعليمهم ، لا يرجون إلا الثَّواب من الله ، ويرغبون في نفع صحبهم بالعلم الذي يبذلونه لهم، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨]، فكلما زاد علمهم عظمت خشيتهم لباريهم ، وازداد تشبُّثهم بدينهم، وعظم ولاؤهم لهذه الدَّعوة المباركة.

وقد قيل عن الإمام البخاري – رَحِمَهُ اللَّهُ – : "مَا بَقِيَ أَحَدٌ يُعَلِّمُ النَّاسَ الحَدِيْثَ حِسْبَةً غَيْرُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ"[٤] .

(إن على الدعاة أن لا يستهلكوا طاقاتهم في الردِّ على بعضهم ، وفي التنافس على كسب الجماهير ، فعامة الناس في حاجة إلى من يُعلِّمهم ، ويرفع مستوى وعيهم ، لا لمن يستغلهم ، ويحقق مصالحه على حسابهم)[٥] .

فالسَّاحة الدَّعوية بحاجة إلى جُنْدٍ صادق معطاء ، يسعى جاهداً لزرع بذور الشَّغف بالعلم في نفوس المدعوِّين ، ومن ثمَّ يتعهَّد هذا الزَّرع بالسقاية والعناية ، ليغدو قوياً جميلاً ج ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩].

إنَّ حرص الدَّاعية على تعليم صاحبه المدعو يدفعه لتنمية مهارة التَّعليم الذاتي لديه ، فإذا ما غاب عنه ، أو انشغل استكثر المدعو من العلم النَّافع ، وتبصَّر بما ينفعه في دنياه وأخراه ، وقد تيسَّرت سبله لكل طالب.

(ويتأكد الاعتناء بتنمية مهارات التعلم الذاتي لدى المدعوين ، بحيث تنمو قدرته على التعلم بنفسه ، وعلى توظيف الوسائل المتاحة للتعلم الذاتي التي تنمو يوماً بعد آخر)[٦] .

---

(١) أيلة: مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم تعدّ في بلاد الشام (معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٩٢/١).

(٢) فالوذج: حلوى هُلاميّة رجراجة، تصنع من النّشا والماء والسّكّر أو العسل وموادّ أخرى (معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد عمر ١٦٦٢/٣).

(٣) سير أعلام النبلاء ، أبو عبدالله الذهبي (٣٨٥/٧).

(٤) سير أعلام النبلاء ، أبوعبدالله الذهبي (٤٤٩/١٢).

(٥) الصحوة الإسلامية ، عبدالكريم بكار ، دار السلام ١٤٣٢ ، ص:٩١-٩٢.

(٦) الصحوة والتربية المنشودة ، محمد الدويش ، ص:ج٦٥.

ولعلَّه يتوراد كثيراً إلى الأذهان سؤال: هل يقتصر تشجيع الدَّاعية صاحبه المدعو على العلم الشَّرعي فقط؟.

والجواب: إنَّ لكل فردٍ من أبناء هذه الأمة مقداراً من العلم فرض متعين عليه أن يتعلَّمه ممَّا يتعلَّق بأحكام الفروض والواجبات وكيفياتها ، مما لا يسع أحد جهله ، وما سوى ذلك فهو من فروض الكفايات ، إن قام به البعض سقط عن الباقين.

ومن ثمَّ بفراسة الدَّاعية وحسب رغبة صاحبه المدعو يكون اختيار التَّخصص المناسب.

والدَّعوة حقيقة هي بحاجة إلى الإبداع والتَّقدُّم في سائر التَّخصصات من قبل أبناء مخلصين لدعوتهم ، صادقين في الانتماء لها ، عظيم ولاؤهم لدينهم ، وسعيهم الحثيث للتَّمكين لها بالولاء أوَّلاً ، ومن ثمَّ بالبراعة في التَّخصص المُختار.

(إن العلم يرتقي بالأداء الدعوي ويقويه ويمنحه تأثيراً مضاعفاً ، ويخفف الأعباء ، ويُقلل الجهد اللازم ، ويجعل النتائج أسرع ، كل ذلك قياساً على الظاهرة التي رصدها من راقب تطور الحياة ، ولو أحسن الدُّعاة إسالة العلم ليصب في المحيط الدَّعوي فإنَّ سيطرة الدعاة على أزمة الصِّراعات ستكون أشد وآكد)[1] ، ويجب على الدُّعاة تدارك السَّلبية التي أصبحت تمتاز بها مجتمعاتنا الإسلامية ، فبالسَّلبية والتَّبعية لن تحصد تقدُّماً ولا تمكيناً.

(إن للدُّعاة حضوراً جيداً في بعض القطاعات – كقطاع التعليم مثلاً – ولم يستطيعوا إيجاد بيئات ممتازة في قيمها ونظمها وجديتها وجودة أدائها ، مما يدل على أن كثيراً من الدُّعاة صاروا من جنس مجتمعاتهم عوضاً عن أن يعملوا على النهوض بها ، إنهم لم يعودوا يملكون من التميز ما يساعدهم على النهوض بغيرهم)[2] .

إنَّ صحبة الدعاة الإيجابيين للمدعوين تخلُقُ روح الجسد الواحد ، تُحفز على تعليم الخير ، نُصرة لهذه الدَّعوة ، تجدد معنى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ولا قوَّة هي أعتى ولا أقوى من العلم، به تتصدَّر الأمم وتتقدَّم الصفوف.

(١) منهجية التربية الدعوية ، محمد الراشد ، ص:٢٧٥.

(٢) الصحوة الإسلامية ، عبدالكريم بكار ، ص:١٢٤.

وبعد أن وصَّفت التعليم كمعلم من معالم الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، أنتقل إلى محذور قد يقع فيه بعض أتباع الدعاة وهو التبعية العمياء .

ثَالِثاً : ذمِّ التَّبعيَّة الْعَمْيَاء عند تَعْلِيمِ الدُّعاةِ لِصَحْبِهم الْمَدْعُوِّين :

إنَّ الدَّاعية يغرس في صاحبه المدعو أن يتَّبِع الحقَّ أيًّا كان ، ويطلبه حيثما كان ، وألا يرتبط بالرِّجال ، وإنما يتشبَّث بالحق ، ويدور معه حيث دار .

فتعليم المدعو على تقديم الحق لا الرجال يُعينه على التَّحرر من تبعيَّة الرجال ، ولو كان صاحبه الدَّاعية ، فإن أخطأ الدَّاعية وزل – وكل بني آدم خطَّاء – ترك المدعو تبعيَّته فيما أخطأ به ، وطلب الحق .

وعَنْ مُعَاذٍ – ﷺ– أَنَّهُ قَالَ:(كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِثَلَاثٍ: دُنْيَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَكُمْ، وَزَلَّةُ عَالِمٍ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ؛ فَأَمَّا الْعَالِمُ فَإِنْ اهْتَدَى فَلَا تُقَلِّدُوهُ دِينَكُمْ ، وَإِنْ افْتُتِنَ فَلَا تَقْطَعُوا مِنْهُ إِيَاسَكُمْ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُفْتَتَنُ ثُمَّ يَتُوبُ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّ لَهُ مَنَارًا كَمَنَارِ الطَّرِيقِ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَلَا تَسْأَلُوا عَنْهُ أَحَدًا.وَمَا لَمْ تَعْلَمُوهُ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ)[1] .

(وَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَةَ الْقَوْمِ رَأَى أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا ظَهَرَتْ لَهُمْ السُّنَّةُ لَمْ يَكُونُوا يَدَعُونَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ – ﷺ– يَدَعُ قَوْلَ عُمَرَ – ﷺ– إذَا ظَهَرَتْ لَهُ السُّنَّةُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ – ﷺ– يُنْكِرُ عَلَى مَنْ يُعَارِضُ مَا بَلَغَهُ مِنْ السُّنَّةِ بِقَوْلِهِ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَيَقُولُ: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ)[2] .

وَقَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ – ﷺ– أَنَّهُ قَالَ:(اُغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا، وَلَا تَكُونَنَّ إِمَّعَةً، فَأَخْرَجَ الْإِمَّعَةَ – وَهُوَ الْمُقَلِّدُ – مِنْ زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ)[3] .

وقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ – ﷺ–: «اُغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُحِبًّا وَلَا تَكُنْ الْخَامِسَ فَتَهْلِكَ»[4] .

(١) إعلام الموقعين ، ابن قيم الجوزية (١٦٨/٢).

(٢) المرجع السابق (١٦٨/٢).

(٣) المرجع السابق (١٦٨/٢).

(٤) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٤٧.

وفي قوله – ﷺ– كناية عن النهي الشديد عن التقليد والتبعية العمياء.

(وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَدْعُو أَنْ يَبْعَثَهُ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ لَهُ عَلَى قَبُولِ الشُّبْهَةِ مِنْهُ، وَلَا يَدْعُوهُ تَرْكُ الْإِعْنَاتِ لَهُ عَلَى التَّقْلِيدِ فِيمَا أَخَذَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَا بَعْضُ الْمَدْعُوِّيْن فِي صَاحِبِهم الدَّاعِيَة حَتَّى يَرَوْا أَنَّ قَوْلَهُ دَلِيلٌ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَدِلَّ، وَأَنَّ اعْتِقَادَهُ حُجَّةٌ، وَإِنْ لَمْ يَحْتَجَّ، فَيُفْضِي بِهِمْ الْأَمْرُ إلَى التَّسْلِيمِ لَهُ فِيمَا أَخَذَ مِنْهُ)[1].

(وَإِذَا كَانَ الْمَدْعُو مُعْتَدِلَ الرَّأْيِ فِيمَنْ يَأْخُذُ عَنْهُ، مُتَوَسِّطَ الِاعْتِقَادِ مِمَّنْ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ، حَتَّى لَا يَحْمِلَهُ الْإِعْنَاتُ عَلَى اعْتِرَاضِ الْمُبَكِّتِينَ، وَلَا يَبْعَثُهُ الْغُلُوُّ عَلَى تَسْلِيمِ الْمُقَلِّدِينَ، بَرِئَ مِنْ الْمَذَمَّتَيْنِ، وَسَلِمَ الدَّاعِيَة مِنْ الْجِهَتَيْنِ)[2].

إن تدريب المدعو على الاعتدال في التَّلقي مع الحرص على تلقُّف كل فائدة يُشكِّل لديه قاعدة صلبة ، ويُربيه على حسن الاختيار ، ويرفع مستوى ذائقته العلمية.

(إنَّ على الشباب أن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين الدعاة أو غيرهم ، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلاً خطأ في اعتقادهم – وهذه نقطة مهمة– ، وأن يحذروا من تتبع زلات الدُّعاة ، فإذا كان اغتياب العامي من كبائر الذنوب فإن اغتياب الداعية أكبر وأكبر ، لأن اغتياب الداعية لا يقتصر ضرره عليه، بل عليه وعلى ما يحمله من العلم الشرعي .

إن على الشباب أن يحملوا ما يجري بين الدعاة من الاختلاف على حسن النية والاجتهاد ، وأن يعذروهم فيما أخطؤوا)[3].

إن ذلك يُعين على احترام المدعو للدُّعاة ، ويلزمه بحفظ لسانه عن تتبع عوراتهم ، أو جمع سقطاتهم ، وكم تحتاج الدَّعوة لزرع هذه القيمة في نفوس أتباعها .

(وكثيراً ما يُنتقد التقليد في المسائل الفقهية ، بل ربما يدعو بعضهم إلى التحرر من المذاهب الفقهية ، ولكن النَّاظر في السَّاحة الدَّعوية يرى أنه يُمارس فيها أُنموذجاً ليس بأحسن حال من التقليد ، ففي التقليد يتبع طالب العلم آراء عالم تبحر في العلم وتخصص فيه، أما في الميدان الدعوي فهو يتبع آراء شاب لا يزيد عنه إلا بسنوات معدودة .

(١) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٧٩.

(٢) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٨٠.

(٣) الصحوة الإسلامية ، ابن عثيمين ، دار الوطن ١٤٢٦ ، ص:٥٠.

إن الإصرار على النموذج التقليدي لن يُخرج جيلاً فاعلاً ، جيلاً يفكر ويحلل ويستكشف ، جيلاً يُنتج معرفة جديدة ، وحلولاً جديدة للمشكلات)[1] .

وبعد أن انتهيت من بيان المعلم الأول من معالم الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، أنتقل إلى المعلم الثاني وهو التودد.

(١) الصحوة والتربية المنشودة ، محمد الدويش ، مجلة البيان ١٤٢٩ ، ص:٢٤-٢٥.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَة : التَّوَدُّد .

أَوَّلاً : تَعْرِيْفُ التَّوَدُّد :

أ- التَّوَدُّد لُغَةً :

قال ابن فارس – رَحِمَهُ اللَّهُ– : (الْوَاوُ وَالدَّالُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةٍ. وَدِدْتُهُ: أَحْبَبْتُهُ... وَفِي الْمَحَبَّةِ الْوُدُّ،... وَهُوَ وَدِيدُ فُلَانٍ، أَيْ: يُحِبُّهُ)[1] .

ب- التَّوَدُّد اصْطِلَاحاً :

قال ابن حجر–رَحِمَهُ اللَّهُ–: (هُوَ التَّوَاصُل الجَالِبِ لِلْمَحَبَّةِ ، وهُوَ : تَقَرُّبُ شَخْصٍ مِنْ آخَرَ بِمَا يُحِبُّ)[2] .

فالتَّوَدُّد كَمَعْلَم مِنْ مَعَالِمِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْنَ يَعْنِي : تواصل الدُّعاة بصحبهم المدعوين وتقرُّبهم منهم بما يُحبُّون .

ثَانياً : التَّوَدُّدُ مِنْ مَعَالِمِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْنَ :

الصُّحبة أُنس للمرء يلقى صاحبه ليسعد معه ، يتشاركان أفراح هذه الحياة وأتراحها ، يتفيَّئان في ظلال هذه الجنَّة ، ويسعدان بها .

قال ابن حزمٍ – رَحِمَهُ اللَّهُ– : (ومن الأسباب المتمناة في الحب أن يهب الله عز وجل للإنسان صديقاً مخلصاً، لطيف القول، بسيط الطول، حسن المأخذ، دقيق المنفذ، متمكن البيان، مرهف اللسان، جليل الحلم، واسع العلم، قليل المخالفة، عظيم المساعفة، شديد الاحتمال، صابراً على الإدلال، جم الموافقة، جميل المخالفة، مستوي المطابقة، محمود الخلائق، مكفوف البوائق، محتوم المساعدة، كارهاً للمباعدة، نبيل المداخل، مصروف الغوائل، غامض المعاني، عارفاً بالأماني، طيب الأخلاق، سري الأعراق، مكتوم السر، كثير البر، صحيح الأمانة، مأمون الخيانة، كريم النفس، صحيح الحدس، مضمون العون، كامل الصون، مشهور الوفاء، ظاهر الغناء، ثابت القريحة، مبذول النصيحة، مستيقن الوداد، سهل الانقياد، حسن الإعتقاد، صادق اللهجة، خفيف المهجة، عفيف الطباع، رحب الذراع، واسع الصدر، متخلقاً

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٦/٧٥).

(٢) فتح الباري ، ابن حجر (١٠/٤٣٩).

بالصبر، يألف الإمحاض، ولا يعرف الإعراض، يستريح إليه ببلابله، ويشاركه في خلوة فكره، ويفاوضه في مكتوماته، وإن فيه للمحب لأعظم الراحات، وأين هذا فإن ظفرت به يداك فشدهما عليه شد الضنين، وأمسك بهما إمساك البخيل، وصنه بطارفك وتالدك، فمعه يكمل الانس، وتنجلي الأحزان ويقصر الزمان، وتطيب الأحوال) [1].

وإذا ما كان أحد الصَّاحبين ذا همَّة وخير ، ومن أهل أحسن الأقوال والدعوة إلى خير الأعمال- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣]-، فإذا كان الصَّاحِب داعية تميَّزت الصُّحبة وانفردت عن غيرها بمزايا .

فصحبة الداعية لإخوانه المدعُوُّين تتَّسم بحبٍّ من نوع خاص ، إنَّه حُبٌّ رحمة وشفقة ، وحرصٍ على النَّفع ، لذا ترى الدَّاعية يُقدِّم لصاحبه المعونة والخدمة ليتودَّد إلى قلبه ، فيعظم بذلك نفعه .

فالدَّاعية أُشربت نفسه حُب الدعوة والبذل لها ، والبحث عن أفضل السبل للوصول إلى قلب المدعو ، فهو الاستثمار الحقيقي في هذه الميدان ، ومتى ما فاز بودِّه كان صاحباً مطواعاً ، وتابعاً نافعاً .

إن الدَّاعية يتلمَّس ويتفَّقد احتياجات صاحبه المدعو ، فمتى ما احتاج أمراً علمه من دون أن يسأله ، ومتى ما وقع في ضائقة عَلِم به فساعده لكثرة تفقُّده له ، وسعيه الحثيث بالتَّودد له.

(وأيما داعية لا يحس مشاعر الذين يدعوهم ولا يحسون مشاعره، فإنه يقف على هامش حياتهم، لا يتجاوب معهم ولا يتجاوبون معه ، ومهما سمعوا من قوله فلن يحركهم للعمل بما يقول ، لما بينه وبينهم من قطيعة في الحس والشعور) [2].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا ، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا ، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ» [3].

فتودد الدَّاعية يعني سعيه لتكوين وصال وجداني بينه وبين صاحبه المدعو ، (والتواصل الوجداني يكون بشقيه : اللفظي "الكلمات" ، وغير اللفظي "تعبيرات الوجه" ، ويتمثل التواصل الوجداني في

(١) طوق الحمامة ، ابن حزم ، ص:١٦٣-١٦٤.

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٤/ ٢٣٦٩).

(٣) رواه الطبراني في معجمه الصغير ، كتاب:العين ، باب:من اسمه عبدالله ، رقم الحديث (٦٠٥) (٣٦٢/١) ، ورواه البيهقي في شعبه، كتاب:حسن الخلق، باب:في لين الجانب...، برقم (٧٧٦٥) (٤٤٠/١٠) ،قال الألباني في سلسلته (صحيح) .

الإحساس بمشاعر الغير ، وتقدير وجهة نظرهم ، والاهتمام بمساعدتهم، ويظهر ذلك في العناية بمشاعر الآخرين ، والحساسية المرتفعة تجاههم ، والمبادرة بمعاونتهم ، والاعتراف بإنجازاتهم ، وكذلك التعاطف والمشاركة الوجدانية ، والكياسة في الاستجابة للآخرين ، كذلك يظهر الاهتمام بالآخرين ، والذكاء في التعامل معهم من خلال: فهم حاجاتهم ، وتقدير توقعاتهم ، وتوفير مساحة من الود والاحترام معهم ، والمبادرة بالمساعدة المناسبة ، واستيعاب وجهة نظر الآخرين)[1] .

إنَّ تودد الداعية يتمثَّل في طِيْب الكلم ، وحسن العبارة ، لا يُفارقه البِشْر إذا التقى صاحبه المدعو ، تراه باسماً ، يشري ودَّ صاحبه ، وممَّا تُقرِّه النُّفوس (أن الجود بالمودة أعظم البذل لأنه لا يظهر ود صحيح من قلب سقيم)[2] .

وإذا ما ابتدأ الود بين الداعية وصاحبه المدعو ، تلطَّف معه ، ودنا منه ، وتعرَّف عليه ، ليزيل الرَّهبة والوحشة من نفسه .

(ولكي يتم التفاعل النفسي والفهم الصحيح للمدعو لا بد على الداعية من محاولة التعرف على بيئة المدعو أسرته وأصدقائه ، والتكوين الثقافي والمعرفي ، وهوايات المدعو ، ومعرفة طموحاته وتطلعاته المستقبلية ، والفكر الذي يعتنقه المدعو .

إنَّ على الداعية التعرف على المدعو على مهل وتأنٍ وترو ، ويلزمه أن يبذل كل جهد ممكن ليبرز للمدعو أفضل ما عنده حتى يجذبه إليه ، ويحفزه إلى اللقاء به مرات عديدة)[3] .

ومن أعظم العور أن يصحب الدَّاعية من يجهل نسبه ، ولا يعلم عن حاله ، فلربما كان مغترباً ، أو محتاجاً، أو في حال عُسرٍ وضيق، وصاحبه الداعية يلقاه ولا يعلم عن ذلك شيئاً.

فحرص الدَّاعية على كسب قلب المدعو ببذل الوداد له ، وإشعاره بشدة اهتمامه به يُكسب صحبتهما قوة ، ويزيدها لُحمة ، ولقد قال ابن عباس – ﷺ– : (إِنَّ الرَّحِمَ لَتُقْطَعُ، وَإِنَّ النِّعْمَةَ لَتُكْفَرُ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا قَارَبَ بَيْنَ الْقُلُوبِ لَمْ يُزَحْزِحْهَا شَيْءٌ أَبَدًا)[4] .

(١) قوة الذكاء الوجداني ، موسى البهدل ، ص:١٢٦.

(٢) روضة العقلاء ، ابن حبان ، ص:٩٣.

(٣) علم نفس المدعو ، محمد الهادي ، الدار المصرية اللبنانية ط١ ، ص:٢٦٧-٢٧١.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:التفسير ، باب:تفسير سورة النساء ، رقم الحديث (٣١٧٩) (٢/٣٣٠).

(إنَّ النصح علاج مُرٌّ ، فليصحبه شيء من حلو الكلام ، تفتح به قلب أخيك ، قال رسول الله- ﷺ-: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»[(١)] .

لقد أثمر هذا النصح بعد أن تغلغل في شغاف قلب عبدالله - رضي الله عنه- ، (فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا)[(٢)]، فابحث عن إيجابيات ونقاط اتِّفاق تذكرها للمدعو قبل أن تُبدي نُصحك فإن ذلك أقبل لها عنده ، ولكن لا تُسرف في المدح فتقطع ظهر صاحبك ، والمؤمن كيس فطن لا يُعالج المفسدة بمفسدة مثلها أو أكبر منها)[(٣)] .

(ومن تودُّد الداعية لصاحبه المدعو أن يُشفق عليه ، وأن يجريه مجرى ابنه ، فإن نهاه عن خلق عمد إلى التَّعريض ، وإن احتاج إلى المواجهة فبرحمة وبدون صراخ وتوبيخ)[(٤)] .

قيل لابن السماك[(٥)] - رحمه الله-: (أي الإخوان أحق بإبقاء المودة؟ قال: الوافر دينه، الوافي عقله، الذي لا يملك على القرب، ولا ينساك على البعد، إن دنوت منه داناك، وإن بعدت عنه راعاك، وإن استعنت به عضدك، وإن احتجت إليه رفدك، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله)[(٦)] .

فالدَّاعية يعتبر تودده لصاحبه المدعو ، وتقرُّبه له من الواجبات التي يجب أن يبذلها له عن طيب نفسٍ ، وسلامة قلب مُتذكراً على الدوام قول النبي -ﷺ-: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»[(٧)] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:التهجد ، باب:فضل قيام الليل ، رقم الحديث (١١٢١) (٤٩/٢) ، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب:فضائل الصحابة، باب:من فضائل عبدالله بن عمر، رقم الحديث (٢٤٧٩) (١٩٢٧/٤)، واللفظ لهما.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:التهجد ، باب:فضل قيام الليل ، رقم الحديث (١١٢١) (٤٩/٢) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:فضائل الصحابة ، باب:من فضائل عبدالله بن عمر ، رقم الحديث (٢٤٧٩) (١٩٢٧/٤)، واللفظ لهما.

(٣) الرائد ، مازن الفريح (١٨/٤-١٩).

(٤) رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين (٨٩٩/٢).

(٥) الزَّاهِدُ، القُدْوَةُ، سَيِّدُ الوُعَّاظِ، أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بنُ صَبِيْحٍ العِجْلِيُّ ، صَدُوْقٌ تُوُفِّيَ ابْنُ السَّمَّاكِ: سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَمَانِيْنَ وَمائَةٍ، وَقَدْ أَسَنَّ (سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٩/٨-٣٣٠).

(٦) غاية المنوة ، حازم خنفر ، دار الصديق ط١ ، ص:٧٧.

(٧) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:السلام ، باب:من حق المسلم للمسلم رد السلام ، رقم الحديث (٢١٦٢) (١٧٠٥/٤) .

والتَّودد كانت سِمة السلف الصالح ، فقد قَالَ الشَّعْبِيُّ[1] - رَحِمَهُ اللَّهُ-: (مِنْ تَمَامِ زِيَارَةِ الزَّائِرِ أَنْ تَمْشِيَ مَعَهُ إِلَى بَابِ الدَّارِ وَتَأْخُذَ بِرِكَابِهِ)[2].

ومن التودد الذي يحرص عليه الداعية مع صاحبه أن يبذل له ماله ، ويسعى في فكِّ كُربه ، ويُسعد قلب صاحبه ببسط يده بالمعروف ، (وقد كَانَ الْإِنْفَاقُ عَلَى الْإِخْوَانِ أَفْضَلَ مِنَ الصَّدَقَاتِ على الفقراء ، قال علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : (لَعِشْرُونَ دِرْهَمًا أُعْطِيهَا أَخِي فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ على المساكين) ، وقال أيضاً: (لأن أصنع صاعاً من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلي من أن أعتق رقبة)[3].

(وَنَبِيُّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ ، وَيَدَعُ آخَرِينَ هُمْ أَحَبّ إلَيْهِ مِنْ الَّذِي يُعْطِي؛ يَكِلُهُمْ إلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الْإِيمَانِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ؛ لِيَكُونَ مَا يُعْطِيهِمْ سَبَبًا لِجَلْبِ قُلُوبِهِمْ إلَى أَنْ يُحِبُّوا الْإِسْلَامَ فَيُحِبُّوا اللَّهَ ، فَكَانَ مَقْصُودُهُ بِذَلِكَ دَعْوَةَ الْقُلُوبِ إلَى حُبّ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَصَرْفِهَا عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا كَانَ يُعْطِي أَقْوَامًا خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُمْ اللَّهُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ ، فَمَنَعَهُمْ بِذَلِكَ الْعَطَاءِ عَمَّا يَكْرَهُهُ مِنْهُمْ فَكَانَ يُعْطِي لِلَّهِ وَيَمْنَعُ لِلَّهِ)[4].

وعطاء الدَّاعية لا يقف على وقت الرضى، وإذا ما أقبل الزلل ولَّى، بل هو ودود مع صاحبه في حال رضاه وغضبه ، يغفر زَلَلَه ، ويعفو عن خطئه ، يُعامله مصداقاً للوصية الربانية:﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت: ٣٤ – ٣٥].

(إن دفع العدوان بالإحسان ، ومقابلة الإساءة بالحلم من الأمور الجوهرية في توليد المشاعر الجميلة ، حيث يتحول المعادي إلى صديق حميم ، وفي الحقيقة هناك الكثير من الآداب والأخلاق التي

---

(١) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري،(١٩ – ١٠٣ هـ = ٦٤٠ – ٧٢١ م) راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها (الأعلام للزركلي ٢٥١/٣).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ، ابن مفلح ، عالم الكتب (٢٣٨/٣).

(٣) إحياء علوم الدين ، محمد الغزالي ، دار المعرفة-بيروت (١٧٤/٢).

(٤) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٦١٠/١٠-٦١١).

تحول بين أبناء الأمة الواحدة ، وبين الانجرار إلى الاحتراب والاختلاف ، وذلك بسبب ما يُشاع من خلق التحمل والتنازل ، وتقدير مشاعر الآخرين وظروفهم وطريقة فهمهم للأشياء)[1] .

والدَّاعية لعمق قراءاته لسنَّة خير البرية –ﷺ– ، ولكثرة خُلطته غدا خبيراً بمفاتيح القلوب ، والمحبب المرغَّب إلى النفوس ، فتراه مُتشبِّثاً بالسَّلام ، مُديماً له ببشر ، يُردد حديث المصطفى –ﷺ– ويدعو لمعانيه العظام : «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[2] .

وقد كان السلف الصالح يُجيدون فنون التَّودد ، فقد قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ – رضي الله عنه–: (لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلَاثٌ: إِذَا دَنَا رَحَّبْتُ بِهِ، وَإِذَا حَدَّثَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ، وَإِذَا جَلَسَ أَوْسَعْتُ لَهُ)[3] .

(والصحبة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي أيضا النطق بالمحاب بل هو أخص بالصحبة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور ، وإنما يراد الصِّحاب ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم ، والسكوت معناه كف الأذى ، فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقده في أحواله التي يجب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عرض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه ، وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها، وجملة أحواله التي يسر بها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها ، فمعنى الأخوة المساهمة في السراء والضراء)[4] .

ووداد الدَّاعية لصاحبه المدعو يُوجب عليه إعلانه وإعلامه به ، والإخبار بالحب أمر مندوب إليه ، (وإنما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة، فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف ، والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين)[5] .

إنَّ التَّودد يُقرِّب قلب الصَّاحب المدعو إلى قبول الحق ، ويُنفِّره من العصيان ، ويجعله يستحيي من الوقوع في الباطل.

---

(١) التفكير في المفقود ، عبدالكريم بكار ، ص:٤٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإيمان ، باب:بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون...، رقم الحديث (٥٤) (٧٤/١).

(٣) إحياء علوم الدين ، محمد الغزالي (١٧٦/٢).

(٤) إحياء علوم الدين ، محمد الغزالي (١٨٠/٢).

(٥) المرجع السابق (١٨١/٢).

والدَّاعية في بذله لودِّه كيِّس فطن ، يبذل ولا يُفرط في بذل وداده ، لكي لا يُعلِّق القلوب به ، بل هو يرجو تعليقها بخالقها ، وقد قال عمر – ﷺ– : (لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا)[1] .

وبعد أن فصَّلت التودد كمعلم من معالم الصحبة بين الدعاة والمدعوين بوجه عام ، أوضح بعضاً من صوره.

ثَالِثاً : مِن صُوَرِ تَوَدُّد الدُّعاة لِصَحْبِهِم المَدْعُوِّيْن :

١- التَّحفيز :

فالدَّاعية يسعى مُحفزاً لصاحبه يدفعه بتحفيزه للاستزادة والتَّرقي في مدارج الصَّلاح ، ويتودد له بتحفيزه ، فالمرء مجبول على حب من يمتدح خِلاله الحِسان ،وقد كان التحفيز وسيلة لم يتهاون بها المصطفى –ﷺ– بل كثيراً ما كان يُحفز صحبه أفراداً وجماعات ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ »[2] .

وللفاروق – ﷺ– نصيحة تُخط بماء الذهب يجب أن لا تغيب عن بال الدَّاعية ، ويجب أن يستحضرها بين الحين والآخر ، فعنه – ﷺ– : (ثلاث يصفين لك ود أخيك : أن تسلم عليه إذا لقيته أولا ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه)[3] .

(والتحفيز للمدعو باستثمار ميوله يكون بالثناء عليه لفظاً بمدحه ، والإشادة به ، والدعاء له ، ويكون الثناء تدويناً بالكتابة على أوراق المدعو ومذكراته ، مع تدعيم ذلك بذكر الملاحظات دون جرح لمشاعره أو مساس بكرامته.

ويكون الثناء عليه غيابياً بالتنويه به عند أصدقائه وأقربائه مع ذكر الملاحظات – إن وُجدت– لتُنقل إليه ليُضاعف من جهده ويتلافى التَّقصير ، ويمضي في طريق الحق والفلاح ، وقد فعل ذلك رسول الله –ﷺ– مع عبد الله بن عمر – ﷺ– .

(١) المرجع السابق (١٨٦/٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الإيمان ، باب:قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، رقم الحديث(٤٣٨٨) (١٧٣/٥) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإيمان ، باب:تفاضل أهل الإيمان فيه...، رقم الحديث (٥٢) (٧٣/١)، واللفظ له.

(٣) إحياء علوم الدين ، محمد الغزالي (١٨١/٢).

أو يكون الثناء حضورياً مع ذكر التنبيهات كما في حديث عن رسول الله -ﷺ- عن أبي بكرة -رضي الله عنه- : "أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- وَهُوَ رَاكِعٌ، فَرَكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ: «زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلاَ تَعُدْ»"[1].

ويكون الثناء أيضاً بإلحاق لقب حسن به بحسب قدراته ومميزاته ، كأن يُقال: الصبور ، أو السَّباق ، أو الصدوق ، أو الأمين ، وذلك وفق ما يشيع في سلوكه من خصال مرغوبة محببة إلى نفسه ، وهذا كان فعل النبي -ﷺ- مع صحابته ، فقد لقب أبا بكر -رضي الله عنه- بالصديق، وعمر -رضي الله عنه- بالفاروق، وخالد -رضي الله عنه- بسيف الله المسلول، وأبا عبيدة -رضي الله عنه- بالأمين)[2].

(ومن ذلك - أيضاً - أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده ، فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة ، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به ، وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه ، وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح ، فإن إخفاء ذلك محض الحسد ، ومن ذلك تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك)[3].

وبعد أن تحدثت عن التحفيز كصورة أولى من صور تودد الداعية لصحبه المدعوين ، أنتقل إلى الصورة الثانية وهي الإغضاء.

٢- الإغضاء[4]:

الدَّاعية النَّاصح متشبِّث بود صاحبه المدعو ، فلا يُشعل البغضاء ، ولا يبدأ العداوة ، بل يعفو عن زلل صاحبه في حقه ، ويتغاضى عن تقصير صاحبه في حقه ، بل ويسعى إلى إعذاره .

قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: (لَا يُزْهِدَنَّكَ فِي رَجُلٍ حُمِدَتْ سِيرَتُهُ، وَارْتَضَيْتَ وَتِيرَتَهُ، وَعَرَفْتَ فَضْلَهُ، وَبَطَنْتَ عَقْلَهُ عَيْبٌ تُحِيطُ بِهِ كَثْرَةُ فَضَائِلِهِ، أَوْ ذَنْبٌ صَغِيرٌ تَسْتَغْفِرُ لَهُ قُوَّةُ وَسَائِلِهِ ، فَإِنَّك لَنْ تَجِدَ مَا بَقِيت مُهَذَّبًا لَا يَكُونُ فِيهِ عَيْبٌ، وَلَا يَقَعُ مِنْهُ ذَنْبٌ. فَاعْتَبِرْ نَفْسَك بَعْدَ، أَنْ لَا تَرَاهَا بِعَيْنِ الرِّضَى، وَلَا تَجْرِي

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الأذان ، باب:إذا ركع دون الصف ، رقم الحديث (٧٨٣) (١/١٥٦).

(٢) علم النفس الدعوي ، عبدالعزيز النغيمشي ، دار المسلم ، ص:١٠٩-١١١.

(٣) إحياء علوم الدين ، محمد الغزالي (٢/١٨١).

(٤) اقتبست هذه النقطة من كتاب:الأخوة أيها الإخوة ، محمد حسين يعقوب.

فِيهَا عَلَى حُكْمِ الْهَوَى، فَإِنَّ فِي اعْتِبَارِك وَاخْتِيَارِك لَهَا مَا يُؤَيِّسُك مِمَّا تَطْلُبُ، وَيُعَطِّفُك عَلَى مَنْ يُذْنِبُ)[1] .

ومن شدة تودد الدَّاعية لصاحبه أنَّه يتجنَّب معاتبته إلا في أضيق الحدود ، (فَإِنَّ كَثْرَةَ الْعِتَابِ سَبَبٌ لِلْقَطِيعَةِ وَإِطْرَاحَ جَمِيعِهِ دَلِيلٌ عَلَى قِلَّةِ الِاكْتِرَاثِ بِأَمْرِ الصَّدِيقِ ، وَقَدْ قِيلَ: عِلَّةُ الْمُعَادَاةِ قِلَّةُ الْمُبَالَاةِ. بَلْ يَتَوَسَّطُ حَالَتَا تَرْكِهِ وَعِتَابِهِ فَيُسَامِحُ بِالْمُتَارَكَةِ وَيُسْتَصْلَحُ بِالْمُعَاتَبَةِ، فَإِنَّ الْمُسَامَحَةَ وَالِاسْتِصْلَاحَ إذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثْ مَعَهُمَا نُفُورٌ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُمَا وَجْدٌ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا تُكْثِرَنَّ مُعَاتَبَةَ إخْوَانِك، فَيَهُونَ عَلَيْهِمْ سَخَطُك)[2] .

وبعد أن بينت الإغضاء كصورة من صور تودد الداعية لصحبه المدعوين ، أبين الصورة التالية وهي الترويح المباح.

٣- التَّرويح المُبَاح[3] :

إن نفس الصاحب المدعو قد تملّ ، وتبتغي فُسحة ونزهة ، والدَّاعية الحصيف لا يتوان عن إعداد نزهات ترويحيه بين الحين والآخر ، ليُجدد همَّة صاحبه ، ويتخذها وسيلة من وسائل التَّودد إلى قلبه ، وربطه بالدعوة وأهلها .

(فالداعية يتَّخذ من أساليب الترفيه وأنواع الترويح ما يُخفف به ثُقل الدَّعوة وجدِّيَّتها ، ومن ذلك المداعبة والممازحة بين الحين والحين ، والملاطفة والتورية في الحديث على سبيل الألغاز ، والتعليق دون جرح المشاعر ، والملاعبة بما لا يذهب هيبة الدَّاعية)[4] .

وبعد أن وضحت الصورة الثالثة من صور تودد الداعية لصحبة المدعوين ، أنتقل إلى الصورة الأخيرة وهي الإعانة.

٤- الْإِعَانَة :

(١) أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن الماوردي ، ص:٢٠٠.

(٢) المرجع السابق ، ص:٢٠٥.

(٣) وللاستزادة يُراجع : مسألة التجديد ، ص:

(٤) علم النفس الدعوي ، عبدالعزيز النغيمشي ، ص:٢٧٦.

فالدَّاعية يبذل جهده لإعانة صاحبه ، وتقديم الخدمات والمساعدات له ، محتسباً الأجر، مُبتغياً التَّودد لقلب صاحبه ، فيسعى جاهداً ألا يدعه يبتدؤه بسؤال ، بل يتفقده ويبادره بالمعونة ، ويأبى أن يسبقه غيره لمعونته ، أو يُرسل له من يُعينه إن لم يستطع إعانته ، أو إن حال دون إعانته مانع وظرف .

قال صاحب إحياء علوم الدين – رَحِمَهُ اللَّهُ– :(ينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك ، أو أهم من حاجتك ، وأن تكون متفقدا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك ، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها ، ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره ، ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد)[1] .

وبعد أن فصَّلت في المعلم الثاني من معالم الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، أشرع في بيان المعلم الثالث وهو الرحمة.

(١) إحياء علوم الدين ، محمد الغزالي (٢/١٧٥-١٧٦).

الْمَسْأَلَة الثَّالِثَة : الرَّحْمَة .

أَوَّلاً : تَعْرِيْفُ الرَّحْمَة :

أ- الرَّحْمَة لُغَةً :

(الرَّاءُ وَالْحَاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الرِّقَّةِ وَالْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ. يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ، إِذَا رَقَّ لَهُ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ)[1] .

ب- الرَّحْمَةُ اصْطِلاحاً :

قيل: (إرادة إيصال الخير)[2] ، وقيل : (رِقَّةٌ تَقْتَضِي الْإِحْسَانَ لِلْمَرْحُومِ)[3] .

فالرَّحْمَةُ كَمَعْلَمٍ مِنْ مَعَالِمِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْن يَعْنِي : رِقَّة الدَّاعية الَّتِي تقتضي الإحسان لصاحبه المدعو .

ثَانياً : الرَّحْمَة مِنْ مَعَالِمِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْنَ :

تَمَيَّز داعية الإسلام الأوَّل -ﷺ- بأرقى الأخلاق وأسماها ، فكانت أخلاقه تُرجماناً للكتاب الرَّحمة القرآن العظيم.

لقد كانت بعثته -ﷺ- رحمة للعالمين ، وخيراً للسَّابقين والآخرين ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

أتى -ﷺ- على البشرية وهي في ظلمات بعضها فوق بعض ، فانتشلهم - برحمة من الله – إلى مدارج السعادة والسُّؤدد.

كان قلب المصطفى -ﷺ- المغمور رحمة خيراً على البشرية جمعاء ، وعلى صحبه خاصَّة.

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٤٩٨/٢).

(٢) التعريفات ، علي الجرجاني ، ص:١١٠.

(٣) التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٧٣/١١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال الرازي – رَحِمَهُ اللَّهُ –: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنَتُكُمْ، أَيْ: يَشُقُّ عَلَيْهِ مَكْرُوهُكُمْ، وَأَوْلَى الْمَكَارِهِ بِالدَّفْعِ مَكْرُوهُ عِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ إِنَّمَا أُرْسِلَ لِيَدْفَعَ هَذَا الْمَكْرُوهَ...حَرِيصٌ عَلَى إِيصَالِ الْخَيْرَاتِ إِلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)[(١)].

إنَّ شرف الدَّاعية يعظُم كلَّما زاد تمسُّكه بهدي نبيه – ﷺ – ، ومن أعظم المعائب ألا يتصف الداعية بخُلق الرَّحمة المهداة – ﷺ – ، بل أي خيرٍ يُرجى ممَّن نُزعت من قلبه الرَّحمة.

قال ابن تيمية – رَحِمَهُ اللَّهُ – : (يَنْبَغِي عَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ، لَيِّنًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، فَبِصَبْرِهِ يَقْوَى ، وَبِلِينِهِ يَرْحَمُ ، وَبِالصَّبْرِ يُنْصَرُ الْعَبْدُ؛ فَإِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَبِالرَّحْمَةِ يَرْحَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى)[(٢)].

(فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم ، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء)[(٣)].

وإن كانت الرَّحمة صفة يلزم الدَّاعية الاتِّصاف بها ، فإنَّها في حق صحبه من المدعوين أولى وأوجب.

(فقد تتجاذب المدعو عدة مؤثرات ، وتعتريه ألوان من المتغيرات ، فيشط في سلوكه، ويقسو في تعامله ، وينفر من خطاب الدعوة ، ويصدر منه ما يُسيء للداعية ، فإذا عومل بالمثل ، وقوبل بجنس الفعل ، تباعد عنه الحظ السعيد ، وانقلب إلى الأضداد ، ولجَّ في العناد، فكانت أهم المهام الملقاة على عاتق الداعية احتواؤه بالسلوك الأمثل ، والتعامل الأفضل الكاسر لسورة هواه حتى يرعوي عن غيه ، ولا ثم في السلوك الإنساني أبلغ من الإحسان الذي يُصير العدو صديقاً والمباعد مقرباً .

(١) مفاتيح الغيب ، أبوعبدالله الرازي (١١/١٧٨).

(٢) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (١٠/٦٧٧).

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب (١/٥٠٠-٥٠١).

إن من المدعوين الجاهل الذي كلَّ ذهنه وجفا طبعه وقسا قلبه ، فلا يقبل إلا ما أُشرب هواه ، وإن أبدى اعتراضاً شنَّع وإن مسَّه عناء سمَّع ، ومنهم المترف البذيء الذي لا يعجبه العجب ، ومنهم الضعيف في جسده الهزيل في تربيته ، وأمثالهم كثير ، وأنى لهذا الخليط العجيب أن ينقاد بغير الرحمة السابغة التي تستلزم صدراً حنوناً ، ولساناً رقيقاً ، وبذلاً عظيماً)[1] .

إنَّ رحمة الدَّاعية بصاحبه تقتضي احتوائه في جميع أحواله ، فيُواسيه حال بؤسه ، ويُهدئه عند روعه ، ويباسطه حال ضيقه ، لا يرضى أن يراه في مهانة ، يسبق إليه بتقديم المعونة ، فإذا ما زلَّ أو ضلَّ كان صاحبه مُبادراً لدعوته ، شديد الشَّفقة به ، حريصاً على هدايته.

(إن من أريحية الداعية ، ورفيع خُلُقه ، وكريم أدبه رحمته بصاحبه المدعو ، وشفقته عليه ، وتألمه من فعله ، وحرصه على صلاحه ورشاده ، فإن المدعو صاحب المنكر في الحقيقة مستحق للرحمة والشفقة ، لأنه مُمتحن بذنبه ، ومُبتلى بمعصيته ، محتاج إلى من يُخلِّصه من شراك ذنبه ، وإلى من يُنقذه من هلكة معصيته.

والداعية الرحيم يُؤلمه أن يشهد صاحبه على مثل هذا ولا يرحمه)[2] .

فوقوع الصَّاحب المدعو في معصية يُشعل الهمَّ في قلب الدَّاعية ، ويُذهب نومه ، يدعو لأخيه ، يُجاهد للظفر بوسيلة لإصلاح قلب أخيه ، لا يمل ولا يكل ، رقيق الفؤاد ، رحيماً بصحبه ، باذلاً جهده ووقته في سبيل إصلاحهم ، لا يرجو جزاءاً ولا شكوراً ، وإنما يبتغي أن يُرافقوه في أعالي الجنان.

(فينبغي للداعية أن يكون هذا ديدنه فلا يعيش لنفسه ، فيهتم بها فقط ، أما من تحت يده من صحبه المدعوين فلا شأن له بهم ، فهذه ليست من صفات الصحبة ولا الدعوة ، بل ينبغي أن يهتم بهم غاية الاهتمام ، ويعتني بهم غاية العناية ، لئلا ينفرط عقد الإيمان في قلوبهم، فتتناوشهم سهام الباطل ، إنها الرحمة في صورة من صورها ، الرحمة بهم من الذل والهوان والانحراف والنكوص على الأعقاب ، والرحمة بهم من الذنب والخطيئة ، والسقوط في حبائل الشيطان ، والحرص عليهم أن يكون لهم شرف حمل الدعوة ، وأن ينالوا حظ رضوان الله ومحبته)[3] .

---

(١) الدعوة في الواقع المعاصر ، غازي المطيري ، ص:١٩٥-١٩٦.

(٢) الحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عبدالرحمن آل حسين ، دار طيبة-الرياض ١٤٢٩ ، ص:١٦٠-١٦١.

(٣) وقفات تربية مع مرحلة الدعوة المكية ، طه بافضل ، ص:٢٥١.

وبعد أن وضَّحت الرحمة كمعلم من معالم الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، أنتقل إلى المعلم التالي وهو التعاهد.

الْمَسْأَلَة الرَّابِعَة : التَّعَاهُد .

أَوَّلاً : تَعْرِيْف التَّعاهُد :

أ- التَّعَاهُد لُغَةً :

قال ابن فارس - رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الْعَيْنُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ دَالٌّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ وَهُوَ: الِاحْتِفَاظُ بِالشَّيْءِ وَإِحْدَاثُ الْعَهْدِ بِهِ)[1] .

وقال ابن منظور-رَحِمَهُ اللَّهُ-:(تعَهَّدَ الشَّيْءَ وتَعَاهَدَه واعْتَهَدَه: تَفَقَّدَهُ وأَحْدَثَ العَهْدَ به)[2] .

ب- التَّعَاهُد اصْطِلاحاً :

قيل هو : (الرعاية والعناية والتفقد حالاً بعد حال)[3] .

وقيل : (تَعَاهُدِ القرآن أَيْ : تَجْدِيدِ الْعَهْدِ بِهِ بِمُلَازَمَةِ تِلَاوَتِهِ)[4] .

فالتَّعَاهُد كَمَعْلَمٍ مِنْ مَعَالِمِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْن يعني: (تفقد الدَّاعية لصاحبه المدعو ، واحتفاظه بصحبته ، وتجديده لعهد الصُّحبة بين الحين والآخر).

ثَانياً : أَهَمِّيَّة تَعَاهد الدُّعَاةِ لِصَحْبِهِم الْمَدْعُوِّيْن :

إنَّ مَنْ سار على طريق الدَّعوة ، وتمرَّس على وسائلها وسُبلها ، يعلم يقيناً شدَّة حاجة المرء إلى تعاهد نفسه ، مراجعتها ، وتربيتها ، تقويم عَوَجها ، وتقوية صوابها ، ولو تُرِكَت لفعل ما تشتهي ، وتركِ ما تأنف وتكره لفسدت وأفسدت .

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ-: (الْإِيمَانُ يَبْدُو فِي الْقَلْبِ ضَعِيفًا ضَئِيلًا كَالْبَقْلَةِ[1] ؛ فَإِنْ صَاحِبُهُ تَعَاهَدَهُ فَسَقَاهُ بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَأَمَاطَ عَنْهُ الدَّغَلَ[2] وَمَا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ أَوْشَكَ أَنْ

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (١٦٧/٤).

(٢) لسان العرب ، ابن منظور (٣١٣/٣).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد عمر (١٥٦٨/٢).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر (٧٩/٩).

يَنْمُوَ ، أَوْ يَزْدَادَ وَيَصِيرَ لَهُ أَصْلٌ وَفُرُوعٌ وَثَمَرَةٌ ، وَظَلَّ إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى حَتَّى يَصِيرَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ، وَإِنْ صَاحِبَهُ أَهْمَلَهُ وَلَمْ يَتَعَاهَدْهُ جَاءَهُ عَنْزٌ فَنَتَفَتْهَا ، أَوْ صَبِيٌّ فَذَهَبَ بِهَا وَأَكْثَرَ عَلَيْهَا الدَّغَلَ فَأَضْعَفَهَا ، أَوْ أَهْلَكَهَا ، أَوْ أَيْبَسَهَا كَذَلِكَ الْإِيمَانُ)[٣] .

فالدَّاعية لا يزال يتعهد إيمانه وهمَّته وعزيمته ، حتَّى لا يضعف ويخور.

والدَّاعية لا يقتصر في تعاهده على نفسه فحسب ، بل يسعى جاهداً لأن تكون هذه هي سمة دعوته ، ويختصُّ بالتَّعهد صحبه من المدعوِّين ، يتعهدهم بين حين وآخر ، لا ينقطع عنهم ، ولا يُقصر في السؤال عنهم ، أو بذل المعونة لهم .

عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها –، قَالَتْ: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ –ﷺ– وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– : «مَنْ أَنْتِ؟» قَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ، فَقَالَ: «بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟» قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»[٤] .

(فليس من الحكمة في شيء أن يلتقي الداعية بأناس ويتعرَّف عليهم ، وتقوى علاقته بهم ، فيتخذونه صاحباً وهم في حاجة إليه ثم يتركهم ، لا يزورهم ولا يلتقي بهم ، فإن الزرع لا ينبت ولا يؤتي ثماره بدون تعهد ورعاية ، كما أنه لا تحصل الألفة والمعرفة التامة بدون تكرار الزيارات واللقاءات ، فعلى الداعية أن يتعهد المدعو من كل الجوانب حتى لا يترك له فراغاً في جانب من الجوانب ، إن لم يملأها هو ملأها غيره ، خاصة ما يتعلق بالجانبين الروحي والثقافي ، وفي كلا الجانبين عليه أن يحرص على تزويده بالصحيح النافع ، فهو وحده الذي يدلف من الحق ، ويثبت أمام التيارات المضادة الفاسدة ، ويقي من ردات الفعل والانتكاسات التي تأتي عن مداخل الشيطان)[٥] .

---

(١) البقلة: كلّ نباتٍ عُشبيّ يتغذى الإنسان به أو بجزء منه كالخسّ والخيار والجزر، ويكثر إطلاقه الآن على الحبوب الجافّة لبعض الخضروات كالفاصوليا واللُّوبيا والفول والعدس (معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد عمر ٢٣٢/١).

(٢) الدغل: الشجرُ الكثير الملتفُّ (الصحاح للفارابي ١٦٩٧/٤).

(٣) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٢٢٥/٧).

(٤) رواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:الإيمان ، باب:حديث معمر ، رقم الحديث (٤٠) (٦٢/١) ، واللفظ له ، وقال (صحيح على شرط الشيخين وليس له علة) ، ورواه البيهقي في شعبه ، كتاب:رد السلام ، باب:في رد الصنائع، رقم الحديث (٨٧٠١) (٣٧٨/١١)، وقال الذهبي (على شرطهما وليست له علة) .

(٥) علم نفس الدعوة ، محمد الهادي ، ص:٢٧٢.

(وإذا ما أهمل الدَّاعية تعاهد صحبه المدعوين سيظهر حينها غيابهم عن اللقاءات الدَّعوية ، والدروس العلمية بعد تميّز وانضباط ، وقد يضطربون في الالتزام بالمواعيد المنسَّقة، ويُصابون بفتور – إن لم يتنبَّه له الدَّاعية – ربما استفحل وضَرّ ، ولغياب التَّعهد تقع المشكلات بأنواعها سواء كانت عاطفية أو اجتماعية ، وتحدث الخلافات بين المدعوين عن غير علمه ، وهذه الخلافات لها أضرارها التي قد تؤدي إلى سقوطهم ، أو سقوط بعضهم بسببها إذا لم يتم معالجتها واكتشافها من أول الأمر .

إن غياب التَّعهد يؤدي إلى إهمال المدعوين للبرنامج العلمي أو الدَّعوي الذي خطَّه لهم صاحبهم الدَّاعية ، كما يُؤدي إلى ضعف الصِّلة بهم ، وضعف القاعدة الأخوية ، ومن ثمَّ قد يؤدي إلى تساقط المدعوين ، ويُهدر الكثير من الطاقات والأوقات ، ثم إصابة هذه الأعمال بالإهمال وضعف المتابعة .

فضعف التَّعهد يُخرج جيلاً هشّاً بعيداً عن الجدية ، لا يقف أمام الفتن والمغريات ، يحمل بعض أمراض القلوب بسب ضعف التعهد الذي من فوائده تخلية القلب من هذه الأمراض .

كما أنَّ المدعو متى ما شعر بإهمال الدَّاعية له ، وضعف تعهده له ، فإنَّ صدره لا ينشرح للتلقي منه .

إنَّ تعهُّد الدَّاعية لصاحبه المدعو يُثمر زكاة وخيرا – بإذن الله –، فيكون عوناً على ثبات المدعو على هذا الطريق ، وعدم نكوصه عنه ، فكم ممَّن وُفِّق للثبات على هذا الطريق رغم العقبات والمصاعب التي واجهها ، وكان ذلك بتوفيق الله أولاً ، ثم لتعهد صاحبه الدَّاعية له الذي كان له الأثر الطيب في ذلك.

والتعهد من قبل الدَّاعية لصاحبه يُعينه على الاستمرار في خط الصعود والتَّطور ، لأن من فوائد التعهد التقويم المستمر ، وذلك بمعرفة نقاط الضعف ومعالجتها ، ومعرفة نقاط القوة وتعزيزها ، وكما أنَّه يُقوم المدعو ، فكذلك يكون في العمل الدَّعوي ، يُقومه ، ويعالج قصوره.

إن شعور المدعو باهتمام صاحبه الداعية به ، وكثرة تعهده له ، يُعزز الثقة به ، ويقوِّي روح الأخوة ، وتبني الثقة في نفسه ، وتُعين على صقل شخصيته ، وذلك بمعالجة جوانب القصور)[1] .

وبعد أن تحدثت عن أهمية تعاهد الداعية لصحبه المدعوين ، أنتقل إلى بيان بعض صور هذا التعاهد.

(١) المتابعة في العمل التربوي ، سالم البطاطي ، مجلة البيان ، ذو القعدة ١٤٢٤ ، ص:٢٦.

ثَالِثاً : مِنْ صُوَرِ تَعَاهُد الدُّعَاةِ لِصَحْبِهِم الْمَدْعُوِّيْن :

لقد كان النبي -ﷺ- ومع كثرة أشغاله ، وعظم مسؤولياته ، إلا أنه كان - عليه الصلاة والسلام- يتعهد ويتفقد صحبه بين الحين والآخر .

فها هوﷺ يتعاهد إيمان صحبه ، يُراجعهم عمَّا عملوا من خيرات في يومهم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1] .

ولتعاهُد الداعية لصحبته المدعوين صوراً كثيرة ، منها[2] :

١- تعاهدهم في الأعمال الصالحة: كما في حديث «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟».

٢- تعاهدهم وقت الفتن والابتلاءات:ومن ذلك مروره -ﷺ- بآل ياسر وهم يعذبون وقوله لهم:«صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ»[3] .

٣- تعاهدهم في مشكلاتهم الصحية وأمراضهم: ومن ذلك ما رواه جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ -رضي الله عنهما- ، يَقُولُ: مَرِضْتُ مَرَضًا، فَأَتَانِي النَّبِيُّ -ﷺ- يَعُودُنِي، وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ، «فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ -ﷺ- ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ» فَإِذَا النَّبِيُّ -ﷺ-[4] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الزكاة ، باب:من جمع الصدقة وأعمال البر ، رقم الحديث (١٠٢٨) (٧١٣/٢).

(٢) المتابعة في العمل التربوي ، سالم البطاطي ، ص:٢٦.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:مناقب الصحابة ، باب:ذكر مناقب عمار بن ياسر ، رقم الحديث (٥٦٤٦) (٤٣٢/٣) ، واللفظ له ، ورواه الطبراني في معجمه الكبير ، كتاب:السين ، باب:سمية بنت خياط ، رقم الحديث (٧٦٩) (٣٠٣/٢٤) ، ورواه البيهقي في شعبه ، كتاب:شح المرء بدينه...، الحديث (١٥١٥) (١٧٢/٣) ، وصححه الألباني في سلسلته.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:المرضى ، باب:عيادة المغمى عليه ، رقم الحديث (٥٦٥١) (١١٦/٧) ، واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الفرائض ، باب:ميراث الكلالة ، رقم الحديث (١٦١٦) (١٢٣٥/٣).

٤- تعاهدهم في مشكلاتهم الاجتماعية والأسرية، ومن ذلك:سعيه -ﷺ- في أمر جليبيب -رضي الله عنه- حتى زوَّجه ، وذلك عندما قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: " زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ ". فَقَالَ: نِعِمَّ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللهِ وَنُعْمَ عَيْنِي. قَالَ: " إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي ". قَالَ: فَلِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " لِجُلَيْبِيبٍ "[(١)] .

٥- تعاهدهم في مشكلاتهم الاقتصادية: كما في قصة سلمان الفارسي - رضي الله عنه - عندما أتى للرسول -ﷺ- بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي ، فَقَالَ -ﷺ-: " مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟ " قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ ، فَقَالَ: " خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ"[(٢)] .

٦- تعاهدهم في أفراحهم: وذلك بإجابة دعوتهم في أفراحهم، وكان النبي-ﷺ- يحرص على مشاركتهم ، ومتابعتهم وقت أفراحهم ، ومن ذلك أن أبا أسيد الساعدي — رضي الله عنه- دعا رسول الله -ﷺ- في عرسه فكانت امرأته خادمهم يومئذ وهي العروس[(٣)] .

٧- تعاهدهم في أحزانهم ومواساتهم: ومن ذلك الحديث:أنه كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ، فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَهَلَكَ فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ -ﷺ- فَقَالَ: «مَالِي لَا أَرَى فُلَانًا؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بُنَيُّهُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَكَ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ-ﷺ- فَسَأَلَهُ عَنْ بُنَيِّهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:«يَا فُلَانُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ، أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، مسند البصريين ، حديث أبي برزة الأسلمي ، رقم الحديث (١٩٧٨٤) (٢٨/٣٣) ، واللفظ له ، ورواه البزار في مسنده ، مسند أنس بن مالك ، رقم الحديث (٦٩٢٥) (٣٢٠/١٣) ، ورواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب:النكاح، باب:مايستحب للمرء عند التزويج...، رقم الحديث (٤٠٣٥) (٣٤٣/٩) ، قال الأرنؤوط (إسناده صحيح).

(٢) رواه أحمد في مسنده ، تتمة مسند الأنصار ، حديث سلمان الفارسي ، رقم الحديث (٢٣٧٣٧) (١٤٧/٣٩) ، واللفظ له ، ورواه البزار في مسنده ، مسند سلمان الفارسي ، رقم الحديث (٢٥٠٠) (٤٦٢/٦) ، ورواه الطبراني في معجمه الكبير ، كتاب:السين ، باب:مارواه ابن عباس عن سلمان ، رقم الحديث (٦٠٦٥) (٢٢٢/٦) ، قال الألباني في سلسلته (إسناده حسن).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:النكاح ، باب:حق إجابة الوليمة...، رقم الحديث (٥١٧٦) (٢٥/٧) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الأشربة ، باب:إباحة النبيذ الذي...، رقم الحديث (٢٠٠٦) (١٥٩٠/٣).

لَكَ»قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: «فَذَاكَ لَكَ»[1].

(ومن الاستقراء يتضح أنه -ﷺ- كان يتعاهد أصحابه رضي الله عنهم في شتى المجالات: يتعاهدهم في عمل الأعمال الصالحة، وفي زمن الفتن والابتلاءات، وفي مشكلاتهم الاجتماعية والأسرية، والاقتصادية والصحية، وفي الجهاد في سبيل الله، وفي حال أفراحهم وأحزانهم، ويتفقدهم ويعُودُهم ويسأل عنهم، ويرسل إليهم؛ مع ما عنده-ﷺ- من الأشغال والارتباطات والهموم الكثيرة، بل هذه الأشغال والارتباطات والهموم لم تمنعه -ﷺ-، ولم تشغله عن متابعة الفقير المسكين الذي كان يقمُّ المسجد والسؤال عنه وتفقده؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ - أَوْ شَابًّا - فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا - أَوْ عَنْهُ - فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: «أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي» قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا - أَوْ أَمْرَهُ - فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»[2].

لقد كان -ﷺ- نعم الدَّاعية والصَّاحب المربي - بأبي هو وأمي - لقد حاز على جماع الأخلاق وجميل الصفات ، وارتسمت فيه صفات القائد الناجح والدَّاعية الناصح ، فحري بالدعاة الاقتداء به ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١])[3].

وبعد أن ذكرت بعض صور تعاهد الداعية لصحبه المدعوين ، أورد بعض محاذير تعاهدهم.

رَابِعاً : مَحَاذِير فِي تَعَاهُد الدُّعَاةِ لِصَحْبِهِم الْمَدْعُوِّيْن :

١- التَّنقل بين الوسائل أو الأساليب المتَّبعة بلا تخطيط ولا تقويم لا يُثمر غالباً ، فيجب أن تكون العملية الدعوية مخططة مدروسة غير عشوائية ، (وليس العيب أن ينتقل الدَّاعية عند

(١) رواه النسائي في سننه ، كتاب:الجنائز ، باب:في التعزية ، رقم الحديث (٢٠٨٨) (٤/ ١١٨) ، ورواه الطبراني في معجمه الكبير، كتاب:القاف ، باب:خالد بن ميسرة عن معاوية بن قرة ، رقم الحديث (٦٦) (١٩/ ٣١) ، ورواه البيهقي في شعبه ، باب:في الصبر على المصائب...، رقم الحديث (٩٢٩٨) (١٢/ ٢١٦)، قال الألباني في سلسلته (صحيح).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الصلاة ، باب:الخدم للمسجد ، رقم الحديث (٤٦٠) (١/٩٩) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الجنائز ، باب:الصلاة على القبر ، رقم الحديث (٩٥٦) (٢/٦٥٩) ، واللفظ له.

(٣) المتابعة في العمل التربوي ، سالم البطاطي ، مجلة البيان ، ذو القعدة ١٤٢٤ ، ص:٢٦.

وجود الأسباب المحفزة للانتقال ، وإنما العيب هو أن ينتقل شهوة للترحال ، والقفز بين المراحل ، ثم يخرج خالي الوفاض [1] من الثمرات والنتائج الإيجابية ، فلا مشروعاً أسَّس ، ولا أتباعاً ربَّى ليحملوا المنهج ، ويكونوا دعاة وهداة إلى الاستقامة والتقوى ، بل يصبح تاريخاً مضى ، يبخل الناس أن يذكروه بشيء من الأعمال ،...فالأعمار والأعمال لا تُقاس بالأرقام ، وإنما تُقاس بالثمرات ، فرُبَّ داعية مكث في منطقة يدعو إلى الله سنوات قليلة ، فإذا بالنتائج باهرة وواضحة ، وآخر أمضى بينهم سنين طوالاً ، ولم يَحدث له ذكر، أو يُسمع له ركز ، فشتان بين الداعيتين) [2].

٢- الحذر من قصر مفهوم التعاهد على المُحاسبة ، فالمحاسبة للمدعو تُنفِّره وتُبغِّضه في الدَّاعية، (فليس معنى التعاهد والتوجيه المستمر هو المحاسبة على كل هفوة ، فذلك ينفِّر ولا يربي ؛ فالداعية الحكيم يتغاضى أحياناً ، أو كثيراً ما يتغاضى عن الهفوة وهو كاره لها؛ لأنه يدرك أن استمرار التنبيه إليها قد يحدث رد فعل مضاد في نفس المدعو ، ولكن إهمال التنبيه ضار كالإلحاح فيه ، وحكمة الداعية وخبرته هي التي تدله على الوقت الذي يحسن فيه التغاضي ، والوقت الذي يحسن فيه التوجيه ، ولكن ينبغي التنبه دائماً من جانب الداعية إلى سلوك صاحبه المدعو سواء قرر تنبيهه في هذه المرة ، أو التغاضي عما يفعل ، فالتغاضي شيء، والغفلة عن التنبيه شيء آخر ، أولهما قد يكون مطلوباً بين الحين والحين، أما الثاني فعيب في الدعوة خطير) [3].

٣- (ملاصقة الداعية الدائمة في الخروج والدخول ، والذهاب والإياب ، والسفر والحضر، مما يسبب الإملال للمدعو) [4].

٤- (تخصيص التعاهد للصُّحبة المبتدئة فالبعض قد يجعل التعاهد خاصة بالمبتدئين ، أما الذين لهم باع في الاستقامة والدعوة فقد يقول: يكفي ما عندهم من الإيمان، وهذا غير صحيح، بل الأوْلى بالتعاهد الأولون ، لأنهم رأس المال ، ورأس المال يحتاج إلى محافظة وسعي في

---

(١)الوَفْضَة: خريطة يتعلّقها الرجلُ يضع فِيهَا مَا يحْتَاج إِلَيْهِ، وَالْجمع وِفاض (جمهرة اللغة لابن دريد٢/٨٢٩).

(٢) وقفات تربوية ، طه بافضل ، ص:٣٢٥.

(٣) المتابعة في العمل التربوي ، سالم البطاطي ، مجلة البيان ، ذو القعدة ١٤٢٤ ، ص:٢٦.

(٤) المرجع السابق ، ص:٢٦.

تطويره ، مع عدم إهمال المبتدئين ، فالتعاهد يحتاجه الجميع ليس له مدة معينة ، أو وقت محدد ، أو أشخاص معينون)[1] .

٥- (يظن البعض أن التعاهد يعني أن يُضرب حول المدعو بسور حتى لا يتعامل مع غيره ولا يستفيد من غيره ، حتى إنه ليصبح شديد المحاسبة والغضب لمجرد رؤيته لبعض أقرانه يسلِّم على من يصحبه، أو يبتسم له ، وحتى إنه يتطفل ويتدخل في أخص خصوصياته ويضعه في قفص حديدي وفي عنقه ويده الأغلال والحبال ، حتى يصبح كابوساً جاثماً على صدره)[2] .

٦- (البحث والتنقيب عن أخطاء وزلات المدعو بحجة معالجتها ظناً منهم أن ذلك من التعاهد ، ومن ذلك: " التجسس والاستماع لحديث غيره دون علمه ، والإطلاع على ما يخصه دون إذنه " كل هذه الأمور محرمة شرعاً، وجرأة البعض على تجاوزها داخل في عموم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] ، والشعور بالأمانة والمسؤولية ليس عذراً للمرء أن يتطلع إلى ما لا يحل له التطلع إليه؛ فقد نهى النبي - ﷺ- الرجل أن يطرق أهله ليلاً معللاً ذلك بقوله: «يَتَخَوَّنُهُمْ، أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ»[3] ، فمسؤولية الداعية ، وخصوصية دوره تتجاوز مسؤولية الزوج عن أهله ، ولا تدعو الشفقة والحرص والعناية بالمدعو إلى التطلع ، ومحاولة عرض ما وراء الظاهر والدافع ، ذلك كله لا يسوغ أن يكون على حساب الضوابط الشرعية.

والحقيقة أن ثمة فرقاً بين الدعوة ، وبين التعامل وإجراء الأحكام ، فالدعوة يجب أن تتجه إلى إصلاح القلوب وتنقية السرائر ، فصلاح الباطن هو الأساس ، أما التعامل وإجراء الأحكام فهو على أساس الظواهر ، ولا يسوغ للإنسان السعي للتنقيب عن الباطل ، وأولئك الذين يكلفون أنفسهم عناء

(١) المرجع السابق ، ص:٢٦.

(٢) المرجع السابق ، ص:٢٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإمارة ، باب:كراهة الطروق...، رقم الحديث (٧١٥) (٣/ ١٥٢٨) .

البحث عن البواطن والتفتيش في الدواخل تبدو لهم مشكلات لا يطيقون حلها، فيعيشون حالة من القلق كان بإمكانهم تجاوزها لو اتبعوا المنهج الشرعي في الوقوف عند الظاهر)[1] .

وبعد أن تحدثت عن التعاهد كمعلم من معالم الصحبة بين الداعية والمدعوين ، أنتقل إلى بيان المعلم التالي وهو الحكمة.

(١) المتابعة في العمل التربوي ، سالم البطاطي ، مجلة البيان ، ذو القعدة ١٤٢٤ ، ص:٢٦.

الْمَسْأَلَة الْخَامِسَة : الْحِكْمَة .

أَوَّلاً : تَعْرِيْفُ الْحِكْمَة :

أ- الْحِكْمَة لُغَةً :

(الْحَاءُ وَالْكَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ... وَالْحِكْمَةُ هَذَا قِيَاسُهَا، لِأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْجَهْلِ. وَتَقُولُ: حَكَّمْتُ فُلَانًا تَحْكِيمًا مَنَعْتُهُ عَمَّا يُرِيدُ. وَحُكِّمَ فُلَانٌ فِي كَذَا، إِذَا جُعِلَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ. وَالْمُحَكَّمُ: الْمُجَرَّبُ الْمَنْسُوبُ إِلَى الْحِكْمَةِ)[1] ، (والحَكيم: المتقِن للأمور... وحكمت الرجل تحكيماً، إذا منعته مما أراد)[2] .

ب- الْحِكْمَة اصْطِلاحاً :

(الْحِكْمَةَ هِيَ :الْعِلْمُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ مَعَ نَفَاذِ الْبَصِيرَةِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ وَتَحْقِيقِ الْحَقِّ لِلْعَمَلِ بِهِ وَالْكَفِّ عَنْ ضِدِّهِ)[3] .

وقيل : (مَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَالْعَمَلُ بِهِ ، وَالْإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ).[4]

وقيل : (الْمَعْرِفَةَ بِالدِّينِ، وَالْفِقْهِ فِي التَّأْوِيلِ، وَالْفَهْمِ الَّذِي هُوَ سَجِيَّةٌ وَنُورٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى)[5]

وقيل: (فِعْلُ مَا يَنْبَغِي، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي)[6] .

وقيل: (القدرة على فهم الأمور وحسن معالجتها)[7] .

فالْحِكْمَة كَمَعْلَمٍ مِنْ مَعَالِمِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ يَعْنِي : (قدرة الداعية على فهم

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٩٢/٢).

(٢) الصحاح ، أبونصر الجوهري (١٩٠٢/٥).

(٣) فتح الباري ، ابن حجر (٤٦١/١).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٤٤٨/٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله القرطبي (١٣١/٢).

(٦) المرجع السابق (٤٤٩/٢).

(٧) الدعوة إلى الله ، محمد الغامدي ، دار الطرفين ط١ ، ص:٨٢.

صاحبه المدعو ، وإجادة التَّعامل معه بما ينبغي ، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي).

ثَانياً : الْحِكْمَة مِنْ مَعَالِمِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْنَ :

إن عمل الدَّاعية يستدعي مزيد بصيرة وعظيم رويَّة ، فإنَّه يُعامل القلوب ، ويُخاطب الأرواح ، ولا ثمر لدعوته بلا صبر وروية ولين وحكمة.

ونجاح الداعية في جذب النُّفوس إلى الحق يستلزم معرفة واسعة بأدوائها ، وأنواعها ، ومحبوباتها ، فكل شخص له ما يجذبه وما يُنفِّره ، وهذا يتطلَّب حنكة وحكمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

قال ابن تيمية – رَحِمَهُ اللَّهُ–: (النَّاسُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : إمَّا أَنْ يَعْتَرِفَ بِالْحَقِّ وَيَتَّبِعَهُ فَهَذَا صَاحِبُ الْحِكْمَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَعْتَرِفَ بِهِ ، لَكِنْ لَا يَعْمَلُ بِهِ فَهَذَا يُوعَظُ حَتَّى يَعْمَلَ ، وَإِمَّا أَنْ لَا يَعْتَرِفَ بِهِ فَهَذَا يُجَادَلُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِأَنَّ الْجِدَالَ فِي مَظِنَّةِ الْإِغْضَابِ ، فَإِذَا كَانَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ : حَصَلَتْ مَنْفَعَتُهُ بِغَايَةِ الْإِمْكَانِ)[1] .

فالمدعوين على أصناف ثلاثة : إمَّا متَّبع للحقِّ مُذ يبلغه ، راغب فيه ، مستسلم له ، لا يُجادل ، أو يُعارض ، وهذا يصدق فيه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور: ٥١] ، وإمَّا مُصدِّق له ، مُماطلٌ في متابعته ، يُسوِّفُ ويُؤمِّل، وإمَّا مُعارض له، لا يعترف به ، ولا يُقرّ لأهله بالحق ، ولكل صنف أسلوب دعوة حضَّ عليها القرآن الكريم ، فليس من الحكمة في شيء أن يُجادل المُتبع للحق الرَّاغب فيه ، فلعل له عذراً في عدم اتِّباعه لهذا الحق ، لربَّما كانت رخصة ، أو جهلاً – وهكذا –.

إنَّ توحيد الدَّاعية لأسلوبه ، وإسقاطه في تعاملاته على جميع المدعوِّين لهو جهل وميل عن سنَّة خير البرايا –ﷺ– الذي تمتلئ سيرته حكمة وحنكة وتلوُّناً في الأساليب ، ومعرفة بأدواء النُّفوس ومشتهياتها .

(١) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٢/٤٥).

فعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، أَنَّهَا قَالَتْ: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُم"[1].

وهذه من الحكمة التي تقتضي التَّعامل مع كل مدعو حسب ما يُناسبه ، ويُثمر في دعوته ، ولقد كانت دعوته -ﷺ- كلها حكمة ، وعلى الداعية مريد الحكمة وطالبها في دعوته أن يُطالع سيرة النبي -ﷺ- وينهل من عظيم معينها .

وفي قراءة سنَّته -ﷺ- يتبين عظم حكمته، وسعة أفقه، مع أناةٍ ورويَّة، فلم يكن-ﷺ- يُعنِّف جاهلاً ، ولا يُوبِّخ مُخطئاً ، ليناً مع صحبه ، لم يقسو عليهم ، فهذا معاوية بن الحكم - رضي الله عنه- يُشمِّت عاطساً في الصَّلاة ، فترمقهُ الأعين بنظراتٍ موبِّخة ، وتردعه الأيدي بصفقات مُنبِّهه ، ثمَّ يأتي رسول الرَّحمة -ﷺ- بكل أناة وحكمة ويقول له: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[2] .

إنَّ عظيم حكمته وأناته -ﷺ- واحتوائه للموقف بما يُناسب لم يكن بالأمر اليسير على نفس ذلك الصَّحابي ، فقد قال - رضي الله عنه- كلمات تشع منها البهجة بحُسن الصحبة ، وعظم الفرحة بها، وحُق له - رضي الله عنه- فبمثل صحبته -ﷺ - يُفرح ويُبتهج ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨]، فقد قال - رضي الله عنه- مُعلقاً على الموقف : "فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي"[3] .

(فالحكمة من الصفات المستحبة التي يجدر أن يتمثلها الداعية إلى الله في حياته الدعوية، فيزن فيها أقواله وأفعاله ، لتكون وفق مراد الله - عز وجل- وليس وفق أهوائه وشهواته ، إنه بذلك يتأسى برسول الله -ﷺ- الذي لولا توفيق الله - تبارك وتعالى — له في استخدام الحكمة في مواقفه المتعددة والمتنوعة في مكة، لكان جديراً برسالته أن تقف في وسط الطريق ، وتتعثر مسيرتها)[4] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤].

(١) رواه مسلم في صحيحه ، مقدمة مسلم (٦/١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:المساجد ومواضع الصلاة ، باب:تحريم الكلام في الصلاة...، رقم الحديث (٥٣٧) (٣٨١/١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:المساجد ومواضع الصلاة ، باب:تحريم الكلام في الصلاة...، رقم الحديث (٥٣٧) (٣٨١/١).

(٤) وقفات تربوية مع مرحلة الدعوة المكية ، طه بافضل ، ص:١٧٣.

(إنه بحسن اختيار الداعية للوسيلة الأنسب ، وحسن استعمالها تُغير المدعو من الداخل، فبعد أن كان عدواً لوداً فإذا به صديقاً مناصراً ودوداً.

وفي الساحة الدعوية قد تُفتقد الحكمة في عملية البلاغ والدعوة التي أمر الله بها بقوله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

إن الحكمة هي ضالة الداعية وهاجسه الدائم ليكون في مستوى إسلامه وعصره ، والتي قرنها الله بالكتاب " القرآن " لضرورتها وأهميتها ، فإذا افتُقدت قامت جدران نفسية بين الناس وبين الكتاب ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[النساء: ١١٣].

والحكمة أهلية رفيعة المستوى ، ومنحة من الله ، يمكن أن تتحقق بالاكتساب من النظر والتدبر في كتاب الله ، والالتزام بسنة رسوله ، وطريقته في البيان)[(١)].

إنَّ حكمة الدَّاعية مع صاحبه المدعو تتطلَّب منه أن يكون هادئاً ، بعيد النظر ، محتوياً للموقف بما يُناسبه، لا يضرب ، ولا يُعنِّف ، وقدوته في ذلك رسول الله -ﷺ- ، فَعَن أُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةَ - رضي الله عنها- ، قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ- شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[(٢)].

(إن للين مواضعه وللشدة مواضعها ، فإذا انتهى أمد اللين فلتكن الشدة ، وإذا انقضى عهد المصابرة فليكن الحسم القاطع ، وللحركة مقتضياتها ، وللمنهج مراحله ، واللين في بعض الأحيان قد يؤذي ، والمطاولة قد تضر)[(٣)].

ولا يعني طلب الحكمة مع الصَّاحب المدعو ، أن يكون الداعية رخواً هزلاً غير جاد ، وإنَّما يجد وقت الجد ، ويلين وقت اللين ، ومن أصدق الوقائع الدَّالة على هذا ، موقف كعب بن مالك [(١)] -رضي الله عنه- وتخلفه عن جيش العُسرة ، فما كان فعل نبي الله -ﷺ- معه؟!

(١) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر حسنه ، ص:٨٥-٨٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الفضائل ، باب:مباعدته ج للآثام...، رقم الحديث (٢٣٢٨) (١٨١٤/٤).

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب (١٦٧٧/٣).

يقول كعب بن مالكٍ – رضي الله عنه – : " نَهَى رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ " (٢) .

لَمَّا علم رسول الله –ﷺ– صِدق أولئك الثَّلاثة الذين تخلّفوا ، أمر بمقاطعتهم تأديباً لهم، حتى لا يتوانوا عن المبادرة إلى أمر الله ، بخلاف موقفه مع المنافقين ، فقد صدَّقهم ، ولم يعاقبهم ، ولم يأمر بمقاطعتهم.

قال ابن القيم – رحمه الله–: (لَمَّا كَانَتِ الْأَشْيَاءُ لَهَا مَرَاتِبُ وَحُقُوقٌ ، تَقْتَضِيهَا شَرْعًا وَقَدَرًا ، وَلَهَا حُدُودٌ وَنِهَايَاتٌ تَصِلُ إِلَيْهَا وَلَا تَتَعَدَّاهَا ، وَلَهَا أَوْقَاتٌ لَا تَتَقَدَّمُ عَنْهَا وَلَا تَتَأَخَّرُ – كَانَتِ الْحِكْمَةُ مُرَاعَاةَ هَذِهِ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ ، بِأَنْ تُعْطَى كُلُّ مَرْتَبَةٍ حَقَّهَا الَّذِي أَحَقَّهُ اللَّهُ بِشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ ، وَلَا تَتَعَدَّى بِهَا حَدَّهَا، فَتَكُونَ مُتَعَدِّيًا مُخَالِفًا لِلْحِكْمَةِ ، وَلَا تَطْلُبُ تَعْجِيلَهَا عَنْ وَقْتِهَا فَتُخَالِفَ الْحِكْمَةَ ، وَلَا تُؤَخِّرُهَا عَنْهُ فَتُفَوِّتَهَا) (٣) .

ومعنى كلام ابن القيم – رحمه الله– يقتضي أن يُعامل الدَّاعية صاحبه المدعو بما يتناسب مع شخصيته ، وما يُلائم الموقف ، وألا يتعدَّى حدود الله ، فإرضاء الله هي الغاية من هذه الصُّحبة ، وليس من العقل ، ولا من الحكمة في شيء أن يُقدِّم رضى الصَّاحب ، فيُداهنه ، ويهجر مناصحته ، ويُجامله ، حتى لا يُغضبه ، بل الأصل إرضاء الله ، مع الإحسان للصاحب ، وحسن إدارة المواقف ، بما يتناسب معها ، حفاظاً على أهداف الصحبة السَّامية.

ولكل مقامٍ مقال ، فليس من المناسب أن يُذكِّر صاحبه في يوم فرحه بالموت ويعظه به، بل ذاك وقت فرح ، يُذكره بعظيم منَّة الله عليه ، ويدعو له بالبركة والخير ، ويدعوه للمحافظة على الأذكار والتَّحصين ، وليس في المقابل من الحكمة أن يُذكِّر المدعو يوم حزنه بأعراس وأفراح ، وليس ذاك مقامه .

---

(١) كَعْبُ بنُ مَالِكِ بنِ أَبِي كَعْبِ عَمْرٍو الأَنْصَارِيُّ ، شَاعِرُ رَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَصَاحِبُهُ، وَأَحَدُ الثَّلاَثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوا، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ.شَهِدَ العَقَبَةَ.(سير أعلام النبلاء للذهبي٢/٥٢٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:المغازي ، باب:حديث كعب بن مالك...، رقم الحديث (٤٤١٨) (٦/٣) ، واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:التوبة ، باب:توبة كعب بن مالك...، رقم الحديث (٢٧٦٩) (٤/٢١٢٠).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٢/٤٤٩).

والحكمة منَّة عظيمة ، جديرة بأن يُسعى لها ، وأن تُطلب من واهبها ، فمتى ما قُرنت بالدَّاعية أثمرت صحبته بالمدعو خيراً ، ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وبعد أن بينت معالم الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، أنتقل إلى بيان المطلب الثاني من هذا المبحث وهو ضوابط الصحبة بين الدعاة والمدعوين.

المطلب الثاني : ضوابط الصحبة بين الدعاة والمدعوين .

إن لصحبة الداعية بالمدعو فوائد جمَّة ، وآثار عُظمى ، ولو لم يكن منها إلا أن يتخفف المدعو من معصيته ، ويزداد من إقباله عل الطاعات لكفى ، وفي الأثر :عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَوْ لَمْ يُصِبْ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا أَنَّ حَيَاءَهُ مِنْهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاصِي»[(١)] .

ولكن لن تؤتي هذه الصحبة الثمار النافعة إن لم تكن ذات حدود مرسومة، وضوابط محكمة، وهذه الضوابط تشترك مع ضوابط صحبة الدعاة في بعض الأمور، وتفترق في بعضها.

فمما تشترك به معها : ألا يُصاحب إلا من أهل الإسلام[(٢)]، ممن آمن بالله رباً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وشهد بالإسلام ديناً ، إذ لا يكون بذل الوداد وحسن الإخاء لمن حاد الله ورسوله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[المجادلة: ٢٢].

ومما تشترك به أيضاً : إخلاص الداعية[(٣)] وصدقه[(٤)] في صحبته ، وأن يكون من نفس جنس الداعية[(٥)] ، فلا يصاحب الرجل إلا رجلاً ، ولا تصاحب المرأة إلا أختاً لها.

هذا ما تشترك به الصحبتان من الضوابط ، وأما الأخرى فالتشارك فيها نسبي.

---

(١) المصنف في الأحاديث والآثار ، ابن أبي شيبة (٢١٥/٧).

(٢) للاستزادة:راجع مسألة صحة العقيدة ، ص:

(٣) للاستزادة:راجع مسألة الإخلاص ، ص:

(٤) للاستزادة:راجع مسألة الصدق ، ص:

(٥) للاستزادة:راجع مسألة أن يكون من نفس الجنس ، ص:

الْمَسْأَلَة الْأُوْلَى : التَّرْبِيَة الْإِيْمَانِيَّة .

أَوَّلاً : تَعْرِيْف التَّرْبِيَة الْإِيْمَانِيَّة :

أ- التَّرْبِيَة الْإِيْمَانِيَّة لُغَةً :

- التَّرْبِية : (" رَبَّ " الرَّاءُ وَالْبَاءُ يَدُلُّ عَلَى إِصْلَاحُ الشَّيْءِ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِ) [(١)] .
- الإِيْمَانِيَّة : (الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ : أَحَدُهُمَا سُكُونُ الْقَلْبِ، وَالْآخَرُ التَّصْدِيقُ) [(٢)] .

ب- التَّرْبِيَة الْإِيْمَانِيَّة اصْطِلاحاً :

- التَّرْبِيَة : (هي عملية تهدف إلى إيصال المربى إلى درجة الكمال التي هيأه الله لها، فهي تشمل جميع جوانب النفس الإنسانية) [(٣)] .
- الإِيْمَانِيَّة : (الإيمان : اعتقاد بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان) [(٤)] .

فالتَّرْبِيَة الْإِيْمَانِيَّة كَضَابِطٍ مِنْ ضَوَابِطِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّين تَعْنِي : (إيصال المدعو إلى درجات الكمال التي هيأه الله لها ، اعتقاداً و نطقاً وعملاً) .

ثَانياً : أَهَمِّية التَّرْبِيَة الْإِيْمَانِيَّة بالنِّسْبَةِ لِلْمَدعُوِّيْن :

لَّما كان العلم لا يكفي لنجاة المرء وفوزه بمرضاة الله ، بل ويغدو وبالاً على صاحبه ، فتقع عليه غضبة الجبار ، ويلحق بزُمَرِ المبعدين عن رضوان الله ، الزَّائغين عن صراطه المستقيم، من يجب على المسلم في كل ركعة التعوذ من طريقتهم وسبيلهم **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧].

لذا كان لا بد أن يلحق بالعلم العمل، فيُصدِّقه ، ويشهد على تصديق صاحبه بما عَلِم.

---

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٣٨١/٢).

(٢) المرجع السابق (١٣٣/١).

(٣) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها ، علي مدكور ، دار الفكر العربي ١٤٢١ ، ص:٢٢.

(٤) العقيدة في الله ، عمر الأشقر ، ص:٢٢.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾[الصف: ٢ – ٣].

وهذا يُوجب على الدَّاعية أن يسعى إلى تربية صحبه المدعوِّين على المبادرة إلى التطبيق، والاستسلام لأمر الله ، بلا معارضة ، أو ضجر.

ولقد دعا إبراهيم – عليه السلام – أن يبعث الله لهذه الأمَّة رسولاً يُعلمهم ويُزكيهم ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٢٩ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

(وقد عَلِمَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ – عَلَيْهِمَا السَّلَامُ – أَنَّ تَعْلِيمَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لَا يَكْفِي فِي إِصْلَاحِ الْأُمَمِ وَإِسْعَادِهَا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُقْرَنَ التَّعْلِيمُ بِالتَّرْبِيَةِ عَلَى الْفَضَائِلِ ، وَالْحَمْلِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِحُسْنِ الْأُسْوَةِ وَالسِّيَاسَةِ، فَقَالَ: (وَيُزَكِّيهِمْ) أَيْ : يُطَهِّرُ نُفُوسَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، وَيَنْزِعُ مِنْهَا تِلْكَ الْعَادَاتِ الرَّدِيئَةَ، وَيُعَوِّدُهَا الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ الَّتِي تَطْبَعُ فِي النُّفُوسِ مَلَكَاتِ الْخَيْرِ، وَيُبَغِّضُ إِلَيْهَا الْقَبِيحَةَ الَّتِي تُغْرِيهَا بِالشَّرِّ)[1] .

ولقد أجاب الله دعوة إبراهيم–عليه السلام–، فكانت المنَّة ببعث خير الأنبياء والمرسلين ﷺ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝١٦٤ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

أي: (يطهرهم مِنْ خَبَثِ الشِّرْكِ، وَخَبَثِ مَا عَدَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، ويُصْلِحُهُمْ ، يدعوهم إلى اتباع مَا يَصِيرُونَ بِهِ أَزْكِيَاءَ أَتْقِيَاءَ)[2] .

وما فتئ المصطفى – ﷺ– مذ بزغت شمس بعثته يُربي أبناء هذا الدين ، ويُعزز المعاني الإيمانية السَّامية في نفوسهم .

(١) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (٣٨٩/١).

(٢) مفاتيح الغيب ، أبوعبدالله الرازي (٥٣٨/٣٠).

جاهد -ﷺ- لزرع النَّبت الطيب في قلوبهم الإيمان الخالص الصادق الذي لا تشوبه شائبة ، ولما صار إيمانهم صادقاً أثمر خيراً وصلاحا ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٥].

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنه-، أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: " يَا غُلامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ "[1].

إنَّ كل جملة من الحديث لو أُفرِدت لها دروساً وأيَّاماً لشرحها لما وفَّت ، فلقد أكرم الباري نبينا -ﷺ- وخصَّه بجوامع الكلم ، وفي كل جملة دروس لكل داعية يروم الخير والصلاح لصحبه المدعوين ، ويرجو السَّداد في توجيههم وتزكية نفوسهم ، وتربيتهم على الوجه الأكمل ، والحال الأوفى .

إن على الداعية أن يأخذ حديث المصطفى -ﷺ- السابق بقوَّة ، ليعمل به ، ويُنشِّئ صحبه المدعوِّين عليه ، يُعلق قلوبهم بباريهم ، يغرس في قلوبهم وجوب لزوم أمر الله ، والحفاظ على حدوده ، فإذا ما كان أحدهم في خلوة عظَّم نظر الرَّقيب عليه ، فعظَّم أن يعصيه ، واستشعر أن بحفظه لأمر الله ، يُكرم برعاية وصيانة سائر أموره ، وإذا ما نزلت به ضراء ، تيقن أن قوى الأرض قاطبة لو اجتمعت لن تدفع عنه ذرَّة ضراء إن لم يأذن القوي العزيز بذلك ، فلا يسأل إلا مالك الملك ، يتعفَّف عما في أيدي الضعفاء الفقراء، ليضرع بسؤال مالك الملك ﴿ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [المؤمنون:٨٨].

فمتى ما تعلق القلب بالله سبحانه رجاءاً وسؤالاً والتجاءاً واعتصاما به ، كانت القاعدة راسخة بإذن الله معها يثبت من العواصف والزلازل.

---

(١) رواه أحمد في سنده ، مسند بني هاشم ، مسند عبدالله بن العباس...، رقم الحديث (٢٦٦٨) (٤/٤٠٩-٤١٠) ، ورواه النسائي في سننه ، كتاب:صفة القيامة والرقائق والورع ، باب:٥٩ ، رقم الحديث (٢٥١٦) (٤/٢٤٨) ، وقال (حديث حسن صحيح) ، ورواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:معرفة الصحابة ، باب:ذكر عبدالله بن عباس ، رقم الحديث (٦٣٠٣) (٣/٦٢٣) ، وقال الألباني في سلسلته (صحيح) .

(إن أول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله في ذوات أنفسهم ، وفي الصغير والكبير من أمرهم ، أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور ، ومن نية أو عمل ، ومن رغبة أو رهبة ، لا تخضع لله ولا ترضى بحكمه وقضاه ، استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية)[1] .

(إن ضعف التدين وقلة الخوف من الله تجعل عقل الإنسان بيئة خصبة للقلق الفكري، والانحراف عن جادة الصراط المستقيم ، وتجعل قلمه ولسانه يخوض فيما لا يُحسن ، ويتطاول بحثاً عن التصدر والأضواء)[2] .

لقد كان -ﷺ- في مجلسٍ مع صحبه -رضي الله عنهم- يُحفِّزهم ، ويُنشِّطهم للمسابقة إلى رضوان الله ، فيبادر -ﷺ- إلى سؤالهم : «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» فقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ »[3] .

لقد كانت وصية رسول الله-ﷺ- لصحبه أن يلزموا المساجد، ويتسابقوا إلى الصلاة، التي هي عماد الدين، فمتى ما صلُحت صلح حال صاحبها واستقام، ثمَّ ها هو -ﷺ- يُكرر الوصية حينما سأله مولاه ثوبان -رضي الله عنه- عن أحب الأعمال إلى الله ، فأجابه -ﷺ-: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»[4] .

فالصَّلاة هي أولى وأوجب ما يجب أن يُربَّى عليه المدعو بعد الإيمان العميق بالله تعالى ، وعلى قدر صلاحها يكون صلاح صاحبها ، وعلى قدر تضييعه لها يكون تتبعه للشهوات والمحرمات، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾ [مريم: ٥٩].

(فإذا ضيعوا الصلاة التي هي عماد الدين ، وميزان الإيمان والإخلاص لرب العالمين ، التي هي آكد الأعمال ، وأفضل الخصال ، كانوا لما سواها من دينهم أضيع ، وله أرفض ، والسبب الداعي لذلك ، أنهم اتبعوا شهوات أنفسهم وإراداتها فصارت هممهم منصرفة إليها، مقدمة لها على حقوق الله ،

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٢٠٦/١).

(٢) في البناء الدعوي ، أحمد الصويان ، ص:١١٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الطهارة ، باب:إسباغ الوضوء على المكاره ، رقم الحديث (٢٥١) (٢١٩/١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الصلاة ، باب:فضل السجود والحث عليه ، رقم الحديث (٤٨٨) (٣٥٣/١).

فنشأ من ذلك التضييع لحقوقه ، والإقبال على شهوات أنفسهم، مهما لاحت لهم حصلوها ، وعلى أي وجه اتفقت تناولوها).[1]

إنَّ علاقة المدعو إذا قويت بالصَّلاة كان ذلك مؤذناً بصلاح حاله ، وسمو إيمانه ، وتسابقه نحو الطاعات والخيرات ، وتشبّثه بطريق الصلاح ، وإن ملازمته للمساجد موطد لعلاقته بصاحبه الداعية ، وسبيل إلى استخراج ما فسد من قلبه ، وزرع حب الصلاح وأهله في نفسه .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[هود: ١١٤].

لقد كان المسجد هو المكان الذي تُعقد فيه اللقاءات ، وتقام في المؤتمرات ، وتُحاكُ الخطط في عهد رسول الله -ﷺ- ، لقد كان حينها في مقام ما يُسمى الآن بوزارة الداخلية والخارجية والدفاع ، بل وكل الوزارات مقرُّها المسجد ، كل ذلك ليوثِّق النبي -ﷺ- علاقة صحبه بالصَّلاة ، ليعلق قلوبهم بها ، ليعلموا يقيناً أن صلاح الدنيا والآخرة منوط بصلاح هذه الفريضة .

ولم يكتفِ رسول الله -ﷺ- بذلك بل كان إذا نزل به أمر فزع إلى الصَّلاة ، ليكون ذلك أبلغ في تربية صحبه ، وربطهم بما يعزز إيمانهم ، ويقوي صلتهم ببارئهم ، حتى لا يضعفوا ولا يهِنوا .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣].

وربط المدعو بالصَّلاة يلحقه تربيته على ملازمة الذكر ، وغشيان حِلَقِه وتتبّعها ، فقد ثبت عن النَّبيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[2] .

وإن أعظم ذكر يُربى على ملازمته المدعو فيسمو إيمانه ، وترقى همته ، ويُسارع للسَّبق في مدارج الكمال هو كلام الله تعالى .

(١) تيسير الكريم الرحمن ، عبدالرحمن السعدي ، ص:٤٩٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الذكر والدعاء...، باب:فضل الاجتماع على تلاوة القرآن...، رقم الحديث (٢٧٠٠) (٤/٢٠٧٤).

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ [1] – رضي الله عنه– ، قَالَ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ – ﷺ– وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا) [2].

لقد عمق رسول الله – ﷺ– صلة صحبه بكتاب الله المجيد حفظاً وفهماً وتدبراً ومُدارسة ، حتى غدا به إيمانهم يرقى ويزداد .

فوجّههم للحرص على حفظ كلام الله ، لتستنير به صدورهم ، وتحيا به قلوبهم ، وحذرهم من هجران حفظه بقوله :" إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ" [3].

إن تربية المدعو على ملازمة كلام الله لا يعني حفظه حفظاً مُجرَّداً عن التدبر والتَّفكر، – وإن كان للحفظ مزايا وفضائل – إلا أنَّه لابد من اقترانه بالتدبر والمدارسة والتفكر .

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه– قَالَ: (كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ) [4].

(فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف ، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم ، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته ، فإنه يعرِّف بالرب المعبود ، وما له من صفات الكمال ، وما يتره عنه من سمات النقص ، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها ، وما لهم عند القدوم عليه ، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة ، والطريق الموصلة إلى العذاب ، وصفة أهلها ، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

---

(1) جُنْدُبُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ سُفْيَانَ البَجَلِيُّ ، الإِمَامُ، أَبُو عَبْدِ اللهِ البَجَلِيُّ، العَلَقِيُّ، صَاحِبُ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.نَزَلَ الكُوْفَةَ وَالبَصْرَةَ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ١/١٧٤).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه ، كتاب:السنة ، باب:في الإيمان ، رقم الحديث (٦١) (١/٤٢) ، ورواه البيهقي في شعبه، المقدمة ، باب:القول في زيادة الإيمان...، رقم الحديث (٥٠) (١/١٥٢) ، ورواه البيهقي في سننه ، كتاب:صلاة الإمام وصفة الأئمة ، باب:البيان أنه إنما قيل:يؤمهم أقرؤهم...، رقم الحديث (٥٢٩٢) (٣/١٧١) ، وقال الأرنؤوط (إسناده صحيح).

(٣) رواه الترمذي في سننه ، كتاب:الأمثال ، باب:فضائل القرآن ، رقم الحديث (٢٩١٣) (٥/٢٧) ، وقال (حسن صحيح) ، ورواه الطبراني في معجمه الكبير ، كتاب:العين ، باب:أبو ظبيان عن ابن عباس ، رقم الحديث (١٢٦١٩) (١٢/١٠٩) ، ورواه أحمد في مسنده ، مسند أبي هاشم ، مسند عبدالله بن العباس...، رقم الحديث (١٩٤٧) (٣/٤١٧) ، وقال الحاكم في مستدركه (صحيح الإسناد).

(٤) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١/٩).

وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة ، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه المقصود بإنزال القرآن ، كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤].

ومن فوائد التدبر لكتاب الله : أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع ، كلها متوافقة متصادقة ، لا ينقض بعضها بعضا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور ، فلذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢]، أي : فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلا)[(١)] .

إنَّ همة الداعية لا تفتر عن تربية صاحبه على لزوم الذكر في كل أحواله ، وتعليمه الأذكار العامة والخاصة ، وحثه على التَّمسك بها مُقتدياً بنبيه -ﷺ- ، وخير مثال على ذلك قصته -ﷺ- مع معاذ بن جبل - رضي الله عنه - فعَنْه - رضي الله عنه- : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَخَذَ بِيَدِي يَوْمًا فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّكَ» ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ ، فَقَالَ: " أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ " [(٢)] .

فيُعوِّد صاحبه على المحافظة على أذكار الصباح والمساء ، وأدبار الصلوات ، ويُعينه على الفقه بمعانيها ، واستشعارها في كل حين .

ولا يخفى على الدَّاعية أهمية أن يربط صاحبه بأسماء الله الحسنى ، فيحفظه إياها ، ويشرح له معانيها ، ويستحضرها في المواقف اللازمة لها ، مشعراً صاحبه بفضل التَّمسك بها، كما ثبت في الصحيحين : «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» [(٣)] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ، عبدالرحمن السعدي ، ص:١٨٩.

(٢) رواه أبو داوود في سننه ، كتاب:فضائل القرآن ، باب:في الاستغفار ، رقم الحديث (١٥٢٢) (٦٣١/٢) ،ورواه البزار في مسنده ، مسند معاذ بن جبل ، أول الخامس والعشرين...، رقم الحديث (٢٦٦١) (١٠٤/٧) ، ورواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:الطهارة ، باب:حديث عبدالرحمن بن مهدي ، رقم الحديث (١٠١٠) (٤٠٧/١) ، وقال (صحيح على شرط الشيخين) ، وقال الأرنؤوط (حديث صحيح) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الشروط ، باب:ما يجوز من الاشتراط...، رقم الحديث (٢٧٣٦) (١٩٨/٣)، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الذكر والدعاء، باب:في أسماء الله ـــ...، رقم الحديث (٢٦٧٧) (٢٠٦٣/٤).

قال ابن حجر – رَحِمَهُ اللَّهُ – : (من أحصاها أَي : حفظهَا ، وَقيل : من أحَاط بهَا علما وَمَعْرِفَة ، وَقيل: إِيمَانًا ، وَقيل: استخرجها من كتاب الله ، وَقيل: أطَاق الْعَمَل بمقتضاها، وَقيل: أخطرها بِبَالِهِ ، وَقيل : من عرف مَعَانِيهَا)[1] .

فيُحاول الداعية جاهداً ألا يُفوِّت لقاءاً بصاحبه المدعو دون أن يُعلِّمه ذكراً أو اسماً من أسماء الله الحسنى ، ولا يخلو هذا التعليم من بيان فقهه ، وعظيم فضله .

(إن استثمار العبادات يُعين في دفع المدعو لنشاط أكبر ، لأن العبادة تكسب الفرد الجد والنظام ، وتزوده بالسند والقوة المعنوية والنفسية ، وتدفعه لمزيد من الحركة والحيوية)[2] .

إن تقوية صلة المدعو بربه ، وترسيخ الخشية في نفسه ، وتعظيم قدر الله في قلبه أعظم معين له في مواجهة الشهوات والشبهات .

(فأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأى على الشرع ، والهوى على العقل. فالأول: أصل فتنة الشبهة، والثانى: أصل فتنة الشهوة . ففتنة الشبهات تدفع باليقين ، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر ، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين ، فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة: ٢٤] .

فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة فى الدين ، وجمع بينهما أيضاً فى قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر: ٣] .

فتواصوا بالحق الذى يدفع الشبهات، وبالصبر الذى يكف عن الشهوات)[3] .

فمتى ما كانت قاعدة إيمان المدعو صلبة قوية وقف في وجه كل شبهة وشهوة بثبات مُردداً : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[يوسف: ٢٣].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (١٠٦/١) .

(٢)علم النفس الدعوي ، عبدالعزيز النغيمشي ، ص:١٣١.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن قيم الجوزية (١٦٧/٢).

وإن تعامل الداعية مع صاحبه المدعو وحسن إدارته للمواقف تؤثر في إيمان صاحبه ازدياداً أو نقصاناً ، فإن أصاب مُستعيناً بباريه في تربية صاحبه أثمرت صحبته خيراً وأَثْرَت براً ، وأما إذا زاغ أو هادن الداعية في تربية صاحبه أجحف في حق صاحبه ، وما بَرَّ إخائه .

قال الشاطبي[1] -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (إِذَا عَرَضَ الْعَامِّيُّ نَازِلَتَهُ عَلَى الْمُفْتِي؛ فَهُوَ قَائِلٌ لَهُ: "أَخْرِجْنِي عَنْ هَوَايَ وَدُلَّنِي عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ"؛ فَلَا يُمْكِنُ -وَالْحَالُ هَذِهِ- أَنْ يَقُولَ لَهُ: "فِي مَسْأَلَتِكَ قَوْلَانِ؛ فَاخْتَرْ لِشَهْوَتِكَ أَيَّهُمَا شِئْتَ؟". فَإِنَّ مَعْنَى هَذَا تَحْكِيمُ الْهَوَى دُونَ الشَّرْعِ ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ هَذَا أَنْ يَقُولَ: مَا فَعَلْتُ إِلَّا بِقَوْلِ عَالِمٍ؛ لِأَنَّهُ حِيلَةٌ مِنْ جُمْلَةِ الْحِيَلِ الَّتِي تَنْصِبُهَا النَّفْسُ، وِقَايَةً عَنِ الْقَالِ وَالْقِيلِ، وَشَبَكَةٌ لِنَيْلِ الْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَتَسْلِيطُ الْمُفْتِي الْعَامِّيَّ عَلَى تَحْكِيمِ الْهَوَى بَعْدَ أَنْ طَلَبَ مِنْهُ إِخْرَاجَهُ عَنْ هَوَاهُ رَمْيٌ فِي عِمَايَةٍ، وَجَهْلٌ بِالشَّرِيعَةِ، وَغِشٌّ فِي النَّصِيحَةِ)[2] .

فإنَّ موقف الداعية من زلل صاحبه ، يعينه على الخير أو الشر ، والحكمة مع العلم لازمة وواجبة.

وعلى الداعية أن يتأمل حرص المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على تربية صحبه تربية إيمانية ، وغرس معاني الصدق ، والنصح لله ، وربط الصحبة ومدى صدقها بصدق إيمان صاحبها ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[3] .

وعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا». قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: «فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ»[4] .

---

(١) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطي ، ت: ٧٩٠ هـ ، أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه (الموافقات في أصول الفقه – ط) أربع مجلدات، و (المجالس) شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، و (الافادت والانشادات – خ) رسالة في الأدب (الأعلام للزركلي ٧٥/١) .

(٢) الموافقات ، إبراهيم الشاطبي ، ت:مشهور آل سلمان ، دار ابن عفان ط١ (٩٧/٥).

(٣) رواه أحمد في مسنده ، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند أبي هريرة ، رقم الحديث (٧٩٦٨) (٣٤٧/١٣) ، ورواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:البر والصلة ، باب:حديث عبدالله بن عمرو ، رقم الحديث (٧٣١٢) (١٨٦/٤)، واللفظ له ، وقال (حديث صحيح الإسناد) ، ورواه البيهقي في شعبه ، كتاب:مقاربة أهل الدين وموادتهم...، باب:قصة إبراهيم في المعانقة...، رقم الحديث (٨٦٠٢) (٣٢٦/١١) ، وقال الذهبي (صحيح).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:المناقب ، باب:مناقب عمر بن الخطاب ، رقم الحديث (٣٦٨٨) (١٢/٥) ، واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:المرء مع من أحب ، رقم الحديث (٢٦٣٩) (٢٠٣٢/٤).

على الداعية أن يصدق في تربية صاحبه على صدق الإيمان ، وإخلاص العمل لله ، لا أن يعمل لأجل أن يُرضي صاحبه ، فيكون إيمانه هزلاً ضعيفاً ، فإذا ما واجه أي شبهة ، أو بُلِي بأدنى شهوة سقط وتراخى ، بل يُربيه على مراقبة الله ، والعمل لأجله ، وإذا ما حالت الظروف دون تعاهد الداعية لإيمان صاحبه ، أو منع وصالهم القدير ثبت ورسخ على الخير والحق .

(إن محاضن الدعوة التي يتربى فيها الشباب ، ويأتلف فيها طلبة العلم ، أحوج ما تكون إلى ترسيخ التدين، وتعميق الصلة بالله تعالى ، ولا يتحقق ذلك إلا بتعظيم الأمر والنهي ، والوقوف عند حدود الشرع ، وهذا من أعظم دلائل استقامة القلب)[1] .

(وإنه ابتداء يجب توجيه الحرص كله لإقامة القاعدة الصلبة من المؤمنين الخُلَّص ، الذين تصهرهم المحنة ، فيثبتون عليها ، والعناية بتربيتهم تربية إيمانية عميقة تزيدهم صلابة وقوة ووعيا ذلك مع الحذر الشديد من التوسع الأفقي قبل الاطمئنان إلى قيام هذه القاعدة الصلبة الخالصة الواعية المستنيرة)[2] .

(وإن تدعيم الجانب الروحي لدى الشباب وتحسين صلته بالله تعالى سيدفعه إلى مزيد من التطوع طلباً للمثوبة من الله)[3] .

وبعد أن وضحت أهمية التربية الإيمانية بالنسبة لصحبة الداعية للمدعوين ، أذكر بعض لوازم هذه التربية.

ثَالِثاً : مِنْ لَوَازِمِ التَّرْبِيَةِ الْإِيْمَانِيَّة :

أ- النُّصْح :

فمن لوازم التربية الإيمانية نُصح المدعو ، توجيهه إذا زل ، وتقوِّيمه إذا اعوج ، والتصويب له إذا أخطأ ، ولا تتنافى النصيحة أبداً مع الصحبة بل هي من علامات صدقها والنصح لها .

(١) في البناء الدعوي المجموعة الثانية ، أحمد الصويان ، ص:٧٧.

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب (١٥٧٨/٣).

(٣) الصحوة الإسلامية ، عبدالكريم بكار ص:١٢٧.

(يظن البعض أن المناصحة وبيان الخطأ للصَّاحب قد يخدش الود الذي بينهما ناسياً أن تآلف القلوب قضية ربانية تأتي على قدر استقامة المسلم على منهج الله ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

كما أن الغضب عند خطأ الصاحب ظاهرة صحية ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٠] ، لأن ذلك الغضب علامة على الاهتمام بأمر المؤمنين ، وهذا يدل على إيجابية الداعية تجاه صحبه وإلا بإمكانه أن يأخذ بقاعدة السلب " من صمت نجا"، فينجو من نقد أصحابه ، ومن تحاملهم عليه ، وجرح صفائه عندهم ، ولكنه يكون بذلك أخلف عهد الصحبة «وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[1])[2] .

إنَّ حقَّ الصحبة عظيم يجب على الداعية أن يقوم به ، وإن من أعظم الخيانة أن يُداهن الداعية صاحبه ، ويجامله ، ويترك نصحه ، والصدق في دعوته .

(إن الأخوة عقد يترل مترلة القرابة ، فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ، ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وفقره ، وفقر الدين أشد من فقر المال ، وقد أصابته جائحة وألمت به آفة افتقر بسببها في دينه ، فينبغي أن يراقب ويراعي ولا يهمل ، بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الوقعة التي ألمت به.

فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان ، وهذا من أشد النوائب ، والفاجر إذا صحب تقيا وهو ينظر إلى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ، ويستحي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه)[3] .

(فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال ، فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا ، فإن علمته وأرشدته و لم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة ، وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة ليترجر عنه ، وتنبهه على عيوبه، وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن ، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الإيمان ، باب:قول النبي ج:"الدين النصيحة" ، رقم الحديث (٥٨) (٢١/١)، ورواه مسلم في صحيحه ، باب:بيان أن الدين النصيحة ، رقم الحديث (٥٦) (٧٥/١).

(٢) رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين (٦٩/١-٧٠).

(٣) إحياء علوم الدين ، أبوحامد الغزالي (١٨٤/٢).

سر لا يطلع عليه أحد ، فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة ، وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة)[1] .

ولقد تربَّى السلف الصالح تربية راسخة ، وكان من لوازم تلك التربية نصيحة صادقة، والتاريخ الإسلامي مكتظ بنصائح صدق أصحابها في بذلها لإخوتهم ، فبارك الله بها ، وانتفع بها صحبهم ، وخلدت في التاريخ ينتفع بها من يشاء الله إلى يوم الدين .

عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – كان غلاماً في ريعان شبابه ، يُهدي له خير البرية – صلى الله عليه وسلم – نصيحة فلا يزال متشبثاً بها حتى آخر عمره ، قال له رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – : «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» ، فكان – رضي الله عنه – لا ينام من الليل إلا قليلاً [2] .

تلك نصيحة واحدة تشبَّث بها الصاحب الصالح ابن عمر – رضي الله عنهما – ، ولا يخفى على داعية آثار التمسك بمثل هذه النصيحة على إيمان المدعو وثمار ذلك .

إن تقصير الداعية في بذل النصح لصاحبه تشاغلاً أو تكاسلاً أو إهمالاً لن يعود بنفع ، ولا يُرجى من هذا التكاسل خير ، ولن تكتمل التربية الإيمانية للصاحب المدعو إلا بنصح صادق يُهديه الداعية لأخيه بحب ، ورجاء في ازدياد المحبة ، وتقوية الصحبة ، لتبقى صحبتهم منارة خير في الدنيا ، وبه يرتقون المنابر ، ويستظلون بظل العرش يوم القيامة .

(وقد يكون من باب استعمال الحكمة في الدعوة إلى الله تأخير إنكار المنكر ، فقد يكون الفاعل للمنكر لا يناسب أن يُنكر عليه في هذا الوقت بالذات ، لكن يُحتفظ بحق الإنكار عليه ودعوته إلى الحق في وقت يكون أنسب ، وهذا في الحقيقة طريق صحيح ، فإذا رأى الإنسان من المصلحة أن لا يدعو هذا الرجل في هذا الوقت أو في هذا المكان ، ويؤخر دعوته في وقت أو مكان آخر ، لأنه يرى أن ذلك أصلح وأنفع فهذا لا بأس به)[3] .

---

(١) المرجع السابق (١٨٢/٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:التهجد ، باب:فضل قيام الليل ، رقم الحديث (١١٢١) (٤٩/٢) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:فضائل الصحابة ، باب:من فضائل عبدالله بن عمر ، رقم الحديث (٢٤٧٩) (١٩٢٧/٤).

(٣) الصحوة الإسلامية ، ابن عثيمين ، ص:١٠١-١٠٢.

واستعمال الحكمة لازم حال النصح بتخيّر الوقت المناسب ، والمكان المناسب ، والأسلوب المناسب ، والوسيلة المناسبة ، ومتى ما اقتُرن النصح بالحكمة كان مفتاح خير ، أثمر وخلّف خيراً عظيماً ، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩].

(إن مما يخطئ به بعض الدعاة في نصحهم وتوجيهاتهم لصحبهم المدعوين هو أن يجعلوها مقرونة بأسلوب الأمر قبل البيان مستغلين بذلك طاعة المدعوين لهم ، وظنهم أنهم بذلك يوفرون لأنفسهم وقت الحجة والبيان ، وهم بهذا يرتكبون خطأين ، الأول : تربوي حيث أن المدعو يتعود على تلقي الأوامر دون أن يتبينها ، فتقتل فيه روح القيادة والإبداع ، والآخر : شرعي حيث أن رسول الله -ﷺ- كان يبين ثم يأمر وهذا واضح في منهجه عموماً)[1] .

إنَّ من أكثر النماذج التي تُثير العجب ، والتي تدعو لمزيد من الأناة والحكمة ، ذلك الشاب الذي جاء للرحمة المهداة -ﷺ- يستأذنه في الزنى ، فلم يُعنِّفه -ﷺ- ولم يزجره ، بل رفق به ، وتقرَّب منه ، وخاطب عقله وروحه .

والداعية حينما صحب أخاه المدعو لم يصحب ملكاً ولا معصوماً ، بل صحب امرءاً ضعيفاً خطَّاءاً - وكل بني آدم خطَّاء - ، فحين يعرف هذا الداعية حقَّ المعرفة فلا يليق به أن يغلظ القول لصاحبه ، أو يُعنِّفه ، أو يهجره للأبد لذنب رآه منه ، أو لزلل صدر عنه ، بل يحتوي صاحبه بصدر رحب ، يرفق في نصحه ، يلين القول له.

قال إبراهيم النخعي[2] -رحمه الله- : (لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا)[3] .

(وقد حُكِي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة . فقيل لأخيه : ألا تقطعه وتهجره ؟ فقال : أحوج ما كان إلي في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن آخذبيده ، وأتلطف له في المعاتبة ، وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه)[4] .

---

(١) طريق الدعوة الإسلامية ، جاسم الياسين ، ص:١٥٣.

(٢) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبوعمران النخعي (٤٦ - ٩٦ هـ = ٦٦٦ - ٨١٥ م) من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث. من أهل الكوفة. مات مختفيا من الحجاج. قال فيه الصلاح الصفدي: فقيه العراق، كان إماما مجتهدا له مذهب (الأعلام للزركلي ٨٠/١) .

(٣) إحياء علوم الدين ، أبوحامد الغزالي (١٨٣/٢).

(٤) المرجع السابق (١٨٤/٢).

فالداعية يتخوَّل صاحبه بالنصح ، يُلازم نصحه رفقاً وإحساناً وصدقاً في إخاءه .

ب- تَكْوِيْنُ بِيْئَةٍ صَالِحَةٍ :

إن الصدق في تربية المدعو على الإيمان ، واستدامة نُصحه لن تُثمر كثيراً إن كان المدعو لا يزال قابعاً في بيئة فاسدة ، تهدم ما يبنيه الداعية ، وتُفسد ما يُصلحه .

(إن انخلاع الفرد من الجاهلية ليس كافياً ما لم يحط بسياج من البيئة والجو الإيماني ليديم ذلك الانخلاع)[1] .

وانتشال المدعو من بيئات الفساد لا يعني أبداً أن يضطره الداعية إلى العزلة ، والامتناع عن الخلطة بالناس ، (فإن في الإنسان ميل للاجتماع بالآخرين ، وحاجة للاستئناس بهم ، والالتجاء إليهم عند الضيق والحاجة ، والداعية كلما دعم صاحبه المدعو اجتماعياً وسدده في هذا الباب كان إقباله أشد ورغبته في العلم والعمل أكبر ، وكلما عزله أو سجنه عن خلانه وأقرانه انعكس ذلك على انتاجيته ورغبته في التعلم)[2] .

فعلى الداعية أن يُهيئ لصاحبه البيئة الصالحة التي تُعينه على الصلاح ، وتدفعه إلى الخيرية ، وتنمي في نفسه تعظيم الله ، والوقوف عند حدوده ، ولعل من أولى واجبات الداعية أن يسعى لإلصاق صاحبه المدعو بإخوانه راسخي العلم والإيمان ، ليعينوه على الثبات والصلاح ، وتلك الوصية كانت لخير البرية -ﷺ- من ربه ، فغيره أحوج إليها خاصة في زمن تكاثر الفتن وتكالب المحن .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [الكهف: ٢٨].

إن من أهم ما يجب أن يُعنى به الداعية إعانة المدعو على اختيار البيئة الصالحة ، وأولى البيئات بالعناية والاهتمام بيت المدعو ، فيُعينه ويحثه على اختيار الزوجة الصالحة التي تدفعه إذا فتر ، وتُقومه إذا زل ، ويزداد بالاقتران بها إيماناً وخيراً وصلاحاً .

(١) رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين (١/٢١٤).

(٢)علم النفس الدعوي ، عبدالعزيز النغيمشي ، ص:١١٤.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – ، عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – ، قَالَ: " تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ"[(١)] .

قال ابن حجر – رحمه الله –: (وَالْمَعْنَى : أَنَّ اللَّائِقَ بِذِي الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ أَنْ يَكُونَ الدِّينُ مَطْمَحَ نَظَرِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا سِيَّمَا فِيمَا تَطُولُ صُحْبَتُهُ ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – بِتَحْصِيلِ صَاحِبَةِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ الْبُغْيَةِ)[(٢)] .

إن العناية بالبيئة التي ينتمي لها المدعو أمر ذو أهمية بالغة في تربيته إيمانياً لكنه يغيب كثيراً على الداعية ، وللتهاون فيه آثار سيئة تعود على المدعو بالتراجع والتَّقهقر ، وكما قيل: " الصاحب ساحب ".

(إن محاضن الدعوة التي يتربى فيها الشباب ، ويأتلف فيها طلبة العلم ، أحوج ما تكون إلى ترسيخ التدين ، وتعميق الصلة بالله ، ولا يتحقق ذلك إلا بتعظيم الأمر والنهي ، والوقوف عند حدود الشرع ، وهذا من أعظم دلائل اسقامة القلب .

نحن في حاجة إلى استقطاب الفتيان والفتيات ، وتقريبهم إلى الخير ، وتأليفهم على الطاعات ، والرفق بهم ، خاصة في هذا العصر الذي انفتحت فيه أبواب الشبهات والشهوات ، وأصبحت تتخطف قلوبهم ، وتسقطهم في مدارك الفساد في صورة لم يسبق لها مثيل ، لكن هذا الترفق لا يعني مجاراة أهوائهم ، والاستسلام لعوائدهم ، وتهوين الخطأ في قلوبهم ، وتنشئتهم تنشئة هشة ، تذهب معها حلاوة الطاعة ، كما لا يعني التشدد والتنطع في تربيتهم ، أو قسرهم على ما لايطيقون من العزائم ومعالي الأمور ، والوسط أن ندور مع الشرع حيث دار)[(٣)] .

وبعد أن بينت التربية الإيمانية كأول ضوابط من ضوابط الصحبة بين الدعاة والمدعوين، أنتقل إلى بيان الضابط الثاني وهو التربية الأخلاقية.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:النكاح ، باب:الأكفاء في الدين ، رقم الحديث (٥٠٩٠) (٧/٧) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الرضاع ، باب:استحباب نكاح ذات الدين ، رقم الحديث (١٤٦٦) (١٠٨٦/٢) ، واللفظ لهما .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (١٣٥/٩) .

(٣) في البناء الدعوي ، أحمد الصويان ، ص:٧٧.

الْمَسْأَلَة الثَّانِيَة : التَّرْبِيَة الأَخْلَاقِيَّة .

أَوَّلاً : تَعْرِيْف التَّرْبِيَة الأَخْلَاقِيَّة :

أ- التَّرْبِيَة الأَخْلَاقِيَّة لُغَةً [1] :

- الأَخْلَاق :

قال ابن فارس - رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا تَقْدِيرُ الشَّيْءِ...، وَمِنْ ذَلِكَ الْخُلُقِ، وَهِيَ السَّجِيَّةُ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْهِ. وَفُلَانٌ خَلِيقٌ بِكَذَا، وَأَخْلِقْ بِهِ، أَيْ : مَا أَخْلَقَهُ، أَيْ : هُوَ مِمَّنْ يُقَدَّرُ فِيهِ ذَلِكَ) [2] .

وقال القرطبي - رَحِمَهُ اللَّهُ- : (مَا يَأْخُذُ بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنَ الْأَدَبِ يُسَمَّى خُلُقًا، لِأَنَّهُ يَصِيرُ كَالْخِلْقَةِ فِيهِ) [3] .

ب- التَّرْبِيَة الأَخْلَاقِيَّة اصْطِلاحاً :

- الأَخْلَاق :

(الأخلَاقُ هَيْئَةٌ فِي النَّفْسِ رَاسِخَةٌ عَنْهَا تُصْدِرُ الْأَفْعَالَ بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ ، فَإِنْ كَانَتِ الْهَيْئَةُ بِحَيْثُ تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ الْجَمِيلَةُ الْمَحْمُودَةُ عَقْلًا وَشَرْعًا سُمِّيَتْ تِلْكَ الْهَيْئَةُ خُلُقًا حَسَنًا ، وَإِنْ كَانَ الصَّادِرُ عَنْهَا الْأَفْعَالَ الْقَبِيحَةَ سُمِّيَتِ الْهَيْئَةُ الَّتِي هِيَ الْمَصْدَرُ خُلُقًا سَيِّئًا) [4] .

فالتَّرْبِيَة الأَخْلَاقِيَّة كَضَابِطٍ مِنْ ضَوَابِطِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْن: (تنمية الروح الأخلاقية ونزعات الخير ، وتقوية دوافعها في نفس المدعو) [5] .

ثَانياً : أَهَمِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ لِلْمَدْعُوين :

(١) سبق تعريف التربية لغة واصطلاحاً ، أنظر : التربية الإيمانية ص:

(٢) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٢/٢١٣-٢١٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله القرطبي (١٨/٢٢٧).

(٤) إحياء علوم الدين ، أبوحامد الغزالي (٣/٥٣).

(٥) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مقداد يالجن ، دار عالم الكتب ط٣ ، ص:١٠٦.

(إنَّ النَّفْسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى شِيَمٍ مُهْمَلَةٍ ، وَأَخْلَاقٍ مُرْسَلَةٍ ، لَا يَسْتَغْنِي مَحْمُودُهَا عَنْ التَّأْدِيبِ ، وَلَا يَكْتَفِي بِالْمُرْضِي مِنْهَا عَنْ التَّهْذِيبِ ؛ لِأَنَّ لِمَحْمُودِهَا أَضْدَادًا مُقَابِلَةً يُسْعِدُهَا هَوًى مُطَاعٌ وَشَهْوَةٌ غَالِبَةٌ ، فَإِنْ أَغْفَلَ تَأْدِيبَهَا تَفْوِيضًا إلَى الْعَقْلِ ، أَوْ تَوَكُّلًا عَلَى أَنْ تَنْقَادَ إلَى الْأَحْسَنِ بِالطَّبْعِ أَعْدَمَهُ التَّفْوِيضُ دَرَكَ الْمُجْتَهِدِينَ ، وَأَعْقَبَهُ التَّوَكُّلُ نَدَمَ الْخَائِبِينَ ، فَصَارَ مِنْ الْأَدَبِ عَاطِلًا ، وَفِي صُورَةِ الْجَهْلِ دَاخِلًا ؛ لِأَنَّ الْأَدَبَ مُكْتَسَبٌ بِالتَّجْرِبَةِ ، أَوْ مُسْتَحْسَنٌ بِالْعَادَةِ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ مُوَاضَعَةٌ.

وَذَلِكَ لَا يُنَالُ بِتَوْقِيفِ الْعَقْلِ وَلَا بِالِانْقِيَادِ لِلطَّبْعِ حَتَّى يُكْتَسَبَ بِالتَّجْرِبَةِ وَالْمُعَانَاةِ ، وَيُسْتَفَادَ بِالدُّرْبَةِ وَالْمُعَاطَاةِ)[1] .

ولقد بعث الله تعالى خاتم الأنبياء والمرسلين -ﷺ- داعياً لمحاسن الأخلاق والأعمال بفعله وقوله ، باذلاً في ذلك جهده وكل عمره ، وكان أنموذجاً حياً لكل خلق حسن ، فزكاه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

وكانت المنَّة عظيمة على أهل الإسلام بإرسال خير البرية -ﷺ- لها ، يدعوها لمحاسن الأخلاق ، يُزكيها ويُطهرها من مساوئها .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

(أَيْ : يُطَهِّرُهُمْ مِنْ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَدَنَسِ النُّفُوسِ وَأَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلَمَاتِ إِلَى النُّورِ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَهُوَ الْقُرْآنُ ، وَالْحِكْمَةَ وَهِيَ السُّنَّةُ ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ ، فَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءَ يسفهون بالعقول الغراء، فَانْتَقَلُوا بِبَرَكَةِ رِسَالَتِهِ، وَيُمْنِ سِفَارَتِهِ ، إِلَى حَالِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَسَجَايَا الْعُلَمَاءِ ، فَصَارُوا أَعْمَقَ النَّاسِ عِلْمًا ، وَأَبَرَّهُمْ قُلُوبًا ، وَأَقَلَّهُمْ تَكَلُّفًا ، وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً)[2] .

وقيل : ("وَيُزَكِّيهِمْ" أَيْ : يُطَهِّرُ نُفُوسَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ ، وَيَنْزِعُ مِنْهَا تِلْكَ الْعَادَاتِ الرَّدِيئَةَ ، وَيُعَوِّدُهَا الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ الَّتِي تَطْبَعُ فِي النُّفُوسِ مَلَكَاتِ الْخَيْرِ ، وَيُبَغِّضُ إِلَيْهَا الْقَبِيحَةَ الَّتِي تُغْرِيهَا بِالشَّرِّ)[3] .

(١) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٢٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣٣٥/١).

(٣) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (٣٨٩/١).

ولقد أعلن النبي -ﷺ- أن تربية الأخلاق وتهذيبها غاية بعثته ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ "[1] .

(إِنَّ أَوَّلُ مَا خُوطِب بِهِ الْمُسْلِمُونَ مَا يَرْجِعُ إِلَى الِاتِّصَافِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَا يَنْضَافُ إِلَيْهَا ، وَأَكْثَرُ مَا كَانَ ذَلِكَ فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ ، مِنْ حيث كان آنس لهم ، وَأُجْرِيَ عَلَى مَا يُتَمَدَّحُ بِهِ عِنْدَهُمْ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النَّحْلِ: ٩٠] لَكِنْ أُدْرِجَ فِيهَا مَا هُوَ أَوْلَى مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْإِشْرَاكِ وَالتَّكْذِيبِ بِأُمُورِ الْآخِرَةِ ، وَشِبْهِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ ، وَأَبْطَلَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُعِدُّونَهُ كَرَمًا وَأَخْلَاقًا حَسَنَةً وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، أَوْ فِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ مَا يُرْبِي عَلَى الْمَصَالِحِ الَّتِي تَوَهَّمُوهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [الْمَائِدَةِ: ٩٠] .

ثُمَّ بَيَّنَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَفَاسِدِ ، وَالشَّرِيعَةُ كُلُّهَا إِنَّمَا هِيَ تَخَلُّقٌ بمكارمِ الْأَخْلَاقِ .

إِلَّا أَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ إِنَّمَا كَانَتْ عَلَى ضَرْبَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَا كَانَ مَأْلُوفًا وَقَرِيبًا مِنَ الْمَعْقُولِ الْمَقْبُولِ، كَانُوا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ إِنَّمَا خُوطِبُوا بِهِ، ثُمَّ لَمَّا رَسَخُوا فِيهِ تَمَّمَ لَهُمْ مَا بَقِيَ، وَهُوَ: الضَّرْبُ الثَّانِي: وَكَانَ مِنْهُ مَا لَا يُعْقَلُ مَعْنَاهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ فَأُخِّرَ ، حَتَّى كَانَ مِنْ آخِرِهِ تَحْرِيمُ الرِّبَا ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَهُوَ الَّذِي كان معهودا عندهم على الجملة)[2] .

فالأخلاق احتلت منزلة عالية من الدين الإسلامي بل إن (الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين)[3] .

فعلى الداعية أن يُولي تربية الأخلاق أهمية ووقتاً ، وأولى المقصودين بذلك هم صحبه من المدعوين ، (فيسعى إلى تكوين روح الخير في نفس صاحبه المدعو بحيث يلتزم السلوك الخيِّر، ويسعى لتحقيق الخير للناس ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، كما يلتزم بتجنب سلوك الشر ويعمل ليحول دون وقوعه من أحد

(١) رواه البيهقي في شعبه ، كتاب:صلة الرحم ، رقم الحديث (٧٦٠٩) (٣٥٢/١٠) ، ورواه ابن أبي شيبه في مصنفه، كتاب:الفضائل ، باب:ما أعطى الله محمداً ج ، رقم الحديث (٣١٧٧٣) (٣٢٤/٦) ، ورواه البيهقي في سننه الكبرى ، كتاب:جماع أبواب من تجوز شهادته...، باب:بيان مكارم الأخلاق ومعاليها...، رقم الحديث (٢٠٧٨٢) (٣٢٣/١٠) ، قال الألباني في سلسلته (إسناده حسن).

(٢) الموافقات ، إبراهيم الشاطبي (١٢٢/٢-١٢٤).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٢٩٤/٢).

على أحد ، كما يغرس في نفسه أن ينظر للناس كما ينظر إلى نفسه ، فيُنمي في نفسه روح الإخاء وحب النفع للغير ، ويُكوِّن لديه وعياً بوحدة الحياة الاجتماعية ، فصلاحه صلاح لأمته ، وفساده فساد لأمته ، ويُربيه على الخضوع للنظام الأخلاقي الإسلامي ، فيرضخ له طواعية واستسلاما وديناً قُربة لله ، فيعينه على التدرب على ضبط النفس ، والتحكم فيها ، والسيطرة على مختلف نوازعها الطبيعية في مختلف الأحوال والمواقف بانتظام يبدأ أولاً بالانضباط النفسي ، ويتكون ذلك عن طريق تدريب الإرادة بممارسة أعمال الضبط في ظروف الثورة والهيجان النفسي ، وقد كان النبي -ﷺ- يدرب أصحابه على ذلك ، فقال مثلاً عن الغضب : «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» [(١)] ، وشجع القرآن الكريم على التحكم في نوازع الشح والبخل عند الضيق والحاجة ، وعلى نوازع الانتقام عند القوة والانتصار قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٤].

ثم إن على الداعية أن يربط المدعو بمجتمعه ، فيُعلق روحه به ، فأي نجاح يرجوه إن عمل لمصلحة نفسه دون أن ينظر لمن حوله ، ولهذا فقد اهتم الإسلام بالتعلق بالجماعة اهتماماً بالغاً حتى شبهها بالجسد الواحد ، فدعا إلى التعلق بالجماعة والاهتمام بها والعمل لمصلحتها، ومن ذلك قول النبي -ﷺ- : «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» [(٢)].

كما على الداعية تكوين روح الشخصية الحضارية لدى المدعو بالسعي في بناء روح التضحية لأجل نصرة الدعوة ، وبناء روح الإيثار ، والتخلي عن الأنانية الفردية لأنها من آفات الأمم والحضارات ، وتكوين الثقة في نفس المدعو أن بإمكانه الإسهام في تقدم أمته ، وتكوين القناعة التامة في نفسه بأهمية جهده وتعاونه في الإسهام في نصرة دينه) [(٣)] .

(وللداعية في التربية الخلقية وسيلتان : إحداهما : مباشرة ، والأخرى : غير مباشرة .

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الأدب ، باب:الحذر من الغضب ، رقم الحديث (٦١١٤) (٢٨/٨) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:فضل من يملك نفسه عند الغضب...، رقم الحديث (٢٦٠٩) (٢٠١٤/٤) ، عن أبي هريرة – س –.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الفتن ، باب:قول النبي ج :"سترون بعدي أموراً تنكرونها" ، رقم الحديث (٧٠٥٤) (٤٧/٩) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإمارة ، باب:الأمر بلزوم الجماعة...، رقم الحديث (١٨٤٩) (١٤٧٧/٣) ، عن عبدالله بن عباس ب.

(٣) دور التربية الأخلاقية الإسلامية ، مقداد يالجن ،دار عالم الكتب ط١ ، ص:٣٧-٦١.

والمقصود بالمباشرة : تخصيص دروس لمعالجة المُثل العليا ، تُدرَّس فيه أبواب علم الأخلاق ، ومعاييره المختلفة .

وأما غير المباشرة – والتي يُحبذها الكثير من المربين – : تقوم على تهيئة بيئة صالحة منظمة راقية ، يحيا فيها المدعو ، ويُدرب فيها ، ويُوجه ميوله ، وتُنمَّى قدراته ، وتُنظم ذاته حتى تتجه باستمرار إلى عمل الصواب)[1] .

وهذه البيئة وإن صغُرت ، أو اقتصرت على الداعية وبعض من صحبته إلا أن لها أثرها البالغ في توجيه المدعو ، وتحسن خلقه ، وارتقاء ذاته ، وتطلعه لمعالي الأخلاق وفضائلها .

ولقد تأثر الصحابة –رضي الله عنهم– بمصاحبة النبي –ﷺ– ، فزكت نفوسهم ، وسمت أخلاقهم بصحبته ، فكانوا خير الأمم التي عرفتها البشرية ، فهذا أنس –رضي الله عنه – يصف مدى تأثره بالداعية الأول –ﷺ– حيث يقول : " وَاللهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ ، مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا "[2] .

ومع تربية النبي –ﷺ– لصحبه بخلقه العظيم ، فقد عني –ﷺ– بتكوين بيئة خيِّرة[3] ، فيها تقوى نوازع الخير ، وتذبل وتتضاءل نوازع الشر ، فكان مأوى السَّابقين الأولين دار الأرقم ، لتقوى شوكتهم ، وتنطفئ حرارة غربتهم، ولأجل ذلك كانت الهجرة للحبشة ، ثم كان الإعداد الناجح لمأزر الإيمان طيبة الطيبة ، إذ غدت منارة النور ، منها شعَّ الخير ، وانتشرت مُثُل الأخلاق الفاضلة .

إنَّ للمصاحبة أثراً بالغاً في الأخلاق سلباً وإيجاباً ، فالمرء يندفع لمحاكاة خُلُق صاحبه ومجاراته ، وهذا ما كان يؤمن به كل ذي حِجْر ، لذا حرص الفاروق – رضي الله عنه– على مصاحبة أهل القرآن ، حتى عُرف بوقوفه عند حدوده وأخلاقيَّاته ، فمما ثبت في الصحيح أنه : «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ

(١) لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ، محمد المصري ، ص:٢١٧

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الفضائل ، باب:كان رسول الله أحسن الناس خلقا ، رقم الحديث (٢٣٠٩) (٤/١٨٠٥).

(٣) للاستزادة: راجع تكوين بيئة صالحة ، ص:

عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، «وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ»[(١)].

(إن تغيير الأخلاق والعادات يحتاج إلى احتكاك ومعايشة ، ويحتاج إلى بيئة وجو تربوي ، وهذه هي أزمة التربية على مدار التاريخ ، لأن التربية تحتاج إلى أعداد هائلة من المربين بخلاف التعليم ، وعلى كل حال فقد صار لدينا أعداد هائلة من الشباب المتعلم الملتزم بالإسلام والمحب له ، لكنهم لم يتعرضوا لأي تربية روحية أو دعوية)[(٢)].

لذا على الداعية أن يهتم غاية الاهتمام بتربية خُلُق صاحبه المدعو ، فيُنوِّع في الأساليب مُقتدياً بنبيه -ﷺ- فتارة يُحفز على التمسك بالخلق الحسن ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[(٣)].

وتارة يُرغب في التسابق إلى خلق خيِّر ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[(٤)].

وتارة ينهى عن ترك خصلة حميدة ، فهذا الصديق -رضي الله عنه- كَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ ، فقال : وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢]، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:تفسير القرآن ، باب:"خذ العفو وأمر بالعرف...، رقم الحديث (٤٦٤٢) (٦٠/٦).

(٢) الصحوة الإسلامية ، عبدالكريم بكار ، ص:٥١.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، رقم الحديث (٢٥٥٨) (١٩٨٢/٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:البيوع ، باب:من أحب البسط في الرزق ، رقم الحديث (٢٠٦٧) (٥٦/٣) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، رقم الحديث (٢٥٥٧) (١٩٨٢/٤).

لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا (١).

وتارة يهجر هجراً جميلاً عقاباً على فعل ذميم ، ومثاله قصة كعب بن مالك ﷺ ، يحكي -ﷺ- موقف الرسول ﷺ منه فيقول: " فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً " (٢).

وتارة يُوجه مُلاطفة ، قَالَ أَنَسٌ - ﷺ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ -ﷺ-، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ-: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ (٣).

وتارة يُقدم أنموذجاً تربوياً ، كما كان دأب النبي -ﷺ- ، ومثاله :كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ -ﷺ- حَقٌّ، فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ -ﷺ- ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : «إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»، فَقَالَ لَهُمْ: «اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ»، فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَجِدُ إِلَّا سِنًّا هُوَ خَيْرٌ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: «فَاشْتَرُوهُ، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ، أَوْ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً» (٤).

وتارة يُعزز ويُحفز ، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- في عمر بن الخطاب - ﷺ- : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» (٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:المغازي ، باب:حديث الإفك ، رقم الحديث (٤١٤١) (١١٦/٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:المغازي ، باب:حديث كعب بن مالك ، رقم الحديث (٤٤١٨) (٣/٦) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:التوبة ، باب:حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، رقم الحديث (٢٧٦٩) (٢١٢٠/٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الفضائل ، باب:كان رسول الله أحسن الناس خلقا ، رقم الحديث (٢٣١٠) (١٨٠٥/٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الهبة وفضلها...، باب:من أهدي له هدية...، رقم الحديث (٢٦٠٩) (١٦٢/٣) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:المساقاة ، باب:من استلف شيئاً فقضى...، رقم الحديث (١٦٠١) (١٢٢٥/٣) ، واللفظ له .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:بدء الخلق ، باب:صفة إبليس وجنوده ، رقم الحديث (٣٢٩٤) (١٢٦/٤) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:فضائل الصحابة ، باب:من فضائل عمر ، رقم الحديث (٢٣٩٦) (١٨٦٣/٤).

(وَالضَّابِطُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي الْمَدْحِ مُجَازَفَةٌ، وَيُؤْمَنُ عَلَى الْمَمْدُوحِ الْإِعْجَابُ وَالْفِتْنَةُ)[1].

إن على الداعية أن يُعظم شأن الخلق في نفس صاحبه المدعو ، وَقد قَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءُ: (ذَكِّ قَلْبَك بِالْأَدَبِ كَمَا تُذَكَّى النَّارُ بِالْحَطَبِ، وَاتَّخِذْ الْأَدَبَ غُنْمًا، وَالْحِرْصَ عَلَيْهِ حَظًّا، يَرْتَجِيكَ رَاغِبٌ، وَيَخَافُ صَوْلَتَك رَاهِبٌ، وَيُؤَمِّلُ نَفْعَكَ، وَيُرْجَى عَدْلُك.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْأَدَبُ وَسِيلَةٌ إلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ ، وَذَرِيعَةٌ إلَى كُلِّ شَرِيعَةٍ)[2] ، وبالتربية المتأنية صلح حال أقوام وعدل ، فهذا موسى الترمذي[3] - رَحِمَهُ اللَّهُ- (كان في أول أمره ينتحل الإرجاء ثم أعانه الله تعالى بأحمد بن حنبل - رَحِمَهُ اللَّهُ- ، فانتحل السنة وذب عنها ، وقمع من خالفها مع لزوم الدين حتى مات)[4].

قال أبو حامد الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ- : (فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق - وذكر منها - :

الأول : أن يجلس بين يدي داعية بصير بعيوب النفس ، مطلع على خفايا الآفات ، فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في الزمان وجوده .

الثاني : أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا ، فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله ، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه ، فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين)[5].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (٤٧٨/١٠).

(٢) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٢٣٢.

(٣) موسى بن حزام الترمذي أبو عمران الفقيه نزيل بلخ روى عن حسين بن علي الجعفي وزيد بن الحباب وأبي أسامة وعبد الله بن سلمة القعنبي وأبي نعيم ويزيد بن هارون ويحيى بن آدم والأصمعي وعلي بن إسحاق المروزي ومحمد بن بشر العبدي وأحمد بن حنبل وصالح بن عبد الله الترمذي وغيرهم وروى عنه البخاري مقرونا بغيره والترمذي والنسائي وأحمد بن سيار المروزي وأبو الدرداء عبد العزيز بن منيب المروزي وأبو يصر الفتح بن شخرف١ ومحمد بن خزيمة بن حازم ومحمد بن عقيل البلخي وأبو بكر بن أبي داود (تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٤٠/١٠-٣٤١).

(٤) تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، دائرة المعارف-الهند ، ط١ ١٣٦٢هـ (٣٤١/١٠).

(٥) إحياء علوم الدين ، أبوحامد الغزالي (٦٤/٣).

وكلا الطريقتين التي أوردها الغزالي – رَحِمَهُ اللَّهُ– متيسرة في صحبة الداعية للمدعو ، فتربية أخلاق الصاحب المدعو ، ودفعه إلى مراقي الأخلاق ومعاليها مغنم عظيم ، فمن حسن خلقه حسن دينه ، وصلاح الأخلاق بشرى بخيري الدنيا والآخرة .

وبعد أن بينت أهمية التربية الأخلاقية بالنسبة للمدعوين ، أورد بعض محاذير هذه التربية التي يجب على الدعاة أن يتنبَّهوا من الوقوع فيها.

ثَالِثاً : مَحَاذِير فِيْ التَّرْبِيَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ :

هناك محاذير يجب على الدَّاعية أن يتوقَّاها، ويحرص على تجنبها مع صاحبه المدعو، منها:

١- الاستهتار في مسألة التربية الخلقية وعدم توليتها الأهمية الكبيرة : (وليس خاف أن المرء إذا فسدت طويته ، وانخرم خلقه أضحى وعاءاً لاستقبال الأفكار المنحرفة والآراء الشاذة ، والتورط في المحاذير العقدية، والاستعداء ضد دينه ووطنه وأمته ، فلا مندوحة من اتخاذ اجراءات أساسية لبناء عالم تسوده الأخلاق الحسنة ، انطلاقا من داخل أمتنا المسلمة ، التي أضحت غرضا يُرمى وهدفاً يُخطط لاحتوائه بعاقبة أعظم دماراً وأدهى)[1] .

(وإنَّ كل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة)[2] .

٢- من العسير أن يُميت الداعية خلقاً اتصف به صاحبه ، لذا أولى به أن يُوجهه الوجهة الصحيحة ، ويضع الخلق في موضعه المناسب ، فالتعصب الجاهلي مثلاً يُوجه نُصرة وحمية لهذا الدين ، فيربي المدعو على أن كل من نطق الشهادتين أخ له لم تلده أمه ، وجب عليه نصرته ظالماً أو مظلوماً ، وتُستثمر صفة الخداع في حياكة وسائل نصرة الدعوة ، وغلبة وخداع أعدائها ، وفي الحديث : «الحَرْبُ خَدْعَةٌ»[3] .

(١) الدعوة في الواقع المعاصر ، غازي المطيري ، ص:٢٤٧.

(٢) إحياء علوم الدين ، أبوحامد الغزالي (٦٤/٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الجهاد والسير ، باب:الحرب خدعة ، رقم الحديث (٣٠٣٠) (٦٤/٤) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الجهاد والسير ، باب:جواز الخداع في الحرب ، رقم الحديث (١٧٣٩) (١٣٦١/٣).

قال ابن القيم – رَحِمَهُ اللَّهُ – : (فالصِّفَاتِ مَا خُلِقَتْ سُدًى وَلَا عَبَثًا ، وَأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ مَاءٍ يُسْقَى بِهِ الْوَرْدُ وَالشَّوْكُ وَالثِّمَارُ وَالْحَطَبُ ، وَأَنَّهَا صَوَّانٌ وَأَصْدَافٌ لِجَوَاهِرَ مُنْطَوِيَةٍ عَلَيْهَا ، وَأَنَّ مَا خَافَ مِنْهَا أُولَئِكَ هُوَ نَفْسُ سَبَبِ الْفَلَاحِ وَالظَّفَرِ. فَرَأَوْا أَنَّ الْكِبْرَ نَهْرٌ يُسْقَى بِهِ الْعُلُوُّ وَالْفَخْرُ ، وَالْبَطَرُ وَالظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ. وَيُسْقَى بِهِ عُلُوُّ الْهِمَّةِ وَالْأَنَفَةُ وَالْحَمِيَّةُ وَالْمُرَاغَمَةُ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ، وَقَهْرُهُمْ وَالْعُلُوُّ عَلَيْهِمْ، وَهَذِهِ دُرَّةٌ فِي صَدَفَتِهِ، فَصَرَفُوا مَجْرَاهُ إِلَى هَذَا الْغِرَاسِ ، وَاسْتَخْرَجُوا هَذِهِ الدُّرَّةَ مِنْ صَدَفَتِهِ ، وَأَبْقَوْهُ عَلَى حَالِهِ فِي نُفُوسِهِمْ ، لَكِنِ اسْتَعْمَلُوهُ حَيْثُ يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُ أَنْفَعَ. «وَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَبَا دُجَانَةَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ. فَقَالَ: إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ، إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ»[1])[2] .

٣- الاستعجال في طلب ثمار التربية : وقد جُبل الإنسان على العجلة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾[الإسراء: ١١]، لكن من ربَّته هذه الدَّعوة السَّامية، وسكن جوفه كلام الكبير المتعال ، فغدا منهج حياته، لن يُعدم رفقة الصبر في كل أحواله، بل يوقن أن الفلاح وعد من صبر، ويُردد دوماً "كن صبر ظفر"، ويذكِّر نفسه كل حين ويعظها بقول الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

فمما يجب أن يعلمه الداعية ، ويستحضره حال صحبته للمدعوين (أن أصعب ما على الطبيعة الإنسانية : تغيير الأخلاق التي طبعت النفوس عليها ، وأصحاب الرياضات الصعبة والمجاهدات الشاقة إنما عملوا عليها، ولم يظفر أكثرهم بتبديلها ، لكن النفس اشتغلت بتلك الرياضات عن ظهور سلطانها ، فإذا جاء سلطان تلك الأخلاق وبرز كسر جيوش الرياضة وشتتها ، واستولى على مملكة الطبع)[3] ، فالتأني وترك الاستعجال في رؤية ثمار التربية مما يجب أن يتحلى به الداعية الحصيف.

٤- (إن التربية الخلقية تحتاج إلى فكر وإمعان ، ولا تتم على وجهها الأمثل بسرد قائمة من المواعظ مشتملة على كثير من الأوامر والنواهي، إن هذه الطريقة لا تجدي شيئاً ولا تُكون خلقاً بل لا بد من البحث الدقيق والمناقشة الفكرية ، ولا بد من تزويد المدعو

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير ، كتاب:السين ، باب:سماك بن خرشة...، رقم الحديث (٦٥٠٨) (١٠٤/٧).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٢٩٩/٢).

(٣) المرجع السابق (٢٩٧/٢).

بتحليل الخلق وبيان دقائقه النفسية ، وحالاته المختلفة من إفراط وتفريط ، وإبراز النواحي التي يبرز فيها الخلق بدافع غير خلقي ، وينحرف عن الجادة المستقيمة ، وبيان ثمرات الخلق وفوائده ، وآثاره العامة والخاصة) [1] .

٥- صب التعليمات والتوجيهات الخلقية على المدعو صبا من غير تدرج أو تنظيم ، وهذا خطأ فادح ، فالنفوس إنما تُربى بالتدرج ، وتقديم الأهم على المهم وفق منظومة خلقية مناسبة لشخصية المدعو ، وإنما تربى الرَّعيل الأوَّل على يد النبي - ﷺ- وفق هذا الأساس، فسادوا العالم بحسن أخلاقهم ، فدعوا إلى الدين بأفعالهم قبل أقوالهم [2] .

٦- التربية الخلقية تختلف وسائلها وأساليبها وتتنوَّع ، فما يُناسب أحدهم ويُعينه على حسن الخلق قد لا ينتفع به الآخر . قال أبو حامد الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ- : (وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالتربية والغذاء ، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال ، وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم ، وكما أن البدن إن كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة ، وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه ، فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها ، وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها ، وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة المرض لا تعالج إلا بضدها ، فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة ، فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها ، فيعالج مرض الجهل بالتعلم ، ومرض البخل بالتسخي ، ومرض الكبر بالتواضع ، وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة ، فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل هو أولى ، فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب - والعياذ بالله تعالى - مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد، وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ، ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ، ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه ، فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد ،

(١) لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ، محمد المصري ، دار الفكر ط٤ ، ص:٢٢٢-٢٢٣.

(٢) من املائاتي.

فكذلك النقائض التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار ، وكما أن معيار الدواء مأخوذ من معيار العلة حتى إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة ، فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية ، فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها ، فكذلك الداعية الذي يطبب نفوس المدعوين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم ، وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم ، فكذلك الداعية لو أشار على المدعوين بنمط واحد من العلاج أهلكهم وأمات قلوبهم ، بل ينبغي أن ينظر في مرض المدعو وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته ، ويبني على ذلك علاجه)[1] .

وبعد أن فصَّلت في التربية الأخلاقية كضابط من ضوابط الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، أنتقل إلى الضابط الثالث وهو الجدية.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : الْجِدِّيَّة .

أَوَّلاً : تَعْرِيْف الجِدِّيَّة :

أ- الجدِّيَّة لُغَةً :

قال ابن فارس – رَحِمَهُ اللَّهُ – : (الْجِيمُ وَالدَّالُ أُصُول منها : الْقَطْعُ ، يُقَالُ جَدَدْتُ الشَّيْءَ جَدًّا، وَهُوَ مَجْدُودٌ وَجَدِيدٌ، أَيْ : مَقْطُوعٌ ، وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ أَنْ يَكُونَ الْجِدُّ فِي الْأَمْرِ وَالْمُبَالَغَةُ فِيهِ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ يَصْرِمُهُ صَرِيمَةً وَيَعْزِمُهُ عَزِيمَةً)[2] .

ب- الجدِّيَّة اصْطِلاحاً :

الجدية هي : (الاجتهاد في الأمر ، والاهتمام به ، والمبالغة في تحقيقه حتى يتم الوصول إلى الهدف)[3] .

(١) إحياء علوم الدين ، أبوحامد الغزالي (٦١/٣).

(٢) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٤٠٧/١).

(٣) الرائد ، مازن الفريح (١٩٦/٢).

فالجِّدِّيَّة كَضَابِطٍ مِنْ ضَوَابِطِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالمَدْعُوِّيْنَ يَعني : الاجتهاد في دعوة الصاحب ، والاهتمام بنفعه ، والمبالغة في تحقيق ذلك حتى يصل إلى هدايته ، وتصدره للنفع والدعوة.

ثَانياً : الجِّدِيَّة فِيْ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْن :

إنَّ الداعية الصادق الذي جعل شعاره ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨] ، لا ينتهي من عملٍ حتى يشرع في آخر ، لا يمل ولا يكل ، جاد في تحقيق أهدافه ، غير متراخٍ أو متكاسل .

(فإنَّ حُبَّ الرَّاحَةِ يُوقِعُ فِي تَعَبٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ، وَهُوَ تَعَبُ الْبِطَالَةِ وَالْكَسَلِ أَوِ الْعَمَلِ الِاضْطِرَارِيِّ ، وَمَنْ لَا يَذُوقُ لَذَّةَ الْعَمَلِ الِاخْتِيَارِيِّ لَا يَذُوقُ لَذَّةَ الرَّاحَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَضَعِ الرَّاحَةَ فِي غَيْرِ الْعَمَلِ ، وَإِنَّمَا سَعَادَةُ الدُّنْيَا بِصِحَّةِ الْجِسْمِ وَالْعَقْلِ وَأَدَبِ النَّفْسِ الَّذِي يُرْشِدُ إِلَيْهِ الدِّينُ ، فَمَنْ فَقَدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فَقَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَ ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[الحج: ١١]) [(١)] .

فالداعية قد علم يقيناً أنه مستخلف في الأرض ، وأن استخلافه مدة قد تطول أو تقصر ، فهو لا يعلم متى ستنتهي ، لذا يسعى جاداً لاستثمار كل لحظة في غراس طيب ، ودعوة مباركة .

(وإن الله تعالى قد حمل أهل العلم والدعوة ، ما لم يحمله الجهال ، فيجب عليهم القيام بأعباء ما حملوا ، وأن لا يقتدوا بالجهال ، بالإخلاد إلى البطالة والكسل ، وأن لا يقتصروا على مجرد العبادات القاصرة ، من أنواع الذكر والصلاة والزكاة والحج والصوم ، ونحو ذلك من الأمور التي إذا قام بها غير أهل العلم سلموا ونجوا.

وأما أهل العلم والدعوة فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم ، فإنهم مطالبون أن يعلموا الناس وينبهوهم على ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ، خصوصا الأمور الأصولية والتي يكثر وقوعها ، وأن لا يخشوا الناس بل يخشون ربهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾ [المائدة:٤٤]، فتكتمون الحق ، وتظهرون الباطل ، لأجل متاع الدنيا القليل ، وهذه الآفات إذا سلم منها العالم فهو من توفيقه وسعادته ، بأن يكون همه الاجتهاد في العلم والتعليم ، ويعلم

(١) تفسير المنار ، محمد رضا (٢٠٤/١).

أن الله قد استحفظه ما أودعه من العلم واستشهده عليه ، وأن يكون خائفا من ربه ، ولا يمنعه خوف الناس وخشيتهم من القيام بما هو لازم له، وأن لا يؤثر الدنيا على الدين.

كما أن علامة شقاوة العالم والداعية أن يكون مخلدا للبطالة ، غير قائم بما أمر به ، ولا مبال بما استحفظ عليه ، قد أهمله وأضاعه ، قد باع الدين بالدنيا ، قد ارتشى في أحكامه ، وأخذ المال على فتاويه ، ولم يعلم عباد الله إلا بأجرة وجعالة.

فهذا قد من الله عليه بمنة عظيمة ، كفرها ودفع حظا جسيما ، محروما منه غيره)[1] .

فعن عبدالله بن الزبير – رضي الله عنه– قال : (أشر شيء في العالم البطالة وذلك أن الإنسان إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ، ولم يبق قلبه فارغا بل يعشعش الشيطان ويبيض ويفرخ ، فيتوالد فيه نسله توالدا أسرع من توالد كل حيوان)[2] .

لذا فالواجب على الداعية أن يكون قوياً في الاستمساك بوظيفته ، جاداً في السعي لتحقيقها ، ونشر بركاتها، مستمسكاً بها بقوة ، وهذا ما أمر الله به نبيه يحيى – عليه السلام – حيث **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ ﴾ [مريم: ١٢].

(أَيْ : بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ)[3] ، (فالْمُرَادُ بِهَا قُوَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَهِيَ الْعَزِيمَةُ وَالثَّبَاتُ ، وَالْبَاءُ لِلْمُلَابَسَةِ ، أَيْ : أَخْذًا مُلَابِسًا لِلثَّبَاتِ عَلَى الْكِتَابِ ، أَيْ : عَلَى الْعَمَلِ بِهِ وَحَمْلِ الْأُمَّةِ عَلَى اتِّبَاعِهِ)[4] .

(فالدَّاعِيَة يَفِرُّ مِنْ إجَابَةِ دَاعِي الْكَسَلِ إلَى دَاعِي الْعَمَلِ وَالتَّشْمِيرِ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ ، وَالْجِدُّ هَاهُنَا هُوَ صِدْقُ الْعَمَلِ ، وَإِخْلَاصُهُ مِنْ شَوَائِبِ الْفُتُورِ ، وَوُعُودِ التَّسْوِيفِ وَالتَّهَاوُنِ ، وَهُوَ تَحْتَ السِّنِّ وَسَوْفَ ، وَعَسَى ، وَلَعَلَّ ، فَهِيَ أَضَرُّ شَيْءٍ عَلَى الْعَبْدِ ، وَهِيَ شَجَرَةٌ ثَمَرُهَا الْخُسْرَانُ وَالنَّدَامَاتُ...، فالْجِدَّ صِدْقُ الْعَمَلِ وَبَذْلُ الْجُهْدِ فِيهِ ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِتَلَقِّي أَوَامِرِهِ بِالْعَزْمِ وَالْجِدِّ، فَقَالَ ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ ﴾ [البقرة: ٦٣] ، وَقَالَ: ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا

(١) تيسير الكريم الرحمن ، عبدالرحمن السعدي ، ص:٢٣٢.

(٢) فيض القدير ، محمد المناوي (٢/٢٩٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله القرطبي (١١/٨٦).

(٤) التحرير والتنوير ، ابن عاشور التونسي (١٦/٧٥).

لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، أَيْ : بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ وَعَزْمٍ ، لَا كَمَنْ يَأْخُذُ مَا أُمِرَ بِهِ بِتَرَدُّدٍ وَفُتُورٍ)[(١)] .

(لقد تم الإصلاح الذي تم ببعثة محمد -ﷺ- ، وغيَّر صفحة التاريخ ، لقد تم بمحمد -ﷺ- وأصحاب محمد ، وكانوا العنصر العملي التنفيذي ، لقد كان الوحي داعياً إلى كسر أغلال الجاهلية ، وكان الوسيلة القوية إلى ذلك محمد -ﷺ- وأصحابه نماذج الحق والقوة التي حطمت الأغلال ، وأهابت بالناس أن يُخرجوا أنفسهم من القيود الجائرة)[(٢)] .

ولم يكن الخير الذي انتشر على أيدي سلف الأمة الإسلامية وليد كسلٍ أو تراخٍ ، بل كانت نفوساً مكتنزة بالهمم السامية ، والعزائم القوية ، فكان الجد سِمَتَها ، ولم يكن لها في الخمول والدعة نصيب ، وَدَّعَتْ الأماني الكاذبة ، والتزمت الجد في السير على دروب الخير.

تبنَّت الأفكار الخيِّرة ، وترجمتها إلى أعمال عظيمة ، ومشاريع كبيرة ، لم تدعها حبيسة الصدور ، ولم ترسم بها أساطير وروايات ، بل سطَّرتها تاريخاً مجيداً .

فالفكرة الصالحة التي لم تُترجم إلى فعل ، وحُبِست في أمانٍ تُنسج ، وقصص تُروى ، لن تزيد صاحبها إلا خذلاناً ، فقد عاب الله على أهل الكتاب أمانيهم التي لم تُصدَّق بالأفعال ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣].

(إن الفكرة لها تأثير مختلف في النفوس ، فهنالك فكرة تؤرق صاحبها وتسهره ، وتحمل صاحبها على التفكير في الأمور وبدء النظر فيها وإعادته ، وهذه الفكرة قد تبلغ أعماق النفس ، وقد تخالط شغاف القلب ، وتصبح هم الفرد وشغله ، ويقال حينئذ أن الفكرة مازجت أرجاء النفس وتفاعلت وإياها تفاعلاً تاماً ، فهي فكرة فعالة قوية ، تحمل صاحبها على المضي ، وهنالك فكرة خامدة لا تفعل في النفس ، ولا تؤثر فيها ، ويمكن أن يُقال أنها أُضيفت إلى عقل الإنسان اضافة ، وحملت فيه حملاً قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة: ٥].

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٤٦٨/١).

(٢) المسؤولية ، محمد المصري ، ص:٣٨.

الفكرة الأولى تحدث في النفس انفعالات شتى من الخوف والقلق على ضياع الفكرة ثم الشجاعة والإقدام في سبيلها ، ولا تكون كذلك إلا إذا اتصلت بحاجات النفس العميقة ، وأغراضها البعيدة ، وأهداف الإنسان الحيوية الهامة ، وبذلك تصبح شديدة اللصوق به بل تصبح جزءاً من النفس .

ومثل هذه الفكرة إما أن يكتشفها الإنسان فتُصبح جزءاً منه ، وإما أن تُلقى إليه فيشعر بأنه وجد فيها ضالته ، وأن بينه وبينها صلة عميقة ونسباً قريباً .

والفكرة الإسلامية أصبحت لا تدرك إدراكاً صحيحاً ، فقد استنفذت الدنيا جهود الكثير ، وانحطت هممهم ، وتدنت مستوياتهم الفكرية والخلقية والإرادية عن مستوى الفكرة الإسلامية .

يقول النَّبيِّ -ﷺ- : «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» [(١)] .

المؤسف أن بعض المسلمين يحملون معاني لا تتفاعل ونفوسهم أي تفاعل ، فهم يستطيعون التحدث في كل معنى ، ويفيضون في كل حديث يدعو إلى خير ويشيد بمكرمة ، ولكنهم يعرفون ذلك معرفة كلامية يتبجح بها صاحبها ، ولقد كان الجهل خيراً من هذه المعرفة) [(٢)] .

لكن الداعية الحصيف تبقى همته وقَّادة ، جاداً في استثمار صحبته مع أخيه المدعو ، فلا يدع موقفاً إلا وأدلى بما يُناسبه ، يستجلب قلب صاحبه للحق ، حريص كل الحرص على نفعه ، وما حرص يوسف -عليه السلام- على صاحبيه ببعيد ، ففي أصعب حالاته لم تغب عنه وظيفته ، استثمر حاجة صاحبيه إليه ، حينما التمس في نفوسهم حبه وتقبُّله شَرَع في دعوتهم إلى الحق **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩** ﴾ [يوسف: ٣٩] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:العلم ، باب:فضل من علم وعلم ، رقم الحديث (٧٩) (٢٧/١) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الفضائل ، باب:بيان مثل ما بعث به النبي ج...، رقم الحديث (٢٢٨٢) (١٧٨٧/٤).

(٢) المسؤولية ، أحمد المصري ، ص:٥٣-٥٥.

لما كان يوسف-عليه السلام-جاداً في استثمار صحبته لرفيقيه في السجن، وكان مُستحضراً لهدفه السامي لم تغب عنه تربية صحبه ، ودعوتهم في أعسر المواقف "دخوله للسجن".

فتتأمل جديَّة يوسف عليه السلام في دعوته ، لم تثنيه الكُرب والضوائق التي مر بها ، بل زادته اصراراً حتى خُتمت السورة بنداء الداعية الصادق الجاد ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف: ١٠٨].

﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ : فنفس الداعية السامية لما ذاقت حلاوة نشر الدين ، والتصدر للدفاع عنه ، لم تقصر ذلك الخير على نفسها ، بل رجت لصحبها ألا يتخلَّفوا عن هذا الطريق ، وأن يكونوا منارات يُستهدى بها .

ولقد كان النبي -ﷺ- جاداً مع صحبته ، غارساً في نفوسهم الفضائل ، غير متوانٍ عن التحذير من الرذائل .

فكان من جديَّته-ﷺ- المبادرة والمسارعة للخيرات، مترجماً لأمر الله تعالى:﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[آل عمران: ١٣٣] ، فصدق فيه امتداح الباري سبحانه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ودعا النبي — ﷺ - صحبه إلى المسارعة والمسابقة في ميدان الصالحات ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ-ﷺ- قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (١) .

قال النووي - رحمه الله- : (فَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ تَعَذُّرِهَا وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِمَا يَحْدُثُ مِنَ الْفِتَنِ الشَّاغِلَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ الْمُتَرَاكِمَةِ كَتَرَاكُمِ ظَلَامِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا الْمُقْمِرِ) (٢) .

ولقد كان ﷺ-يزرع في نفوس صحبه القوة في الحق، والجَلَد أمام كل باطل، والثبات حتى بلوغ المراد، والوقوف أمام المخذلات والمثبطات برسوخ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب:الإيمان، باب:الحث على المبادرة بالأعمال...، رقم الحديث (١١٨) (١/١١٠).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج ، أبوزكريا النووي (٢/١٣٣).

ﷺ- : «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[(١)] .

(وَالْمُرَادُ بِالْقُوَّةِ هُنَا : عَزِيمَةُ النَّفْسِ وَالْقَرِيحَةُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ ، فَيَكُونُ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ أَكْثَرَ إِقْدَامًا عَلَى الْعَدُوِّ فِي الْجِهَادِ وَأَسْرَعَ خُرُوجًا إِلَيْهِ وَذَهَابًا فِي طَلَبِهِ ، وَأَشَدَّ عَزِيمَةً فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى فِي كُلِّ ذَلِكَ ، وَاحْتِمَالِ الْمَشَاقِّ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَرْغَبَ فِي الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْأَذْكَارِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ ، وَأَنْشَطَ طَلَبًا لَهَا ، وَمُحَافَظَةً عَلَيْهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ -ﷺ-، " وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ " فَمَعْنَاهُ : فِي كُلٍّ مِنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ خَيْرٌ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْإِيمَانِ مَعَ مَا يَأْتِي بِهِ الضَّعِيفُ مِنَ الْعِبَادَاتِ ، قَوْلُهُ -ﷺ- " احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ " وَمَعْنَاهُ : احْرِصْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَهُ ، وَاطْلُبِ الْإِعَانَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تَعْجِزْ وَلَا تَكْسَلْ عَنْ طَلَبِ الطَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ طَلَبِ الْإِعَانَةِ)[(٢)] .

فعزيمة الداعية لا تَكِلُّ عن نفع صاحبه المدعو ، ولا تتخاذل أو تتكاسل عن طلب الخير والهداية له ، بل لا تنقطع عن الجد في طلب كل وسيلة ، وتقديمها بالأسلوب الأنسب طلباً لنفع الصاحب المدعو .

والداعية جادٌ في رفع همة صاحبه ، فيسعى أن يُعلق قلب صاحبه المدعو بالله تعالى ، فيُشعره بقربه وسعة رحمته ، وفرحه بطاعة العبد وتوبته .

مثاله ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه- ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ، وَاللهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ "[(٣)] .

إنَّ صناعة النفس المؤمنة الخيِّرة لا تتم غالباً إلا بالجد لا الهزل ، بل ربما تحتاج لشيء من القوة حتى تتفجر ينابيع الإيمان فيها ، وتغدو مهيأة لحمل الدعوة ، فهذا النبي محمد-ﷺ- يروي حادثة، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ حيثُ جَاءَهُ المَلَكُ ، فَقَالَ له: اقْرَأْ، فَقَالَ الرسول -ﷺ- : «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ : "

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:القدر ، باب:في الأمر بالقوة...، رقم الحديث (٢٦٦٤) (٢٠٥٢/٤).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبوزكريا النووي (٢١٥/١٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:التوبة ، باب:في الحض على التوبة والفرح بها ، رقم الحديث (٢٦٧٥) (٢١٠٢/٤).

فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ: اقْرَأْ ، قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ ، قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق: ٢-٥]" فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ"[(١)] .

قال ابن حجر - رَحِمَهُ اللَّهُ- : (غَطَّنِي : ضَمَّنِي وَعَصَرَنِي ، وَالْغَطُّ : حَبْسُ النَّفَسِ ، وَمِنْهُ الْخَنْقُ ، وَقَوْلُهُ "حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ" أَيْ: بَلَغَ الْغَطُّ مِنِّي غَايَةَ ، وبَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ مَبْلَغَهُ)[(٢)] .

ولا تعني الجدية في الصحبة الضرب في غير موضعه ، أو العنف ، أو التجبر والظلم ، بل هي قوة برحمة ، وحزم برفق ، فلا يظلم الداعية صاحبه ، ولا يكلفه فوق طاقته وإرادته، ومع ذلك لا يتراخى في دعوته ، أو يتساهل في نصحه بحسب ما يتناسب معه ويُلائمه .

إن الكسل والتراخي والضعف هوان للداعية، ونذير شؤم على صحبته، فالواجب على الداعية أن يفر منه أشد الفرار ، مستعيذاً بالله منه ، آمراً صحبته أن يستعيذوا بالله من شره ، مقتدياً بنبيه -ﷺ- في ذلك ، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ - رضي الله عنه- ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[(٣)] .

وبرغم الرحمة التي سكنت نفس النبي-ﷺ-، وأثنى بها الله عليه في كتابه حيث قال تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩]، ومع ذلك لم يتهاون النبي -ﷺ- في إقامة حدٍ وجب ، أو ردع ظالم بَطَش، وما قصة المرأة المخزومية بغائبة عن بال الداعية ، فعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- ، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-؟ فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:تفسير القرآن ، باب:"ماودعك ربك وماقلى" ، رقم الحديث (٤٩٥٣) (١٧٣/٦) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإيمان ، باب:بدء الوحي إلى رسول الله ج ، رقم الحديث (١٦٠) (١٣٩/١) ، عن عائشة ك.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (٢٤/١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الجهاد والسير ، باب:مايتعوذ من الجبن ، رقم الحديث (٢٨٢٣) (٢٣/٤) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب:التعوذ من العجز والكسل وغيره ، رقم الحديث (٢٧٠٦) (٢٠٧٩/٤) ، واللفظ للبخاري .

أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " [1] .

فجدية الداعية مع صحبته تقتضي ردع الظالم عن ظلمه ، ونصح الضال ، ودلالة التائه ، لا مجاملة المخطئ ومداهنته ، فذلك أعظم خذلان وخيانة لعهد الصحبة .

(إن جدية الدعوة وحيويتها إنما تكون بالثبات على الطاعات ، والالتزام بالمأمورات ، والانتهاء عن المنهيات، فالتربية ليست ترفاً أو أمراً شكلياً بل هي الأساس الذي تستقيم به الدعوة ، وتنهض به الأمة) [2] .

(نحن في حاجة إلى استقطاب الفتيان والفتيات ، وتقريبهم إلى الخير ، وتأليفهم على الطاعات ، والرفق بهم ، خاصة في هذا العصر الذي انفتحت فيه أبواب الشهوات والشبهات ، وأصبحت تتخطف قلوبهم ، وتسقطهم في مدارك الفساد في صورة لم يسبق لها مثيل ، لكن هذا التَّرفُّق لا يعني مجاراة أهوائهم ، والاستسلام لعوائدهم ، وتهوين الخطأ في قلوبهم ، وتنشئتهم تنشئة هشة ، تذهب معها حلاوة الطاعة .

كما لا يعني التشدد والتنطع في تربيتهم ، أو قسرهم على ما لا يُطيقون من العزائم ومعالي الأمور ، والوسط أن ندور مع النص الشرعي حيث دار) [3] .

فانتزاع المدعو من أوحال المعاصي وأدران الشهوات يرتبط بجدية الداعية مع صاحبه ، فالتراخي والتهاون الدائم لن يجلب الكثير من النفع ، ولن يثمر في الغالب خيراً.

(ولقد تدفع الحماسة والحرارة أصحاب الدعوات – بعد الرسل– ، والرغبة الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها تدفعهم إلى استمالة بعض الأشخاص ، أو بعض العناصر بالإغضاء في أول الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة يحسبونه هم ليس أصيلا فيها ، ومجاراتهم في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة ويخاصموها ، ولقد تدفعهم كذلك إلى اتخاذ وسائل وأساليب لا تستقيم مع موازين الدعوة الدقيقة ، ولا مع منهج الدعوة المستقيم، وذلك حرصا على سرعة انتصار الدعوة وانتشارها ، واجتهادا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:أحاديث الأنبياء ، باب:حديث الغار ، رقم الحديث (٣٤٧٥) (١٧٥/٤) ، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب:الحدود، باب:قطع السارق الشريف وغيره...، رقم الحديث (١٦٨٨) (١٣١٥/٣).

(٢) في البناء الدعوي ، أحمد الصويان ، ص:٧٧-٧٩.

(٣) المرجع السابق ، ص:٧٧.

في تحقيق مصلحة الدعوة ، ومصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير ، أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله)[1] .

(إن الجد والقوة والصرامة لا تنافي اليسر ولكنها تنافي التميع ، ولا تنافي سعة الأفق ولكنها تنافي الاستهتار، ولا تنافي مراعاة الواقع ولكنها تنافي أن يكون الواقع هو الحكم في شريعة الله ، فهو الذي يجب أن يظل محكوماً بشريعة الله ، والتمسك بالكتاب في جد وقوة وصرامة ، وإقامة الصلاة- أي شعائر العبادة- هما طرفا المنهج الرباني لصلاح الحياة ، والتمسك بالكتاب في هذه العبارة مقروناً إلى الشعائر يعني مدلولاً معيناً ، إذ يعني تحكيم هذا الكتاب في حياة الناس لإصلاح هذه الحياة ، مع إقامة شعائر العبادة لإصلاح قلوب الناس ، فهما طرفان للمنهج الذي تصلح به الحياة والنفوس ، ولا تصلح بسواه)[2] .

فتقويم الصاحب المدعو على طريق الحق لا ينافي اللين والرحمة ، بل كل الرحمة في الجد بالصاحب على حكمة ليلزم طريق الحق ، ويرتدَّ عن الضلالات.

(فعلى الدعاة واجب عظيم هو إعداد المدعوين إعداداً إسلامياً خالصاً لا تشوبه شوائب ، كما أن عليهم متابعتهم ، وملاحظتهم ، وتعديل ما يعوج من أفكارهم وسلوكهم وأخلاقهم ، وجعلهم مطابقين تماماً لمبادئ الإسلام الحنيف في القول والعمل ، منسجمين معه في تصرفاتهم وأفعالهم ، لأنهم أمانة في أيدي الدعاة .

كما يجب ألا يتساهلوا مع الذين يتهاونون في أداء واجباتهم ، وعليهم إرشادهم ، وتنبيههم على أعمالهم المخالفة للشرع ، ومطالبتهم بالتمسك أكثر فأكثر بالإسلام ، وأن يجعلوه مدار حياتهم ، فيقيسوا جميع أعمالهم عليه ، فما وافقه عملوا به ، وما خالفه تركوه ، متحملين في سبيل ذلك الصعاب)[3] .

وبعد أن بينت الجدية وأهميتها في صحبة الداعية للمدعو ، أذكر بعضاً من لوازم تلك الجدية.

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٤/٢٤٣٥).

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٣/١٣٨٨).

(٣) طريق الدعوة الإسلامية ، جاسم الياسين ، ص:١٤٧.

ثَالِثاً : مِنْ لَوَازِم الجِدِّيَّة مَعَ الْمَدْعُو :

١- تَرك الخُلْطَة بِغَيْرِ فائِدَة :

(الِاجْتِمَاع بالإخوان قِسْمَانِ : أَحدهمَا : اجْتِمَاع على مؤانسة الطَّبْع وشغل الْوَقْت فَهَذَا مضرّته أرجح من منفعَته، وَأَقل مَا فِيهِ أَنه يفْسد الْقلب ، ويضيع الْوَقْت.

الثَّانِي: الِاجْتِمَاع بهم على التعاون على أَسبَاب النجَاة والتواصي بِالْحَقِّ وَالصَّبْر، فَهَذَا من أعظم الْغَنِيمَة وأنفعها، وَلَكِن فِيهِ ثَلَاث آفَات: إحداها:تزين بَعضهم لبَعض،الثَّانِيَة: الْكَلَام والخلطة أَكثر من الْحَاجة ، الثَّالِثَة: أَن يصير ذَلِك شَهْوَة وَعَادَة يَنْقَطِع بهَا عَن الْمَقْصُود)[1] .

فمن لوازم الجدية في صحبة المدعو ألا يُخالط المدعو ويُجالسه إلا بفائدة ، سواء كانت نصيحة أو علم يُنتفع به أو ذكر أو عمل خيِّر.

أما المخالطة بلا فائدة تجر مفاسد كثيرة ، فهي تسقط هيبة الداعية ، وتُذهب وقاره ، وتُضيع وقته ووقت صاحبه بلا منفعة ، وتؤثر سلباً على صحبتهما .

فصحبة الداعية للمدعو ليست لتضييع الأوقات ، ولا للمفاكهة ، أو الهزل ، وإنما لبذل النفع بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة ، والجدية في ابتغاء الخير .

وبعد أن بينت اللازم الأول من لوازم الجدية أنتقل إلى بيان الثاني وهو التخطيط.

٢- التَّخْطِيْط :

إن صحبة الداعية لا تكون على وتيرة واحدة ، ولا يُعتمد فيها على وسائل وأساليب موحدة ، فلكل مدعو وسيلة تتناسب في التعامل معه ، بل المدعو نفسه تختلف الوسائل والأساليب في التعامل معه من فترة لأخرى ، ومن وقت لآخر ، وليس تعامل الداعية مع صاحبه بدء صحبته كتعامله معه بعد تعمق علاقتهما ، فمن الواجب على الداعية أن يكون جاداً في التخطيط لصحبة نافعة مباركة ، لا يسير على عمى وغير بصيرة ، بل يُخطط ويرسم ، ما الذي يصلح في التعامل مع صاحبه ؟ وما الذي يجتذبه في هذه الفترة ؟ ما التطورات والتغيرات التي طرأت عليه ؟ ما نقاط ضعفه ؟ وما نقاط قوته ؟ ما الذي أطمح أن يكون عليه بعد عام وعامين؟.

(١) الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، ص:٥١-٥٢.

فللتخطيط والسير على بصيرة ، وعلى خطى واضحة آثار نافعة ، وعواقب محمودة [(١)] .

وبعد أن ذكرت اللازم الثاني ، أنتقل إلى بيان اللازم الثالث وهو الإعداد الدعوي.

٣- الإعْدَاد الدَّعَوِي :

(إن إعداد دعاة ومربين قادرين على العطاء ، فاهمين لدينهم ، وفاهمين لدنياهم ، وتفريغهم لأداء هذه المهمة ، وإعانتهم عليها بكل سبيل ، لهو مما يأثم المسلمون بالتفريط فيه، ويُؤجرون عند الله ، ويُحمدون عند الناس بالمسارعة إليه ، وبذل المال والوقت والجهد في تحقيقه وإنفاذه) [(٢)] .

(وليعلم الجميع أن الله تعالى اصطفى للدعوة أفضل البشر، وتعهدهم بالرعاية والصياغة والتنمية الشاملة منذ الصغر حتى غدو أهلاً لما يلقى عليهم من إصلاح حال البشرية) [(٣)] .

(فعلى الدعاة أن يهيئوا المدعوين جنوداً للإسلام ، ورجالاً للدعوة ، وحملة لمشاعل النور والهداية في العالمين.

والتربية على إحلال روح الدعوة في بؤرة الشعور هي : أن يتربى المدعوين على الاهتمام بالدعوة ، والتحمس لها ، والاندفاع في سبيلها ، وأن يعطوها الوقت المخصص لها بكل جهودهم ووجودهم) [(٤)] .

(ويجب أن تُصاغ شخصية المدعو بحيث يكون العمل أحب إليه من الكلام والجلوس، والعمل الخفي أحب من العمل الجلي بعيداً عن الضجيج والإعلام ، وكذلك البذل والسعي إلى إذاعة الخير والمسارعة به ليتعدى غيره ، والعمل المتواصل المستمر أحب إليها من المنقطع ، لذا يجب تدريبه على مختلف الأعمال والمسؤوليات) [(٥)] .

(١) وللاستزادة : راجع التخطيط ص:

(٢) أولويات الحركة الإسلامية ، يوسف القرضاوي ، ص:٦٠.

(٣) علم نفس الدعوة ، محمد الهادي ، ص:١٤٦.

(٤) سلسلة مدرسة الدعاة ، عبدالله علوان (٢/٧٢١).

(٥) رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين (١/٢٤٩).

فمن لوازم الجدية إعداد المدعو دعوياً ، وتسخير مواهبه وقدراته بعد التعرف عليها في نصرة هذه الدعوة ، كل بحسب قدرته وما يستطيعه ، فعلى الدعاة مهمة إخراج مواهب المدعوين ، وإبراز قدراتهم ، والعمل على تطويرها ، وتسخيرها في سبيل الدعوة إلى الله.

وبعد أن ذكرت الإعداد الدعوي كلازم من لوازم الجدية ، أنتقل إلى بيان اللازم التالي وهو التكليف.

٤- التَّكْلِيْف :

بعد أن يصقل الداعية شخصية صاحبه المدعو ويُعده دعوياً يتوجب عليه أن يستثمر هذه الطاقات ، ويُسخرها في الدعوة ، فيُكلِّف الصاحب ببعض المهام ، إذ ليس من الجدية في شيء أن يُبرز قدرات ومواهب ثم يركنها ولا يستثمرها.

(يجب أن يوضع المدعو في مسارب العمل الموزون لصقل شخصيته وتنميتها واستغلال طاقته المخزونة ، وتوجيه تلك الطاقة إلى مزيد من النماء) [(١)].

وقد كان النبي -ﷺ- يكلِّف صحابته بمهامٍ عظام ، بل ويُعينهم على إنجازها وإنجاحها، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما- ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ -ﷺ- بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : «أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ» [(٢)].

إنَّ تكليف الصاحب بالمهام لا يعني أبداً المشقة عليه ، وإرادة السوء له ، بل الجدية في إرادة الخير له ، ودفعه إلى مراقي الكمال ، (فالمؤمن يحمل رسالة ، ويؤدي أمانة ، والذي يحمل رسالة يحمل بصيرة ، ويحمل إرادة ، ولا يكون آلة مشلولاً) [(٣)].

وبعد أن ذكرت اللازم الرابع من لوازم الجدية ، أذكر اللازم الأخير وهو بذل النصيحة للداعية.

---

(١) رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين (٢١٢/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:أصحاب النبي ج ، باب:مناقب زيد بن حارثة...، رقم الحديث (٣٧٣٠) (٢٣/٥) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:فضائل الصحابة ، باب:فضائل زيد بن حارثة...، رقم الحديث (٢٤٢٦) (١٨٨٤/٤).

(٣) المسؤولية ، أحمد المصري ، ص:١٠٢.

٥- بَذْل النَّصِيْحَة لِلدَّاعِيَة :

إن من لوازم الجدية في صحبة الداعية للمدعو غرس حب النصح في نفسه ، والمبادرة لبذله طلباً للفوز والفلاح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١ – ٣]، فيُشجع على المسارعة لبذل النصح ، وإن كان في صاحبه المدعو فهو من باب أولى وأوجب ، فحق الصحبة يُوجب على المدعو أن ينصح أخاه الداعية ، وألا يتحرَّج من تقويمه إذا زل ، بل يتوجب على الداعية أن يُعين صاحبه على بذلها ، ويتقبلها بترحاب وشكر ودعاء ، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ – ﷺ– أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ– ، قَالَ : «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[(١)] .

فليست العبرة بالاستكثار من الأصحاب بل ما الخير الذي استحدثه الداعية في نفوسهم ، وما ذا قدم لهم، لأن الكثرة إنما تُثقل كاهل الداعية ، حقوق وواجبات تتراكم عليه إلا أن يعلم من نفسه القدرة ، والجدية في تقديمها، فهو حينها أهل لها .

وبعد أن بينت الجدية كضابط من ضوابط الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، أنتقل إلى بيان الضابط التالي وهو التواضع.

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإيمان ، باب:بيان أن الدين النصيحة ، رقم الحديث (٥٥) (٧٤/١).

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَة : التَّوَاضُع .

أَوَّلاً : تَعْرِيْف التَّوَاضُع :

أ- التَّواضُع لُغَةً :

قال ابن فارس - رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الْوَاوُ وَالضَّادُ وَالْعَيْنُ : أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْخَفْضِ [لِلشَّيْءِ] ، وَحَطِّهِ)[1] .

ب- التَّوَاضُع اصْطِلاحاً :

(التَّوَاضُعُ : أَنْ يَتَوَاضَعَ الْعَبْدُ لِصَوْلَةِ الْحَقِّ. يَعْنِي : أَنْ يَتَلَقَّى سُلْطَانَ الْحَقِّ بِالْخُضُوعِ لَهُ ، وَالذُّلِّ وَالِانْقِيَادِ ، وَالدُّخُولِ تَحْتَ رِقِّهِ ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْحَقُّ مُتَصَرِّفًا فِيهِ تَصَرُّفَ الْمَالِكِ فِي مَمْلُوكِهِ)[2] .

وقيل هو : (خَفْضُ الْجَنَاحِ ، وَلِينُ الْجَانِبِ)[3] .

فالتَّواضُعُ كَضَابِطٍ مِنْ ضَوَابِطِ الصُّحْبَة بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْن يَعْنِي : خفض الداعية جناحه ، ولين جانبه لصاحبه المدعو.

ثَانِياً : التَّواضُع مِنْ ضَوَابِطِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعاةِ وَالمَدْعُوِّيْن :

إن كانت الأخلاق الفاضلة في حق أهل الإيمان واجبة ، فهي في حق الدعاة أوجب وألزم ، فمن دعا إلى هدى وجب أن يكون الأسبق إلى التزامه ، وبهذا امتدح الله سبحانه نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، و **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

وإن خالف فعل الداعية قوله كان سبباً لغضب الباري **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

---

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (١١٧/٦).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٣١٧/٢).

(٣) المرجع السابق (٣١٤/٢).

ومن أولى الأخلاق التي يجب أن يلتزمها الداعية ، وأن تكون سمة بارزة يتخلق بها ، هو خلق التواضع .

(فَأَمَّا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الدُّعَاة مِنْ الْأَخْلَاقِ الَّتِي بِهِمْ أَلْيَقُ ، وَلَهُمْ أَلْزَمُ ، فَالتَّوَاضُعُ وَمُجَانَبَةُ الْعُجْبِ ؛ لِأَنَّ التَّوَاضُعَ عَطُوفٌ وَالْعُجْبَ مُنَفِّرٌ.

وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِالدُّعاةِ أَقْبَحُ؛ لِأَنَّ النَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ وَكَثِيرًا مَا يُدَاخِلُهُمْ الْإِعْجَابُ لِتَوَحُّدِهِمْ بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَالدَّعْوَةِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرِ وَعَمِلُوا بِمُوجِبِ الْعِلْمِ لَكَانَ التَّوَاضُعُ بِهِمْ أَوْلَى ، وَمُجَانَبَةُ الْعُجْبِ بِهِمْ أَحْرَى ؛ لِأَنَّ الْعُجْبَ نَقْصٌ يُنَافِي الْفَضْلَ)[1] .

(ولَا تَصِحُّ لَكَ دَرَجَةُ التَّوَاضُعِ حَتَّى تَقْبَلَ الْحَقَّ مِمَّنْ تُحِبُّ وَمِمَّنْ تُبْغِضُ فَتَقْبَلُهُ مِنْ عَدُوِّكَ كَمَا تَقْبَلُهُ مِنْ وَلِيِّكَ ، ... فحَقِيقَةُ التَّوَاضُعِ أَنَّهُ إِذَا جَاءَكَ قَبِلْتَهُ مِنْهُ ، وَإِذَا كَانَ لَهُ عَلَيْكَ حَقٌّ أَدَّيْتَهُ إِلَيْهِ ، فَلَا تَمْنَعُكَ عَدَاوَتُهُ مِنْ قَبُولِ حَقِّهِ ، وَلَا مِنْ إِيتَائِهِ إِيَّاهُ.

وَأَمَّا قَبُولُكَ مِنَ الْمُعْتَذِرِ مَعَاذِيرَهُ ، فَمَعْنَاهُ: أَنَّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ. ثُمَّ جَاءَ يَعْتَذِرُ مِنْ إِسَاءَتِهِ ، فَإِنَّ التَّوَاضُعَ يُوجِبُ عَلَيْكَ قَبُولَ مَعْذِرَتِهِ ، حَقًّا كَانَتْ أَوْ بَاطِلًا، وَتَكِلُ سَرِيرَتُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)[2] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

(أَيْ : أَلِنْ جَانِبَكَ لِمَنْ آمَنَ بِكَ وَتَوَاضَعْ لَهُمْ. وَأَصْلُهُ : أَنَّ الطَّائِرَ إِذَا ضَمَّ فَرْخَهُ إِلَى نَفْسِهِ بَسَطَ جَنَاحَهُ ثُمَّ قَبَضَهُ عَلَى الْفَرْخِ ، فَجُعِلَ ذَلِكَ وَصْفًا لِتَقْرِيبِ الْإِنْسَانِ أَتْبَاعَهُ. وَيُقَالُ: فُلَانٌ خَافِضُ الْجَنَاحِ ، أَيْ : وَقُورٌ سَاكِنٌ)[3] .

(قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [آل عمران:١٥٨]، فهذه أخلاقه ﷺ، أكمل الأخلاق التي يحصل بها من المصالح العظيمة ودفع المضار ما هو مشاهد ، فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله ، ويدعي اتباعه والاقتداء به ، أن يكون كلا على المسلمين ، شرس الأخلاق ، شديد الشكيمة عليهم ، غليظ القلب ، فظ القول ، فظيعه ؟.

(١) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٨٢.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٣٢١/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله القرطبي (٥٧/١٠).

وإن رأى منهم معصية ، أو سوء أدب ، هجرهم ومقتهم وأبغضهم ، لا لين عنده ، ولا أدب لديه ، ولا توفيق ، قد حصل من هذه المعاملة من المفاسد ، وتعطيل المصالح ما حصل ، ومع ذلك تجده محتقرا لمن اتصف بصفات الرسول الكريم ، وقد رماه بالنفاق والمداهنة ، وقد كمَّل نفسه ورفعها ، وأعجب بعمله ، فهل هذا إلا من جهله ، وتزيين الشيطان وخدعه له ، ولهذا قال الله لرسوله : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ [الشعراء:٢١٦]، أي: في أمر من الأمور فلا تتبرأ منهم ، ولا تترك معاملتهم بخفض الجناح ، ولين الجانب ، بل تبرأ من عملهم ، فعظهم عليه وانصحهم ، وابذل قدرتك في ردهم عنه ، وتوبتهم منه ، وهذا لدفع احتراز وهم من يتوهم، أن قوله ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ [الشعراء:٢١٥]، أي: للمؤمنين يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم ما داموا مؤمنين ، فدفع هذا بهذا)[(١)] .

إن على الداعية أن يقتفي أثر نبيه -ﷺ- ، فيكون أكثر الناس تشبهاً في تواضعه ، يحتسبه قربة لله ، واتباعاً لسنة نبيه -ﷺ-.

والشواهد على شدة تواضعه -ﷺ- مستفيضة ، من أبرزها ، وأشدها تميزاً ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»[(٢)] .

قال ابن حجر - رحمه الله-: (وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْأَخْذِ بِالْيَدِ لَازِمُهُ وَهُوَ الرِّفْقُ وَالِانْقِيَادُ ، وَقَدِ اشْتَمَلَ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّوَاضُعِ لِذِكْرِهِ الْمَرْأَةَ دُونَ الرَّجُلِ ، وَالْأَمَةَ دُونَ الْحُرَّةِ ، وَحَيْثُ عَمَّمَ بِلَفْظِ الْإِمَاءِ أَيَّ أَمَةٍ كَانَتْ ، وَبِقَوْلِهِ :" حَيْثُ شَاءَتْ " أَيْ : مِنَ الْأَمْكِنَةِ ، وَالتَّعْبِيرُ بِالْأَخْذِ بِالْيَدِ إِشَارَةٌ إِلَى غَايَةِ التَّصَرُّفِ حَتَّى لَوْ كَانَتْ حَاجَتُهَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، وَالْتَمَسَتْ مِنْهُ مُسَاعَدَتَهَا فِي تِلْكَ الْحَاجة لساعد عَلَى ذَلِكَ ، وَهَذَا دَالٌّ عَلَى مَزِيدِ تَوَاضُعِهِ وَبَرَاءَتِهِ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْكِبْرِ - ﷺ-)[(٣)] .

لقد عُرف -ﷺ- باللين والرفق بصحبه ، والتواضع لهم ، فلم يتفاخر ، أو يتعاظم ، أو يزدري أحداً منهم ، بل كان يجلس -ﷺ- بينهم وكأنه واحد منهم ، لا يتميز عنهم بمكان ، أو بلباس ، أو

(١) تيسر الكريم الرحمن ، عبدالرحمن السعدي ، ص:٥٩٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الأدب ، باب:الكبر ، رقم الحديث (٦٠٧٢) (٨/٢٠).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (١٠/٤٩٠).

بهالة ، حتى إن الداخل على المجلس لا يُميِّز أين النبي المرسل من بينهم، فيُنادي : (أَيُّكُمُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ)[1] .

وقد كان من سمو خلقه -ﷺ- أنه كان يُمازح صحبه، ويضاحكهم ، يدخل السرور عليهم ، لا يسأم من فقر أحدهم ، أو من ذمامة خلقته ، أو من كونه أعرابياً ، أو أعجمياً .

فعَن أَنَسٍ بن مالكٍ - رضي الله عنه- ، قَالَ : " كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ اسْمُهُ زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ، وَكان يُهْدِي لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- من البادية ، فَقَالَ النَّبِيّ -ﷺ- : " إِنْ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ أَهْلُ حَاضِرَةٍ، أَوْ حَاضِروهُ " ، وَكان النَّبِيّ -ﷺ- يُحِبُّهُ ، وَكان رَجُلا دَمِيمًا ، فَأَتَاهُ النَّبِيّ -ﷺ- ، وهُو يَبِيعُ مَتَاعَهُ ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ حَتَّى أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِبَطْنِهِ ، فَقَالَ: أَطْلِقْنِي مِنْ هَذَا ، قَالَ : فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيّ -ﷺ - وَجَعَلَ النَّبِيّ -ﷺ- يَقُولُ : " مَنْ يَشْتَرِي العبد؟ " ، فقال : يا رَسولَ اللهِ إذن وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا ، فَقَالَ النَّبِيّ -ﷺ-: "لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ "[2] .

و لم يكن -ﷺ- يسأم من سؤال أحدهم ، أو يتأفف ، أو يترفع أن يُعين ، أو يُجيب أحدهم ، وإن كان الوقت غير ملائم ، بل يرفق ، ويلين ، ويُعامل بالحُسنى ، فعن أبي رِفَاعَةَ - رضي الله عنه- قال : "انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- وَهُوَ يَخْطُبُ ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ ، قَالَ : فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا ، قَالَ : فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا "[3] .

إن مواقف التواضع ولين الجانب تُحفر في ذاكرة الصاحب المدعو ، وتؤثر فيه ، فيبقى يتذكرها ، ويستفيد منها ، فتغدو درساً يُغني عن مئات الكلمات.

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه ، كتاب:تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، باب:المغازي والسرايا ، رقم الحديث (٤٣٨٠) (٥٥/٣) ، ورواه أبوداوود في سننه ، كتاب:الصلاة ، باب:في المشرك يدخل المسجد ، رقم الحديث (٤٨٧) (٣٦١/١) ، ورواه البزار في مسنده ، مسند عبدالله بن العباس ، رقم الحديث (٥٢١٨) (٣٨٥/١١) ، وقال الأرنؤوط (إسناده حسن).

(٢) رواه أحمد في مسنده ، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند أنس بن مالك ، رقم الحديث (١٢٦٤٩) (٩١/٢٠)، ورواه البزار في مسنده ، مسند أبي حمزة أنس بن مالك ، رقم الحديث (٦٩٢٢) (٣١٩/١٣) ، ورواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب:المزاح والضحك ، باب:ذكر الإباحة للمرء أن يمزح مع أخيه...، رقم الحديث (٥٧٩٠) (١٠٦/١٣) ، وقال الألباني في سلسلته (صحيح) ، وقال الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الجمعة ، باب:حديث التعليم في الخطبة ، رقم الحديث (٨٧٦) (٥٩٧/٢).

وما لان داعية لصحبه ، وخفض جناحه لهم إلا عزَّ وارتفع ، وعلا أسمى المنازل في الدارين ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– ، عَنْ رَسُولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– ، قَالَ : «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»[1] .

(فالمقصود أن يمشي الداعية بين صحبه المدعوين هوناً ، وأن يخفض جناحه لهم ، وأن يرضى أن يأكل معهم ما أحضروه ، يمتزج معهم دون أن يأخذه شيء من كِبْر ، أو تداخله بقية من عجب ، أو تساوره نظرة من استعلاء.

ومن صور التَّواضع أن يبدأ صحبه بالسلام ، وأن لا يأنف من صحبة الفقراء منهم ، وأن يمشي على الأرض هوناً وأن لا يكون من المتكلِّفين)[2] .

وفي السلف الصالح أقوام عرفوا بالتواضع ولين الجانب ، (فقد روي أن عمر بن عبد العزيز – رحمه الله– أتاه ليلة ضيف ، وكان يكتب فكاد السراج يطفأ ، فقال الضيف : أقوم إلى المصباح فأصلحه ، فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه ، قال : أفأنبه الغلام؟ ، فقال : هي أول نومة نامها ، فقام وأخذ البطة ، وملأ المصباح زيتا ، فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟ ، فقال : ذهبت وأنا عمر ، ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء ، وخير الناس من كان عند الله متواضعا)[3] .

هذا وقد كان هو أمير المؤمنين ، أمير أقوى الدول في زمانه ، حكمها بالعدل والحسنى، ولم يتعالى أو يتعاظم ، بل تواضع وخفض جناحه لإخوانه ، فرفع المولى ذكره ، وحسن صيته ، وطابت خاتمته ، فكان آخر ما نطق به : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٨٣].

(إن التواضع هو بذل الاحترام والعطف ، فهو خلق يُكسب الدَّاعية رضا صحبه ، وهو الطريق الذي يدخل به في قلوب صحبه المدعوين ، ويكون عضواً ملتئماً مع سائر الأعضاء التي يتألَّف منها جسد الأمة ، فالتواضع أنجح وسيلة إلى الائتلاف والاتحاد الذين هما أساس التعاون على مرافق الحياة .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:استحباب العفو والتواضع ، رقم الحديث (٢٥٨٨) (٤/٢٠٠١).

(٢) سلسلة مدرسة الدعاة ، عبدالله علوان (١/٢٣٠-٢٣١).

(٣) إحياء علوم الدين ، أبوحامد الغزالي (٣/٣٥٥).

فالداعية لا يتعاظم على صاحبه المدعو ، ومن مظاهره الاصغاء إليه وقت الحديث ، وإجابته عما يسأل برفق ، وتلقي ما يُبديه من فهم وفكر بإنصاف ، فإن أخطأ نبهه لوجه الخطأ ، وإن قال صواباً تقبَّله منه بارتياح)[1] .

وقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ – ﷺ– : (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ ، وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَهُ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ)[2] .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:(مَنْ تَكَبَّرَ بِعِلْمِهِ وَتَرَفَّعَ وَضَعَهُ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ تَوَاضَعَ بِعِلْمِهِ رَفَعَهُ بِهِ)[3] .

فتواضع الداعية لصحبه المدعوين هي الرفعة الحقيقية ، فلا يُغريه كثرة علمه ، أو وفرة دينه ، أو رفعة قدره ، على أن يتعالى على صحبه ، يُحادث نفسه فيزجرها إن أمرته بأن يتعالى قائلاً : ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٩٤].

(فحينما يتعاظم الداعية في نفسه ، ويحتقر غيره ، ويزم بأنفه تكبراً ، فظاهره السيء يُنبئ عن خراب باطنه وفساد طويته ، وإن ظن خطأ أنه بصنيعه هذا ينال مهابة أو يروم وقاراً فقد أبعد النجعة)[4] .

فما ارتفع أهل السبق من دعاة سلف الأمة الصالح بغير التواضع ، وحسن الخلق ، وصلاح السريرة ، فما جَفَو بحق صحبهم ، وما ازدروهم ، بل كانوا يستصغرون انفسهم ، ويُعلنون أنهم أصغر مما يُظن بهم ، وما ذاك إلا لعظم تواضعهم ، وتعظيمهم لله سبحانه .

فهذا عبد الله بن مسعود – ﷺ– ، صحب النبي –ﷺ–، فكان من السابقين الأولين إلى الإسلام ، ومن النجباء العالمين ، شهد موقفاً زكَّى النبي –ﷺ –أهله ، وشهد لهم بشهادة يحفظها التاريخ ، إذ قال –ﷺ– فيهم : " مَا يُدْرِيكَ ، لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ "[5] ، فكان ابن

(١) الدعوة إلى الإصلاح ، محمد حسين ، ص:٣٦٣-٣٦٤.

(٢) أدب الدنيا والدين ، أبوعبدالله الماوردي (٧٢/١).

(٣) المرجع السابق (٧٢/١).

(٤) الدعوة في الواقع المعاصر ، غازي المطيري ، ص:١٨٢.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الجهاد والسير ، باب:إذا اضطر الرجل إلى النظر...، رقم الحديث (٣٠٨١) (٧٦/٤).

مسعود[(١)] – رضي الله عنه– صاحب مناقب كثيرة ، ومع هذا لم يتكبر ، أو يزدري إخوانه ، بل كان يقول لهم قول العبد الوجل : (لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثيتم على رأسي التراب)[(٢)] .

وَكَانَ يُقَالُ: (لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ : لَا يَحْقِرُ مَنْ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ ، وَلَا يَحْسُدُ مَنْ فَوْقَهُ فِي الْعِلْمِ ، وَلَا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمِهِ ثَمَنًا)[(٣)] .

فمن ضوابط الصحبة بين الداعية والمدعو تواضع الداعية لأخيه ، فيلين له جانبه ، ليكسر بذلك الحواجز النفسية ، ويسقط أسوار التكلف ، فما كسب الداعية صاحبه إن كان ذا تعالٍ أو كبر ، بل إن أدنى ذرة من الكبر كفيلة بنفور الصاحب ، وفراره من مجالسة أخيه الداعية ، بل إن تلك الذرَّة كفيلة بإسقاطه وتهاويه في دركات الضياع والوبال ، فليفر الداعية من الكبر أشد الفرار ، فينال بتواضعه رضى خالقه ، ويكسب قلب صاحبه ، فيسهل عليه دعوته ، ويلن للحق فؤاده [(٤)].

وبعد أن بينت التواضع كضابط لصحبة الداعية والمدعوين ، أورد أهم لوازم هذا الضابط.

ثَالِثاً : مِنْ لَوَازِمِ تَوَاضُعِ الدُّعاةِ :

١- التَّقْدِيْر :

مما يجب على الداعية تجاه صاحبه المدعو أن يُقدره ويحترمه ، ويُعظم معاني الصحبة ، ويقدرها حق قدرها ، وألا يظن به سوءاً ، أو ينسب له الشر ، أو يُحدث نفسه باستصغار صاحبه ، فذاك علامة خذلان – والعياذ بالله –.

إن نفس الداعية يجب أن تكون سامية ، فلا يُسيء الظن بصاحبه ، فإن كان الظن بالسوء من المنهيات ، فهو في حق الصاحب أولى وأوجب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢].

(١) للاستزادة:سير أعلام النبلاء ، أبوعبدالله الذهبي (٢٨٠/٣).

(٢) صفوة الصفوة ، أبو الفرج بن الجوزي (١٥٣/١).

(٣) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر (٥٢٣/١).

(٤) من املائاتي.

إن احتفاظ الداعية بماضي صاحبه المدعو الذي يتضمَّن زللاً وخطئاً – وإن كَثُر – ، فإنه لا يُبيح للداعية أن يستصغر أخاه ، فينظر له بأنه أذل وأقل مترلة منه ، ويتتبع زَلَله ، أو أن يظن به السوء ، بل يُقدره ، فلا يُعيِّره بذنب .

قال ابن القيم – رَحِمَهُ اللَّهُ – : (إِنَّ تَعْيِيرَكَ لِأَخِيكَ بِذَنْبِهِ أَعْظَمُ إِثْمًا مِنْ ذَنْبِهِ وَأَشَدُّ مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ صَوْلَةِ الطَّاعَةِ ، وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَشُكْرِهَا، وَالْمُنَادَاةِ عَلَيْهَا بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الذَّنْبِ ، وَأَنَّ أَخَاكَ بَاءَ بِهِ ، وَلَعَلَّ كَسْرَتَهُ بِذَنْبِهِ ، وَمَا أَحْدَثَ لَهُ مِنَ الذِّلَّةِ وَالْخُضُوعِ ، وَالْإِزْرَاءِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ مَرَضِ الدَّعْوَى ، وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ ، وَوُقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ نَاكِسَ الرَّأْسِ ، خَاشِعَ الطَّرْفِ ، مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ أَنْفَعُ لَهُ ، وَخَيْرٌ مِنْ صَوْلَةِ طَاعَتِكَ ، وَتَكَثُّرِكَ بِهَا وَالِاعْتِدَادِ بِهَا ، وَالْمِنَّةِ عَلَى اللَّهِ وَخَلْقِهِ بِهَا ، فَمَا أَقْرَبَ هَذَا الْعَاصِيَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَمَا أَقْرَبَ هَذَا الْمُدِلَّ مِنْ مَقْتِ اللَّهِ ، فَذَنْبٌ تَذِلُّ بِهِ لَدَيْهِ ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَةٍ تُدِلُّ بِهَا عَلَيْهِ ، وَإِنَّكَ أَنْ تَبِيتَ نَائِمًا وَتُصْبِحَ نَادِمًا ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَبِيتَ قَائِمًا وَتُصْبِحَ مُعْجَبًا ، فَإِنَّ الْمُعْجَبَ لَا يَصْعَدُ لَهُ عَمَلٌ ، وَإِنَّكَ إِنْ تَضْحَكْ وَأَنْتَ مُعْتَرِفٌ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَبْكِيَ وَأَنْتَ مُدِلٌّ ، وَأَنِينُ الْمُذْنِبِينَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ زَجَلِ الْمُسَبِّحِينَ الْمُدِلِّينَ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَسْقَاهُ بِهَذَا الذَّنْبِ دَوَاءً اسْتَخْرَجَ بِهِ دَاءً قَاتِلًا هُوَ فِيكَ وَلَا تَشْعُرُ.

فَلِلَّهِ فِي أَهْلِ طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ أَسْرَارٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَلَا يُطَالِعُهَا إِلَّا أَهْلُ الْبَصَائِرِ ، فَيَعْرِفُونَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا تَنَالُهُ مَعَارِفُ الْبَشَرِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مَا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : «إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيُقِمْ عَلَيْهَا الْحَدَّ وَلَا يُثَرِّبْ»[1] أَيْ : لَا يُعَيِّرْ ، مِنْ قَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِخْوَتِهِ ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ [يوسف: ٩٢] ، فَإِنَّ الْمِيزَانَ بِيَدِ اللَّهِ ، وَالْحُكْمَ لِلَّهِ، فَالسَّوْطُ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ هَذَا الْعَاصِي بِيَدِ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ ، وَالْقَصْدُ إِقَامَةُ الْحَدِّ لَا التَّعْيِيرُ وَالتَّثْرِيبُ ، وَلَا يَأْمَنُ كَرَّاتِ الْقَدَرِ وَسَطْوَتَهُ إِلَّا أَهْلُ الْجَهْلِ بِاللَّهِ)[2] .

وعن عمر بن الخطاب –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قال : (ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك على ما يغلبك عليه ، ولا تظن بكلمة خرجت من في امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملا)[3] .

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:البيوع ، باب:بيع العبد الزاني ، رقم الحديث (٢١٥٢) (٧١/٣) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الحدود ، باب:رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ، رقم الحديث (١٧٠٣) (١٣٢٨/٣).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (١٩٥/١).

(٣) طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ابن حزم الأندلسي ، ص:٣٠٩.

وبعد أن ذكرت التقدير كلازم من لوازم تواضع الداعية لصحبه المدعوين ، أنتقل إلى بيان اللازم التالي وهو طلب النصيحة وقبولها.

٢- طَلَبُ النَّصِيْحَةِ وقُبُولِهَا :

ومن عظم تواضع الداعية لصاحبه المدعو أنه يسأله النُصح ، فيقبله بصدر رحب ، ولسان صادق في الشكر .

فهذا كليم الله -ﷺ- لم يأنف أو يتكبر أن يسأل الخضر -عليه السلام- ، أو أن يتعلم منه، لم يمنعه كونه كليم الله، أو من أولي العزم من الرسل أن يقبل من أخيه أو ينتفع بعلمه ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾[الكهف:٦٦]، بل قال له﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ قمة الأدب في التواضع في السؤال والطلب.

وفي غزوة أحد لما حصل ما حصل، وتخلف من تخلف عن أمر الرسول -ﷺ- حصل الانكسار في نفوس صحب نبي الله -ﷺ- ، فأنزل الله تعالى أمره ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾[آل عمران: ١٥٩].

(والْفَائِدَةُ فِي أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ الرَّسُولَ -ﷺ- بِمُشَاوَرَتِهِمْ وُجُوهٌ :

الْأَوَّلُ : أَنَّ مُشَاوَرَةَ الرَّسُولِ -ﷺ- إِيَّاهُمْ تُوجِبُ عُلُوَّ شَأْنِهِمْ وَرِفْعَةَ دَرَجَتِهِمْ ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي شِدَّةَ مَحَبَّتِهِمْ لَهُ وَخُلُوصَهُمْ فِي طَاعَتِهِ ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَكَانَ ذَلِكَ إِهَانَةً بِهِمْ فَيَحْصُلُ سُوءُ الْخُلُقِ وَالْفَظَاظَةُ. الثَّانِي : أَنَّهُ -عليه السلام- وَإِنْ كَانَ أَكْمَلَ النَّاسِ عَقْلًا إِلَّا أَنَّ عُلُومَ الْخَلْقِ مُتَنَاهِيَةٌ ، فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِ إِنْسَانٍ مِنْ وُجُوهِ الْمَصَالِحِ مَا لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ، لَا سِيَّمَا فِيمَا يَفْعَلُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا.

الثَّالِثُ : لِيَقْتَدِيَ بِهِ غَيْرُهُ فِي الْمُشَاوَرَةِ وَيَصِيرَ سُنَّةً فِي أُمَّتِهِ.

الرَّابِعُ : أَنَّهُ -عليه السلام- شَاوَرَهُمْ فِي وَاقِعَةِ أُحُدٍ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ ، وَكَانَ مَيْلُهُ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ، فَلَمَّا خَرَجَ وَقَعَ مَا وَقَعَ ، فَلَوْ تَرَكَ مُشَاوَرَتَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَكَانَ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بَقِيَ فِي قَلْبِهِ مِنْهُمْ بِسَبَبِ مُشَاوَرَتِهِمْ بَقِيَّةُ أَثَرٍ ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ بِأَنْ يُشَاوِرَهُمْ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ أَثَرٌ مِنْ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ.

الْخَامِسُ : "وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ" ، لَا لِتَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ رَأْيًا وَعِلْمًا ، لَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمَ مَقَادِيرَ عُقُولِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ ، وَمَقَادِيرَ حُبِّهِمْ لَكَ وَإِخْلَاصِهِمْ فِي طَاعَتِكَ ، فَحِينَئِذٍ يَتَمَيَّزُ عِنْدَكَ الْفَاضِلُ مِنَ الْمَفْضُولِ فَبَيِّنْ لَهُمْ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ.

السَّادِسُ : "وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ" لَا لِأَنَّكَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمْ ، وَلَكِنْ لِأَجْلِ أَنَّكَ إِذَا شَاوَرْتَهُمْ فِي الْأَمْرِ اجْتَهَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي اسْتِخْرَاجِ الْوَجْهِ الْأَصْلَحِ فِي تِلْكَ الْوَاقِعَةِ ، فَتَصِيرُ الْأَرْوَاحُ مُتَطَابِقَةً مُتَوَافِقَةً عَلَى تَحْصِيلِ أَصْلَحِ الْوُجُوهِ فِيهَا ، وَتَطَابُقُ الْأَرْوَاحِ الطَّاهِرَةِ عَلَى الشَّيْءِ الْوَاحِدِ مِمَّا يُعِينُ عَلَى حُصُولِهِ .

السَّابِعُ : لَمَّا أمر الله محمدا – عليه السلام – بمشاورتهم دل ذَلِكَ عَلَى أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا وَقِيمَةً ، فَهَذَا يُفِيدُ أَنَّ لَهُمْ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ وَقَدْرًا عِنْدَ الرَّسُولِ وَقَدْرًا عِنْدَ الْخَلْقِ.

الثَّامِنُ : الْمَلِكُ الْعَظِيمُ لَا يُشَاوِرُ فِي الْمُهِمَّاتِ الْعَظِيمَةِ إِلَّا خَوَاصَّهُ وَالْمُقَرَّبِينَ عِنْدَهُ ، فَهَؤُلَاءِ لَمَّا أَذْنَبُوا عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَرُبَّمَا خَطَرَ بِبَالِهِمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَإِنْ عَفَا عَنَّا بِفَضْلِهِ إِلَّا أَنَّهُ مَا بَقِيَتْ لَنَا تِلْكَ الدَّرَجَةُ الْعَظِيمَةُ ، فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ تِلْكَ الدَّرَجَةَ مَا انْتُقِصَتْ بَعْدَ التَّوْبَةِ ، بَلْ أَنَا أَزِيدُ فِيهَا، وَذَلِكَ أَنَّ قَبْلَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ مَا أَمَرْتُ رَسُولِي بِمُشَاوَرَتِكُمْ ، وَبَعْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ أَمَرْتُهُ بِمُشَاوَرَتِكُمْ ، لِتَعْلَمُوا أَنَّكُمُ الْآنَ أَعْظَمُ حَالًا مِمَّا كُنْتُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّكُمْ قَبْلَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ كُنْتُمْ تُعَوِّلُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَطَاعَتِكُمْ ، وَالْآنَ تُعَوِّلُونَ عَلَى فَضْلِي وَعَفْوِي ، فَيَجِبُ أَنْ تَصِيرَ دَرَجَتُكُمْ وَمَنْزِلَتُكُمُ الْآنَ أَعْظَمَ مِمَّا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ ، لِتَعْلَمُوا أَنَّ عَفْوِي أَعْظَمُ مِنْ عَمَلِكُمْ وَكَرَمِي أَكْثَرُ مِنْ طَاعَتِكُمْ)[1] .

(إن في طلب الداعية لنصح ومشورة صحبه المدعوين تسميحا لخواطرهم ، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث ، فإذا طلب نصحهم ومشورتهم في حادثة من الحوادث اطمأنت نفوسهم وأحبوه ، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم ، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته ، والقرب منه ، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة.

(١) مفاتيح الغيب ، أبوعبدالله الرازي (٤٠٩/٩).

إن طالب النصح والمشاور لا يكاد يخطئ في فعله ، – وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب – فليس بملوم ، فإذا كان الله يقول لرسوله –ﷺ– وهو أكمل الناس عقلا وأغزرهم علما، وأفضلهم رأيا–: ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ فكيف بغيره؟!)[1] .

إن في طلب الداعية لنصح صاحبه المدعو كسراً للانكسار الذي يشعر به المدعو ، باعتبار قلة علمه ، أو كثرة خطئه ، فإن طلب الداعية نصحه يُعينه ويُجرئه على بذل حق الصحبة من التناصح والتواصي ، فيُهيئه للمهمة العظمى ، والتي بها فحسب ينجو المرء ويفوز.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١ – ٣].

وفي طلب الداعية لنصح أخيه إعداداً وتهيئة لمهمة الدعوة ، وإشعاره برفعته كمؤمن ، فينغرس في نفسه أن التناصح لا يقتصر على فئة دون أخرى ، بل كل من آمن واتبع دعوة الحق وجب عليه أن ينصح إخوانه ، وأن كل امرئ محتاج للنصح وإن علا منصبه ، أو ذاع صيته ، أو كثر علمه ، فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .

إن لتواضع الداعية لصاحبه آثاراً محمودة جمَّة ، يطول أثرها ويبقى ، فإن ضعفت هذه الخصلة أو ذهبت انقلب الحب إلى بغضاء ، والولاء إلى عداوة ومُحادَّة ، وبهذا جُبلت النفوس بالحُسنى تُستجلب ، وبالسوء تنفر وتفر .

وبعد أن ذكرت ضابط الصحبة بين الداعية والمدعوين وهو التواضع ، أشرع في بيان الضابط التالي وهو الصبر.

(١) تيسير الكريم الرحمن ، عبدالرحمن السعدي ، ص:١٥٤.

الْمَسْأَلَةِ الْخَامِسَة : الصَّبْر .

أَوَّلاً : تَعْرِيْفُ الصَّبْر :

أ- الصَّبْرُ لُغَةً :

قال ابن فارس – رَحِمَهُ اللَّهُ– : (الصَّبْرُ هُوَ الْحَبْسُ. يُقَالُ: صَبَرْتُ نَفْسِي عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ، أَيْ: حَبَسْتُهَا)[1] .

ب- الصَّبْرُ اصْطِلاحاً :

(حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ ، وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى ، وَحَبْسُ الْجَوَارِحِ عَنِ التَّشْوِيشِ)[2] .

فالصَّبْرُ كَضَابِطٍ مِنْ ضَوَابِطِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْنَ يعني : حبس الداعية نفسه عن الجزع من صاحبه ، وحبس لسانه عن الشكوى منه ، وحبس جوارحه عن التشويش عليه.

ثَانياً : الصَّبْرُ مِنْ ضَوَابِطِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْن :

إنَّ الصبر من آكد وألزم الأمور النفسية التي يجب أن يُوطِّن الداعية نفسه عليها ، ويتدرَّب على التَّشبث به ، ويتوقع حلول ما يُوجبه ، خاصة في هذا الطريق الذي يسلكه ، فهو مقرون بالابتلاء ، لذا قُرنت الوصية بالدعوة بالأمر بالصبر ، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧].

قال ابن القيم –رَحِمَهُ اللَّهُ–: (فَمَنْ قَامَ لِلَّهِ حَتَّى أُوذِيَ فِي اللَّهِ: حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الِانْتِقَامَ)[3] .

لذا فلزام على الداعية أن يُلزم نفسه على الصبر ، فيصبر ويُصابر ويصطبر ، ويقوم بأمر ربه﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٣/٣٢٩).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٢/١٥٥).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٢/٣٠٥).

(فليصبر على بطء الدعوة ، وتعثر سيرها ، وعلى ما تُصاب به من جزر ومد ، وانتصار وانكسار ، الأمر الذي يضجر له الدعاة عادة ويسأمون منه ، ويملوا السير فيه حتى ييأسوا من انتصار دعوتهم ، ومن بلوغها غايتها وأهدافها ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف: ١١٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [البقرة:٢١٤])[(١)] .

(إن مشقة الدعوة الحقيقية هي مشقة الصبر لحكم الله حتى يأتي موعده في الوقت الذي يريده بحكمته ، وفي الطريق مشقات كثيرة مشقات التكذيب والتعذيب، ومشقات الالتواء والعناد ، ومشقات انتفاش الباطل وانتفاخه ، ومشقات افتتان الناس بالباطل المزهو المنتصر فيما تراه العيون ، ثم مشقات إمساك النفس على هذا كله راضية مستقرة مطمئنة إلى وعد الله الحق ، لا ترتاب ولا تتردد في قطع الطريق مهما تكن مشقات الطريق ، وهو جهد ضخم مرهق يحتاج إلى عزم وصبر ومدد من الله وتوفيق)[(٢)] .

(إن جهد صاحب الدعوة لهو جهد مضاعف ، ومن ثم يجب أن يكون صبره مضاعفاً كذلك ، يجب أن يصبر على الالتواءات والانحرافات ، وثقلة الطبائع وتفاهة الاهتمامات ، ويجب أن يصبر على الانتكاس الذي يفاجئه في هذه النفوس بعد كل مرحلة ، والاندفاع إلى الجاهلية عند أول بادرة)[(٣)] .

وإن كان الصبر رفيقا للداعية في جميع مراحل وسنيِّ عمره ودعوته ، فهو من باب أولى يجب أن يكون رفيقه في تعاملاته مع صحبه المقربين من المدعوين ، فيصبر على زللهم ، يعفو عن خطئهم ، وإن لاقى منهم سوءاً رحمهم ولَانَ لهم ، بل يُقابلهم بتحنان ورحمة ، قدوته نبي الرحمة ﷺ- من زكَّاه باريه بقوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالرسول -ﷺ- رحم صحابته ، ورفق بهم ، وصبر على زللهم ، بل رفق بهم ، ولان لهم ، وقرَّبهم فشاورهم ، وبسط آرائهم .

---

(١) رسائل الجزائري ، أبوبكر الجزائري (١/٤٢٢-٤٢٣).

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٦/٣٦٧١).

(٣) المرجع السابق (٣/١٣٦٥).

إن للتعامل الرفيق مع الصاحب المدعو ، والصبر على ما يُبديه من خطأ يبني في نفسه من المعاني العظيمة التي تجعله يتشبَّث بهذه الدعوة التي ماجاءت إلا بالرحمة والعفو ، وما قامت إلا بها .

(أما قطع الأخوة عن دوامها فمنهي عنه ، ومذموم في نفسه ، ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَأَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ» [(١)] .

وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة العصيان من محابه ...، فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الفساق محذورة ، ومفارقة الأحباب والإخوان أيضا محذورة ، وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم ، وفي الابتداء قد سلم ، فالمهاجرة والتباعد هو الأولى وفي الدوام تعارضا، فكان الوفاء بحق الأخوة أولى ، هذا كله في زلته في دينه .

أما زلته في حقه بما يوجب إيحاشه فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال ، بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ، ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة ، فقد قيل : "ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرا فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك ، فتقول لقلبك : "ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله ، فأنت المعيب لا أخوك" ، فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت) [(٢)] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ – ذكر منهم – " وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ " [(٣)] .

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ، باب:النمام ، رقم الحديث (٣٢٣) (١/١١٩) ، ورواه البيهقي في شعبه ، كتاب:تحريم أعراض الناس...، باب:فيما ورد من الأخبار في التشديد على من اقترض...، رقم الحديث (٦٢٨٢) (٩/٧٧) ، ورواه الطبراني في معجمه الأوسط ، كتاب:الميم ، باب:من اسمه محمد ، رقم الحديث (٧٦٩٧) (٧/٣٥٠)، وقال الألباني في سلسلته (حسن).

(٢) إحياء علوم الدين ، أبوحامد الغزالي (٢/١٨٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الأذان ، باب:من جلس في المسجد ينتظر...، رقم الحديث (٦٦٠) (١/١٣٣) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الزكاة ، باب:فضل إخفاء الصدقة ، رقم الحديث (١٠٣١) (٢/٧١٥).

وَالْمُرَادُ : (أَنَّهُمَا دَامَا عَلَى الْمَحَبَّةِ الدِّينِيَّةِ وَلَمْ يَقْطَعَاهَا بِعَارِضٍ دُنْيَوِيٍّ سَوَاءٌ اجْتَمَعَا حَقِيقَةً أَمْ لَا حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمَوْتُ)[1] .

وهذا يعني أن الداعية الذي لا يصبر على صاحبه فهو مُنفِّر له ، معين له على هجرانه ، وهذا يصب عليه خسائر شتَّى دنيوية وأخروية .

إنَّ خسران الداعية لصاحب له يعين على النفور منه ، والفرار من صحبته ، وعدم الوثوق بدعوته ، إذ الصبر من أوجب الأخلاق التي يتأكَّد أن يتحلى بها الداعية ، فصبره على صحبة أخيه عون له على بلوغ تلك المنازل العليَّة ، والدرجات الرفيعة .

إن على الداعية أن يصبر عند دعوة صاحبه ، فلا يستبطئ هدايته ، ولا يمل من دعوته، بل يثبت على دعوته ، ويحرص على هدايته ، وصبره وحرصه لا يُخرجه عن مكارم الأخلاق ، أو الإحسان في دعوته .

(والسنة الإلهية في الكون أن النتائج لا تكون إلا بعد مقدمات ، والثمار بعد ولادة وإنضاج ، ومن يعتقد أن الدعوة إلى الله ستأتي ثمارها ونتائجها في مرحلة زمنية قصيرة ، فقد أخطأ خطأ فادحاً وكبيراً .

فليس بمجرد إعلان النبي -ﷺ- لرسالته ودعوته سيُسلم الملأ من قريش ، وليس بمجرد دعوته لأقاربه سيجدهم كلهم أنصاراً بين يديه ، كلا بل لا بد من مراحل يجب اجتيازها ، ولا بد من بذرة يجب وضعها في تراب الأرض ، ولا بد من سقيها وتعهدها ورعايتها وحمايتها)[2] .

(فأبو الدرداء - رضي الله عنه- مرّ على رجل قد أصاب ذنباً فكانوا يسبونه. فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا اخاكم واحمدوا الله - جل جلاله- الذي عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله ، فإذا تركه فهو أخي)[3] .

فمما يجب أن يعيه الدَّاعية ويُؤمن به أن (ليس خروج الإنسان عن مألوفه بالأمر اليسير ، ولعل خروج الروح من الجسد أهون من خروج الفرد عما أَلِف)[1] .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (٢/١٤٥).

(٢) وقفات تربوية ، طه بافضل ،ص:١١١.

(٣) صفوة الصفوة ، أبوالفرج الجوزي (١/٢٤٥).

إن حكمة الداعية توجب عليه الصبر على جهل صاحبه ، والرفق في تعليمه ، وترك الشدة في توجيهه ، فما تنقاد النفوس إلا بالرفق ، وما تحب إلا الصبور الشكور .

(فالداعية الذي يتصدى لدعوة الخلق وتعليمهم وهدايتهم لطريق الحق سوف يلقى كثيراً من العنت والأذى ، وسيصحب بالمقابل أصنافاً من الناس فيهم خير مشوب بجهل أو غفلة ، فإذا صبر واستعمل المداراة على وجهها الصحيح فإن العاقبة له – بإذن الله – ، وما المداراة إلا حسن العشرة غير مشوبة بمعصية ، أو هي الكياسة التي لا تهدم حقاً ، ولا تبني باطلاً ، لكن ينبغي على الداعية أن يجتنب المداهنة ، والفرق بينهما أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق ، أو يرده إليه ، أو يرده عن الباطل ، والمداهن يتلطف به ليُقره على الباطل ، ويتركه على هواه ، فالمداراة لأهل الإيمان ، والمداهنة لأهل النفاق)[٢] .

وعلى الداعية أن يراعي صاحبه المدعو ، ويصبر على تقصيره ، بل يُسارع لأن يكون هو الأسرع وصالاً ، والأطول يداً ، ولا يقارن تقصير صاحبه بمسارعته وثباته على مودته ، بل يُقدمها قربة سائلاً مولاه أن يفتح على صاحبه .

ويجاهد الداعية لأن يجمع ويُوازن بين واجباته الكثيرة ، وبين حقوق صحبه خاصة من المدعوين ، فيُوليهم وصالاً خاصاً ، ورعاية خاصة ، لا يسأم من نصحهم وتوجيههم والإحسان إليهم .

إن صبر الداعية على التَّمسك بصحبة أخيه المدعو يُوجب عليه أن يكون ضابطاً لأعصابه ، رزيناً في تصرفاته ، فلا تدفعه البلايا التي تواجهه في طريق دعوته ، أو الواجبات التي تُثقل كاهله أن يزل في حق صاحبه ، أو أن يُوحشه بكلمة جافية ، أو تصرف مُنفِّر .

قال عمر–رضي الله عنه–:(إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك)[٣] .

وإن كانت تلك وصية عمر – رضي الله عنه– في الأصحاب ، فهي في حق المدعو أولى وأوجب ، فصحبة المدعو تُيسر الكثير من العقبات ، وهي منحة ربانية للداعية ليُوصل وصاياه وتوجيهاته لأخيه على طبق الحب والمودة فيقبلها مُحباً ، أو يصمت متفكراً في إعمالها ، ومع طول الصحبة يثمر خيراً عظيماً – بإذن الله –.

---

(١) المسؤولية ، محمد المصري ، ص:٣٧.

(٢) خواطر في الدعوة ، محمد العبدة ، مجلة البيان ، ط٣ ، ص:١٧١.

(٣) إحياء علوم الدين ، أبوحامد الغزالي (١٦١/٢).

(لكن يجب على الداعية أن يحذر من تضييع المكاسب والانجازات بردَّة فعل غير مضبوطة ، أو إهلاك النفس بفلتة أعصاب ، أو حظوظ نفس ما كان ينبغي أن تكون أو تحدث في أي مشهد استفزازي .

نعم ، قد يحزن الداعية ويكتئب ، فهذه مشاعر إنسانية فطرية ، لكن لا تهوي به هذه المشاعر إلى أماكن سحيقة من التصرفات الهوجاء والرعناء ، بل إنه يتجلَّد ويكظم ، وينظر بعين البصيرة ، فسبيل الدعوة لم يكن يوماً طريقاً مفروشاً بالورود والرياحين ، ولم يكن خالياً من الأشواك والمصاعب والمطبات ، بل إنه يعلم أنه مملوء بها ، فيجب حينئذ أن يتمكن من أعصابه ومشاعره ، ولا ينساق إلى طبيعته التي تربى عليها في بيئته وبيته وبين أحضان والديه ، حيث اللطافة والدلال والحماية ، إنه في مهمة شاقة تحتاج إلى الانضباط والنظام ، وتنشد الصبر والحلم والتحمل ، ليصل – بإذن الله – وقد أدى ما عليه ، وبلغ دعوة الله) [1] .

(وقد تنفلت أعصاب الداعية ، وقد يغضب فيُهدد ويُزمجر ، ولكنه ينبغي أن يكون في الحق ، ورداً على الباطل وأهله ، ليس لذاته ولا لشخصه ونفسه) [2] .

وإن زل الداعية ، ففقد زمام السيطرة على نفسه في لحظة ، فأخطأ في حقه صاحبه ، فيجب عليه أن يصبر على تقديم المعاذير لأخيه ، والإهداء له رغبة في إحياء وده ، ودوام وصاله .

وقد يتوجب على الداعية أن يصبر على السؤال عن صاحبه بين الحين والحين ، وتفقد أحواله ، وتعهده ، ولذلك من المحامد ما يكثر ويعظم .

(ويجب أن يتنبه الداعية أن سياسة الإهمال والهجر سياسة فاشلة لأن الصاحب المُهمل سيتألم كثيراً ، بل ربما أصيب بعقد نفسية وإحباط شديد .

وهي سياسة فاشلة لأنها تعني أن الدعوة لم تستطع معرفة الرجال ومعرفة القدرات والطاقات ، ووضع كل شيء في موضعه مهما يملك من قدرات قليلة .

وهي سياسة فاشلة لأنها دليل على التخلف الحضاري والأخلاقي ، ففيها روح الأنانية والفردية ، فالذي يفعل هذا لا يبقى معه أحد ، وكأنه يقول : أنا ومن حولي نكفي للدعوة) [1] .

---

(١) وقفات تربوية ، طه بافضل ، ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) المرجع السابق ، ص:٢٣٤.

إن الصبر عدة وزينة للداعية ، وعامل جذب لدعوته ، وسبب لتكاثر الإخوان حوله ، ومعاضدتهم ومؤازرتهم لدعوته ، فليكن وصية الداعية الدائمة لنفسه: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾[غافر: ٥٥] ، وليلهج بالدعاء ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٦] ، ليكون علم خيرٍ ، ووسام صلاح ، يُقتدى بفعله قبل قوله .

(١) خواطر في الدعوة ، محمد العبدة ، ص:١٥١.

الْمَسْأَلَة السَّادِسَة : الْقُدْوَة[1] .

أَوَّلاً : تَعْرِيْفُ الْقُدْوَة :

أ- الْقُدْوَةُ لُغَةً :

قال ابن فارس - رَحِمَهُ اللَّهُ- : (الْقَافُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى اقْتِبَاسٍ بِالشَّيْءِ وَاهْتِدَاءٍ، وَمُقَادَرَةٍ فِي الشَّيْءِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ مُسَاوِيًا لِغَيْرِهِ)[2] .

ب- الْقُدْوَة اصْطِلاحاً :

(جمع الداعية إلى سلامة المعتقد وقوة الإيمان حسن الخلق وعلو الهمة ، وجمع إلى سعة علمه حسن فقه العمل به والدعوة إليه ، والصبر على ذلك كله)[3] .

فالْقُدْوَةُ كَضَابِطٍ مِنْ ضَوَابِطِ الصُّحْبَة بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْن يعني : جمع الداعية إلى سلامة المعتقد وقوة الإيمان حسن الخلق مع صاحبه وعلو الهمة في إصلاحه ونفعه، وجمع إلى سعة علمه حسن فقه العمل به والدعوة إليه ، والصبر على ذلك كله.

ثَانياً : الْقُدْوَة مِنْ ضَوَابِطِ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعاةِ وَالْمَدْعُوِّيْن :

ما جاءت الدعوات السَّماوية إلا بأوامر وسنن وتوجيهات كانت مُتمثِّلة بصدق في الرسل - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - ، فهود - عَلَيْهِ السَّلَامُ- ينفي مخالفته لدعوة الحق التي كُلِّف ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾ [هود: ٨٨].

أَيْ : (لَيْسَ أَنْهَاكُمْ عَنْ شي وَأَرْتَكِبُهُ كَمَا لَا أَتْرُكُ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ)[4] .

وخاتم الأنبياء -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أتى بمكارم الأخلاق ، وفضائل الأعمال ، فكان يسبق فعله قوله ، حتى أصبح الإسلام متمثلاً في شخصه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

(١) للاستزادة:راجع مسألة الصَّلاح ، ص:

(٢) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٦٦/٥).

(٣) الرائد ، مازن الفريح (١٧٥/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله القرطبي (٨٩/٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

لقد عُرف النبي -ﷺ- بالخُلُق الرفيع ، والصدر الرحِب ، والمسابقة لكل خير ، فعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- ، قَالَتْ : «مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ -ﷺ- بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ ، فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ ، وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ»[(١)] .

قال الشاطبي -رحمه الله- : (إنَّ التَّأَسِّيَ بِالْأَفْعَالِ -بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ يُعظَّم فِي النَّاسِ- سِرٌّ مَبْثُوثٌ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الِانْفِكَاكِ عَنْهُ بِوَجْهٍ وَلَا بِحَالٍ ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ الِاعْتِيَادِ وَالتَّكْرَارِ ، وَإِذَا صَادَفَ مَحَبَّةً وَمَيْلًا إِلَى الْمُتَأَسَّى بِهِ ، وَمَتَى وَجَدْتَ التَّأَسِّيَ بِمَنْ هَذَا شَأْنُهُ مَفْقُودًا فِي بَعْضِ النَّاسِ ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا تُرِكَ لتأسٍ آخَرَ)[(٢)] .

ولما كان للقدوة عظيم شأنٍ بالنسبة إلى الداعية ، وإحسان فعله سبيل إلى المسارعة إلى قبول دعوته ، عُني المصطفى -ﷺ- بذلك أيَّما عناية ، بل إنه يسعى لدرء أي شبهة قد تُثار قبل أن يُنطق ، أو يُتحدَّث بها في النفس ، فعن صَفِيَّةَ -زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ- أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي المَسْجِدِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ ، فَقَامَ النَّبِيُّ -ﷺ- مَعَهَا يَقْلِبُهَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ المَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ ، مَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ -ﷺ- : «عَلَى رِسْلِكُمَا ، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» ، فَقَالاَ : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا»[(٣)] .

(فمركز القدوة حساس دقيق جداً ، ويجب ألا يُوضع فيه إلا من كان مستعداً للأخذ بالعزيمة ، والبعد عن الرخص ، وإلا من كان يغلب عليه الجد والزهد والتجرد ، ويشتاق إلى التعب والبذل ، لأنه إمام لمن حوله يقلدونه ، ولا بد أن يكون فعله أبلغ في التعبير عن عقيدته ومعاني دعوته من قوله ، لأن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الحدود ، باب:إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله ، رقم الحديث (٦٧٨٦) (١٦٠/٨) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الفضائل ، باب:مباعدته ج للآثام...، رقم الحديث (٢٣٢٧) (١٨١٣/٤) ، واللفظ للبخاري.

(٢) الموافقات ، إبراهيم الشاطبي (٢٦٢/٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الاعتكاف ، باب:هل يخرج المعتكف لحوائجه...، رقم الحديث (٢٠٣٥) (٤٩/٣) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:السلام ، باب:بيان أنه مستحب لمن رئي...، رقم الحديث (٢١٧٥) (١٧١٢/٤).

المنظر أعظم تأثيراً من القول ... ، والداعية الصادق تستمر هيبته الإيمانية في تعاظم ، وتظل في تصاعد ما تصاعدت هيبته لله تعالى ، وتعاظمت اهتمامات قلبه بدعوته ، حتى يغدو منظره قاطعاً لغفلة ناظره)[1] .

ومخالفة فعل الداعية لقوله سبب لغضب الجبار سبحانه ، والوقوع في مقته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤ ﴾[الصف: ٢ – ٤].

أي : (لم تقولون الخير وتحثون عليه ، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه ، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه ، وأنتم متلوثون به ومتصفون به.

فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة ؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل ؟.

ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه)[2] .

وقد قيل : (إنَّ مِنْ تَمَامِ آلَةِ الْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ مَهِيبًا وَقُورًا ، بَطِيءَ الِالْتِفَاتِ ، قَلِيلَ الْإِشَارَةِ، لَا يَصْخَبُ ، وَلَا يَلْعَبُ ، وَلَا يَجْفُو)[3] .

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه – : «إنَّ النَّاسَ أَحْسَنُوا الْقَوْلَ كُلُّهُمْ ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ حَظَّهُ ، وَمَنْ خَالَفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَإِنَّمَا يُوَبِّخُ نَفْسَهُ»[4] .

(إن قيام الداعية بأعمال تناقض أو تخالف الفكر الذي يحمله سيؤدي به إلى فقدانه لأثر القدوة ، ويجعل التصديق به ضعيف أمام صحبه المدعوين .

إن مخالفة القول للفعل تعني إما أن القول غير صحيح ، أو أنه غير قابل للتطبيق .

---

(١) الرقائق ، محمد الراشد ، ص:٢١٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، عبدالرحمن السعدي ، ص:٨٥٨.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبدالبر (٥٧٨/١).

(٤) المرجع السابق (٦٩٦/١).

إن الداعية لا بد له كذلك من أن يبتعد عن مواطن الشبهة ، وما يخدش الرجولة والحياء ، فالناس ترقب أصحاب المثل والمبادئ بعيون ثاقبة ، ولا تقبل منهم ما تقبله من العامة)[1] .

وقال أبو الدرداء – ﷺ– : (إن من تمام التقوى أن يتقي العبد في مثال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار)[2] .

وقول أبي الدرداء – ﷺ– إنما يدل على عظم معرفتهم بحق الله ، فهم رواد هذه الدعوة وقاداتها ، فهم ألزم الناس أن يكونوا الأكثر اجتناباً للباطل ، وتعظيماً للحق ، بل لا يليق بالداعية أن يقع في الشبهات –كما في قصة صفية ﷺ– ، أو أن يُسرف في المباحات .

إنَّ مخالطة المدعو للداعية وصحبته له يجب أن تُثمر في نفس المدعو إجلالاً لهذه الدعوة، وتعظيماً لها ، فيعجب من شدة تشبث صاحبه بها ، واستمساكه بأوامرها ، ونفوره من نواهيها ، إن مثل هذا جدير أن يغرس في نفسه أعظم المعاني ، بل ربما أغنت صحبته لهذه الداعية عن مئات المواعظ والمحاضرات .

فعَنْ مَسْرُوْقٍ – ﷺ– قَالَ : (كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قُلْتُ : أَجْمَلُ النَّاسِ ، فَإِذَا نَطَقَ قُلْتُ : أَفصَحُ النَّاسِ ، فَإِذَا تَحَدَّثَ قُلْتُ : أَعْلَمُ النَّاسِ).[3]

(إن الناس في حاجة ماسة إلى القدوات الصالحة ، التي يلمسون نزاهتها وترفعها عن كل ما يشين ، ويرون تأثيرها في الواقع بعملها أكثر من قولها... ، وسمو الرسالة التي يحملها الداعية ليست كافية وحدها للتأثير في المدعوين ، بل لا بد أن يقترن بذلك إيمان الداعية بها وصدق امتثاله وانتمائه لها ، ولهذا كان أول ربا وضعه النبي –ﷺ– ربا العباس بن عبد المطلب – ﷺ– ، وأول دم وضعه دم ابن عمه ، وما أحسن قول الله تعالى على لسان شعيب –عليه السلام– ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود:٨٨])[4]

(١) صفات المصلحين ، زهير الزميلي ، ص:٢٤.

(٢) إحياء علوم الدين ، أبوحامد الغزالي (٢/٩٦).

(٣) سير أعلام النبلاء ، أبوعبدالله الذهبي (٤/٣٩٠).

(٤) في البناء الدعوي ، أحمد الصويان ، ص:٧١.

وَقَالَ عبد الله بْنُ وَهْبٍ – رَحِمَهُ اللَّهُ – : (مَا نَقَلْنَا مِنْ أَدَبِ مَالِكٍ أَكْثَرُ مِمَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ عِلْمِهِ)[1] .

وقال الحافظ ابن الجوزي – رَحِمَهُ اللَّهُ –: (ورأيت مشايخ كانت لهم خلوات في انبساط ومزاح ، فراحوا عن القلوب ، وبدد تفريطهم ما جمعوا من العلم ، فقل الانتفاع بهم في حياتهم ، ونُسوا بعد مماتهم ، فلا يكاد أحد يلتفت إلى مصنفاتهم)[2] .

(وليس الوقار المقصود يعني الفظاظة والغلظة وجفاء الطبع ، وأن يكون الداعية عابس الوجه مقطب الجبين، إذ ليس ذلك من محاسن الأخلاق، ولا من علامات الشرف والسؤدد الذي ينبغي أن يتحلى به الدعاة ، وإنما المقصود الترفع عن الفحش والبذاءة ، والبعد عن الخفة والسفه ، وقد كان النبي ﷺ- يضحك ، ويمازح أصحابه لكنه لا يقول إلا حقاً)[3] .

(فمما يجب أن يعلمه الداعية ويوقن به أنه لا يفي الصاحب المدعو للداعية كيل الاحترام إلا إذا استقامت سيرته ووثق بصفاء سريرته ، ولهذا فإنك ترى خصوم الداعية إذا أرادوا القضاء على سمعته ، يجنحون إلى الطعن في عدالته ، فيرمونه بالمآثم)[4] .

قَالَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِي –رَحِمَهُ اللَّهُ–: (إِنِّي لَأَلْقَى الْأَخَ مِنْ إِخْوَانِي، فَأَكُونَ عَاقِلًا أَيَّامًا)[5] .

وهذا ما يُرجى من صحبة الداعية للمدعو أن تؤثِّر فيه ، فتدفعه للاقتداء بصاحبه ، والاستفادة منه ، وهذا مصداق للقول بأن : (الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول)[6] .

(فأيما داعية لا يصدق فعله قوله ، فإن كلماته تقف على أبواب الآذان لا تتعداها إلى القلوب ، مهما تكن كلماته بارعة وعباراته بليغة ، فالكلمة البسيطة التي يصاحبها الانفعال، ويؤيدها العمل ، هي الكلمة المثمرة التي تحرك الآخرين إلى العمل)[7] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ، أبوعبدالله الذهبي (١٨٧/٧).

(٢) صيد الخاطر ، أبوالفرج بن الجوزي ، ص:١٥٩.

(٣) في البناء الدعوي ، أحمد الصويان ، ص:٧٤.

(٤) الدعوة إلى الإصلاح ، محمد حسين ، ص:١٦٢.

(٥) شعب الإيمان ، أبوبكر البيهقي ، رقم (٤٣٧٠) (٣٧٩/٦).

(٦) صيد الخاطر ، أبوالفرج بن الجوزي ، ص:١٥٩.

(٧) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٢٣٦٩/٤).

فالمدعو حينما صحب الداعية إنما صحبه في الغالب حباً بهذه الدعوة وولاءاً لها ، فظهور الداعية بأمر يُضعف صورته أمامه يُثير غضبه ، وربما يُسقط مكانته من نفس المدعو ، فإنما جُبلت النفوس على تقديس القدوات ، ورؤيتها في مواضع الصواب دوماً ، وهذا لا يعني أن الداعية ملاك لا يزل ، أو يُخطئ ، بل هو من جملة بني آدم الخطائين ، ولكن أن يغلب صوابه ، ويتضاءل خطؤه ، إخلاصاً لله سبحانه ، وصدقاً في تربية الصاحب المدعو .

ومما يتوجب على الداعية أن يُذكر صاحبه المدعو به أن الداعية بشر غير معصوم قد يُخطئ فيحتاج من يُصوِّبه ، وقد يزل فيفتقد من ينصحه ، فعليه أن يُعينه على ذلك ، ولا يعني هذا أن يكون عذراً لكثرة زلات الداعية ، أو سبباً لولوغه في المتشابهات ، أو تقصيره في الواجبات .

إن صدق الداعية في التزامه بدعوة الحق ، تُبرزه أمام صاحبه المدعو قدوة صادقاً ، ومتى ما كان الدُّعاة قدوات صالحة أثمرت صحبتهم لإخوانهم المدعوين ، وأثرت ميادين الدعوة بالخير ، وصُبَّت عليها البركات ، وكان أثرها مُباركاً.

وبعد أن فصَّلت في ضوابط الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، أنتقل إلى المبحث الثاني وهو أثر الصحبة بين الدعاة والمدعوين في الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني : أثر الصحبة بين الدعاة والمدعوين في الدعوة إلى الله

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تأسيس مفهوم التقارب والوئام بين الداعي والمدعوين ، والاستعانة في قضاء حوائج المدعوين

المطلب الثاني : تأسيس مفهوم الاقتداء والارتباط بالداعية ، وإعداد حملة الرسالة الدعوية

المطلب الثالث : التفاعل مع قضايا الأمة خارج نطاق الإطار الداخلي للعمل الدعوي

المطلب الرابع : التعمق في معرفة المشكلات وإيجاد الحلول

المبحث الثاني : أثر الصحبة بين الدعاة والمدعوين في الدعوة إلى الله .

إن صحبة الداعية للمدعوين تؤسس معاني التقارب والتوادّ ، وتلقي تلك الحواجز الموهومة ، فيغدو الصِّحاب جسداً واحداً ، يقفون سداً منيعاً للدفاع عن دعوة الحق ، وصدِّ أي عدوان ضدها ، يسترخصون أرواحهم جميعاً في سبيل ذلك.

(إن من الضروري للدعوة أن تنتقل إلى صفوفها أعداد غير قليلة حتى تفرض نفسها على أرض الواقع ، ومن الضروري أن ينتقل إليها من كان عدواً لها بالأمس أو مُهملاً لها ، فهؤلاء ربما يكونون أنشط وأقوى، لأنهم يريدون تعويض ما فات من التقصير والنقص، وهناك أسباب كثيرة لاجتذاب أمثال هؤلاء أو بعضهم ، ولكننا نحن المقصرون في تجديد الوسائل الدعوية ، واستنفاد كل الجهود للاتصال بجماهير الأمة ودعوتها للالتزام بدين الله) [1] .

(فيجب على الدعاة كسر القوقعة والخروج إلى الحياة الفسيحة ، فإن التنافس يحدو إلى تفاعل اجتماعي واسع ، وبالأخص التعاون مع مستقلين عن الصف الدعوي لأسباب شتى ، لكنهم من أهل الخير أو الخبرة أو الوجاهة ، وكثير منهم أيقنوا أن الزمن القادم محكور للدعوة الإسلامية ، والاستيعاب لهم يقتضي الانفتاح النفسي أولاً ، ومن ثم إضافة الرفق والسماحة ولمسة الحنان .

وما من شك أن ابتناء العمل الدعوي إنما كان ويكون على مخالطة الناس من أجل إصلاحهم، ولذلك لا يليق مبدأ العزلة لداعية أبداً) [2] .

فصحبة الدعاة للمدعوين تثري الميدان الدعوي، وتسهم بدور فاعل في التمكين لدعوة الحق.

---

(١) خواطر في الدعوة ، محمد العبدة ، ص:١٣٩-١٤٠.

(٢) منهجية التربية الدعوية ، محمد الراشد ، ص:١٠٢-١٠٣.

المطلب الأول : تأسيس مفهوم التَّقارب والوئام بين الدَّاعي والمدعوين ، والاستعانة في قضاء حوائج المدعوين .

المسألة الأولى : تأسيس مفهوم التَّقارب والوئام بين الدَّاعي والمدعوين[1] :

(لقد استعرت نيران العداوات بيننا ، وازداد لهيبها ، وأحرقت منا ما أحرقت ، ومع ذلك لا تزال الهوة تكبر ، والخرق يزداد اتساعاً ، فحتى متى يكون ذلك ؟!)[2] .

إن مما يعاني منه المجتمع الدعوي نظرة الجفاء التي يُتَّهم بها ، فكثيراً ما يُرمى الدعاة بالغلظة والجفاء والشدة والترهيب ، – وإن كانت نسبة لا تُذكر تَزَلُّ بالاتصاف ببعض هذه المساوئ – إلا أن الدعوة المحمدية إنما قامت بالرحمة وجاءت بها .

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران:١٥٩].

وَالْمَعْنَى : (يَا مُحَمَّدُ لَوْلَا رِفْقُكَ لَمَنَعَهُمُ الِاحْتِشَامُ وَالْهَيْبَةُ مِنَ الْقُرْبِ مِنْكَ بَعْدَ مَا كَانَ مِنْ تَوَلِّيهِمْ)[3] .

(فَخُلُقُ الرَّسُولِ –ﷺ– مُنَاسِبٌ لِتَحْقِيقِ حُصُولِ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ إرْسَالِهِ ، لِأَنَّ الرَّسُولَ يَجِيءُ بِشَرِيعَةٍ يُبَلِّغُهَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَالتَّبْلِيغُ مُتَعَيَّنٌ لَا مُصَانَعَةَ فِيهِ ، وَلَا يَتَأَثَّرُ بِخُلُقِ الرَّسُولِ ، وَهُوَ أَيْضًا مَأْمُورٌ بِسِيَاسَةِ أُمَّتِهِ بِتِلْكَ الشَّرِيعَةِ، وَتَنْفِيذِهَا فِيهِمْ، وَهَذَا عَمَلٌ لَهُ ارْتِبَاطٌ قَوِيٌّ بِمُنَاسَبَةِ خُلُقِ الرَّسُولِ لِطِبَاعِ أُمَّتِهِ حَتَّى يُلَائِمَ خُلُقُهُ الْوَسَائِلُ الْمُتَوَسَّلُ بِهَا لِحَمْلِ أُمَّتِهِ عَلَى الشَّرِيعَةِ النَّاجِحَةِ فِي الْبُلُوغِ بِهِمْ إلَى مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُمْ.

أرسل محمّد –ﷺ– مَفْطُورًا عَلَى الرَّحْمَة ، فَكَانَ لينه رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِالْأُمَّةِ فِي تَنْفِيذِ شَرِيعَتِهِ بِدُونِ تَسَاهُلٍ وَبِرِفْقٍ وَإِعَانَةٍ عَلَى تَحْصِيلِهَا ، فَلِذَلِكَ جُعِلَ لِينُهُ مُصَاحِبًا لِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِيهِ ،

(١) للاستزادة:راجع مسألة التودد ، ص:

(٢) في البناء الدعوي المجموعة الأولى ، أحمد الصويان ، ص:١٠٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله القرطبي (٤/٢٤٩).

إِذْ هُوَ قد بُعِثَ لِلنَّاسِ كَافَّةً ، وَلَكِنِ اخْتَارَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ بَيْنَ الْعَرَبِ أَوَّلَ شَيْءٍ لِحِكْمَةٍ أَرَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي أَنْ يَكُونَ الْعَرَبُ هُمْ مُبَلِّغِي الشَّرِيعَةِ لِلْعَالَمِ.

وَالْعَرَبُ أُمَّةٌ عُرِفَتْ بِالْأَنَفَةِ ، وَإِبَاءِ الضَّيْمِ ، وَسَلَامَةِ الْفِطْرَةِ ، وَسُرْعَةِ الْفَهْمِ ، وَهُمُ الْمُتَلَقُّونَ الْأَوَّلُونَ لِلدِّينِ ، فَلَمْ تَكُنْ تَلِيقُ بِهِمُ الشِّدَّةُ وَالْغِلْظَةُ ، وَلَكِنَّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى اسْتِنْزَالِ طَائِرِهِمْ فِي تَبْلِيغِ الشَّرِيعَةِ لَهُمْ ، لِيَتَجَنَّبُوا بِذَلِكَ الْمُكَابَرَةَ الَّتِي هِيَ الْحَائِلُ الْوَحِيدُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِذْعَانِ إِلَى الْحَقِّ ، وَوَرَدَ أَنَّ صفح النّبي -ﷺ- وَعَفْوَهُ وَرَحْمَتَهُ كَانَ سَبَبًا فِي دُخُولِ كَثِيرٍ فِي الْإِسْلَامِ)[1] .

فقد كانت دعوة النبي -ﷺ- مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، أسَّس -ﷺ- مبدأ الترفق والتَّألف والتودد ، فَتَبِعَ قيام دعوة الإخاء دولة الإسلام في طيبة الطيبة ، كان التآخي أساسها ، والتقارب سمتها ، فقد كان - عليه الصلاة والسلام - يتألَّف قلوب حديثي العهد بالإسلام ، ويتودد إليهم بالبذل والعطايا ، حتى إنهم استحقوا الصدقة الواجبة "الزكاة" ، فكانوا من الأصناف الثمانية الذين تُصرف لهم الزكاة ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ [التوبة: ٦٠].

وعَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رضي الله عنه- ، قَالَ: قَالَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ -ﷺ- مَا أَفَاءَ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ -ﷺ- يُعْطِي رِجَالًا المِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، قَالَ أَنَسٌ -رضي الله عنه- : فَحُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِمَقَالَتِهِمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَامَ النَّبِيُّ -ﷺ- فَقَالَ : «مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ» ، فَقَالَ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ : أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا ، وَأَمَّا نَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا : يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا ، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : «فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ -ﷺ- إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَاللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ» قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا[2] .

(١) التحرير والتنوير ، ابن عاشور (١٤٥/٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:المغازي ، باب:غزوة الطائف ، رقم الحديث (٤٣٣١) (١٥٨/٥) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب:الزكاة ، باب:إعطاء المؤلفة قلوبهم...، رقم الحديث (١٠٥٩) (٧٣٣/٢).

فقد كان التَّألف بالمال إحدى الوسائل التي رسمها رسول الله -ﷺ- ليؤسس ودّاً وقرباً بينه وبين الصحابة -رضي الله عنهم- ، ولم يقتصر على المؤلفة بالتودد ، بل حتى من حسن إسلامه وسبق من الأنصار عوَّضهم عن المال الأضعاف المضاعفة .

لقد حث النبي -ﷺ- أمة الجسد الواحد على التواد والتَّواؤم والتَّقارب ، والنصوص في هذا كثيرة ، ويكفي قوله -ﷺ- : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " [1] .

والداعية مخاطب بالدرجة الأولى بأن يطبق معاني التآلف والتقارب مع المدعو ، وفي صحبته له يعظم الواجب ، وتعظم معه تبعاً البشائر ، فمتى ما حصل الوئام بين الداعية وصاحبه ، غدت نفس صاحبه له مطواعة منقادة ، يتقبل منه ، ويسمع له ، ولا يخفى على الداعية كم من سِيَرٍ لصحب رسول الله -ﷺ- فيها " أسلم ثمَّ حسن إسلامه " ، ودعوة الإخاء والتقارب لها اليد الطولى في ذلك ، فتغدو الدعوة مُناصرة بمن يسترخص روحه لنصرتها وتمكينها ، ويسارع لبذل الغالي والنفيس ، يُعاون في قضاء حاجياتها ، وأداء واجباتها.

وبعد أن تبين تأسيس مفهوم الاقتداء بين الداعي والمدعوين كأثر من آثار الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، أنتقل إلى بيان الاستعانة في قضاء حوائج المدعوين كأثر من آثار تلك الصحبة.

المسألة الثانية : الاستعانة في قضاء حوائج المدعوين [2] .

إن السعي في قضاء الحوائج وتفريج الكُرب لمن أسمى المساعي وأنبلها ، وصاحبها موعود بالخير والفلاح ، فهذه أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- تُهدئ من روع زوجها -ﷺ- لما نزل عليه الوحي للمرة الأولى ، وأصابه الهلع والخوف قالت: (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ) [3] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب:البر والصلة والآداب ، باب:تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتوادهم ، رقم الحديث (٢٥٨٦) (١٩٩٩/٤).

(٢) للاستزادة:راجع الإعانة ، ص: ، وراجع التَّكليف ، ص: .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:بدء الوحي، باب:كيف كان بدء الوحي إلى النبي ج ، رقم الحديث (٣) (٧/١).

قال ابن حجر – رَحِمَهُ اللَّهُ – : (والْإِحْسَانَ يَكُونُ إِمَّا إِلَى الْأَقَارِبِ أَوْ إِلَى الْأَجَانِبِ ، وَإِمَّا بِالْبَدَنِ أَوْ بِالْمَالِ ، وَإِمَّا عَلَى مَنْ يَسْتَقِلُّ بِأَمْرِهِ أَوْ مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِيمَا وَصَفَتْهُ بِهِ) [(١)] .

وقضاء الحوائج إن كان يُحمد به المسلم ، ففي الداعية أحمد وأنفع ، بل إنه مخاطب بإعمالها بالدرجة الأولى ، فـ ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩].

(إن أولويات الدعوة والتغيير في هذه الأمة كثيرة جداً ، والحكمة الشرعية تقتضي البدء بالأولى فالأولى ، ولكن هذا لا يعني إلغاء العناية بالحاجات الدعوية والاجتماعية المفضولة ، فالأمور تُقدَّر بقدرها ، والفقه الناضج هو الفقه الذي يُوائم بين تلك الحاجات بتوازن تام .

ومن ذلك السعي الحثيث لكفالة ضروريات الناس ، وتوفير حاجياتهم التعليمية والاجتماعية والصحية ونحوها ، فهي من الطرق الرئيسة للتأثير في نفوسهم ، وتأليف قلوبهم) [(٢)] .

وصاحب الداعية المدعو هو أوجب وألزم من تُقدم له المعونة ، ويسعى في ضائقته حتى تُفرج ، ويُبذل له جميع أنواع المساعدة الممكنة .

وإن سد الداعية لحاجة صاحبه هو عون لصاحبه على الثبات على طريق الدعوة ، والاستمساك بها ، ومن ثم تقديم العون لصاحبه الداعية ، والسعي لتفريج الكُرَب ، فمن استلذ بحلاوة تفريج كربته بعدما أطبقت عليه وأظلمت يسعى للتنفيس والتفريج عن غيره ، ويبقى ولاؤه لصاحب الفضل عليه بعد الله .

(كما إن الساعات الحاسمة في التاريخ هي الساعات التي تتحوَّل فيها الأمة كلها إلى ورشة عمل كل له مكانه وكل له مكانته ، يشعر كل فرد أنه يشارك في البناء بل إنه ضروري لهذا البناء) [(٣)] .

والداعية الحصيف يُحسن إدارة ود صاحبه له ، وصدقه في تقديم النفع معه لهذه الدعوة، فينتج عن هذه الصحبة المباركة خير كثير ، فيستثمر الداعية حينها قوى جادة ، وإمكانات متنوعة ، فتغدو ميادين الدعوة ثرية بالأيدي والإمكانات المنوعة ، وتبرز حينها مواضع النقص فتُسد ، والمشاكل يُتظافر

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (١/٢٤).

(٢) في البناء الدعوي المجموعة الأولى ، أحمد الصويان ، ص:١٠٣.

(٣) خواطر في الدعوة ، محمد العبدة ، ص:٣٩.

عليها فتُحَلُّ بإذن الله تعالى ، ويغدو الجميع كخلية نحل كل عليه واجب مكلف به ، يُعمِلون الوصية الربانية: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢]، وما خاب جمع أقاموا شرع ربهم ، وتواصوا بذلك.

وبعد أن اتضح الأثر الأول من آثار هذه الصحبة المباركة ، أنتقل إلى بيان الأثر التالي وهو تأسيس مفهوم الاقتداء بالداعية إلى الله تعالى.

المطلب الثاني : تأسيس مفهوم الاقتداء والارتباط بالدَّاعية[1]، وإعداد حملة الرِّسالة الدَّعوية[2].

المسألة الأولى : تأسيس مفهوم الاقتداء والارتباط بالدَّاعية .

الدعاة الصادقون هم منارات للهدى ، وعلامات للرشاد ، بنورهم يهتدي الضال ، وبعلمهم يسترشد الحائر، وعلى قدر صدقهم وثباتهم يعظم نفعهم ويكثر خيرهم ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وللدعاة مكانتهم التي يجب أن يحظون بها لا لأشخاصهم ، وإنما لما يحملونه في صدورهم من كلام الله ، وما ينشرونه من قول الحق ودعوة الحق .

ولقد علم أعداء الدعوة أهمية الحفاظ على مكانة الداعية في تقبل الناس لدعوته ، والتفافهم حولها ، فحيكت التدابير وغدا إسقاط الدعاة والعلماء واستنقاصهم مهمة الكثير منهم ، لينفروا الناس عن دعوتهم ، ويبغضوهم في طريقتهم .

وإنما يتشبث أولئك الشرذمة بقصص مُلفَّق يحيكونها ليُلصقوها بالدعاة وسيلة للتنفير منهم .

ولا يُفوت أولئك أي زلة قد تصدر من داعية ، وجلَّ من لا يسهو ولا يُخطئ .

وعَنْ عُمَرَ –رضي الله عنه–: (ثَلَاثٌ يَهْدِمْنَ الدِّينَ : زَلَّةُ الْعَالِمِ ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ)[3] .

وَقَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ – رضي الله عنه– : (كَيْفَ أَنْتُمْ عِنْدَ ثَلَاثٍ : زَلَّة عَالِمٍ ، وَجِدَالِ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ ، وَدُنْيَا تَقْطَعُ أَعْنَاقَكُمْ ، فَأَمَّا زَلَّةُ الْعَالِمِ ، فَإِنِ اهْتَدَى فَلَا تُقَلِّدوهُ دِينَكُمْ ، تَقُولُونَ : نَصْنَعُ مِثْلَ مَا يَصْنَعُ فُلَانٌ ، وَنَنْتَهِي عَمَّا يَنْتَهِي عَنْهُ فُلَانٌ ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَا تَقْطَعُوا إِيَاسَكُمْ مِنْهُ فتُعينوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ) .

---

(١) للاستزادة: راجع مسألة القدوة .

(٢) للاستزادة:راجع الاعداد الدعوي .

(٣) الموافقات ، إبراهيم الشاطبي (٣٢٨/٤).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنه-: (ويلٌ لِلْأَتْبَاعِ مِنْ عَثرات الْعَالِمِ. قِيلَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: يَقُولُ الْعَالِمُ شَيْئًا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ يجدُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِرَسُولِ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-مِنْهُ، فَيَتْرُكُ قَوْلَهُ ثُمَّ يَمْضِي الْأَتْبَاعُ)[1].

وعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ[2] -رحمه الله- قَالَ : (مَنِ اسْتَخَفَّ بِالعُلَمَاءِ ذَهَبتْ آخِرَتُهُ ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالأُمَرَاءِ ذَهَبتْ دُنْيَاهُ ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالإِخْوَانِ ذَهَبتْ مُرُوءتُهُ)[3].

فالواجب على الدعاة أن يتعاملوا بحكمة ، وأن يكون التأني والتروي ديدنهم ، ولن يكونوا قدوات يُهتدى بهم بغير التحلي بهذه الأخلاق الفاضلة ، وإذا ما زل أحد منهم وصدر عنه الخطأ – ولابد أن يصدر فكل بني آدم خطَّاء – ، فإذا ما صدر عن داعية زلة أو هفوة يجب أن يُوجه المدعوين الوجهة الصحيحة ، إذ لا بشر معصوم ، ولا قداسة للأشخاص ، وإنما يُدار مع الحق حيث دار .

(وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَدْعُو أَنْ يَبْعَثَهُ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ لَهُ عَلَى قَبُولِ الشُّبْهَةِ مِنْهُ ، وَلَا يَدْعُوهُ تَرْكُ الْإِعْنَاتِ لَهُ عَلَى التَّقْلِيدِ فِيمَا أَخَذَ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَا بَعْضُ الْمَدْعُوِّيْن فِي صَاحِبِهِم الدَّاعِيَة حَتَّى يَرَوْا أَنَّ قَوْلَهُ دَلِيلٌ وَإِنْ لَمْ يَسْتَدِلَّ ، وَأَنَّ اعْتِقَادَهُ حُجَّةٌ وَإِنْ لَمْ يَحْتَجَّ ، فَيُفْضِي بِهِمْ الْأَمْرُ إلَى التَّسْلِيمِ لَهُ فِيمَا أَخَذَ مِنْهُ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَبْطُلَ تِلْكَ الْمَقَالَةَ إنْ انْفَرَدَتْ ، أَوْ يَخْرُجَ أَهْلُهَا مِنْ عِدَادِ الدُّعَاةِ فِيمَا شَارَكَتْ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ لَا يَرَى لَهُمْ مَنْ يَأْخُذُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَرَوْنَهُ لِمَنْ أَخَذُوا عَنْهُ فَيُطَالِبُهُمْ بِمَا قَصَّرُوا فِيهِ فَيَضْعُفُوا عَنْ إبَانَتِهِ ، وَيَعْجِزُوا عَنْ نُصْرَتِهِ ، فَيَذْهَبُوا ضَائِعِينَ وَيَصِيرُوا عَجَزَةً مَضْعُوفِينَ)[4].

(وَإِذَا كَانَ الْمَدْعُو مُعْتَدِلَ الرَّأْيِ فِيمَنْ يَأْخُذُ عَنْهُ ، مُتَوَسِّطَ الِاعْتِقَادِ مِمَّنْ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، حَتَّى لَا يَحْمِلَهُ الْإِعْنَاتُ عَلَى اعْتِرَاضِ الْمُبَكِّتِينَ ، وَلَا يَبْعَثُهُ الْغُلُوُّ عَلَى تَسْلِيمِ الْمُقَلِّدِينَ ، بَرِئَ الْمَدْعُو مِنْ الْمَذَمَّتَيْنِ ، وَسَلِمَ الدَّاعِيَةُ مِنْ الْجِهَتَيْنِ)[5].

(١) الموافقات ، إبراهيم الشاطبي (١٣٤/٥).

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: (١١٨- ١٨١ هـ= ٧٣٦- ٧٩٧ م) الحَافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا. وجمع الجديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفا من غزو الروم. له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه (الأعلام للزركلي ١١٥/٤).

(٣) سير أعلام النبلاء ، أبوعبدالله الذهبي (٤٠٨/٤).

(٤) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٦٩-٧٠.

(٥) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٧٠.

فإنصاف الداعية والأخذ عنه باعتدال وصف العقلاء ، ومن فَقِه حقيقة أخيه – وإن صار علم على رأسه نار في الدعوة – إلا أنه يبقى من جملة بني آدم الخطَّائين ، فيعذره ويُعينه ويُسدِّده ويُوجِّهه.

إن صحبة الداعية للمدعو وسيلة دعوية لطيفة ، فيها تتقارب القلوب وتتآلف ، والألفة والود يرتبط بالصحبة ، فإذا ما صحب المدعو الداعية وتقرَّب منه نال الود ، وتبع الود القبول ، ومن ثمَّ الارتباط بالداعية والاقتداء به .

والاقتداء بنبيل الأخلاق ، وجميل الدين من سمات الأنبياء –عليهم السلام–، وقد أمر الله تعالى خير الخلق –ﷺ– بتقفِّي أثر إخوته–عليهم السلام– والاقتداء بهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام:٩٠].

(والِاقْتِدَاءُ : طَلَبُ مُوَافَقَةِ الْغَيْرِ فِي فِعْلِهِ) [(١)] .

وإن كان الله قد أمر نبيه وهو خير الخلق –ﷺ– أن يقتدي بإخوته الأنبياء ، ويتأسى بهداهم ، فغيره من أمته مخاطب بوجوب الاقتداء بأهل الخير والحق من باب أولى.

(إن العقول تنطوي في أعماقها على ميول نحو الاستحالة واستصعاب الأمور ، والنماذج العملية هي التي تزرع في تصورات المدعوين ومشاعرهم الميول نحو الممكن .

إن كل داعية بقليل من الوعي والجهد يستطيع أن يقدم في جانب من جوانب حياته نموذجاً صغيراً يجذب إليه صحبته من المدعوين ، فيقلدونه ويترسَّمون خطاه ، وبذلك يكثر الخير ، وتترسَّخ أخلاق مثمرة) [(٢)] .

(إن الأمم الفقيرة ليست هي الأمم التي لا تملك المال ، لكنها الأمم التي يتلفت صغارها يمنة ويسرة فلا يجدون حولهم سوى رجال من الدرجة الثالثة أو الرابعة ، فتتجه أبصارهم نحو رجالات الأمم الأخرى باحثة عن القدوة والمثل ، وعن حقل جديد للممارسة، وبذلك تنشأ الفتنة الثقافية) [(٣)] .

(١) الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله القرطبي (٣٥/٧).

(٢) التفكير في المفقود ، عبدالكريم بكار ، ص:٧٩.

(٣) المرجع السابق ، ص:٨٠.

فتأسيس مفهوم الاقتداء بالداعية برغم أهميته إلا أن الأهم منه أن يكون الداعية أهل لأن يُقتدى به ، وقد صدق عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ – رضي الله عنه– إذ قال : (إِنَّمَا زَهِدَ النَّاسُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ قِلَّةِ انْتِفَاعِ مَنْ عَلِمَ بِمَا عَلِمَ)[1] .

وحينما يكون الداعية أهل لأن يُقتدى به ، يسبق فعله قوله ، لا يهادن ولا يُجامل ، حينها يكون لصحبته للمدعو أعظم الأثر وأجمله ، إذ بمحاسن صفاته يُقتدى ، وبجميل أفعاله يُتأسَّى .

وفي ذلك كسر لتلك الأساطير التي تحكي أن الداعية إنسان كريه المعشر ، قاسٍ جلف صلب ، بل يُعاين المدعو حقيقة أخيه الداعية ، فيسعى للاقتداء به لجميل ما رأى من الارتباط به .

وبعد أن اتضحت حقيقة تأسيس مفهوم الاقتداء والارتباط بالداعية كأثر من آثار هذه الصحبة المباركة ، أنتقل إلى بيان إعداد حملة الرسالة الدعوية كأثر ملحق بالاقتداء بالداعية إلى الله تعالى.

المسألة الثانية : إعداد حملة الرِّسالة الدَّعوية .

(إن الأمة التي تقوم على دعوة الله في حاجة إلى استيقاظ كل خلاياها ، واحتشاد كل قواها ، وتوفز كل استعدادها ، وتجمع كل طاقاتها ، كي يتم نموها ، ويكمل نضجها ، وتتهيأ بذلك لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها)[2] .

(إن الرصيد الأكبر للجماعة المصلحة هو في أفرادها ، ثم في برامجها الإصلاحية ، وما لم تعتن هذه الجماعة بأفرادها ، وتؤهلهم للقيام ببرامجها فلن يكتب لها النجاح .

وكلما وسعت هذه الجماعة آفاق أفرادها وطموحاتهم كلما امتد إصلاحها إلى ما هو أبعد من ذاتها ومما حولها ليمتد إلى آفاق عليا تشمل البشرية كلها)[3] .

(١) أدب الدنيا والدين ، أبوالحسن الماوردي ، ص:٧٦.

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٢٤٢٦/٤).

(٣) صفات المصلحين أفرادا وجماعات ، زهير الزميلي ، ص:٩٠.

(إن إعداد دعاة ومربين قادرين على العطاء ، فاهمين لدينهم ، وفاهمين لدنياهم ، وتفريغهم لهذه المهمة ، وإعانتهم عليها بكل سبيل لهو مما يأثم المسلمون بالتفريط فيه ، ويُؤجرون عند الله ، ويُحمدون عند الناس بالمسارعة إليه ، وبذل المال والوقت والجهد في تحقيقه وإنفاذه)[1] .

وفي صحبة المدعو للداعية وارتباطه به واقتفائه لجميل أثره تهيئة له على تحمل مسؤولية الدعوة ، والارتقاء به في سلم نصرتها ، والتدرج في إعداده ، والصبر على ذلك ، وتقديم الرفق به على العنف ، واللين معه بدلاً من الشدة ، وتقديم الدروس الدعوية بشتى الوسائل المباشرة منها وغير المباشرة .

(إن الداعية النبيل يرعى من دونه ، ويكفله ، ويُربيه ، ويصوبه ، ويمنحه فرصة للاقتباس والتشبه ، ويظل يطّرد هذا الأسلوب عنده حتى لا يبقى عنده حساسية تنفره من غافل يقارف ، وفاسق سادر ، بل يراهم ضحايا لتأثيرات سوء ، ويجعل واجبه الانتشال)[2] .

(والنتيجة المقصودة من التربية الدعوية هي صناعة مؤمن واع ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويتقن عملاً ضمن أشكال العمل الكثيرة التنوع التي يتألف من مجموعها الأداء الدعوي الشمولي ، ويكون مستعداً لبذل روحه ودمه في سبيل الله إذا اقتضى الصراع ذلك .

من هنا فإن مواكبة الداعية للمدعو في أيام الشدة والتنافس يعلمه العزة ، والممارسة العملية للنهي عن المنكر تمنح الداعية الصاعد روح الكبرياء على الجاهلية ، والتمرد على الترويض ، والصلابة والثبات ، وهذه الطبائع والأخلاق الرفيعة هي أرقى الخصال التي تطمح التربية الإيمانية الدعوية إلى تحقيقها)[3] .

إن مصاحبته لمن سمت همته ، وارتقت إرادته ، وكان هدفه نصرة الدعوة ، فبذل لها الغالي والنفيس ، لم يتوان أو يُقصر ، فرؤية المدعو ومعاينته لذلك ، يدفعه ويُحفزه لأن يبذل للدعوة ويُعدَّ لها ، ويتأهَّب للتصدر في الدفاع عنها ، وهذا إنما يكمل ويجمل بصبر الداعية وحلمه وتجلده ، والاستعانة بالله ودعوته أن يُسخر صاحبه المدعو للدعوة ، ويجعله ناصراً صادقاً لها لا له ، والله ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠].

(١) أولويات الحركة الإسلامية ، يوسف الشعراوي ، ص:٦٠.

(٢) منهجية التربية الدعوية ، محمد الراشد ، ص:٣٧٣-٣٧٤.

(٣) المرجع السابق ، ص:٩٦.

وبعد أن اتضح الأثر الثاني من آثار الصحبة المباركة ، أنتقل إلى بيان الأثر الثالث وهو التفاعل مع قضايا الأمة خارج نطاق الإطار الداخلي للعمل الدعوي.

الْمَطْلَب الثالث : التَّفاعل مع قضايا الأمَّة خارج نطاق الإطار الداخلي للعمل الدَّعوي.

إن الداعية مكلَّف بأن يندمج بجميع شرائح المجتمع لا أن يحصر تفاعله في نطاق الإطار الداخلي للعمل الدعوي ، يتعامل مع إخوته الدعاة فحسب ، بل تلك عزلة مذمومة لها من السلبيات ما لها ، وقدوة الداعية الأول –ﷺ– كان يُخالط جميع شرائح المجتمع ، صغيرهم وكبيرهم ، عالمهم وجاهلهم ، حرهم وعبدهم .

وكان أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ – رضي الله عنه– ، يَقُولُ : إِنْ كَانَ النَّبِيُّ –ﷺ– لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ[1] »[2] .

وكان ذلك التفاعل وسيلة للتعمق في المجتمع ، والتمرُّس على إحسان دعوته ، ومعرفة المفاتيح التي تُفتح بها قلوبهم ، والطرق الأسهل للوصول إليها ، وكيفية قيادتها نحو الحق .

إن تفاعل الداعية الغير مختص بنطاق الدعوة الداخلي يُمكِّنه من التعرف على إمكانات أمته ، والوقوف على احتياجاتهم ، بل إحسان توجيه قدراتهم ، واستثمارها الأمثل في ميدان الدعوة .

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنه– ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– : «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذٌ، إِلَّا أَنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»[3] .

لقد كان لمخالطة النبي –ﷺ– لعموم صحبته ، وعدم قصرها على فئة دون فئة الأثر العظيم ، فقد تعرف –ﷺ– بالأبرع من صحابته – رضي الله عنهم– في كل فن ، ووجَّه تلك الإمكانيات ، ووظفها في خدمة الدعوة ونفعها .

(فيجب على الدعاة كسر القوقعة والخروج إلى الحياة الفسيحة ، فإن التنافس يحدو إلى تفاعل اجتماعي واسع ، وبالأخص التعاون مع مستقلين عن الصف الدعوي لأسباب شتى ، لكنهم من أهل

---

(١) النغير بِالتَّصْغِيرِ هُوَ : طَائِر يشبه العصفور. قيل: أَحْمَر المنقار (فتح الباري لابن حجر ١٩٧/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب:الأدب ، باب:الانبساط إلى الناس ، رقم الحديث (٦١٢٩) (٣٠/٨).

(٣) سبق تخريجه ، ص٢١٤.

الخير أو الخبرة أو الوجاهة ، وكثير منهم أيقنوا أن الزمن القادم محكور للدعوة الإسلامية ، والاستيعاب لهم يقتضي الانفتاح النفسي أولاً ، ومن ثم إضافة الرفق والسماحة ولمسة الحنان .

وما من شك أن ابتناء العمل الدعوي إنما كان ويكون على مخالطة الناس من أجل إصلاحهم ، ولذلك لا يليق مبدأ العزلة لداعية أبداً)[1] .

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ[2] - رَحِمَهُ اللهُ- ، فَقَالَ: (قَدْ حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ لاَ أُخَالِطَ النَّاسَ. قَالَ: لاَ تَفْعَلْ ، إِنَّهُ لاَ بُدَّ لَكَ مِنَ النَّاسِ ، وَلاَ بُدَّ لَهُم مِنْكَ ، وَلَهُم إِلَيْكَ حَوَائِجُ ، وَلَكَ نَحْوُهَا ، لَكِنْ كُنْ فِيْهِم أَصَمَّ سَمِيْعاً ، أَعْمَى بَصِيْراً ، سَكُوْتاً نَطُوْقاً)[3] .

(فالمطلوب من الدعاة الآن امتلاك القدرة على فقه التعامل مع المجتمعات ، وفتح منافذ جديدة للدعوة الإسلامية ، وامتلاك قدرة أكبر من المرونة مع الإبصار الكامل والدقيق والأمين للأهداف والتقدير للإمكانات ، والخروج من العزلة التي كادت تحيط بهم لتجعل منهم جسماً غريباً منفصلاً عن جسم الأمة ، وتجعل لهم أهدافاً منفصلة أيضاً عن أهداف الأمة ، الأمر الذي يسهل على أعداء الإسلام ضربهم ، ومن ثم القضاء عليهم تحت شتى العناوين والشعارات .

إن الوقوف عند حدود الرفض والإدانة لواقع الأمة ، والاكتفاء بالخطب الطنانة الرنانة لم ولن يغير شيئاً من هذا الواقع ، وإنما ينقلب إلى حالة سلبية لا يحسن صاحبها غيرها ، وقد يكون إلى حد بعيد ستاراً لإحساس بالعجز عن المدافعة في معترك الحياة ، وحماية لشخصية هشة عاجزة عن المواجهة وحسن التدبير والتصرف .

إن فقه التعامل مع المجتمعات الذي يُطمح إليه لا يعني أبداً التعاون معها على ما هي فيه من قيم وتشريعات بعيدة عن الإسلام ، كما لا يعني أبداً أن يُوظف الدعاة لغير الأهداف الإسلامية ، وإنما يعني النزول إلى الساحة ، وفهم واقع الناس حتى يجيء الأخذ بيدهم ثمرة لهذا الفهم ، ذلك أن الناس هم محل دعوة الله ، وأنهم خليقون بالشفقة والإنقاذ)[4] .

---

(١) منهجية التربية الدعوية ، محمد الراشد ، ص:١٠٢-١٠٣.

(٢) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: (٣٤ - ١١٤ هـ = ٦٥٤ - ٧٣٢ م) مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها (الأعلام للزركلي ١٢٥/٨).

(٣) سير أعلام النبلاء ، أبوعبد الله الذهبي (٥٥٠/٤).

(٤) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر حسنه ، ص:١١٦-١١٧.

إن صحبة الداعية للمدعو تُعينه وتدفعه لأن يُوازن بين عمله في الإطار الداخلي للدعوة – وهذا لازم وواجب – ، وبين مخالطته للمدعوين ، ولا يخفى على داعية لزوم تلك الخلطة ووجوبها ، حتى يقف على حقيقة واقع الأمة ، ويتلمَّس احتياجاتها عن قرب .

(فمما لا يسع الداعية أن يجهله هو أن بين العمل التربوي الخاص في مجتمع الدعاة ، والعمل العام الواسع نوع تكامل ، والذي يرى وجهاً واحداً وميداناً واحداً إنما هو متزمت لم يفقه أثر السواد الأعظم في إحداث التغييرات الكبرى في مسار الحياة ، أو هو على عكسه لا يفهم كيف يقود الدعاة المدعوين إلى إجراء النقلات)[1] .

(إن من أبرز جوانب التحدي الذي تواجهه الدعوة الإسلامية هو الدخول المتوازن في كل شرائح المجتمع وطبقاته ، فالطرح الإصلاحي النخبوي وحده يبقى محدود التأثير منغلقاً في قاعات الدرس وبطون الكتب ، والطرح الجماهيري وحده يبقى ضعيف التأثير لا يستوعب إمكانات الأمة وقدراتها ، ولا يحسن توظيفها واستثمارها ، وأما المواءمة بين الأمرين فهو التجديد الذي يُحيي الأمة ويسلك بها سبيل النهضة والتغيير المنشود)[2] .

(إن التحدي الذي يظل يواجه الصحوة هو المحافظة على مسافة محددة بينها وبين مجتمعاتها ، وذلك بأن تلتحم بقضايا الأمة كأشد ما يكون الالتحام مع الاحتفاظ باستقلالية الروح والوعي ، حيث إن الاندماج مع ما هو سائد هو اندماج مع ما هو غير رشيد وغير مُرضي)[3] .

فتوازن الداعية في صحبته مع المدعوين ، وإحسانه في تعامله معهم ، والوسطية في ذلك ، يُثري معارفه ، ويفتح له الكثير من الآفاق التي يجهلها ، بل ويكون ذلك وسيلة لإثراء ميادين الدعوة ، ومن ثمَّ التمكين لها ، ولن يتم التمكين إلا باللحمة والاتحاد على نصرة دعوة الحق. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣ – ١٠٥].

---

(١) منهجية التربية الدعوية ، محمد الراشد ، ص:٩٥.

(٢) في البناء الدعوي المجموعة الأولى ، أحمد الصويان ، ص:١٠٤-١٠٥.

(٣) الصحوة الإسلامية ، عبدالكريم بكار ، ص:١٣٢.

المطلب الرابع : التَّعمق في معرفة المُشكلات وإيجاد الحُلُول .

إن اعتزال الداعية لعامة الناس ، وتحججه بانتشار الفساد ، وتكاثر الفتن ، واختياره للعزلة حلاً ، وفي إمكانه عمل الكثير ، بل إن الكثير بانتظاره ، حينما يتخاذل عن تلك الوظيفة الشريفة من هو أهل لأن يبرز ويتصدر للذود عنها، ونشر سماحتها وحسنها، ومثل هذا لا يليق بمن تربى في رياضها ، ونذر روحه لنشرها، وكانت غاية أمانيه تمكينها في الأرض .

(فمن ظواهر الحياة الإسلامية المرصودة : أن الفقهاء حين يستلذون العلم والمعيشة بين الكتب تقل تدريجياً أوقات مخالطتهم الاجتماعية ، ويظل أحدهم يردد : "إن خير جليس في الأنام كتاب" ، حتى تستولي عليه العزلة ، ويستوحش من الناس ، ولا يصبر على لأواء تربيتهم وإصلاحهم ، فيقود الناس الدراويش والغلاة وأنصاف الفقهاء ، وذلك أحد أسباب الترديات في أحوال العالم الإسلامي ، ومثل هذه الظاهرة يمكن أن تحدث مصغرة في الحياة الدعوية أيضاً ، إذا انزوى ثقات الدعاة ومجربيهم وأهل العلم والتخصص منهم ، فيتقدم أهل شهوة الكلام ، ويتصدر أنصاف الدعاة من غير تصدير ولا انتخاب ولا إقرار ، ولكن بإتقان المخالطة والتقرب ودغدغة المشاعر وبيع المدح والإطراء لكل راغب بالشراء)[1] .

قال ابن تيمية – رحمه الله–: (الْمُخَالَطَةَ إنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى فَهِيَ مَأْمُورٌ بِهَا، وَإِنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَهِيَ مَنْهِيٌّ عَنْهَا، فَالِاخْتِلَاطُ بِالْمُسْلِمِينَ فِي جِنْسِ الْعِبَادَاتِ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَصَلَاةِ الْكُسُوفِ وَالِاسْتِسْقَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ هُوَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَذَلِكَ الِاخْتِلَاطُ بِهِمْ فِي الْحَجِّ وَفِي غَزْوِ الْكُفَّارِ وَالْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ وَإِنْ كَانَ أَئِمَّةُ ذَلِكَ فُجَّارًا ، وَإِنْ كَانَ فِي تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ فُجَّارٌ.

وَكَذَلِكَ الِاجْتِمَاعُ الَّذِي يَزْدَادُ الْعَبْدُ بِهِ إيمَانًا إمَّا لِانْتِفَاعِهِ بِهِ ، وَإِمَّا لِنَفْعِهِ لَهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ)[2] .

و قال ابن القيم – رحمه الله– : (وَالْأَفْضَلُ فِي وَقْتِ نُزُولِ النَّوَازِلِ وَأَذَاةِ النَّاسِ لَكَ أَدَاءُ وَاجِبِ الصَّبْرِ مَعَ خُلْطَتِكَ بِهِمْ ، دُونَ الْهَرَبِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ لِيَصْبِرَ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يُؤْذُونَهُ.

---

(١) منهجية التربية الدعوية ، محمد الراشد ، ص:١١٤.

(٢) الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية (١٦٣/٢).

وَالْأَفْضَلُ خُلْطَتُهُمْ فِي الْخَيْرِ ، فَهِيَ خَيْرٌ مِنَ اعْتِزَالِهِمْ فِيهِ ، وَاعْتِزَالُهُمْ فِي الشَّرِّ ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ خُلْطَتِهِمْ فِيهِ ، فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا خَالَطَهُمْ أَزَالَهُ أَوْ قَلَّلَهُ فَخُلْطَتُهُمْ حِينَئِذٍ أَفْضَلُ مِن اعْتِزَالِهِمْ)[1] .

فقرب الداعية لعامة الناس ، ومصاحبته للمدعوين تبقيه قريباً منهم ، فيغدو خبيراً بأدوائهم ، يسير عليه استحضار دوائهم ، يتمكن من معرفة المشاكل حال وقوعها ، والخلل الذي أدى لها ، وما أسباب زيادتها ، ومن ثم ما الأفضل لحلها والقضاء عليها .

إن استجابة الداعية لوصية رسول الله -ﷺ- بمخالطة الناس والصبر على أذاهم ، وتطبيقه لهذه الوصية بصحبته المدعوين ، وترفقه بحالهم ، وتعهده لهم بين الحين والآخر يجعله خبيراً بالواقع ، فيكون على اطلاع مباشر بما يحدث في الساحة من مشاكل ، ويغدو يقظاً متنبهاً لما يقع من منكرات ، وما يستجد من انحرافات ، يطلع على أسباب حدوثها ، ومالعوامل المؤثرة في تأجيجها وإبقائها.

(وهذا العصر يتسم بالتعقيد وسرعة التغيير وتبديل المفاهيم ، ويندلع في ساحاته كم وافر من المعطيات ذات الصيغ المتجددة والثابتة والمنقّحة ، مما يستوجب قراءة الواقع بتمعُّن وتؤدة واستقراء ، يفضي إلى معرفة أفراده وإصلاحهم ودعوتهم إلى الله ، بما يشمل معرفة اللغة والعادة والتراث وأنماط التفكير وألوان النشاط والاهتمام والمشكلات والهموم ، حتى لا يكون الخطاب الدعوي بعيداً عن معاناة المدعو وهمومه ومشاكله ، ومتى ضرب الداعية حوله عزلة شعورية ، ونظر إلى المدعوين من برج عاجي كان خطابه لا محالة بعيداً عن ملامسة مشاعرهم وأحاسيسهم)[2] .

وأما عزلة الداعية لعامة الناس ، وبقاؤه بعيداً عن مجتمعهم تجعله لا يُدرك ما حقيقة المشاكل التي يُعانون منها ، وما مقدارها ، وما الأمور التي يفتقدونها ويحتاجونها .

(فالاحتساب في معايشة الناس ، ومعرفة واقعهم أمر مهم جداً للداعية ، إذ إن من عوامل نجاح الداعية الذي ينشد إصلاح الناس أن يكون عالماً بأحوالهم ، مدركاً لمشكلاتهم .

ومن الأمور المتقررة عند أهل المعرفة أنه لا يستطيع العمل على تغيير واقع الناس وانتشالهم من الضلال إلى الهدى ، ومن البدعة إلى السنة بصورة صحيحة مؤثرة إلا من عاشرهم وداخلهم وعرف أحوالهم ، ولذا على الداعية وطالب العلم أن يستشعر الخيرية التي جاءت في قول النبي -ﷺ- : "

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (١/١١٠-١١١).

(٢) الدعوة في الواقع المعاصر ، غازي المطيري ، ص:١٨٨.

الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ "(١) (٢) .

ولقد كان الداعية الأول -ﷺ- يُعايش الناس ، ويُجالسهم ، يزور صحبه ويتعاهدهم، يعلم ما حاجاتهم ، وما هي مشاكلهم ، يمشي في الاسواق ، ينظر حاجاتهم ويبادر لقضائها.

ولقد سار الصحابة - رضي الله عنهم- على نهج رسول الله - ﷺ- يُخالطون الناس ، يجالسونهم ويُصاحبونهم ، يتفقدون إيمانهم ، ويتعاهدون طاعاتهم ، فلما كانوا رضي الله عنهم بين الناس ، يغشون مجالسهم وحلقهم ، كانوا يتنبهون لأي خطر طارئ ، أو مشكلة حاصلة ، وقصة جمع القرآن في عهد الراشدَين - رضي الله عنهما - خير مثال .

إن مصاحبة الدعاة للمدعوين تُبقي أعينهم متفتحة متنبهة لأي مشكلة حاصلة ، أو أي ذنب مستحدث ، فيعاجلون بالعلاج والحل ، وبقائهم بالقرب يُسهل عليهم إيجاد الحل ومن ثمَّ تفعيله.

وما كان الأنبياء - عليهم السلام - وهم دعاة الحق الأُوَل يعتزلون الناس ، أو يترفعون عن مجالستهم ، بل يُخالطونهم ، ويصبرون على أذاهم ، فيا أيها الداعية ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

(١) سبق تخريجه ، ص٢٦٣.

(٢) قواعد الدعوة ، وليد السعيدان ، ص:٤١٠.

الخاتمة

وتحتوي على :

- ✓ أهم نتائج البحث.
- ✓ التوصيات.

الخاتمة.

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصَّمد ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن لربِّه تعبَّد ، وبعد :

فإنَّ الصحبة علاقة سامية وميثاق ذو ثمار طيبة خاصة إذا ما ارتبط بأسمى الأهداف وأنبلها "الدعوة إلى الله".

ولقد كان موضوعاً شيقاً ، قضيت معه في خلواتي آنس الأوقات وأسعدها ، فالباحث في مثل هذا الموضوع يقف على صور مشرقة ، يقلب ناظره بين صفحات التاريخ ، يعجب لعظم ميثاق الأخوة والصحبة عند أبناء الجسد الواحد ، يرجو لتلك المعاني أن تحيى ، ويأمل لتلك النماذج أن تتجدد.

فإن الدُّعاة هم النماذج التي يقتدي بها عامة الناس ، وعلاقاتهم محط أنظار للعالم ، فباتحادهم فيما بينهم ، وتآلفهم ، وتعاونهم ، يُقبل عليهم عامة الناس ، فيجدون في مجالستهم رياضاً افتقدوها في ظلال هذه الحياة المادية الجافة ، ومن ثمَّ يُقبلون على مؤازرتهم ومناصرتهم ومعاونتهم في الدعوة إلى الله.

ولقد خلصت إلى عدة نتائج أوردها فيما يلي :

١- إن تآزر الدُّعاة وتعاونهم يكاد أن يكون سبباً للتمكين للدعوة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٢- تأسيس معاني الإخاء وإحياء روح الحب بين الدعاة يُساعد في إلغاء أو تخفيف التحاسد أو التنافس المقيت.

٣- صحة العقيدة الأساس الأَوَّل الذي يجب أن تُبنى عليه صحبة الدعاة.

٤- نجاح الدعوة واتِّحاد أفرادها مرتهن بمدى انضباطهم بنهج الوحي ، فكلما زاد التمسك به عظم شأنها وتيسر نصرها ، والعكس بالعكس.

٥- قرب الداعية من المدعو ومعايشته له يُساهم في تربيته بالاقتداء.

٦- (إن الأمة التي تقوم على دعوة الله في حاجة إلى استيقاظ كل خلاياها ، واحتشاد كل قواها ، وتوفز كل استعدادها ، وتجمع كل طاقاتها ، كي يتم نموها، ويكمل نضجها ، وتتهيأ بذلك لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها)[١] .

٧- للتربية الدعوية أهمية بالغة يلزم الدعاة التفطن لها ، وإعارتها الاهتمام البالغ ، (والنتيجة المقصودة من التربية الدعوية هي صناعة مؤمن واع ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويتقن عملاً ضمن أشكال العمل الكثيرة التنوع التي يتألف من مجموعها الأداء الدعوي الشمولي ، ويكون مستعداً لبذل روحه ودمه في سبيل الله إذا اقتضى الصراع ذلك .

من هنا فإن مواكبة الداعية للمدعو في أيام الشدة والتنافس يعلمه العزة ، والممارسة العملية للنهي عن المنكر تمنح الداعية الصاعد روح الكبرياء على الجاهلية ، والتمرد على الترويض ، والصلابة والثبات ، وهذه الطبائع والأخلاق الرفيعة هي أرقى الخصال التي تطمح التربية الإيمانية الدعوية إلى تحقيقها)[٢] .

وهناك بعض التوصيات التي يُؤمل أن تكون مفتاح خير يُنتفع بها ، وهي:

١- الاجتهاد في إقامة مؤسسات يجتمع فيها الدعاة تُساهم في إقامة أعمال دعوية مشتركة على نطاق واسع ، (وَلَقَد كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ جَمَاعَةً وَاحِدَةً ؛ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى عَنْ غَيْرِ ارْتِبَاطٍ بِعَهْدٍ وَنِظَامٍ بَشَرِيٍّ -كَمَا هُوَ شَأْنُ الْجَمْعِيَّاتِ الْيَوْمَ- فَإِنَّ عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ كَانَ مُغْنِيًا لَهُمْ عَنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ شَهِدَ اللهُ -جَلَّ جَلَالُهُ- لَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠] ، وَلَمَّا انْتَثَرَ بِأَيْدِي الْخَلَفِ ذَلِكَ الْعَقْدَ وَنُكِثَ ذَلِكَ الْعَهْدُ ، صِرْنَا مُحْتَاجِينَ إِلَى تَأْلِيفِ جَمْعِيَّاتٍ خَاصَّةٍ بِنِظَامٍ خَاصٍّ لِأَجْلِ جَمْعِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحَمْلِهِمْ عَلَى إِقَامَةِ هَذَا الْوَاجِبِ : التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي أَيِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِهِ أَوْ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ، ...فَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ تَأْلِيفَ الْجَمْعِيَّاتِ فِي هَذَا الْعَصْرِ ، مِمَّا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ امْتِثَالُ هَذَا الْأَمْرِ ، وَإِقَامَةُ هَذَا الْوَاجِبِ ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ -كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ- فَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ تَأْلِيفِ الْجَمْعِيَّاتِ

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٤/٢٤٢٦).

(٢) منهجية التربية الدعوية ، محمد الراشد ، ص:٩٦.

الدِّينِيَّةِ وَالْخَيْرِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ ، إِذَا كُنَّا نُرِيدُ أَنْ نَحْيَا حَيَاةً عَزِيزَةً ، فَعَلَى أَهْلِ الْغَيْرَةِ وَالنَّجْدَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعْنَوْا بِهَذَا كُلَّ الْعِنَايَةِ)[1] .

٢- زيادة الاهتمام بإقامة مراكز بحثية تُعنى بدراسة أمور الدعوة ومشاكلها وإيجاد الحلول.

٣- إنشاء صناديق إعانة يبذل فيها الموسرون من الدعاة - عن طيب نفس - ليعود نفعها على من أُعسِر منهم.

٤- إقامة لجان دعوية تُعنى بإقامة رحلات مشتركة بين الدعاة أنفسهم وبينهم والمدعوين إلى بيت الله الحرام ، أو إلى طيبة الطيبة ، أو رحلات خلوية يتجدد فيها نشاطهم ، ويزداد فيها إخاؤهم.

٥- يجب أن يُوجه الباحثون عنايتهم بدراسة علاقات الدعاة مع بعضهم ، وكذلك علاقاتهم بالمدعوين ، عومل استثمار تلك العلاقات ، وعوامل هدمها وتشتيتها.

٦- على الدعاة أن يسعون جميعاً إلى إنهاء المنازعات مع إخوانهم الدعاة ، فإنه إذا صحَّت عقائدهم فهم إخوة ، وخلاف الفروع لا يُوجب التباغض والتدابر ، بل تلك لهم مذمة ومنقصة.

٧- السعي في إقامة معاهد تُعنى بإعداد الدعاة، ومتابعتهم باستمرار بعد تأهلهم للدعوة.

٨- الاسراع في وضع ضوابط واضحة لتعامل الدعاة مع الداعيات ، والحرص على جعله في أضيق الحدود.

٩- إقامة لقاءات دورية مشتركة بين الدعاة لدراسة مخرجات دعوتهم ، وتفعيل النقد الذاتي فيما بينهم.

١٠- تكثيف الجهود للتأليف والتقريب بين الدعاة إلى الله ، والسعي في إزاحة ما يعيق وحدتهم.

١١- إحياء دور التخصص في ميادين الدعوة ، واستثمار كافة التخصصات ليصب نفعها في المحيط الدعوي.

١٢- الحذر من حصر الدعوة على المتخصصين الشرعيين فقط ، بل يجب توسيع نطاقها.

١٣- إقامة لجان لمتابعة المدعوين خاصة حديثي الاستقامة منهم.

---

(١) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م (٦/١٠٨-١٠٩).

١٤- إن للدعاة حضوراً كبيراً في ميدان التعليم فالواجب عليهم تكثيف الجهود لإيجاد بيئات تعليمية أكثر عطاء وامتيازاً.

١٥- السعي في إنشاء معاهد ومدارس تُعنى بالتربية الدعوية.

١٦- على الدعاة أن يُربوا المدعوين على الابتعاد عن مواطن الشقاق والاختلاف ، وأن يتنزهوا عن الخوض في أعراض من يُخالفون من إخوانهم.

١٧- الاجتهاد في تكوين بيئات صالحة للمدعوين، وحثهم على الارتباط المستمر بالدعاة.

١٨- العناية بتكليف المدعوين بواجبات تتناسب مع إمكانياتهم ومهاراتهم لخدمة الدعوة ، وحثهم على ذلك.

وفي ختام هذه الوريقات أشكر من منَّ عليَّ بفضائل عظمى ومِنَن كُبرى ، كما أسأله أن يتقبل هذا العمل ، وأن يُضاعفه ، وأن يجعله حجة لي ولكل من له فضل علي .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً، والحمدلله رب العالمين.

يوم الخميس ١٤٣٥/١١/٩هـ

الساعة ٥:٥٣م

الفهارس.

وتحتوي على :

- ✓ فهرس الآيات الكريمة.
- ✓ فهرس الأحاديث الشريفة.
- ✓ فهرس الآثار.
- ✓ فهرس المراجع.
- ✓ فهرس المحتويات.

فهرس الآيات الكريمة

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة	﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾	٦ — ٧	٣٠٦
البقرة	﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾	١٠٩	٦٤
البقرة	﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى ﴾	١٢٥	٢٤٦
البقرة	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾	١٤٣	٩٧
البقرة	﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٢٩ ﴾	١٢٩	٣٠٧
البقرة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣ ﴾	١٥٣	٣١١
البقرة	﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ ﴾	٢١٤	٣٧٠
البقرة	﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢١٦ ﴾	٢١٦	١٠٤
البقرة	﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٦٩ ﴾	٢٦٩	٢٢٣، ٣٠٣، ٣٢٠
آل عمران	﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ۝٧٩ ﴾	٧٩	٢٥٥
آل عمران	﴿ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ [آل عمران:١٠٣]		٣١٧
آل عمران	﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤ ﴾	١٠٤	١٦
آل عمران	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	١٤	١٤٤
آل عمران	﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠٣ ﴾	١٠٣	٣٢،٩٢، ٢٠٣،١٩٦، ٢٠٦، ٢٣٣، ٤٠٠

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
آل عمران	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾	١١٠	١٨٦،٣٤، ٢١٣،٤٠٧
آل عمران	﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾	١٣٣	٣٤٥
آل عمران	﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾	١٣٤	٣٢٩
آل عمران	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾	١٥٩	١٧٥، ٣٧١، ٣٤٧، ٣٥٧،٣٨٦
آل عمران	﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾	١٥٩	٤١، ٣٦٤
آل عمران	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾	١٦٤	٣٢٦
آل عمران	﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾	١٧٣	١٠٦
آل عمران	﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾	١٧٤	١٠٧
آل عمران	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾	٢٠٠	٣٣٦، ٣٧٠
النساء	﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾	٥٩	١٩٦
النساء	﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾	٦٩	١١٤
النساء	﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾	٨٢	٣١٣
النساء	﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾	٨٩	٦٤
النساء	﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾	٩٤	٣٦١
النساء	﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾	١٠٣	٣١
النساء	﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾	١٠٣	٢٢٧

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
النساء	﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾	١١٣	٣٠١
النساء	﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	١١٤	٥٣
النساء	﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾	١٢٣	٣٤٢
النساء	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾	١٢٥	١٢٨
المائدة	﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾	٢	٢٩، ٣٩٠
المائدة	﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾	٣	٢٣٢
المائدة	﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾	١٤	١٨
المائدة	﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ﴾	٤٤	٣٤٠
المائدة	﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	٤٨	٢٢٧
المائدة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾	٥٤	١٢٢، ١٧٤
المائدة	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾	٦٦	١١٣
المائدة	﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾	٦٧	٢٢٩
المائدة	﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ﴾	٩٠	٣٢٧
المائدة	﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾	١١٩	١٣٩
الأنعام	﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾	٨٠ — ٨١	١١٥

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأنعام	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾	٨٢	١٠٥
الأنعام	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾	٩٠	٤٥، ٢٤٨، ٣٩٣، ٤٠٤
الأنعام	﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ ﴾ [الأنعام	١٥٢	١٩٠، ٢٣٠
الأنعام	﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾	١٥٣	١٢٤
الأنعام	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾	١٥٩	٣٢، ١٩٦، ٢٠٠
الأنعام	﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾	١٢٢	٢٥٧
الأنعام	﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾	١٦٢، ١٦٣	١٢٨
الأعراف	﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾	٩٦	١٠٥
الأعراف	﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾	١٢٦	٣٧٦
الأعراف	﴿ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِ ﴾	١٥٠	٣١٧
الأعراف	﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾	١٥١	٨٩، ١٦٥، ١٧٧
الأعراف	﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾	١٩٩	٣٣١
الأنفال	﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾	١٢	١١٠
الأنفال	﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾	٣٠	٢٠٤
الأنفال	﴿ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾	٤٠	٣٩٦
الأنفال	﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾	٤٦	٥٠، ١٢٤، ١٧١، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٤٥، ٤٠٦
الأنفال	﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾	٦٠	٢٦٧

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأنفال	﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ ﴾	٦٢، ٦٣	١٩٤
التوبة	﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾	٦٠	٣٨٧
التوبة	﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢ ﴾	٩٢	٥٧
التوبة	﴿ مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ ﴾	١٠٩	٢٣٢
التوبة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾	١١٩	٤٨، ١٤٢
التوبة	﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾	١٢٨	١١٦، ١١٧، ٢٨٤، ٣٧٨
التوبة	﴿ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾	١٢٩	١٠٦
يونس	﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾	٥٨	٣٠٠
هود	﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ ﴾	٢	١٠٣، ١١٤
هود	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾	١٥ — ١٦	٦٢، ١٣١
هود	﴿ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾	٤٢	٨٨
هود	﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ ﴾	٤٦	١١٤
هود	﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾	٨٨	١٥٣، ١٥٦، ٣٧٧، ٣٨١
هود	﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ ﴾	١١٤	٣١٠
هود	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧ ﴾	١١٧	١٨٦
يوسف	﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾	٢١	٧٧

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
يوسف	﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	٣١٥
يوسف	﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾	٣٩	٣٤٤
يوسف	﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ﴾	٩٢	٣٦٤
يوسف	﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾	١٠٨	ج، ١٧، ١٠٣، ٢٠٨، ٢٢٦، ٣٣٩، ٣٤٤
يوسف	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾	١١٠	٣٧٠
الرعد	﴿ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾	١١	٧١
إبراهيم	﴿ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَا ﴾	٢٤ – ٢٥	٣٠٨
إبراهيم	﴿ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَا ﴾	٢٥	١٤٢
الحجر	﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٩	١٢١
النحل	﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣	٢٠٨
النحل	﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	٨٩	٤١، ٢٢٨
النحل	﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾	١٢٥	١٧، ٢٢٣، ٢٩٩، ٣٠١
النحل	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾	٩٠	٣٢٧
الإسراء	﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴿١١﴾ ﴾	١١	٦٢
الإسراء	﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ ﴾	١٩	٩٦
الإسراء	﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾	٣٦	٢٠٨
الكهف	﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٨	٢١، ٨٠، ١٥٩، ٣٢٢
الكهف	﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ ﴾	٦٦	١٦٥، ٣٦٤
الكهف	﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ ﴾	٨٤	٢٤٢
الكهف	﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴾	٩٥	٢٤٢

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
مريم	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾	٤ — ٦	١١٦
مريم	﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	٣٤١
مريم	﴿ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾	١٢	٢٣١
مريم	﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾	٥٩	٣١٠
مريم	﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾	٦٤	١٠٩
مريم	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾	٩٦	١٧٦
طه	﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾	٦٤	٢١٢
طه	﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾	٢٩ — ٣٤	٤، ٢٦، ٢٧
طه	﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾	٩٢ — ٩٤	١٦٥
طه	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾	١٢٤	١٥٩
الأنبياء	﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾	١٨	٢٢٩
الأنبياء	﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٦ — ٢٨	١٠٧
الأنبياء	﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾	٦٨ — ٧٠	١١٥
الأنبياء	﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾	٨٧	١٠٤
الأنبياء	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾	٩٠	٣٤٥
الأنبياء	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾	١٠٧	٢٨٣، ٣٨٧
الحج	﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾	١١	٣٤٠

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الحج	﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾	٤٠	١٠٦
الحج	﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾	٤٠ — ٤١	٢١٥، ٢١٦
الحج	﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٧٨	٧٤
المؤمنون	﴿ مَّنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾	٨٨	٣٠٩
المؤمنون	قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾	١٠٨ — ١١٠	١١٨
النور	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾	٢١	١٤٧
النور	﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	٣٣٢
النور	﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾	٣٠ — ٣١	١٤٥
النور	﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾	٣١	١٤٦
النور	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾	٥١	١١٥، ٢٩٩
النور	﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾	٥٤	١٥٥
النور	﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٦٣	١١٧
الفرقان	﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	١٣٣
الفرقان	﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾	٤١ — ٤٢	١٠٢
الفرقان	﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾	٥٩	٢٠٨
الشعراء	﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾	٢١٥	٣٥٦، ٣٥٧
الشعراء	﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾	٢١٦	٣٥٧

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
النمل	﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾	٦٢	١٠٤
القصص	﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾	٣٤	١٦٥
القصص	﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾	٧٧	٧٤
القصص	﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾	٨٣	٣٦٠
العنكبوت	﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾	٦٩	٦٨، ١٣٥
لقمان	﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾	١١	١١١
لقمان	﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	١١٩، ٢٤٣، ٣٦٩
السجدة	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾	٢٤	٣١٤
الأحزاب	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	١١٦،٢٩٣، ٣٥٥
الأحزاب	﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾	٣٢ — ٣٣	١٤٦
الأحزاب	﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾	٣٢	١٥١
الأحزاب	﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾	٣٩	١١٤
الأحزاب	﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾	٤٠	١٦
الأحزاب	﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾	٤٣	١٠٨
الأحزاب	﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾	٥٣	١٤٧
الأحزاب	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾	٧٢	٤
فاطر	﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾	١٤	٢٠٨
فاطر	﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾	٢٤	١٠٣
فاطر	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾	٢٨	٢٥٤، ٢٦٥

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
يس	﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾	٦٥	١١٧
الصافات	﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾	٣٨ — ٤٤	١٣٣
الصافات	﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾	١٨٠، ١٨٢	١٢
الصافات	﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾	١٠٢، ١٠٣	١١٥
الصافات	﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾	١٨٠، ١٨٢	١١٤
ص	﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٦٣،١٠٢
ص	﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾	٢٩	١١١، ٢٦١،٣١٢
ص	﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾	٦٥	١٠٢
الزمر	﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٩٤، ١٠٦، ١٣١، ١٥٥، ١٨٦، ٣٨٩
الزمر	﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾	٧٤	١١٩
غافر	﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾	٧	١٠٨
غافر	﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾	٢٨	١٤٠
غافر	﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾	٥٥	٣٧٦

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
غافر	﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾	٨٥	١٩٨
فصلت	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾	٣٣	١٦،٤٨ ، ١١٩، ١٥٤ ١٧٧، ٢٤٥، ٢٧١، ٣٩١
فصلت	﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾	٣٤ ، ٣٥	٧١، ١٦٧،١٨١،٢٧ ٣٠١ ،٥
الشورى	﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٣٨	٤١
الشورى	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾	٥٢	١٢١
الزخرف	﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾	٣٢	٢٥
الجاثية	﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	١٣٢
محمد	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾	٧	٢١٦
محمد	﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾	١٩	١٠٣،١٠٦
محمد	﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾	٢١	١٣٩
محمد	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	٣١٢
الفتح	﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾	٢٦	٢٠٥
الفتح	﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾	٢٩	٢٠٢،٢٠٥، ٢١٦، ٢٣٤، ٢٦٥
الحجرات	﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾	١	١١٧

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الحجرات	﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	٩، ١٠	٨٥، ٩٢
الحجرات	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	٢٩٥، ٣٦٣
ق	﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾	٥	١٩٩
النجم	﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾	٣٠	١٦١
الحديد	﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٢١	٦٤
المجادلة	﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	١٢، ٢٢٠، ١٠٦، ١، ٣٠٥
المجادلة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾	٩	٥٣
الحشر	﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٩	١٧٥
الحشر	﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾	١٦	١٥٠، ٣٦
الصف	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾	٢ — ٣	١٥٦، ١٩١، ٢٢٦، ٣٠٧، ٣٥٦
الصف	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾	٤	٢٠٧، ٢١١، ٢٣٥، ٣٧٩
الصف	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾	١٤	٢١٦

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الجمعة	﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾	٥	٣٤٣
الطلاق	﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ ﴾	٧	١١٦
القلم	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾	٤	١٦٣، ٣٥٥، ٣٧٨
نوح	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ ﴾	٥ ، ٩	١١٥
المزمل	﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ ﴾	٥	٤
المزمل	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾	١ — ٦	١٥٥
المدثر	﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾	٣١	١٠٧
المرسلات	﴿ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠ ﴾	٣٨ – ٤٠	١١٧
الانفطار	﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ ﴾	١٠– ١١	١٠٧
المطففين	﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾	١	٢٣٣
المطففين	﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ ﴾	٢٦	٦٤، ١١٣
البلد	﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ ﴾	٤	٦٧
العلق	﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾	٢–٥	٣٤٧
البينة	﴿ لَمۡ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنۡ أَهۡلِ الۡكِتَابِ ﴾	١	٢٦٣
العصر	﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾	١ — ٣	٨٧، ١٧٠، ١٨٦، ٣٥٣، ٣٦٦
العصر	﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾	٣	٣١٤

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	الصفحة
أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ	٢٧٨
أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ	٦١
إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ	١٣٤
إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ	١٢٩
إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيُقِمْ عَلَيْهَا الْحَدَّ وَلَا يُثَرِّبْ	٣٦٣
إِذَا سَأَلْتُم اللهَ فَاسْأَلُوْهُ الْفِرْدَوْس	٥٦
إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ	٢٤١
إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ	٢٧٤
اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ	٢٣٩
أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذٌ، إِلَّا أَنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ	٢٠٩، ٣٩٧
ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ	٧٥
إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ	٣٠٩
اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ	٨٧
أَعِينُوا أَخَاكُم	٥٦
اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ	٢٠٦
أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا ، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا ، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ	٢٧٢
أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ	١٠٩
الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ	١١٦
الحَرْبُ خَدْعَةٌ	٣٣٥
الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا	٢٥٨

الحديث	الصفحة
الدِّينُ النَّصِيحَةُ	٣٥٣
الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ	١٢١
اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه	٢٢٣
اللهمَّ أجرني من النَّار	١١٨
اللهم إنِّي أسألك بوجهك الكريم الجنَّة	١١٨
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ	٣٤٧
اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ بَصَرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي	١١٢
اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِى هُرَيْرَةَ	٨٩
اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِى فِى بُكُورِهَا	٣٠
اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ	٨٩
الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ	٢٠٢
الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ	١٤٦
الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ	٢٥١، ٤٠٣
الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ	٢٣١، ٣٤٥
أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ	٤٣
أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أَبَنُوا أَهْلِي	٤٣
أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ	٨٧
أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ	٢٤٠
أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَإِجَابَةِ الدَّاعِي وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ.	٨٤
أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ	٣٠٠
إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَأَبْغَضَكُمْ إِلَى	٣٧١

الحديث	الصفحة
اللَّهِ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ	
إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ	٣٧
إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ	٣١٢
إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَه	١٩٠
إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا	٨٣
إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا	٣٧٩
إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾	٢٦٣
إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي	٢١٧
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ الْبَنَاتِ وَمَنْعًا وَهَاتِ وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ	٨٢
إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا	٢٦٤
إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا	٧٠
إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا	٢١٤
إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ لاَ تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ	٢٨
إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ استُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى استُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جريء	١٣١
أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ	٣٥٢
أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ	١٠٥
أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟..الخ	٩٤، ١٧٨
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي أُضْمِرَتْ مِنْ الْحَفْيَاءِ وَأَمَدُهَا ثَنِيَّةُ الْوَدَاعِ ، وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ مِنْ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ	٧٥
إِنْ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ أَهْلُ حَاضِرَةٍ، أَوْ حَاضِروهُ	٣٥٨
إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ	٣٥٨

الحديث	الصفحة
إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا	٣٣٢
إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ	١١٣
إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ	٢٦٢، ٣٠٠
إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ	٢٩٣
إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ	١٧١
أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ	٢٧
أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ، وَاللهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ حديث قدسي	٣٤٦
أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ	٣١٦
إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا	٣٤٨
إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ	٣٢٧
إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ	١٣٢
إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ	٢٨٨
إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ، إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ	٣٣٦
إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي	٢٩١
أَهْلُكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا أسامة بن زيد	٢٣٨
أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ	١٧٥، ٣١٣
أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ	١٩٩
بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا	٣٤٥
بَعَثَنِي الأَشْعَرِيُّ - ﷺ- إِلَى عُمَرَ - ﷺ-، فَقَالَ لِي كَيْفَ تَرَكْتَ الأَشْعَرِيَّ؟ قُلْتُ: تَرَكْتُهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ القُرْآنَ -أنس بن مالك	٢٥٩

الحديث	الصفحة
بَلْ عَبْدًا رَسُولًا	١٠٩
تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ	٨٦
تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ	١٠٧
تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ	٣٢٢
ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ	١٣٣، ١٥٨، ١٧٨
ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ	١٤٥
حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ	٢٧٤
حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ حديث قدسي	٩٤
خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ	٢٩٢
خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ	٢٢٨
دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ	٨٣، ٢٢٠
دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ	١٩٧
ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ	٢٤٦
رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ	١١٨
رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ سَوْقَكَ بِالقَوَارِيرِ	٢١٢
زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلاَ تَعُدْ	٢٧٨
سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّه- ذكر منهم - وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ	١٤١، ٣٧٢
صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ	٢٩١
صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ	١١٠
عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ	١٠٤، ١١٩
عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ	٨٣

الحديث	الصفحة
عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً	٣١٠
فَاشْتَرُوهُ، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ، أَوْ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً	٣٣٣
فإنَّ فساد ذات البين هي الحالقة	٥
فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ -ﷺ- إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَاللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ	٣٨٨
فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمَا ثَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ	٢١٩
فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ -ﷺ- ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ	٢٩١
فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ	١٨٨
قال أبي رفاعة انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- وَهُوَ يَخْطُبُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا	٣٥٩
قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا -قال الرَّاوي-	
حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ	١٣١
قُرَيْشٌ وُلاةُ هَذَا الأَمْرِ ، فَبَرُّ النَّاسِ تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ ، وَفَاجِرُهُمْ تَبَعٌ لِفَاجِرِهِمْ	٤٣
كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ	٢٣٩
كان -ﷺ- يجلس بين صحبه وكأنه واحد منهم ، لا يتميز عنهم بمكان، أو بلباس ، أو بهالة ، حتى إن الداخل على المجلس لا يُميِّز أين النبي المرسل من بينهم، فيُنادي: (أَيُّكُمُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ)؟	٣٥٨
كان النبي -ﷺ- في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك لمصلحة الاستئلاف وعدم التنفير عنه	٨٣
كان النبي -ﷺ- يحرص على مشاركة صحبه ، ومتابعتهم وقت أفراحهم	٢٩٢

الحديث	الصفحة
كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ	١٤٢
كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا	٩٢
لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ	١٨١، ٢٧٦
لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ	١٧٠
لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ	١٦٠
لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ	
لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ	١١٢
لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍ عَلَى أَعْجَمِيٍ ،وَلَا لِعَجَمِي عَلَى عَرَبِي ،وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَد وَلَا أَسْوَد عَلَى أَحْمَر إِلَّا بِالتَّقْوَى	٣٣
لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا يَخْطُبْ بَعْضُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ بَعْضٍ	١٩٧
لاَ يَجِدُ أَحَدٌ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ	١٧٨
لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا	١٤٦
لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ	١٤٨
لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ	٣١١
لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلَاثٌ: إِذَا دَنَا رَحَّبْتُ بِهِ، وَإِذَا حَدَّثَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ، وَإِذَا جَلَسَ أَوْسَعْتُ لَهُ سعيد بن العاص	٢٧٦
لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ	٢٦٣
لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعَتْكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ	١٠٨
لُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدَ	٥٨
لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ	٣٢٨
لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ	٣٣١
مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ	٥٨
مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ	٣٥

الحديث	الصفحة
بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ	
مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ	٢٩٠،٥٧
مَا أَنَا بِقَارِئٍ	٣٤٦
مَا بَالُ أَقْوَامٍ	٢٣٠
مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ	١٤٨
مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ	٣٨٨
مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ -ﷺ- بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ ، فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ ، وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ	٣٧٨
مَا رَأَيْتُ رَجُلًا الْتَقَمَ أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَيُنَحِّي رَأْسَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَهُ	١٦٣
مَا ضَرَّ عُثْمَان مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ	٥٧
مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ- شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ	٣٠٢
مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ	٣٥٩
مَا يُدْرِيكَ ، لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ	٣٦٢
مَتِّعْنَا بِنَفْسِكَ	٢٢٠
مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا	٨٧
مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى	٣٨٨
مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ	٢٥٥، ٣٤٣

الحديث	الصفحة
مَرْحَبًا بطالب الْعِلْمِ، طَالِبُ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ	٢٥٦
مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ. قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ	١٥٤
مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ	٩٣
مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا	٥٦
مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١٣٠، ٢٦٤
مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ	٢٢٧
مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً	٣٢٩
مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ	٨٢
مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ	٣٣١
مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ	٣١٦
مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِه وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بها كُرْبَةً يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَمُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٢٩
مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، فَأَرَادَ بِهِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، فَإِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ	١٦٠
نَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ	٣١٣
نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ	٢٧٣، ٣١٩
نَعَمْ، فَأَدِّي عَنْ أَبِيكِ	١٥٢
نَفْسِي نَفْسِي	١١٨
نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ	٣٠٢
هَذِهِ بِتِيكِ	٧٦
هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ	٢٠٩
هَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا	٣٣٢

الحديث	الصفحة
النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً	
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَاحَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً	٦٠
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ	٣٣٣
وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ	٢٥٤
وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ	٣١
وَاللهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ ، مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ	
لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا	٣٣٠
وَاللَّهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُهَا	١٨٨
وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ	٣١٨
وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١١٨
وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ	١٤٥
يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ	٢١٨
يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا	٢١٠
يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ	٣٩٧
يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟	٣٣٢
يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ	٢١٢
يَا جِبْرِيلُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا	١٠٩
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لِي غُلاَمًا نَجَّارًا	٢٤٦
يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ	٢٣٨
يَا غُلاَمُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ ، لَمْ	٣٠٨

الحديث	الصفحة
يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ	
يَا فُلَانُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ، أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ	٢٩٢
يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ	١٤٤
يَتَخَوَّنُهُمْ، أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ	٢٩٥
يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟	١١٠
يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ	
أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ	١٥٦
يَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ	٣٠، ٩٣

فهرس الآثار

الأثر	الصفحة
آخَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ .قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا.	٣٧
إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ.	٢٤١
أَرَاد بعض أشقياء قُريش النَّبي-ﷺ- بسوء وهو يُصلِّي، فَصَدَّهم الصِّدِّيق -رضي الله عنه- وقال لهم واعظاً: أشر شيء في العالم البطالة .	٣٤١
اُغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُحِبًّا وَلَا تَكُنْ الْخَامِسَ فَتَهْلِكَ .	٢٦٨
اُغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا، وَلَا تَكُونَنَّ إمَّعَةً، فَأَخْرَجَ الْإِمَّعَةَ - وَهُوَ الْمُقَلِّدُ - مِنْ زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ.	٢٦٨
أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ.	٢٤١
إِنَّ الْمُسْلِمَ لَوْ لَمْ يُصِبْ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا أَنَّ حَيَاءَهُ مِنْهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاصِي.	٣٠٥
إِنَّا مَعَاشِرَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- كُنَّا نُسَافِرُ فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، وَمِنَّا الْمُتِمُّ وَمِنَّا الْمُقْصِرُ، فَلَمْ يَعِبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ، وَلَا الْمُقْصِرُ عَلَى الْمُتِمِّ، وَلَا الْمُتِمُّ عَلَى الْمُقْصِرِ.	١٧١
أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنْ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي.	٩٧
بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.	٣٣٢
رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ، فَتَأْكُلُهُ.	٢٣٨
ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك على ما يغلبك عليه ، ولا تظن بكلمة خرجت من في امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملا .	٣٦٤
فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ .	٢٤٠
كان ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه- يُنْكِرُ عَلَى مَنْ يُعَارِضُ مَا بَلَغَهُ مِنْ السُّنَّةِ بِقَوْلِهِ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَيَقُولُ: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ،	٢٦٨

الأثر	الصفحة
أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.	
كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ.	٣١٢
كَانَ رَاهِبٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ وَامْرَأَةٌ زَيَّنَتْ لَهُ نَفْسَهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: اقْتُلْهَا فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ افْتَضَحْتَ فَقَتَلَهَا فَدَفَنَهَا، فَجَاءُوهُ فَأَخَذُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ.	١٥٠
كَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ يَدَهَا، فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ .	٢٣٨
كَانَ لِي جَارٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ .	٣٦
كَانَتْ عَائِشَةُ -رضي الله عنها- إِذَا عَمِلَتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ .	٦١
كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.	٢٧
كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا.	٣١١
كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.	٢١٢
كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِثَلَاثٍ:دُنْيَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَكُمْ، وَزَلَّةُ عَالِمٍ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ؛ فَأَمَّا الْعَالِمُ فَإِنْ اهْتَدَى فَلَا تُقَلِّدُوهُ دِينَكُمْ ، وَإِنْ افْتُتِنَ فَلَا تَقْطَعُوا مِنْهُ إِيَاسَكُمْ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُفْتَتَنُ ثُمَّ يَتُوبُ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّ لَهُ مَنَارًا كَمَنَارِ الطَّرِيقِ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَلَا تَسْأَلُوا عَنْهُ أَحَدًا.وَمَا لَمْ تَعْلَمُوهُ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ.	٢٦٧
لَعِشْرُونَ دِرْهَمًا أُعْطِيهَا أَخِي فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ على المساكين.	٢٧٥
لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- طَرَفَيْ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً.	٩٥

الأثر	الصفحة
لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثيتم على رأسي التراب.	٣٦٢
مَا أَيِسَ الشَّيْطَانُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ .	١٤٩
مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ.	٤٢
ما فعل رسول الله ﷺ-؟ قالوا: خيراً، يا أم فلان. فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه فأشاروا لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل؛ أي هين.	٢١٩
مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نُصَلِّيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ .	٢٢٠
هُمْ الْفُقَهَاءُ الْمُعَلِّمُونَ.	٢٥٥
وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ.	٢٤٦
وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ.	٣٣١
وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ-، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ .	١٦٥

فهرس المصادر والمراجع

❁ **القرآن الكريم.**

١- أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١ .

٢- أحكام القرآن، محمد بن عبدالله بن العربي، ت:محمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٣ ، ١٤٢٤هـ.

٣- إحياء علوم الدين ، محمد الغزالي ، دار المعرفة، بيروت-لبنان .

٤- أخلاق العلماء ، محمد بن عبد الله الآجري ، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء.

٥- الآداب الشرعية والمنح المرعية ، بن مفلح ، عالم الكتب.

٦- أدب الدنيا والدين،علي بن حبيب الماوردي ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٦م .

٧- الأدب الكبير ، عبدالله بن المقفع ، دار صادر، بيروت-لبنان.

٨- الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، ت:محمد عبدالباقي ، دار البشائر، بيروت-لبنان، ط٣ .

٩- الآراء التربوية عند الإمام ابن باز ، عبدالعزيز الخطابي ، دار طيبة الخضراء.

١٠- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، ت:محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١ .

١١- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير ، دار الكتب العلمية، ط١ .

١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ.

١٣- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار الملايين، ط١٥ .

١٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيِّم الجوزية، ت: طه سعد، دار الجيل، بيروت-لبنان، ١٩٧٣م.

١٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، ت:محمد حامد ، مكتبة المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية.

١٦- آفات على الطَّريق، السيد محمد نوح، دار اليقين

١٧- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ، ت:يحيى إسماعيل ، دار الوفاء، ط١

١٨- أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ، يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، ط٧ .

١٩- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ت:علي شيري ، دار إحياء التراث ، ط١ .

٢٠- البدر المنير، ابن الملقن ، ت:مصطفى أبوالغيط وآخرون، دار الهجرة-الرياض ، ط١ .

٢١- بستان العارفين ،أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ت: بسام عبد الوهاب الجابي ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان - ١٤٢٤ هـ ، ط١.

٢٢- تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين ، علي الصلابي ، مكتبة الصحابة-الشارقة مكتبة التابعين-القاهرة ، ط١ .

٢٣- تجديد الدين مفهومه ضوابطه وآثاره ، إيهاب حفظي.

٢٤- تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره ، محمد العلي ، كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض –المملكة العربية السعودية، ط١.

٢٥- تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره ، محمد حسانين ، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية ، الدورة الثالثة ، ط١.

٢٦- تجديد الوعي ، عبدالكريم بكار ، دار القلم، دمشق-سوريا، ١٤٢٦هـ.

٢٧- التجديد في الفكر الإسلامي ، عدنان أمامة ، دار ابن الجوزي ، ط١.

٢٨- التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط١ ، ١٤٢٠هـ

٢٩- تذكير أسود الصحوة بجمل من قواعد الدعوة ، وليد السعيدان ، ت:سلمان اليحيى ، دار كنوز اشبيليا، الرياض-المملكة العربية السعودية ، ط١ .

٣٠- التربية الأخلاقية الإسلامية ، مقداد يالجن ، دار عالم الكتب، ط٣ ،

٣١- التعريفات ، علي الجرجاني ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ، ط١ .

٣٢- تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، مطابع اليوم ، ١٩٩٧

٣٣- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ت:محمد حسين ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١.

٣٤- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م

٣٥- التفكير في المفقود ، عبدالكريم بكار ، دار السلام، ط١ .

٣٦- تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، دائرة المعارف، الهند ، ط١ ١٣٦٢هـ

٣٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ت: عبد الرحمن اللويحق ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١ ١٤٢٠هـ .

٣٨- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطَّبري ، ت:أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١ .

٣٩- جامع بيان العلم وفضله ، أبو عمر يوسف القرطبي ، ت:أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي، الرياض- المملكة العربية السعودية ، ط١ .

٤٠- الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض-المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ

٤١- جمهرة اللغة، أبوبكر بن دريد الأزدي، ت:رمزي منير، دار العلم للملايين-بيروت، ط١.

٤٢- حتى لا تكون كلا ، عوض القرني ، دار الأندلس الخضراء.

٤٣- الحسبة ، ابن تيمية ، ت:علي الحشود ، ط٢.

٤٤- الحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عبدالرحمن آل حسين ، دار طيبة، الرياض-المملكة العربية السعودية ١٤٢٩هـ.

٤٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبونعيم ، دار السعادة، مصر.

٤٦- الخواطر ، محمد متولي الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم ، ط١٩٩٧ .

٤٧- خواطر في الدعوة ، محمد العبدة ، مجلة البيان ، ط٣ .

٤٨- دروس للشيخ عبد الرحمن المحمود ، دروس صوتية فرغها موقع الشبكة الإسلامية- المكتبة الشاملة.

٤٩- الدعوة إلى الإصلاح ، محمد حسين.

٥٠- الدعوة إلى الله ، محمد الغامدي ، دار الطرفين ط١

٥١- الدعوة في الواقع المعاصر ، غازي المطيري ، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ.

٥٢- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي البكري، دار المعرفة-بيروت، ط٤

٥٣- دور التربية الأخلاقية الإسلامية ، مقداد يالجن ، دار عالم الكتب، ط١ .

٥٤- ذم الهوى ، عبدالرحمن بن علي الجوزي ، ت:مصطفى عبدالواحد.

٥٥- الرائد ، مازن الفريح ، دار الأندلس ط ٣ .

٥٦- الرَّحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر .

٥٧- رسائل الجزائري ، أبوبكر جابر الجزائري ، دار العلوم والحكم، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية.

٥٨- رسائل شباب الدعوة ، جاسم الياسين ، مؤسسة الكلمة، ١٤١٧هـ.

٥٩- الرقائق ، محمد الراشد .

٦٠- روابط الأخوة الإسلامية ، صادق البيضاني.

٦١- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥

٦٢- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٦٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ.

٦٤- زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، دار الرسالة-بيروت

٦٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط١ .

٦٦- سلسلة مدرسة الدعاة ، عبدالله علوان.

٦٧- سنن ابن ماجه ، ت:شعيب الأرنؤوط وآخرون ، دار الرسالة، ط١ .

٦٨- سنن أبي داوود ، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت:شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل ، دار الرسالة ، ط١ .

٦٩- سنن الترمذي، ت:أحمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة-مصر، ط٢.

٧٠- السنن الكبرى، ابوبكر البيهقي، ت:محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٣.

٧١- سنن النسائي، ت:عبدالفتاح أبوغدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب-سوريا،ط٢.

٧٢- سير أعلام النبلاء ، أبوعبدالله محمد الذهبي ، ت:شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط٣ .

٧٣- شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح العثيمين ، دار الوطن، الرياض-المملكة العربية السعودية ، ط١٤٢٦هـ.

٧٤- شعب الإيمان ، أبوبكر البيهقي ، ت:عبدالعلي حامد ، مكتبة الرشد، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط١

٧٥- الشورى في الإسلام، المُجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.

٧٦- الشورى في الإسلام، د.علي محمد الصلابي، دار ابن الجوزي-القاهرة، ط١ .

٧٧- الصحاح ، أبونصر الفارابي ، ت:أحمد عطار ، دار العلم-بيروت ، ط٤ .

٧٨- الصحوة الإسلامية ، ابن عثيمين ، دار الوطن، ١٤٢٦هـ.

٧٩- الصحوة الإسلامية ، عبدالكريم بكار ، دار السلام، ١٤٣٢هـ.

٨٠- الصحوة والتربية المنشودة ، محمد الدويش ، مجلة البيان، ١٤٢٩هـ.

٨١- صحيح ابن حبان ، ت:شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط١.

٨٢- صحيح البخاري ، ت:محمد زهير ، دار طوق النجاة ، ط١ .

٨٣- صحيح بن خزيمة ، ت:محمد مصطفى ، المكتب الإسلامي-بيروت.

٨٤- صحيح مسلم ، ت:محمد عبدالباقي ، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان.

٨٥- الصداقة بين العلماء ، محمد بن إبراهيم الحمد.

٨٦- صفات المصلحين ، زهير الزميلي .

٨٧- صفوة الصفوة ، أبوالفرج الجوزي ، ت:أحمد علي ، دار الحديث، القاهرة-جمهورية مصر العربية ، ط٢٠٠٠

٨٨- صيد الخاطر ، أبوالفرج الجوزي ، دار القلم، دمشق-سوريا ، ط١ .

٨٩- طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي ، ت:محمود محمد ، عبدالفتاح محمد ، دار هجر ، ط٢

٩٠- طريق الدعوة الإسلامية ، جاسم الياسين .

٩١- طوق الحمامة في الألفة والألاف ، علي بن حزم الأندلسي ، ت:إحسان عباس ، المؤسسة العربية، بيروت-لبنان ، ط٢ .

٩٢- عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة

٩٣- العقيدة في الله ، عمر الأشقر ، دار النفائس.

٩٤- علم النفس الدعوي ، عبدالعزيز النغيمشي ، دار المسلم .

٩٥- علم نفس الدعوة ، محمد الهادي ، الدار المصرية اللبنانية، ط١ .

٩٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

٩٧- عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، شمس الحق العظيم آبادي ، المكتبة السلفية، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية ، ط٢ .

٩٨- العين ، الخليل الفراهيدي ، ت:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الهلال.

٩٩- غاية المنوة ، حازم خنفر ، دار الصديق، ط١ .

١٠٠- الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية، ت: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت-لبنان.

١٠١- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ت:محمد عبدالباقي ، دار المعرفة، بيروت-لبنان ، ١٣٧٩م .

١٠٢- فقه الشورى والاستشارة، د.توفيق الشاوي، دار الوفاء، المنصورة-جمهوية مصر العربية، ط٢ ١٤١٣هـ

١٠٣- فقه مقاصد الدَّعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الدَّاعية ، سعد القعود ، دار أطلس الخضراء، الرياض-المملكة العربية السعودية.

١٠٤- الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٢ .

١٠٥- في البناء الدعوي المجموعة الأولى ، أحمد الصويان.

١٠٦- في البناء الدعوي المجموعة الثانية ، أحمد الصويان ،مجلة البيان-الرياض ١٤٣٣هـ.

١٠٧- في ظلال القرآن،سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة- جمهورية مصر العربية.

١٠٨- فيض القدير، عبدالرؤوف المناوي،المكتبة التجارية الكبرى، جمهورية مصر العربية، ط١.

١٠٩- قوة الذكاء الوجداني ، موسى البهدل ، دار وجوه للنشر، الرياض-المملكة العربية السعودية ، ط١ .

١١٠- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد،أبو طالب المكي، ت: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١١١- الكليات ، أبو البقاء الحنفي ، ت:عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

١١٢- لسان العرب، محمد بن منظور المصري،دار صادر، بيروت-لبنان، ط١ .

١١٣- لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ، محمد المصري دار الفكر، ط٤ .

١١٤- ماذا عن الصحوة الإسلامية في العصر الحديث ، عبدالله ناصح علوان، دار السلام.

١١٥- المتابعة في العمل التربوي ، سالم البطاطي ، مجلة البيان ، ذو القعدة ١٤٢٤هـ.

١١٦- مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ت:محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤١٦هـ.

١١٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان ، ط٢ .

١١٨- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط٣ .

١١٩- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، إبراهيم البريكان ، دار ابن القيم-دار ابن عفان

١٢٠- المستدرك على الصحيحين ، أبوعبدالله الحاكم النيسابوري ، ت:مصطفى عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١ .

١٢١- المستطاب في أسباب نجاح دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ، عبدالرحمن الرحمة، وزارة الأوقاف السعودية.

١٢٢- مسند ابن أبي شيبه ، ت:عادل العزازي وأحمد المزيدي ، دار الوطن-الرياض ، ط١

١٢٣- مسند أحمد بن حنبل ، ت:شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١

١٢٤- مسند البزار ، ت:محفوظ الرحمن زين الله وآخرون ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، ط١ .

١٢٥- المسؤولية ، أحمد المصري .

١٢٦- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها، محمود محمد بابللي، إدارة الصحافة والنشر

١٢٧- المعجم الأوسط ، أبوالقاسم الطبراني ، ت:طارق محمد وعبدالمحسن الحسيني ، دار الحرمين، القاهرة-مصر.

١٢٨- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت-لبنان ، ط٢ .

١٢٩- المعجم الصغير ، أبوالقاسم الطبراني ، ت:محمد شكور ، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان ، دار عمار-عمان ، ط١ .

١٣٠- المعجم الكبير ، أبوالقاسم الطبراني ، ت:حمدي السلفي ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة- جمهورية مصر العربية ، ط٢

١٣١- معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد عمر ، عالم الكتب ط١

١٣٢- المعجم الوسيط ،إبراهيم مصطفى و أحمد الزيات و حامد عبد القادر و محمد النجار، دار الدعوة ، ت: مجمع اللغة العربية.

١٣٣- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن الفارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،ط١٣٩٩هـ-١٩٧٩م

١٣٤- مفاتيح الغيب ، أبوعبدالله الرازي ، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان ، ط٣

١٣٥- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني،دار القلم-الدار الشامية-دمشق-بيروت،ت:صفوان عدنان،ط١ .

١٣٦- مقدمات للنهوض بالعمل الدَّعوي،د.عبد الكريم بكَّار، دار القلم، دمشق-سوريا.

١٣٧- ملامح الشُّورى في الدَّعوة الإسلامية، عدنان النَّحوي، دار الإصلاح للطبع والنَّشر والتَّوزيع، الدمام- المملكة العربية السعودية.

١٣٨- مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها ، علي مدكور ، دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ.

١٣٩- المنطق ، محمد الراشد .

١٤٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبوزكريا النووي ، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان ، ط٢ .

١٤١- منهج أهل الاتباع في التَّعامل مع أهل الإبتداع ،وليد السعيدان.

١٤٢- منهجية التربية الدعوية ، محمد الراشد.

١٤٣- موارد الظمآن ، أبوالحسن الهيثمي ، ت:محمد عبدالرزاق ، دار الكتب العلمية.

١٤٤- الموافقات ، إبراهيم الشاطبي ، ت:مشهور آل سلمان ، دار ابن عفان ، ط١ .

١٤٥- نضرة النَّعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة- المملكة العربية السعودية، ط٤ .

١٤٦- نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر حسنه ، رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ، ط١.

١٤٧- وقفات تربوية مع مرحلة الدعوة المكية ، طه بافضل ، مؤسسة الجريسي، ١٤٣٠هـ.

المراجع الإلكترونية:

١- مركز الوسطية http://www.wasateah.com

٢- (الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net).

٣- الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net.

٤- موقع المسلم http://almoslim.net/.

٥- موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/.

٦- موقع فضيلة الشيخ د.صالح بن حميد، http://ibnhomaid.af.org.sa/node/1790.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث باللغة العربية	ج
الملخص باللغة الإنجليزية	د
المقدمة	٢
أسباب اختيار الموضوع	٢
مشكلة البحث	٣
أهداف البحث	٥
أسئلة البحث	٥
منهج البحث	٦
الدراسات السَّابقة	٦
خطة البحث	٨
التمهيد	١٤
المطلب الأول: التَّعْرِيف بمفردات عنوان البحث .	١٤
أَوَّلاً : التَّعْرِيْف بالصُّحْبَة	١٤
ثَانِياً : التَّعْرِيْف بالأَثَر	١٥
ثَالِثاً : التَّعْرِيْف بالدَّعْوَةِ	١٦
المطلب الثاني: أَهَمِّيَّة الصُّحْبَةِ فِيْ الدَّعْوَةِ إِلَى الله .	١٧
الفصل الأول: الصُّحبة بين الدعاة وأثرها في الدعوة إلى الله .	**خطأ!**

الموضوع	الصفحة
	الإشارة المرجعية غير معرّفة.
المبحث الأول: الصحبة بين الدعاة؛ معالمها وضوابطها.	**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
المطلب الأول : معالم الصحبة بين الدعاة .	٢٣
الْمَسْأَلَةُ الْأُوْلَى:التَّعاون.	٢٥
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَة: الْشُّوْرَى.	٣٩
الْمَسْأَلَة الثَّالِثَة : التَّنَافُس فِي الْخَيْرَات.	٥٣
الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَة: الْتَّجْدِيْد.	٦٢
الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَة: الْتَّناصُر.	٧٤
الْمَسْأَلَة الْسَادِسَة: الْتَّواصُل.	٨٤
الْمَطْلَبْ الْثَّانِي: ضَوَابِط الْصُّحْبَةِ بَيْنَ الْدُّعَاة.	٩٠
الْمَسْأَلَةُ الأولى : صِحَّة الْمُعْتَقَد.	٩٣
الْمَسْأَلَة الْثَّانِيَة : الْإِخْلَاص .	١١٥
الْمَسْأَلَة الْثَّالثّة: الْصِّدْق.	١٢٣

الموضوع	الصفحة
الْمَسْأَلَة الرَّابِعَة: أن يكون من نفس الجنس.	١٣٠
الْمَسْأَلَة الْخَامِسَة: الْصَّلاح.	١٣٨
الْمَسْأَلَة الْسَّادِسَة: الْأَدَب.	١٤٦
الْمَسْأَلَةُ الْسَّابِعَة: الْحُبّ.	١٥٦
الْمَسْأَلَة الْثَّامِنَة : الْنَّقْد الْذَّاتِي.	١٦٤
المبحث الثاني: أثر الصحبة بين الدعاة في الدعوة إلى الله .	١٧٠
الْمَطْلَبُ الْأَوَّل: التَّوَافُق وإِظْهَارُ قُوَّةِ الدَّعْوَةِ بِتَمَاسُكِ الدُّعَاةِ .	١٧٢
الْمَسْأَلَة الْأُوْلَى:الحث على الاتِّفاق.	١٧٢
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَة : مَساوِئُ الاخْتِلَافِ وَمَضَارُّه	١٧٤
الْمَطْلب الثَّاني: تَبَادل الْخِبْرَات وَتَوْظِيْف الْمَلَكَات وَالطَّاقَات.	١٨٤
الْمَسْأَلَةُ الْأُوْلَى : ضَرُوْرَةُ التَّخَصُّص .	١٨٤
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَة : دَوْرُ تَبَادُل الْخِبْرَاتِ وَتَوْظِيْفِ الْمَلَكَات فِيْ التَّمْكِيْنِ للدَّعْوَةِ .	١٨٦
الْمَطْلَب الثَّالِث: تَفْعِيْل مَفْهُوم النُّصْرَة فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَق .	١٩١
الْمَطْلَبْ الرَّابِع: وِحْدَةُ مَنْهَجِ الْعَمَلِ الدَّعَوِيِّ .	٢٠٠
الْمَسْأَلَةُ الْأُوْلَى: أَهَمِّيَّة التَّخْطِيْط فِيْ إِنْجَاحِ الْعَمَلِ الدَّعَوِيّ :	٢٠٠
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةِ : عَوَامِلُ نَجَاحِ مَنْهَجُ الْعَمَلُ الدَّعَوِي :	٢٠٢
الْمَسْأَلَة الثَّالِثَة:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾	٢٠٧
الْمَطْلَبُ الْخَامِس: سُرْعَة مُوَاجَهَة الْانْحِرَافَاتِ وَالْمُشْكِلَاتِ وَتَذْلِيْلِ الْعَقَبَاتِ .	٢٠٩
الْمَطْلَب السَّادِس: زِيادَةُ فُرَصِ الْإِبْدَاعِ فِي الْعَمَلِ الدَّعَوِي.	٢١٧

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني: الصحبة بين الدعاة والمدعوين ، وأثرها في الدعوة إلى الله .	٢٢٠
الْمَبْحَث الأَوَّل: الصُّحْبَةُ بَيْنَ الدُّعَاةِ والمَدْعُوِّيْن مَعَالِمُها ، وَضَوَابِطِها.	٢٢١
الْمَطْلَبُ الأَوَّل: مَعَالِمُ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الدُّعَاةِ وَالْمَدْعُوِّيْن .	٢٢٣
الْمَسْأَلَةُ الْأُوْلَى : التَّعْلِيْم .	٢٢٤
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَة : التَّوَدُّد .	٢٣٩
الْمَسْأَلَة الثَّالِثَة : الرَّحْمَة .	٢٤٩
الْمَسْأَلَة الرَّابِعَة : التَّعَاهُد .	٢٥٣
الْمَسْأَلَة الْخَامِسَة : الْحِكْمَة .	٢٦١
المطلب الثاني: ضوابط الصحبة بين الدعاة والمدعوين .	٢٦٧
الْمَسْأَلَة الْأُوْلَى : التَّرْبِيَة الْإِيْمَانِيَّة .	٢٦٨
الْمَسْأَلَة الثَّانِيَة : التَّرْبِيَة الأَخْلَاقِيَّة .	٢٨٣
الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : الْجِدِّيَّة .	٢٩٤
الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَة : التَّوَاضُع .	٣٠٨
الْمَسْأَلَةِ الْخَامِسَة : الصَّبْر .	٣١٩
الْمَسْأَلَة السَّادِسَة : الْقُدْوَة	٣٢٦
المبحث الثاني: أثر الصحبة بين الدعاة والمدعوين في الدعوة إلى الله .	٣٣٢
المطلب الأول : تأسيس مفهوم التَّقارب والوئام بين الدَّاعي والمدعوين ، والاستعانة في قضاء حوائج المدعوين .	٣٣٤
المسألة الأولى: تأسيس مفهوم التَّقارب والوئام بين الدَّاعي والمدعوين :	٣٣٤
المسألة الثانية : الاستعانة في قضاء حوائج المدعوين .	٣٣٦

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني:تأسيس مفهوم الاقتداء والارتباط بالدَّاعية وإعداد حملة الرِّسالة الدَّعوية.	٣٣٨
المسألة الأولى : تأسيس مفهوم الاقتداء والارتباط بالدَّاعية .	٣٣٨
المسألة الثانية : إعداد حملة الرِّسالة الدَّعوية .	٣٤١
الْمَطْلَب الثالث: التَّفاعل مع قضايا الأمَّة خارج نطاق الإطار الداخلي للعمل الدَّعوي.	٣٤٣
المطلب الرابع : التَّعمق في معرفة المُشكلات وإيجاد الحُلُول .	٣٤٧
الخاتمة	٣٥٠
أهم نتائج البحث والتوصيات	٣٥٠
الفهارس	٣٥٥
فهرس الآيات الكريمة	٣٥٦
فهرس الأحاديث الشريفة	٣٧٠
فهرس الآثار	٣٨١
فهرس المصادر والمراجع	٣٨٦
فهرس الموضوعات	٣٩٦